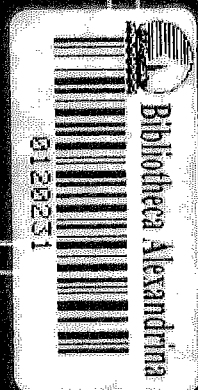


مجموعه
وفيات الاعراب
وله: وفاة السيدة زينب

مراجعة من العلماء والاعلام

دار البكوة



مجموعه
وفيات الامت
وفاته السيدة زينب
عليه

مجموعه

وفيات الأئمة
عليهم السلام

وبلغه

وفات السيدة زينب "ع"

تأليف

مراجع من العلماء الأعلام

طبعة جديدة مُحَقَّقة ومُصَحَّحة

دار البصائر

مكتبة الحقوق محفوظة وسجلها

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م

وفاة الإمام أمير المؤمنين
عليه السلام
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
" عَلَيْهِ السَّلَام "

تأليف

المرحوم الشيخ علي بن محمد آل سيف الحظيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود بعموم الأحوال ، المشكور بجزيل النعم والنوال ،
المتنزه عن مشاركة الاغيار ومناسبة الأمثال ، المتعالية ذاته بعزة العظمة وكمال
الجلال ، المتفرد بدوام الملك وامتناع الزوال ، وأشهد أن لا إله إلا الله المقتر
الفعال ، وأن محمداً عبده ورسوله المرتضى لوحيه في جميع الخصال ، وأن
الخليفة من بعده بلا واسطة ولا انفصال ، ووزيره وابن عمه صاحب ذي الفقار
والحوض الزلال ، ذو المعجزات العظام ، ووسيلة الدعاء إلى ذي الجلال ،
علي بن أبي طالب سهم الله الصائب في أهل الضلال ، شهادة تصلح لقائلها
ضعيف الأعمال ، وتنجحه من مرديات قبائح الأفعال ، صلى الله وسلم عليهما
وعلى الطاهرة الزكية أم الحسين وزوجة علي بن أبي طالب (سلام الله
عليهم) .

أما بعد : لما تصفحت أحوال الإمام ، فوجدت أحدهما على ما فيه من
حسن التطويل ، قد اقتصر في الاستشعار بوفاته على نزر قليل ، والآخر أسهب
في وصف قطام وشبيب ، فلم يحسن إذ ذاك إطنابه ، فكأنما هو ذا تسمع له
طرفاً من ديوان الصبابة ، فعن لي أن أجمع بينهما وهما بحران ، فاستقصرتهم
على مغالبة الزمان ، وأخرجت منهما اللؤلؤ والمرجان ، ونظمتهم خلال ما

استطرفته ، وعقدتهما مع ما استحسنته ، ولا أدعي البراءة من الغيب .
وتحصنت بالله عن أرجاف المرء وجنود الريب ، على كلام مختصر رقيق ،
وأسلوب مستحسن أنيق ، مسترقاً من الله نفسي الامارة من الرياء والإعجاب ،
مستزفناً توفيقه في سلوك الحق والصواب ، سائلاً منه أن يجعله مدخراً ليوم
الحساب ، منتظراً به الشفاعة يوم المآل ، ملتزماً بعض ما التزمه المؤلف
الأول ، معولاً على ما نقله وربما عليه المعول فقد أغير في الشعر ، وقد أ حذف
منه وربما أذكر بعض الرواية في سلك مناسبتة ، بم يعن لي ذكر بعضها الآخر
مع ما ينتظم به فلا يعجل باللوم عليّ عجول ، ولا يتندر في الإعباء إليّ ملول ،
وليسدد أخ ناصح كريم ، وستر الهفوة مني لامح حليم ، فإنني بالقصور
معذور ، على أن لا يسقط الميسور بالمعسور ، فها أنا أقول وبالله التوفيق ومنه
نيل المأمول .

سبق (صلوات الله وسلامه عليه) فخرأ فجل أن يسابق ، ولحق من تقدمه
فضلاً وأنى يلاحق ، حتى غرس في قلوب أبت الهدى غرائس الأضغان ،
وغرس نفوسهم بمحمود سعيه غرائس الأشجان ، فأتجت له نتائج الحسد
والعدوان ، ولم تأخذه في الله لومة لائم ، جانب النصف وتمع نفسه الزكية في
الله بالتلف ، وشغف بالقرب منه غاية الشغف ، فاستوطن قباب الأخطار ،
واستأجن شرب الراحة والاصدار ، فلذلك التهب نفس كل حاسد بما أخفاه ،
وحاقد بسالف من الكفر أرداه ، فدعوه عن رتبته ودفعوه عن منزلته ، ومنعوه من
بلغته ، وبالغوه في أذيته ، لكنه لحظ الإسلام بطرف الرحمة والألطف ، وبسط
له أنماطاً للشفقة والأعطاف ، ولم يجعل للدنيا في حماه منصباً ، ولا خالط
زالا مطلبه من أجاجها مشرباً ، فسالم في الله راغماً جد معطسه^(١) ، واستبق
الإسلام بانقياده وقد اتشح من الشرف جميل ملبسه ، إذ كانت الدنيا لديه كقلامه
ظفر ، هانت عليه كما قال رسول الله (ص) : يا علي إن الله زينك بزينة لم يزين

(١) المعطس : الأنف .

بها أحداً من الخلق ، الزهد في الدنيا ، وجعل الدنيا لم تتل منك شيئاً . فكان سلام الله عليه كما قال النجم الزاهر ابنه محمد الباقر : والله إن علياً ليأكل أكلة العبد ، ويجلس جلسة العبد ، وانه ليشتري القميصين فيخير غلامه خيرهما ، ثم يلبس الأخير ، فإذا جاز أصبعه قطعه ، وإذا جاز كعبه حذفه .

وقال (ع) : لقد تزوجت فاطمة الزهراء ، وما لي ولها فراش غير جلد كبش ، كنا نام عليه في الليل ، ونعلف عليه الناصج في النهار ، وما لي خادم غيرها . ولقد ولي علي (ع) خمس سنين ، ما وضع أجرة على أجرة ، ولا لينة على لينة ، ولا قطع قطعياً ، ولا ورث بيضاء ولا صفراء ، وإنه كان ليطعم الناس خبز البر واللحم ، ويذهب إلى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والخل ، وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضى ، إلا أخذ بأشدهما على بدنه ، ولقد أعتق ألف مملوك من كد يده ، وعرق فيها وجهه ، وإنه ليصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وناهيك ما فاهت به ألسن أعدائه ، وطبق الأفاق ممارق من مناقبه وراق ، فمن ذلك اصطفاه من هذا العالم بالغ الحكمة ، لمقتضى العظيم اللطف بهم وواسع الرحمة ، فلما أراد الله أن يبرز نور نبوته من مكنون علمه في خير بريته ، جعله المنذر وعلي الهادي إليه ، فكان مما صنع الله به وزاده من الخير ، ان قريشاً أصابهم القحط الشديد والجذب المبيد ، وكان أبو طالب كثير العيال ، فقال رسول الله (ص) للعباس : يا عم إن أخاك ذو عيال كثير ، وقد أصاب الناس ما ترى ، فانطلق بنا نخفف عنه من عياله ، آخذ أنا رجلاً وتأخذ أنت رجلاً ، فنكفيهما عنه . قال العباس : نعم ، فأتيا إلى أبي طالب ، فقالا : إنا نريد أن نخفف عنك عيالك ، حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال أبو طالب : إن تركتما لي عقياً فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله (ص) علياً فضمه إليه ، فلما أمر الله تعالى جبرائيل أن يهبط إلى الأرض بإظهار الرسالة ، وجد رسول الله قائماً بالأبطح بين أمير المؤمنين وجعفر ، وجلس جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجله ، وانتبه رسول الله (ص) فأدى إليه جبرائيل الرسالة عن الله عز وجل .

قال الثعلبي في تفسير قوله تعالى : ﴿والسابقون الأولون﴾^(١) فلم يزل علي مع رسول الله (ص) حتى بعثه نبياً ، فاتبعه علي وآمن به وصدقته ، ونزل جبرائيل يوماً على النبي وهو بأعلى مكة فغمز جبرائيل بعقبة وانفجر الماء فتوضأ النبي (ص) وصلى الظهر ، واتبعه علياً في تلك الصلاة ، وهي أول صلاة فرضها الله عز وجل ، ثم نزلت الآية : ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾^(٢) .

روى الثعلبي في تفسيره عن البراء بن عازب قال : لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله بني عبد المطلب ، وقال : إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل ، وجئتكم بما لم يجيء به أحد ، جئتكم بالدنيا والآخرة ، فأسلموا ، أو سلموا وأطيعوا ، فمن يؤاخيني ويؤازرنني ، ويكون لي وليي ووارثي ووصيي بعدي ، وخليفتي وقاضي ديني ؟ فسكتوا ، وأعاد القول ثلاثاً ، ولم يقل غير علي بن أبي طالب (ع) أنا ، فقال رسول الله (ص) : أنت أنت ، قال : فقاموا وهم يقولون لأبي طالب : أطمع ابنك فقد أمر عليك ، ولما مات أبي طالب ، كثر منهم الأذى إلى رسول الله ، وأمير المؤمنين يتحمل عنه مكان أبيه ، ويكابد الأذى والمشقة فيه ، حتى أذن الله لنبيه بالمهاجرة إلى يثرب ويخلف علياً لأداء الديون ، ورد الودائع ، وكفالة النساء ليخرج بهن إليه ، وأمره الله أن يبته علي فراشه ليخفي خروج رسول الله علي قريش ، فيفرط عليهم ما دبروه في هلاكه ومكرهه في قتله ، فأخبر علياً بذلك فانسر سروراً عظيماً ، وسجد لله شكراً ، فقال له علي بن أبي طالب : امض فيما أمرت به فإنني لله ولك مطيع ، فذاك أبي وأمي ونفسي ، فخرج رسول الله قاصداً إلى المدينة ، وبات أمير المؤمنين علي فراش رسول الله فادياً له بنفسه ، وأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر ، فمن منكما يؤثر أخاه بالحياة ، فاختر كل واحد منهما الحياة لنفسه ، فقال : الله تعالى : ألا كتتما

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٠ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ٢١٤ .

مثل علي بن أبي طالب أخيت بينه وبين ابن عمه محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ، اهبطاً إليه واحرساه من عدوه . فهبطاً إليه وجلس جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، وجبرائيل يمسح عليه بجناحيه ويقول : بخ بخ لك يا ابن أبي طالب من مثلك ، وقد باهى الله بك الملائكة ، فنزل قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾^(١) وأحاط القوم ببيت رسول الله ، يقذفوه بالحجارة ليخرج إليهم رسول الله (ص) ليقتلوه ، غير شاكين أنه على فراشه ، فلما قرب الصبح انتفضوا أسيافهم وهجموا عليه ، فخرج لهم أمير المؤمنين ، فتفرقوا عنه ، ثم تهيأ للخروج للمدينة ، بعد رد الودائع وأداء الديون .

فلما وصل (ع) المدينة ، استقبله رسول الله (ص) وضمه إلى صدره ، وقبله وهو يقول : من مثلك يا أبا الحسن ، وقد وفيت بعهد الله وأنجزت وصية رسول الله ، ووقيته بنفسك ، أنت مني بمنزلة هارون من موسى .

ولله در من قال :

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| والله ما يهواك إلا مؤمن | بر ولا يقلوه إلا ملحد |
| صهر النبي ونفسه وأمينه | وليه المتعطف المتودد |
| فالدين والاشراك لولا سيفه | ما قام ذا شرفاً وهذا يقعد |
| من لم يدر وجهاً إلى صنم ولا | للات والعزى قديماً يسجد |
| ومبيته فوق الفراش مجاهداً | بمهاد خير المرسلين يمهد |
| رجلاً يتيه به الفخار مفاخرأ | ويسود إذ يعزا إليه السؤدد |

قال : وكان منطقهم وتاجهم ، وبه أظهر الله كواكبه ، وأمد سراجهم ، حتى غدا غسق ليله فلحقا من صباحه ، وعاد من هشيم مرتعه يقهقه بوروده واقاحه ، فلو تفكروا بعقول فارغة من شواغل الحسد والأضغان ، لعلموا مكان هذه الفدية

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧ .

الشريفة والبيبة المنيفة ، والمنزلة الراجحة المباركة ، التي فازت بفضيلة المؤازرة والمشاركة في جميع فوائد النبوة والرسالة ، من اهتدى من الأمة إلى يوم القيامة ، وانه سبب سلامة النبي وحفظه ، وانتظام أمر الدعوة إلى الملة الحنيفة ، وانه الحامل للإجابة إليها ، والناصر لجيوش رسول الله وسراياه ، فقد قاتل في (بدر) حتى هزم المشركين ، وغنم المسلمون أموالاً كثيرةً وأسارى . وفي (أحد) وقد فرّ المسلمون عن رسول الله ، وانقطع سيفه وأعطاه الله (ذو الفقار) ، فما زال به إلى أن أصابه سبعون جراحة ، واعجب الملائكة بثباته فقال جبرائيل : يا رسول الله إنها لهي المؤاساة ، فقال رسول الله : انه مني وأنا منه فعرج جبرائيل ينادي « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » وهزم أصحاب قريش ، إذ أقبل عمرو بن عبد ود وابنه ، فنزل قوله تعالى : ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾^(١) فقال رسول الله : قتل علي لعمره أفضل من عبادة الثقلين إلى يوم القيامة .

وقتل في غزاة بني النضير رامي قبة النبي (ص) ، وعشرة دونه وفرّ الباكون .

وفي غزاة ذات السلاسل ، إذ جاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، إن جماعة من العرب يريدون أن يقتلوك ، فأنفذ أبا بكر في سبعمائة فرجع مهزوماً ، ثم بعث عمر فرجع بالرعب يجبن أصحابه وهم يجبنوه . فقال رسول الله : في الثالثة : أين علي بن أبي طالب ؟ قال : ها أنا ذا يا رسول الله ، فأعطاه الراية ، فسار بها متكباً للطريق ، فظل يسير بالليل ، ويكف بالنهار ، لثلا يعلم به أحد من القوم فيفروا ، حتى اتصل بفم الوادي ، فتيقن ابن العاص وصولهم فدعته الضغينة والحسد لأمير المؤمنين (ع) ، إلى أن يعمل الحيلة حتى يعلم به القوم

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢٥ .

يفيروا ، ويفرط على علي بن أبي طالب ما دبره في هلاك أعداء الله وأعداء رسوله ، فأوعز للأول والثاني ، أن قولاً لعلي بن أبي طالب أن هذه الأرض كثيرة السباع والذئباب ، فالرأي أن يعلو على الجبل ، فلم يلتفت أمير المؤمنين (ع) لمقاتلتهما ونكس على القوم ، فجرى واستأصلهم ، فأنزل الله تعالى على نبيه البشارة بسورة العاديات . فخرج رسول الله (ص) يتلقاه ، فلما رآه أمير المؤمنين (ع) ، ترجل لرسول الله إجلالاً له ، فقال رسول الله : اركب يا علي ، فان الله ورسوله عنك راضيان .

وفي غزاة بني المصطلق ، قتل مالكا وابنه ، وفرّ الباقيون ، وغنم المسلمون أموال الباقيين .

وفي خيبر إذ دفع الراية رسول الله لأبي بكر ، ففرّ ، ثم إلى الثاني ففرّ ، فقال (ص) : لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، كراراً غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ، فلما كان من الغد دعا بعلي بن أبي طالب (ع) فأتى به سلمان الفارسي يقوده من الرمد ، فبصق رسول الله في عينيه فما اشتكاهما ، فدفع إليه الراية ودعا له ، فخرج وقتل مرجباً ، وفرّ الباقيون إلى حصنهم وأغلقوه عليهم ، فعالجه أمير المؤمنين (ع) ، حتى قلع بابه ، وكان يعالج إغلاقه وفتحه أربعون رجلاً منهم ، وجعله جسراً للخندق ، قيل وأكمل بيده حتى اقتحم المسلمون الحصن ، وأثخنوهم قتلاً وغنموا أموالهم .

ولله در من قال :

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| أقسمت بالمشرفيات الرقاق وبالجرد | العتاق وبالعسالة الذبيل |
| وكل أبلج طعم الموت في فمه | يوم الكريهة أحلى من خبا العسل |
| لقد نجا من لظى نار الجحيم غداً | في الحشر كل موال للإمام علي |
| مولي تعالي أن يحيط به | وصف وجل عن الأشباه والمثل |
| لا يدرك الفكر من كلي مدحته | جزءاً ويرجع عنه العقل في عقل |
| لولا حدود مواضيع لما انتصبت | ولا استقامت قناة الدين من ميل |

سل عنه بداراً وأحدأ والنضير ويوم
وسل من العلماء الراسخين ترى
قل فيه واسمع له وانظر إليه ترى
زوج البتول أخو الهادي الرسول
يا من يرى أنه يحصي مناقبه
إن وجدت مجال القول ذا سعة
وإلا فسل عنهم الذكر المجيد تجدد

خيبر والأحزاب والجمل
له فضائل ما جمعن في رجل
ملؤ المسامع والأفواه والمقل
مزيل الكرب عن أنبياء الله في الأزل
أهل تراها على التفصيل والجمل
وإن وجدت لساناً قائلاً فقل
في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

قال : وكان قد أهلك المسلمين العجب ، بكثرتهم حتى قال الأول : إنا
لن نغلب من قلة ، وكانوا اثني عشر ألفاً ، ففروا عن رسول الله (ص) ، ولم يبق
معه من يذب عنه بسيفه غير علي بن أبي طالب (ع) ، حتى قتل جمعاً منهم ،
فانهزم المشركون وتراجع المسلمون من هزيمتهم ، قتلاً وأسراً ، وغنموا
أموالهم ، وأصاب جيش رسول الله الوهن في تبوك ، حتى فر عنه أصحابه ،
وقد خلف أمير المؤمنين ، فنزل جبرائيل على رسول الله وقال : يا رسول الله أدر
وجهك نحو المدينة ، ونادي يا أبا الغيث أدركني يا علي ، فسمع علي نداء
رسول الله ، وهو مع سلمان في حديقة من المدينة ، وهو على نخلة ينزل منها
كربا ، وسلمان يجمعه . قال سلمان : فسمعت أمير المؤمنين يقول : لبيك
لبيك يا رسول الله ها أنا جئتك فنزل والحزن ظاهر عليه ، ودمعه ينحدر على
لمته ، فقلت : ما شأنك يا أبا الحسن ؟ قال : يا سلمان انكسر جيش
رسول الله ، وبقي فريداً يدعوني ويستغيث بي ، ثم ذهب إلى منزله ، ولبس
لامة حربة ثم قال (ع) : ضع قدمك على موضع قدمي ، قال سلمان : فاتبعته
حدو النعل بالنعل سبعة عشر خطوة ، فعاينت جيوش المشركين ، وعلي قد
دخل فيهم ، فصرخ صرخة ألهمت النار فيهم ، وحكم سيفه فأخذ منهم مأخذه
حتى ولوا الدبر ، ونصر الله نبيه ، وكانت كلمة الله هي العليا ونبيه المنصور ،
ودخل الناس في دين الله أفواجاً وأسلمت قبائل اليمن وملوك حمير ، وتتابعت

وفود العرب من كل ناحية ، ومن إنشاده (ع) يقول :

الله أكرمنا بنصر محمد وبنا أقام دعائم الإسلام
في كل معترك تطير سيفنا منه الجماجم عن فراخ الهام
ويزورنا جبريل في أبياتنا بفرائض الإسلام والأحكام
فنكون أول مستحل جلّه ومحرم لله كل حرام
نحن الخيار من البرية كلها وإمامها وإمام كل إمام
أنا لنمنع من أردنا منعه ونجود بالمعروف للمعتم

قال عبدالله بن عمر : ما كنا نعرف المشركين والمنافقين ، على عهد رسول الله إلاّ ببغضهم لعلي بن أبي طالب ، وعلم ما يجري عليه ، من أهل الشقاق والنفاق الشاكين في الله ورسول الله (ص) ، ألبسه الله من الفضل والفضائل حلل أنواره ، وجليل مناره ، لتقوم به الحجة على الخلائق ، بحيث لا يبقى عذر لمنافق أو مفارق .

روى التغلبي في تفسيره والشافعي والخوارزمي في المناقب ، قال أنس بن مالك : أهدى إليّ النبي بساط ابن جندب ، فقال لي : يا أنس ابسطه ، فبسطته ، فقال : ادع لي العشرة ، فدعوتهم ، فأمرهم بالجلوس على البساط ، فقال : ادع لي علياً ، فدعيت له ، فناجاه طويلاً ، ثم رجع على البساط فقال : يا ربيع احملينا ، قال أنس : فحملتنا الريح ، والبساط يدف بنا دفيفاً ، ثم قال : يا ربيع ضعينا قال : فوضعتنا الريح قال : فقال : أمير المؤمنين أتدرون في أي مكان أنتم ؟ قلنا : لا قال : هذا موضع الكهف والرقيم ، قوموا وسلموا على إخوانكم ، قال أنس : فقمنا وسلمنا عليهم ، فلم يردوا علينا ، فقام أمير المؤمنين وقال : السلام عليكم يا معاشر الصديقين والشهداء ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، قال أنس : فقلت : يا أمير المؤمنين ردوا عليك السلام ، ولم يردوا علينا ، فقال أمير المؤمنين : ما بالكم لم تردوا على إخوانكم ؟ فقالوا : لا نكلم بعد الموت إلاّ نبياً أو وصي نبي

ثم قال (ع) : يا ريح احملينا ، فحملتنا الريح ، والبساط يدف دفيناً ثم قال (ع) : يا ريح ضعينا ، فإذا نحن بالحرّة ، فقال أمير المؤمنين (ع) : ندرك النبي في آخر ركعة ، فتوضينا وأتيناها ، وإذا النبي يقرأ آخر ركعة : ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾^(٢) .

وفي روضة الواعظين ، عن الصادق (ع) قال : اجتمعت التسعة يعني الذين كانوا مع علي (ع) على البساط ، في دار الأقرع بن حابس ، مسكن صهيب الرومي يومئذ ، فقالوا : لقد كثر محمد في ابن عمه علي ، حتى لو أمكنه أن يقول لنا اعبدوه لفعل ، قال سعد بن أبي وقاص : ليت محمداً أتانا فيه بآية من السماء ، كما أتاه الله في نفسه من انشقاق القمر وغيره . فباتوا ليلتهم ، فنزل نجم من السماء ، حتى صار في ذروة جدار أمير المؤمنين (ع) ، متعلقاً يضيء في المدينة ، حتى دخل ضياؤه في البيوت والآبار والمغارات والمواضع المظلمة ، فانذعر أهل المدينة ذعراً شديداً ، فخرجوا وهم لا يعلمون على دار من نزل ، إنما يرونه على بعض منازل رسول الله ، فخرج رسول الله لما سمع ضجيج الناس إلى المسجد ، فقال : ما الذي أذعركم وأخافكم ، لعله هذا النجم الذي نزل على دار أخي وابن عمي علي ، قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : أفلا تقولون لمنافقيكم التسعة الذين اجتمعوا أمس في دار صهيب الرومي وقالوا : فيّ وفي أخي ما قالوه ؟ قال قائل منهم : ليت محمداً أتانا في علي بآية كما أتاه الله في نفسه من انشقاق القمر وغيره . فأنزل الله تعالى هذا النجم على شرفة أمير المؤمنين ، وقد أنزل الله في هذا النجم قرآناً تسمعونه .

ثم قال : ﴿والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحي يوحى﴾^(١) وبقي على شرفة أمير المؤمنين ، إلى

(١) سورة الكهف ، الآية : ٩ .

(٢) سورة النجم ، الآيات : ١ - ٤ .

أن غاب كل نجم وهم ينظرونه :

هذا هو السر الخفي ومن لولاه ما كانت الدنيا ولا الفلك
ولا تكوّن هذا الكون من عدم إلى الوجود فهذا المالك الملك

فقال بعض المنافقين : لو شاء لأمر محمد هذه الشمس أن تنادي باسم
علي هذا ربكم فاعبدوه ، فهبط جبرائيل فأخبر النبي بما قالوه . وكان ليلة
النجم ، فأقبل على الناس بوجهه في صبيحتها ، ثم قال : استدعوا لي علياً من
منزله ، فدعي له ، فقال : يا أبا الحسن إن قوماً من منافقي أمتي ما قنعوا بآية
النجم ، حتى قالوا : لو شاء محمد لأمر هذه الشمس فنادت باسم علياً هذا
ربكم فاعبدوه ، فأت البقيع في غد معي ، فقف نحو طلوع الشمس ، فإذا
بزغت فادع بدعوات أنا ألقنك إياها وقل للشمس : السلام عليك ، يا خلق الله
الجديد ، وتسمع ما تقول لك الشمس ، وترد عليك فسمع التسعة وانصرفوا ،
يقول بعضهم لبعض : لا تزالون تغرون محمداً بأن يظهر في ابن عمه كل يوم
آية ، مثلما قال في مثل هذا اليوم ، فقال الأول والثاني : والله لنحضرن
البقيع ، فننظر ونسمع ما يكون من الشمس وعلي ، فلما صلى رسول الله أقبل
علي علي وقال : قم يا أبا الحسن إلى ما أمرك الله به ، حتى تأتي البقيع وتقول
للشمس ما قلت لك ، وأسر إليه سراً كانت فيه الدعوات التي علمه إياها ،
فخرج أمير المؤمنين يسعى إلى البقيع ، حتى بزغت الشمس ، فهم بالدعاء
مهممة لم يعرفوها ، فقالوا : هذه المهمة مما علمه محمد من سحره ، فقال
لها : السلام عليك يا خلق الله الجديد ، فأنطقها الله تعالى بلسان عربي مبين ،
وقالت : السلام عليك يا أخا رسول الله ووصيه ، أشهد أنك الأول والآخر ،
والظاهر والباطن ، وإنك عبد الله وأخو رسول الله حقاً ، فأرعدوا واختلطت
عقولهم ، ورجعوا إلى رسول الله مسودةً وجوههم بغیظ نفوسهم ، فقالوا : يا
رسول الله ما هو إلا العجب العجيب ، الذي لم نسمع به من النبيين ، ولا من
المرسلين ، ولا من الأمم السالفة القديمة ، لو كنت تقول أن علياً ليس ببشر

فاعبدوه ، فقال رسول الله (ص) : أسمعتم ما قالت الشمس ، وتشهدون بما سمعتم ؟ قالوا : يحضر علينا ويقول ، ونسمع ونشهد بما قال للشمس وما قالت له . فقال لهم رسول الله : بل تقولون ، فقالوا : قال علي للشمس : السلام عليك يا خلق الله الجديد ، بعد أن همهم هممة تزلزل منها البقيع ، فأجابته الشمس : السلام عليك يا أخا رسول الله ووصيه ، أشهد أنك الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنتك عبد الله وأخو رسول الله ، فقال رسول الله : الحمد لله الذي خصنا بما تجهلون ، وأعطانا علم ما لا تعلمون ، اني واخيت علياً دونكم ، وأشهدتكم أنه أخي ووصيي ، فماذا أنكرتم ، عساكم تقولون ما قالت له الشمس ، إنك الأول والآخر والظاهر والباطن ، فقالوا : نعم يا رسول الله لأنك أخبرتنا أن الله هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، في كتابه المنزل عليك . فقال رسول الله : ويحكم وأنى لكم علم بما قالت الشمس ، أما قولها (الأول) : فإنه أول من آمن بالله وبي من الرجال ، وخديجة من النساء . وقولها (الآخر) : لأنه آخر الأوصياء وأنا آخر الأنبياء والرسل . وقولها (الظاهر) : انه ظهر على كل ما أعطاني الله من علم وحكمة ، فما علمه معي غيره ، ولا يعلمه بعدي إلا هو ، ومن ارتضاه الله لسره من ولده . وقولها (الباطن) : لأنه والله باطن علم الأولين والآخرين ، وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين ، وما زادني الله به من علم ما لا تعلمون ، وفضل ما لم تعطوه ، فماذا أنكرتم ؟ فقالوا بأجمعهم : نحن نستغفر الله ، فاستغفر لنا . فأنزل الله عليه : ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (١) .

تباً لناصبة الأنام لقد تهافتوا في الضلال بل تاهوا
قاسوا عتيقاً بحيدرة سخنت عيونهم بالذي به فاهوا

(١) سورة المنافقون ، الآية : ٦ .

كم بين من شك في عقيدته وبين من قال إنه الله
فمن نظر في حال ذاته الطاهرة ، وصفاته الباهرة ، ومناقبه العالية ،
ومذاهبه الشافية ، قضى بسليم عقله من وصمات الجسد إنها نصوص صريحة
بمقتضى الحكمة البالغة ، إذ عرف رتبة النبوة ، وعلم مقام الهداية ، وانه نفس
رسول الله كما في آية المباهلة .

وقد اعترف منهم العلماء ورواه منهم الجمهور ، فهو الحقيق بمقامه
ورتبته ، والهادي من بعده لأمنه .

ففي الطرائف قال : ورواه التغلبي من عدة طرق ، فمنها ما رفعه إلى
عبادة بن ربيعي ، قال : بينما عبد الله بن عباس ، جالس على شفير زمزم يقول :
قال رسول الله (ص) ، إذ أقبل رجل معتمّ بعمامة ، فقال ابن عباس : سألتك
بالله من أنت ، فكشف العمامة عن وجهه فقال : أيها الناس من عرفني فقد
عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي ، أنا جندب بن جنادة البديري ، أنا
أبو ذر الغفاري . سمعت رسول الله بهاتين وإلا صمتا ، ورأيت بهاتين وإلا
عميتا ، وهو يقول علي قائد البرة وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول
من خذله ، أما إنني صليت مع رسول الله يوماً من الأيام صلاة الظهر ، فسأل
سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً ، فرفع السائل يده إلى السماء وقال :
اللهم إنني سألت في مسجد نبيك ورسولك محمد فلم يعطني أحد شيئاً ، وكان
علي راعياً ، فأومى بخنصره الأيمن وكان يتختم فيها ، فأقبل السائل فأخذ
الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول الله (ص) . فلما فرغ من صلاته ، رفع
النبي رأسه إلى السماء وقال : إن موسى بن عمران سألك وقال : ﴿ رب اشرح
لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي
وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به ازري وأشركه في أمري ﴾^(١) فانزلت قرآناً

(١) سورة طه ، الآيات : ٢٥ - ٣٢ .

ناطقاً ﴿ستشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾^(١) . اللهم وأنا محمد عبدك ، ورسولك ، وصفيك ، اللهم فاشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، وأجعل لي وزيراً من أهلي عليّ أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري ، قال : فما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل جبرائيل من عند الله تعالى فقال : يا محمد اقرأ ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾^(٢) .

وفي رواية الشافعي وابن المغازلي بطريقه إلى ابن عباس : قال رسول الله : الحمد لله الذي جعلها فيّ وفي أهل بيتي ، ثم أكمل الحجة وأكدها ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى عن بينة ، فقال تعالى : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - في علي - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾^(٣) فأقام رسول الله (ص) في غدِير خُم علياً علماً للناس .

وفي ما رواه المغازلي عن أبي هريرة وقد أخذ رسول الله (ص) بيد عليّ بن أبي طالب (ع) فقال : أأنت أولى بكم من أنفسكم ؟ فقالوا : بلى يا رسول الله . قال : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله . فقال عمر : يخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، فأنزل الله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٤) .

ومن رواية ابن مردويه قال : قال رسول الله (ص) : الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ، ورضى الرب سبحانه وتعالى برسالتي إليكم ، والولاية

(١) سورة القصص ، الآية : ٣٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٦٧ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

لعلي بن أبي طالب . وأمر أبا بكر وعمر وعثمان أن يقوموا ويسلموا على علي بإمرة المؤمنين ففعلوا وهنوه بالخلافة عليهم ، وأمر أزواجه فسلمن عليه بإمرة المؤمنين .

حتى إذا قبض النبي ولم يكن
خانوا موثيق النبي وخالفوا
واستبدلوا بالرشد غياً بعدما
يا للرجال لأمة مفتونة
أضحى بها الأقصى البعيد مقرباً
لعبوا بها حيناً وكل منهم
ولو اقتدوا بإمامهم ووليهم
لكن شفوا بخلافه ابداً ما سعدوا

في لحده من بعد غسل يلحد
ما قاله خير البرية أحمد
عرفوا الصواب وفي الضلال تمردوا
سادت على السادات فيها الأعبء
والأقرب الأذى يذاد ويبعد
متحيراً في حكمها متردد
سعدوا وكان هو الولي الأوكد
به وهو الولي الأسعد

قال : فلما أمكنتهم الفرصة انتهزوها ، فبلغوا غاياتهم من إظهار الإسلام ، وحصلوها إذ طلبوا الحيلة بذلك الايقاع والبطش برسول الله (ص) وأهل بيته (ع) كما رواه سعيد بن العاص : أنه لما بلغ عبدالله بن عمر ما فعل يزيد بالحسين وأصحابه وأهل بيته من القتل والأسر والتكيل ، استنهض أهل المدينة والحجاز على حربه حتى بلغ بجنده دمشق ، فخرج له يزيد وقال : يا عبدالله أبوك قلدني أمر الشام ، قال : نعم ، قال : أتحب أن أريك الصك الذي كتبه أبوك إلى أبي إذ ولاه ؟ قال : نعم ، فأخرج له طوماراً من سفت وفيه صك ، فقال : يا عبدالله هذا خط أبوك ؟ قال : نعم ، فقرأه فإذا فيه :

إن الذي أكرهنا على الإقرار به فأقررنا والصدور وغرة ، والنفوس واجفة ، والبصائر شائكة ما كانت عليه ، من جحدنا ما دعانا إليه فاطعنا فيه رفعاً لسيفه وتكاثره بالحج علينا من اليمن ، وتعاضد من سمع به ممن ترك دينه ، وما كان عليه آباؤه في قريش ، فبهبل أقسم واللوات والعزى ما جحدها عمر منذ عبدها ، ولا عبد للكعبة رباً ، ولا صدق لمحمد قولاً ، ولا ألقى السلام إلا

للحيلة وإيقاع البطش به ، فإنه قد أتانا بسحر عظيم . فخذ يا بن سفيان سنة قومك واتباع ملتك ممن جحد هذه الأبنية التي يقولون ان لها رباً أمرنا بإتيانها ، وجعلها لهم قبلة والسعي حولها ، فجعلوا صلاتهم للأحجار فما الذي أنكره علينا ، لولا سحره ما أطعنا ، فانظر بعين مبصرة واسمع بأذن واعية ، وتأمل بعقلك واشكر اللات والعزى واستخلاف السيد الرشيد عتيق ابن العزى على أمة محمد وتحكمه في أموالهم ودمائهم وشريعتهم ، فعاش يخضع جهراً ويشتم سرّاً ، ولقد وثبت وثبة على شهاب بني هاشم الثاقب ، وقرنها الزاهر ، وعلمها الناصر المسمى بحيدرة المصاهر لمحمد على المرأة التي جعلوها^(١) سيدة نساء العالمين ويسمونها فاطمة الزهراء حتى أتيت دارها ، وهي فيها مع علي وابنيهما الحسن والحسين وبنيتيها زينب وأم كلثوم والأمة المدعوة بفضة ، ومعني خالد بن الوليد وقنفذ ، فقرعت الباب فأجابتني الأمة فضة ، فقلت لها : قولي لعلي دع عنك الأباطيل ولا تلج نفسك إلى طمع الخلافة ، فالأمر لمن اختاره المسلمون .

ثم قلت للمهاجرين والأنصار : الإمام في قريش فقالوا : إذا هي للأصلح البطين أمير المؤمنين (ع) الذي أخذ رسول الله البيعة على أهل ملته ، وسلمنا له بإمرة المؤمنين في أربعة مواطن ، فإن كنتم نسيتموها يا معاشر قريش فما نسيناها ، وليست البيعة ولا الإمامة ولا الوصية إلا حقاً مفروضاً وأمرأً صحيحاً لا تبرعاً ولا ادعاءً ، فكذبناهم ، وأقمت أربعين رجلاً شهدوا على محمد أن الإمامة بالاختيار ، فعند ذلك قالت الأنصار : نحن أحق ، وتنازعوا ، فقلت والجمع يسمعون : لا نختار إلا أكبرنا سنأ ، قالوا : فمن ؟ قلت : أبي بكر ، فأقبل بنو هاشم يميزون غيظاً ، فقالوا : لا نبايع إلا علياً ، فوثبت إلى أبي فضيل وصافحته وتلاني عثمان وسائر من حضر .

ثم قال : من ينكرون بيعة أبي بكر : ويقولون ما فعل علي . فأقول له : خلعها وصار جليس بيته ، فيبايعون وهم كارهون فعلنا أن علياً يستنفرهم

فيعدونه للنصرة ليلاً ، ويقعدون عنه نهاراً ، فأتيت داره لأخرجه منها فقالت لي
 الأمة فضة : إن أمير المؤمنين مشغول بنفسه فقلت : خلي عنك وقولي له يخرج
 وإلاً دخلنا عليه وأخرجناه كرهاً ، فخرجت فاطمة الزهراء ووقفت من وراء
 الباب ، فقالت لنا : أيها الضالون المكذبون ماذا تقولون وأي شيء تريدون ؟
 فقلت : يا فاطمة ما بال ابن عمك قد أوردك للجواب وجلس من وراء
 الحجاب ؟ فقالت : طغيانك يا شقي أخرجني ، وألزمك الحجة وكل ضال
 غوى ، فقلت : دعي عنك الأباطيل وأساطير النساء وقولي لعلي بن أبي طالب
 يخرج ، فقالت : لا حباً ولا كرامةً فقلت لخالد بن الوليد : أنت ورجالنا هلموا
 في جمع حطب الجزل ، إني مضرمةا فقالت : عليك يا عدو الله وعدو رسوله .
 فضربت بيدها على الباب لتمنعي من فتحه فتصعب علي ، فضربت كفيها
 بالسوط حتى ألمها ، فسمعت لها زفيراً وبكاءً فكادت ألين وأنقلب ، فذكرت
 أحقاد علي ولولوغه في دماء العرب وصناديد اليمن ، وكيد محمد وسحره ،
 فركلت الباب وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترسه ، وسمعتها قد صرخت صرخة
 حسبتها جعلت أعلى المدينة أسفلها ، وقالت : يا أبتاه يا رسول الله . هكذا
 يفعل بي وأنا حبيبتك وابنتك ، آه يا فضة إليك فخذيني ، فقد قتل والله ما في
 أحشائي من حمل ، فجعلت تمخض وهي مستندة على الجدار ، فدفعت الباب
 ودخلت فأقبلت علي بوجه أغشى بصري نوره فصفتها على خديها من ظاهر
 الخمار ، فخرمت أذنيها فتناثرت أقراطها إلى الأرض ، فخرج علي فلما
 أحسست به أسرع إلى خارج الدار فقلت لخالد بن الوليد ومن معه : نجوت
 من أمر عظيم ، وخرج علي وقد ضربت فاطمة بيديها على ناصيتها لتكشف عنها
 وتستغيث بالله مما نزل بها ، فأسبل علي عليها ملاءتها وقال : يا بنت رسول الله
 إن الله بعث أباك رحمة للعالمين ، وأيم الله لئن كشفت عن ناصيتك شاكية إلى
 ربك ليهلكن هذا الخلق لأجابك حتى لا يبقى على وجه الأرض منهم أحداً ،
 فكوني يا سيدة النساء رحمة ولا تكوني عذاباً .

واشتد عليها المخاض ودخلت البيت وأسقطت سقطاً قد سماه علي

محسناً ، وجمعت جمعاً كثيراً لا مكاثرة لعلي ولكن ليشند بهم قلبي ، وجئت واستخرجته من بيته مكرهاً مغضوباً ، وسفته للبيعة سوقاً حثيثاً وإني لأعلم علماً يقيناً لو اجتهد من علي الأرض على قهره ما قهرناه ، ولكن لهنات في نفسي أعلمها ولا أقولها ، وقام أبو فضيل ومن بحضرته يهزؤون بعلي فقال علي : يا عمر أتريد أن أعجل لك ما أخرته عنك ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين ، فسمعني خالد وأسرى إلى أبي بكر ، فقال أبو بكر عند ذلك ما لي ولك يا عمر ثلاث مرات ، فقلت أنا وأبو فضيل وعثمان وأنا أقول : جزى الله عنياً خيراً ، لم يمنك البيعة . فوثب جندب بن جنادة وهو يقول : والله يا عدو الله ما بايع علي عتيقاً ، وكلمنا لقينا قوماً نخبرهم أن علياً بايع وأبو ذر يقول : والله ما بايع ، فمن دخل يا معاوية بعلي واستثار أحقاد السالفة غيري ، وأما أنت وأبوك وأبو سفيان وأخوك عتبة ، فإنني أعرف منكم في تكذيبكم لمحمد في جبل حرى لقوله : إنكم لم تسلموا طوعاً ، وإنما أسلمتم كرهاً . فجعلكم طلقاء ، حتى قال أبوك لمحمد : والله يا ابن أبي كبشة لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً ، وأحول بينك وبين هذه الأعواد ، وكان محمد يظهر للناس أن لا يعلوها غيره وغير علي ومن يليه من أهل بيته ، فبطل سحره وخاب سعيه ، وعلاها أبو بكر وعلوتها بعده ، وإني لأرجو أن تكون لبني أمية عيدان اطنابها فمن ذلك ولبتك وخالفت قوله فيكم وما أبالي من تأليف شعره ونثره إذ قال يوحى إلي ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾^(١) فزعم بها أنتم ، وأنا مع تذكيري إياك يا معاوية وشرحي لك ، ناصح ومشفق عليك فيما أوصيتك به ومكنتك من شريعة محمد وأمته ، أن تبدي لهم مطالبة بضغن أو شماتة بموت ، ولا تنقض فرضاً ، ولا تغير لمحمد سنة فتفسد علينا الأمة ، بل خذهم من مآمنهم واقتلهم بأيديهم وتوصل إلى قتلهم برئيسهم ، واعف عنهم بطبعوك وحبوك . فما آمن علينا وعليك من ثورة عليّ وشبليه الحسن والحسين فإن أمكنتك في عدة من الأمة ، فبادر ولا تقنع بصغار

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٦٠ .

الأمور ، واحفظ وصيتي وعهدي لك ، واخفه ولا تبديه ، واسلك طريق أسلافك واطلب بشارك ، فقد أخرجت إليك بسري وجهري .

فلما أتى عبدالله على آخره ، أمسك عن لوم يزيد وعما عزم عليه ، وتفرق أصحابه وجنده ورجع معتذراً . والله در من قال :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| فوالذي رفع السماوات العلا | وله يدين فصيحها والأعجم |
| لولا تأسينا بكم لتقطعت | أكبادنا وجلودنا والأعظم |
| لكنكم غربتم وضربتم وحرمتم | وسلبتم وصلبتم وحرقتم |
| وثلبتم وشتتم وسبيتهم | وأضعتهم ومنعتهم وأجعتهم |
| وأخفتهم وأهنتهم وأجعتهم | ويعدتم وغلبتم وقتلتهم |
| فلإذا أصبنا بعدكم بمصيبة | قلنا مصابكم أجل وأعظم |
| وأقل رزؤكم يهون عندنا | أرزاءنا اللاتي تشف وتسقم |
| إرث البتول ونحلة الهادي لها | غصباً وعبرتها تسح وتسجم |
| وغدا مهاجرها وأنصاريها | كل له في ذاك سهم يسهم |
| والمرتضى أرداه في محرابه | بيمين أشقامها الحسام المخذم |
| فتكلم الحسن ابنه في حقه | فغدا بمنطقه الأذية يكلم |
| ولذلك سالم مكرهاً حتى قضى | بالسم وهو والمستظالم المسلم |
| وإذا جرى ذكر الحسين تحدرت | عيني بما فيها أسر وأكتم |
| ما كان أدهى يومه وأمره | فلطعمه حتى القيامة علقم |

روي عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال : قلد أبو بكر الصدقات بقري المدينة وضياع فدك الأشجع بن مزاحم الثقفي وهو معروف بالزندقة والنفاق ، وله أخ قتله أمير المؤمنين (ع) بهوازن ، فجعل أول قصده ضيعة من ضياع أهل البيت (ع) تعرف بـ (بانقيا) ، فجاء بغتة واحتوى عليها وعلى صدقات كانت لعلي (ع) وتغطرس على أهلها فابتدر أهل المدينة برسول إلى علي يخبرونه بما فرط من الرجل ، فدعى بفرسه السابح ، واجتذب رمحه المرتجيز ، وتقلد

سيفين واصطحب معه ابنه الحسين (ع) ، وعمار بن ياسر ، والفضل بن العباس ، وعبدالله بن جعفر حتى وافى القرية ، فوجه ابنه الحسين (ع) إلى الأشجع يسأله المسير إلى أمير المؤمنين (ع) فاتاه الحسين وقال له : أجب أمير المؤمنين فقال الأشجع : ومن أمير المؤمنين ؟ فقال له الحسين : علي بن أبي طالب ، فقال له الأشجع : أنا أعرف أمير المؤمنين أبا بكر وقد خلفته ، فقال الحسين : أجب علي بن أبي طالب فقال : أنا سلطان ، وعلي بن أبي طالب من العوام والحاجة له ، فليسير إليّ ، فقال له الحسين (ع) : وملك أكون أبي من العوام وأنت سلطان ؟ فقال : أجل لأن أباك بايع أبي بكر كرهاً ونحن بايعناه طائعين وكنا له غير كارهين ، وشتان بيننا وبينه .

فأعلم الحسين (ع) أباه بمقالة الأشجع ، فالتفت أمير المؤمنين (ع) إلى عمار بن ياسر وقال له : يا أبا اليقظان سر إليه ، وألطف له المقال ، واسأله أن يصير إلينا ، فانا كتاب الله يؤتى إليه ولا يأتي . فسار له عمار وألطف له القول ، فانتهر عماراً وأفحش له في المقال ، فوضع عمار حمائل سيفه في عنقه ، ومد يده إلى السيف ، فقيل لأمير المؤمنين أدرك عمار ، فوجه أمير المؤمنين (ع) أصحابه وقال لهم : صيروا به إليّ ، وكان مع الأشجع ثلاثون فارساً ، فلما وصل أصحاب أمير المؤمنين (ع) قالوا له : وملك هذا علي بن أبي طالب قتلك وقتل أصحابك عنده دون النطفة ، فسكت أصحابه جزعاً ، فلما أتوا به إلى أمير المؤمنين قال : لا تعجلوا عليه ، فإن العجلة بالطيش لا تقوم بها حدود الله وبراهينه ، ثم التفت إليه وقال : يا وملك بما استحللت ما أخذت من أهل البيت ، وما دليكَ علي ذلك ؟ فقال الأشجع : وأنت بما استحللت قتل هذا الخلق في كل حق وباطل وان مرضاة صاحبي أبي بكر أحب إلي من اتباع مرافقتك . فقال أمير المؤمنين : ايه عليك ، ما أعرف لنفسك عندك ذنباً إلا قتل أخيك بهوازن ، وليس بمثل هذا تطلب الثارات ، قبحك الله وترحك . فقال الأشجع : بل قبحك وبت عمرك ، فإن حسدك للخلفاء لا يزال بك حتى يوردك موارد الهلكة والمعاطب ، وبغيك على الخلفاء يقصر بك مرادهم . فغضب

الفضل بن العباس ، وتمطى إليه بسيفه وضرب عنقه ، فاجتمع أصحابه على الفضل ، وسل أمير المؤمنين سيفه ذا الفقار ، فلما نظروا إلى لمعانه وبريق عينيّ أمير المؤمنين (ع) رموا أسلحتهم وقالوا : الطاعة الطاعة يا أمير المؤمنين ، فقال (ع) : أف لكم ، انصرفوا برأس صاحبكم هذا إلى صاحبكم الأكبر ، فما بمثلكم يطلب الثأر ولا تنقضي الأوتار .

فانصرفوا برأس صاحبهم حتى ألقوه بين يدي أبي بكر ، فجمع المهاجرين والأنصار فقال : معاشر الناس إن أخاكم الثقفي قلد صدقات المدينة فنافسه علي بن أبي طالب فقتله أخبث قتلة ، وقد خرج نفر من أصحابه إلى الحجاز ، فليخرج إليه من شجعانكم من يرده عن سنته ، فسكت القوم ملياً كأنما على رؤوسهم الطير . فقال أبو بكر : أخرس أنتم أم ذو السن ؟ فابتدر إليه الحجاج بن صخر وقال له : إن سرت سرنا معك ، أما والله لو سار جيشك لينحرهم علي نحر البدن ، ثم قال غيره : إلى من توجهنا ؟ إلى الجزار الأعظم الذي يخطف النفوس بسيفه ، وإن لقاء أحدنا الموت أهون من علي بن أبي طالب ، فقال إذا ذكرت لكم عليّ بن أبي طالب دارت أعينكم في وجوهكم ، وأخذتكم سكرة الموت ، فقال عمر : ليس لها إلا خالد بن الوليد ، فأرسله في جيش عظيم وقالوا له : إن نابذك عليّ بالحرب فتجيتنا به أسيراً .

فنظر الفضل إلى غبرة الخيل وقال : يا أمير المؤمنين قد وجه إليك ابن أبي قحافة بقسطل فقال : يا ابن عباس هون عليك ، فلو كانوا صناديد قريش وقبائل حنين وفرسان هوازن لما استوحشت إلا من ضلالتهم ، ثم شد محزم الدابة واستلقى على قفاه غير مكترث بهم ، وانتبه لصهيل الخيل ، فقال له خالد : يا أبا الحسن إنك عليم غير معلم ، وفهيم غير مفهم ، فما هذه اللوثة التي بدرت منك والنبوة التي ظهرت فيك ؟ فإن كنت كارهاً لهذا الرجل فليس يكرهك ، ولا تكونن ولايته عليك ثقلاً على كاهلك ، ولا شجى في حلقك ، ودع الناس وما تولوا ، ضل من ضل ، وهوى من هوى ، وهدي من هدي ، ولا

تضرم النار بعد خمودها فتجد غبة غير محمودة ، فقال أمير المؤمنين (ع) :
أتهددني بنفسك يا خالد ويا بن أبي قحافة ، فما بمثلك ومثله تهديد ، فدع عنك
ترهاتك واقصد إلى ما جئت فيه ، فقال خالد : يا عليّ ارجع عن سنتك فتحظي
بالكرامة ، وإلا حملتك أسيراً ، فقال له أمير المؤمنين (ع) : يا بن اللخناء والردة
عن الإسلام ، أتحسبني يا ويلك ، مالك بن نويرة قتلته ونكحت امرأته ، يا
خالد جئتني برقة عقلك واكفهرار وجهك وتشميخ أنفك ، والله إن تمطيت عليك
وعلى أوغادك بسيفي هذا لأشبعن من لحومكم عود الضباع وطلس الذئباب ،
فقال خالد توعدني وعد الأسد ، وتروغ روغان الثعلب ، وما مثلك إلا من يتبع
قوله فعله ، فقال أمير المؤمنين (ع) : شأنك ، فسل أمير المؤمنين سيفه ، فلما
رأى خالد تصميم أمير المؤمنين قال : لم أرد هذا يا أمير المؤمنين ، فحفف عليه
بسيفه ولم يرد قتله ، إلا أنه كان إذا أومى لم يرد يده ، فنكسه عن دابته ولحق
أصحابه الجزع والخوف ، فقال لهم (ع) : ما لكم تكافحون عن سيدكم ، والله
لو كانت أموركم إليّ لسلخت رؤوسكم عن أجسادكم هو أخف من حب
الحصيد على أيدي العبيد وعلى السيل تقتسمون مال الفيء ، فقال المثنى بن
الصبح وكان عاقلاً وقال : والله يا أمير المؤمنين ما جئنا لعداوة بيننا وبينك ، وإنا
لنعرفك صغيراً وكبيراً ، ونحن أتباع مأمورون وجند مؤازرون ، فتباً لمن وجه بنا
إليك ، أما كان له معرفة بيوم بدر وأحد ، فاستحى أمير المؤمنين وقال : يا خالد
ما أطوعك للخائنين والناكثين ، جئتني تجوب مقاويز السبابس لتحملني إلى ابن
أبي قحافة أسيراً بعد معرفتك بي ، وأنا قاتل عمرو بن عبد ود ومرحب وقالع باب
خيبر ، وتزعم أنه قد خفي عليّ ما تقدم به إليك صناحباك وأنت تذكر لهما ما كان
مني قديماً ، فقالا لك إنما ذلك من دعاء النبيّ وهو الآن أقل من ذلك ، فوالله
لولا ما تقدم به إلى من رسول الله (ص) لكان مني إليهما ما هما أعلم به منك ،
فاتق الله يا خالد ولا تكن للخائنين عضداً . فقال خالد : يا عليّ ارجع عن
سنتك وأنا أعرف ما تقول ، وما عدلت عنك العرب إلا لطلب دخول آبائهم
قديماً ، وصعوبة إخراج مال الله من يدك ، وما دهاهم به من بيعة أبي بكر إلا

استلانة جانبه وأخذ الأموال فوق استحقاتهم ، ولعل اليوم من يميل إلى الحق وأنت قد بعث الدنيا بالآخرة ، ولو اجتمعت أخلاقهم إلى أخلاقك لما خالف خالد فقال أمير المؤمنين (ع) : والله ما أوتي بخالد إلا من جهة هذا الخؤون المفتن ابن صهاك ، لا زال يؤلب القبائل ويوسعهم من عطائه ، ويذكرهم ما أنساهم الدهر ، وسيعلم غيب فعله إذا فاضت نفسه . فقال خالد : يا أبا الحسن بحق أخيك إلا قطعت هذا الكلام من نفسك وصرت إلى منزلتك مكرماً إذا كانوا راضين بالكفاف ، فقال : لاجزاهم الله خيراً عن أنفسهم ولا عن المسلمين خيراً .

فركب أمير المؤمنين (ع) دابته وأتى المدينة وصار إلى قبر رسول الله (ص) وأبو بكر في المسجد ، فقال للعباس : ادع لي ابن أخيك علياً لأعابه في الأشجع ، فقال العباس : إني اخاف عليك منه إذا عاتبته أن لا تنتصر منه ، فقال أبو بكر : أتخوفني منه دعني وإياه ، فدعاه العباس وأتى إلى جانبه ، فقال يا بن أخي إن أبا بكر استبطأك فقال : لو دعاني لأجبت ، ثم عابه أبو بكر في الأشجع ، فقال : ما أنت أعرف بالحلال والحرام مني ، إنما قتلت زنديقاً منافقاً في بيته صنم من الرخام يتمسح به ويصير إليك ثم ترادد الكلام بين العباس وأبو بكر ، حتى قال العباس أبلغ من شأنك يا أبا بكر تتعرض لولدي وابن أخي ، أنت ابن أبي قحافة ابن مرة ونحن بنو عبد المطلب بن هاشم أهل بيت النبوة والخلافة ، تسميتهم بأسمائنا ، وتقدمتم علينا في سلطاننا ، وقطعتم أرحامنا ، ومنعتم ميراثنا ثم أنتم تزعمون أن لا إرث لنا وأنت أولى وأحق بهذا الأمر منا ، فسحقاً وبعداً أتى تؤفكون ، ثم أخذ بيد علي وانصرف ، فقال علي (ع) : ليس لنا إلا الصبر ، دعهم يا عم يستضعفونا يحكم الله وهو خير الحاكمين . والله در الشاعر حيث يقول :

ياللرجال الدين قل ناصره
أضحى أجير ابن جذعان لها خلفاً
ودولة ملكت ملاكها السفلى
برتبة الوحي مقرون ومتصل

فأين أجلاف تيم والخلافة
 ولا فخار ولا زهد ولا ورع
 وقال منها أقيلوني فلست إذا
 ونصها وهو منها المستقيل على
 ثم اقتفاهما عدي من عداوته
 وأجمعوا الشورى في الشورى وقلدها
 نداولوا لها على ظلم وأورثها
 وصاحب الأمر والمنصوص فيه
 من لم يعش في غوات الجاهلين
 عافوه وهو أعف الناس بينهم
 حتى قضى وهو مظلوم وقد
 والحكم الربوي لولا معشر جبل
 ولا وقار ولا علم ولا عمل
 بخيركم وهو مسرور بها جذل
 الثاني ففي أي شيء يصدق الرجل
 وانفض من فضها العدوان والجدل
 أمية وكذا العدوان تنتقل
 بعض لبعض فبئس الحكم والدول
 بأمر الله عن حكمه ناءٍ ومعتزل
 ذوي غي ولا مقتدي آراءه هبل
 طفلاً وأعلى محلاً وهو مكتهل
 ظلم الحسين من بعده والظلم ينتقل

وفي أحد التأليفين وضمائه على مؤلفه ، حاصله في الإرشاد من كتاب
 سليم قال : لقيت محمد بن أبي بكر ، فقلت : وهل شهد موت أبيك أحد غيرك
 وغير أخيك عبد الرحمن وعائشة وعمر ؟ قال : لا ، قلت : فما الذي سمعوا ؟
 قال : دعا بالويل والشبور ، وقال : هذا رسول الله وعلي يشراني بالنار ، ومعهما
 الصحيفة التي تعاقدا عليها في الكعبة ، ورسول الله يقول لي : قد وفيت بها
 وظهرت علياً ولي الله ، فابشر أنت وصاحبك بالنار في أسفل درك الجحيم في
 أسفل السافلين ، فلما سمع عمر خرج وهو يقول : إنه ليهجر ، قال : لا والله لا
 أهجر أين تذهب ، ثم قال : ألم أحدثك أن محمداً - ولم يقل رسول الله - قال
 لي وهو في الغار ، أن سفينة جعفر وأصحابه تعوم في البحر ؟ قلت : يا
 رسول الله أرنيها ، فمسح يده على وجهي ، فلما نظرت إليها أضمرت أنه
 ساحر ، فقال عمر : يا هؤلاء إن أبا بكر يهجر ، فلا تخبروا واكتموا لئلا يشمت
 بنا أهل هذا البيت .

ثم خرج وخرج أخي وخرجت عائشة لتتوضأ للصلاة ، فأسمعني من قوله

ما لم يسمعوا ، فقلت له لما خلوت به : يا أبت قل لا إله إلا الله قال : لا أقولها ولا أقدر عليها أبداً حتى أرد النار فأدخل التابوت ، فلما ذكر التابوت ظننت أنه يهجر ، فقلت له : أي تابوت ؟ قال : تابوت من نار مقفل عليه بقفل من نار ، فيه اثنا عشر رجلاً أنا وصاحبي هذا فقلت له : تعني الثاني قال : نعم ، قال : أعني أنه في جب من جهنم مقفل عليه بصخرة ، قلت له : تهذي ؟ قال : والله لا أهذي ، لعن الله ابن صهاك هذا الذي أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني فبش القرين ، ثم ألصق خده بالأرض ، فما زلت أسمع منه يدعو بالويل والثبور حتى أغمضته ، ثم دخل عمر فقال : هل حدثك بشيء بعدنا ؟ فحدثته بكل ما سمعت منه ، فقال : رحم الله خليفة رسول الله ، اكنم يا محمد ، هذا كله هذيان . ثم قال لي : إياك أن يخرج من فمك شيء مما سمعت ، فيشمت بنا عليّ بن أبي طالب وأصحابه .

برئت إلى الرحمن ثم محمد وحيدرة وابنيه والأم منهم
ومن دان في أقوالهم وفعالهم ومن كل شعبي نفى اللعن عنهم
فلعنهم للدين أصل مؤصل ودين بلا أصل فذاك مهدم

وأما الثاني فلم يزل في ولايته يسعى لشيعه علي (ع) بالأذى ، ويظهر لهم العداوة والبغضاء ، ويبدي لهم الاهانة والحفا ، فاشتكوا منه إلى أمير المؤمنين (ع) فقال : اصبروا إن الله مع الصابرين .

ثم لقيه يوماً خارج المدينة يريد بساتينها ، فقال أمير المؤمنين : يا عمر إن شيعتي يشتكون منك ، فقال : وإن فعلت فلا أبالي ، فقال أمير المؤمنين (ع) أتحب أن أريك ما لا تبالي ؟ وكان أمير المؤمنين (ع) في يده قوس ، فألقاه عليه ، فإذا هو ثعبان كهيئة البغل فاتح فاه وهو يريد ابتلاعه ، فالتجأ عمر إلى أمير المؤمنين (ع) وهو يتضرع بين يديه ، فمد أمير المؤمنين (ع) يده . وتناوله فإذا هو قوساً بإذن الله تعالى .

ثم رجع إلى منزله ودعا بسلمان الفارسي ، وقال له : امض إلى عمر وقل

له إن أهل المشرق أرسلوا مالاً فوصله خفية ، فإن لم يقسمه على الفقراء
 والمساكين فضحته ، قال سلمان : فمضيت إلى عمر وأخبرته فقال لي : من
 أخبر علياً وقد جاء في جوف الليل ؟ فقال سلمان : أما علمت أن علياً يعلم من
 علم الله تعالى ، فقال عمر : بل هو ساحر ، فلا عليك أن تتركه وتوالي بني
 أكرمك ، فقال سلمان (رض) : ويلك يا عمر لو أن الدنيا قبضتك ، وخيرتني
 بينها وبين شعرة واحدة من رأس علي بن أبي طالب (ع) ، لما اخترتك ، أما
 علمت أنه إمام المتقين ، ويعسوب الدين ، وولي الجبار ، ووصي سيد
 الأبرار ؟ فقال عمر : لا تخبره بما صار بيني وبينك ، وقل له إن عمرأ سأمع
 مطيع لله ولك . قال سلمان : فلما رجعت إلى أمير المؤمنين أخبرني بما جرى
 حرفاً ، والله در من قال :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| يا نبي السوحي والكتاب وطّة | والمثاني وما حوى السورات |
| في هواكم وهجوشان قلاكم | السن المدح والهجا قاصرات |
| كيف يحصي الثناء سطور طروس | نمت وشى بردها فقرات |
| أريحيط القريش منكم بوصف | وعليكم تنزلت آيات |

وفي الخصال : أن عمرأ أمر عثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف
 وسعد بن أبي وقاص أن يدخلوا بيتاً ومعهم أمير المؤمنين ، ويغلقوا عليهم الباب
 يتشاورون فيما بينهم في أمر الخلافة ، وأجل لهم ثلاثة أيام ، فإن توافقوا وأبى
 واحد منهم يقتلوه ، زعم أن علياً يأبى فيقتلوه ، فلما توافقوا على عثمان قال
 أمير المؤمنين (ع) : ألا تسمعون مني قولاً ، فإن يكن حقاً فاقبلوه ، وإن يكن
 باطلاً فاتركوه ، فقال أمير المؤمنين : أنشدكم الله هل فيكم أحد زوجة الله تعالى
 فاطمة سيدة نساء العالمين غيري ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : هل فيكم أحد إبنه
 الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة غيري ؟ قالوا : اللهم لا قال : هل
 فيكم أحد أعلم بناسخ القرآن ومنسوخه غيري ؟ قالوا : اللهم لا ، قال : هل
 فيكم أحد قال فيه رسول الله : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه

وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله ، وادر الحق معه حيثما دار غيري ؟ قالوا : أَللهم لا ، ثم قال : هل فيكم من قال فيه رسول الله : إذا تغلقت خزائن العلوم فعليّ مفتاحها غيري ؟ قالوا : أَللهم لا ، فما زال ينشدهم بما ينكرون مما خصه الله تعالى إلى خمس وأربعين منقبة ، ثم قال : إذا أقررتم وبان لكم فضلي عليكم ، فاتقوا الله ولا تتعرضوا لسخطه ، وردوا الحق إلى أهله واقتفوا سنة نبيكم محمد ، فإن خلافي خلافه وطاعتي طاعته ، ولم أقل هذا راغباً في دنياكم ، ولا افتخاراً وتزكية لنفسي ، وإنما حدثت بنعمة الله لتقوم عليكم الحجة .

ثم أن عثمان بعد عمر تسلمها في نكرها ، وتسمنها على دبرها ، وحطم بحنبطها ربيع الدين في ابان بلوغه ، وهشم أنيع الحق عجلان ولوغه ، وبدد أموال الله في غير أهلها ، ورفع درجات بني أمية وهم الشجرة الملعونة في القرآن على لسان أهل البيت وأشرف الأصحاب ، وكان على خلاف رسول الله (ص) مدة حياته ، فأوى المغيرة عمه وقد هدر رسول الله (ص) دمه ، فقال لابنه رسول الله (ص) وكانت يومئذ تحته : إياك أن تخبري أباك بمكان المغيرة ، غير موقن أن الوحي ينزل على رسول الله ، فقالت لا أكنم على رسول الله عدوه ، فنزل الوحي بإخبار النبي بمكان المغيرة وبعث رسول الله إليه ليقتله ، فأخفاه عثمان ولم يظفر به ، فلما خرج أمير المؤمنين (ع) من منزل عثمان ، أخذ بيد عمه وأتى به إلى النبي ، فقال (ص) : أَللهم العن المغيرة بن العاص ، والعن من يأويه ، والعن من يحمله ، والعن من يطعمه ، والعن من يسقيه والعن من يجهزه ، والعن من يعطيه سقاءً أو حذاءً أو وعاءً ، وانطلق به عثمان وأخرجه سرقة ، وفعل به جميع ما لعن عليه رسول الله (ص) فانقلب حذاءه في مسيره ، وتورمت قدماه ولم يطق المسير ، واستظل بسمرة ، فعلم به النبي (ص) وبعث إليه علي (ع) فقتله . وجاء عثمان لابنة رسول الله (ص) فضربها حتى أنهكها ضرباً وكان سبب وفاتها .

باعوه بالأمر الضعيف سفاهة وقت الحياة فكيف بعد وفاته
خذلوه في وقت يخاف ويرتجى . أيراد منهم أن يفرو للمماته
ونفى أبا ذر إلى الربذة ، وضرب عماراً حتى فرث لحمه ، وكسر أضلاع
ابن عباس ، وتتبع شيعة علي بن أبي طالب (ع) بأنواع العذاب والأذى ، وكتب
إلى معاوية أفحش وأشنع مما كتبه عمر ، وتظاهر باللعب حتى أنكر عليه
المسلمون واجتمع الأنصار على قتله تقرباً لله تعالى وطلباً لطاعته ، وعائشة
تحرضهم على قتله وتقول اقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر .

فِي وَفَاتِهِ (ع)

الحمد لله عز شأنه ، وأشكره بما عمي من فضله وإحسانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله أنى ينتهي أمدّه أو يحد مكانه ، وأشهد أن محمداً (ص) عبده رسوله ، أرسله والكفر جاش قد ارتفع بنيانه ، فأيده بأمر المؤمنين (ع) حتى هدّ شامخه ، وتداعت أركانه ، صلى الله وسلم عليهما وعلى ذريتهما الأكرمين ، ما اتضح الصباح وامتد لسانه .

أما بعد فهذه كلمات يسيرة قد اقتصرت عليها من الوفاة الكبيرة لثلاث يسام السامعون ، وبنام الحاضرون ويذم الطامعون فيعرضون ، فأقول والله الموفق : سبق صلوات الله وسلامه عليه كل سابق ، وأردف خلفه كل ملاحق ، غرس في فجاج قلوب أبت الهدى غرائس الأحزان حتى نتجت له نتائج الحسد والعدوان ، فدعوه عن رتبته ودفعوه عن منزلته ، فمضى الأول بضغينته ، ومضى الثاني بجفاه وإهانتة لشيعته ، وأفحش الثالث في نوبته ، وأشنع فيما ارتكبه من نكره وخطيئته ، حتى اجتمع المهاجرون والأنصار على قتله تقريباً لله ورغبة في طاعة الله ، فلم تزل المرأة تحرضهم على ذلك وتستحثهم عليه فتقول : اقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر ، فلما قتل اجتمعوا على مبايعة أمير المؤمنين (ع) فأبى ، وترددوا عليه مراراً حتى أجابهم على شروط شرطها عليهم ، منها المساومات في العطاء ، وأن القوي والضعيف سواء ، يأخذ الحق للضعيف من القوي ، فأول

من بايعه طلحة حتى قيل ان البيعة لا تتم لأن أول يد بايعته شلاء وأن يد طلحة شلت بأحد ، ثم الزبير وسائر الأنصار والمهاجرين .

فلما سمع معاوية حرّض أهل الشام على قتال أمير المؤمنين يتعلل عليه بدم عثمان ، وبايعه طلحة والزبير وكتب إليهما وأمرهما أن يصيرا إلى البصرة ، فأتيا أمير المؤمنين (ع) وطلبا إليه أن يزيدهما في النفقة ، فقال لهما أمير المؤمنين : ألم تبايعاني على المساواة ؟ فإن انتظرتم عطائي زدتكم ، فقالا : إننا لم نرد شيئاً من ذلك ، ثم استأذناه للعمرة ، فقال : كلا بل تريدان الغدرة ، ثم أذن لهما ، فلحقا بمكة واتفقا مع عائشة على قتال أمير المؤمنين ، وقصدوا بجمعهم للبصرة ، وخرج أمير المؤمنين (ع) في أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار في ثاقب المناقب .

قال ابن عباس : قلت لأمر المؤمنين (ع) وهو متوجه إلى البصرة : انك في نفر يسير فلو تأنيت حتى يلحق بك الناس ، فقال : يجيئنا من الغد من ناحية الكوفة خمسة كراديس كل كردوس خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلاً . قال ابن عباس : فلما صليت الفجر قلت لغلّامي : اسرج لي على فرسي ، قال : فتوجهت نحو الكوفة ، وإذا بغبرة قد ارتفعت ، فسرت نحوها ، فلما دنوت منها صيح بي من أنت ؟ قلت : أنا ابن عباس ، فقلت : لمن هذه الراية ؟ قالوا : لفلان ، قلت : كم أنتم ؟ قالوا : طوي الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلاً . قال : ثم مضوا ومضيت ، ثم التفت فإذا أنا بغبرة قد ارتفعت ، فدنوت منهم ، فصيح بي من أنت ؟ قلت : ابن عباس ، فأمسكوا عني ، فقلت : لمن هذه الراية ؟ فقالوا : لربيعة ، قلت : من رئيسها ؟ قالوا : زيد بن صوحان العبدي ، قلت : كم أنتم ؟ قالوا : طوي الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلاً ، فمضوا ومضيت على وجهي ، وإذا أنا بغبرة قد ارتفعت ، فأخذت نحوها ، فصيح بي من أنت ؟ قلت : ابن عباس ، فأمسكوا عني ، قلت : لمن هذه

الراية ؟ قالوا : لفلان ، قلت : كم أنتم ؟ قالوا : طوي الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلاً ، قال : فمضوا ومضيت ، وإذا أنا بغبرة قد ارتفعت ، فدنوت منهم ، فصيح بي من أنت ؟ قلت : ابن عباس ، فأمسكوا عني ، قلت : كم أنتم ؟ قالوا : طوي الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلاً . قال : فمضوا ومضيت على وجهي ، وإذا أنا بغبرة قد ارتفعت ، فدنوت منهم ، فصيح بي من أنت ؟ قلت : ابن عباس ، فأمسكوا عني ، فقلت : لمن هذه الراية ؟ قالوا : رئيسها الأشتر ، قلت : كم أنتم ؟ قالوا : طوي الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلاً قال : فمضوا ومضيت إلى العسكر ، فقال لي أمير المؤمنين (ع) : من أين أقبلت ؟ قلت : إني سمعت مقاتلك ، فاغتمت مخافة أن يجيء الأمر على خلاف ما قلت ، فقال أمير المؤمنين : نظفر بهم إن شاء الله تعالى ، ثم نفتسم أموالهم ، فيصيب كل واحد منا خمسمائة دينار .

فلما كان من الغد أمر أمير المؤمنين (ع) أن لا يحدثوا شيئاً من الحرب حتى يكون الابتداء منهم . قيل وأرسل إلى طلحة والزبير فلم يرتدعا ، وكتب إلى عائشة ما للنساء وقود العساكر ، أتطلبين بدم عثمان وبالأمس تقولين اقتلوا نعتلاً قتله الله فقد كفر ، فاتقي الله يا عائشة ، وارجعي إلى منزلك ، واسبلي عليك سترك ، فلم تفعل . ثم أن أمير المؤمنين خطب من بايعه وقال :

أيها الناس : إني ما تأنيت عن هؤلاء إلا ليرجعوا عن الحرب ، فلم يستجيبوا لي ، وبعثوا إليّ أصبر للطعان وأثبت للجلاد ، وقد كنت لا أهدد بالحرب ولا أذعن إليها ، ولعمري لئن أبرقوا وأرعدوا فلقد عرفوني ورأوا مكاني ، فأنا أبو الحسن الذي فللت حدهم ، ومزقت جماعتهم ، فبذلك ألقى عدوي وأنا على بينة من ربّي لما وعدني من النصر والظفر ، وإني لعلّى غير شبهة .

ثم رفع يده إلى السماء وقال : ألهم إن طلحة بن عبد الله أعطاني صفقة

يمينه طائماً ، ثم نكت بيعتي ، أاللهم فعاجله بالعقوبة ولا تمهله ، وان الزبير بن العوام قطع قرابتي ، ونقض عهدي ، وظاهر عدوي ، ونصب لي الحرب وأنت تعلم أنه ظالم لي ، فاكفه كيف شئت وأنى شئت .

ثم أنه أعطى الراية ابنه محمد بن الحنفية ، وجعل على اليمينه ابنه الحسن ، وعلى اليسرة ابنه الحسين ، وعلى الخيالة عماراً ، وعلى الرجالة محمد بن أبي بكر ، وعلى المقدمة عبدالله بن العباس ، فجعل أهل البصرة يرمون أصحاب أمير المؤمنين حتى عقروا بنبلهم جماعة . فقالوا : ما انتظارك بهؤلاء وقد عقرونا بنبلهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال (ع) : أاللهم اشهد أنني قد أعذرت وأندرت ، فكن لي عليهم شاهداً .

ثم دعا بالمصحف فقال : من يأخذه ويدعو هؤلاء إلى ما فيه ؟ فأخذه مسلم بن عبدالله المجاشعي ، فقال لهم : هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، فضربه رجل منهم على يده اليمنى فقطعها ، فأخذ المصحف بيده اليسرى فقطعت ، ثم احتضنه فما زال يضرب عليه حتى قتل رضوان الله عليه .

ثم أمر أمير المؤمنين (ع) ابنه محمد أن اقتحم ، فحمل الراية وظل يضرب ويطن حتى أعجب أباه ، فرجع محمد رضي الله عنه وحمل أمير المؤمنين ، فما زال يضرب بالسيف حتى انحنى سيفه ، فوقف يسويه بركبته ، فقال له أصحابه : نحن نكفيك يا أمير المؤمنين فلم يجب ، وحمل ثانية ، فجعل يضرب قدماً قدماً حتى التوى السيف ، فرجع يسويه بركبته وهو يقول : والله ما أريد بذلك إلا الله والدار الآخرة ، ثم التفت إلى ولده محمد بن الحنفية ، فقال : هكذا فاصنع يا بني .

ثم اشتبك العسكران واقتتلوا قتالاً شديداً حتى احمرت الأرض بالدم ، وصار هودج فلانة كالقنفذ من كثرة النبال ، وقطع على خطام جملها ثمان وتسعون كفاً مخضباً ، وما زالت الحرب على ساقها حتى عقر جملها . فقال أمير المؤمنين (ع) لأصحابه : ادفعوه فإنه شيطان ، فدفعوه وقد قتل طلحة ثم

طعن أمير المؤمنين هودجها وقال لها : هكذا أمرك رسول الله ؟ قالت : ظفرت يا أبا الحسن فأحسن وملكك فاسمح ، فقال لمحمد أخيها : شأنك أختك ، فادخلها البصرة ثم أمرها أن تعود إلى المدينة .

قال ابن عباس في حديثه السابق : فقال أمير المؤمنين (ع) للخازن : اقسم المال ، فقسمه ، ثم قال له : هل بقي عندك شيء ؟ فقال : ألفي درهم ، فقال : هل أعطيت الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية خمسمائة خمسمائة ، وعزلت لي خمسمائة ؟ قال : لا ، قال هذه لنا ، فلم تزد درهماً ولا تنقص درهماً كما أخبر (ع) وهي من بعض فضائله .

قال الراوي : وكتب إلى جميع الأمصار فأجابته سوى معاوية ، هش للسلطنة ويتعلل عليه بقتل عثمان وكتب إليه مع جرير البجلي إنه لزمك البيعة ، لأنه بايعني من بايع أبا بكر وعمر ، ولست ممن تحل له الخلافة فبايع جريراً . فكتب إلى أمير المؤمنين بعدم الإجابة يتعلل بما تعلل به من طلب دم عثمان ، وأن يرجع الأمر شورى فيمن يختاره أهل الشام ، فكتب إليه أمير المؤمنين (ع) أتاني كتاب ليس له نور يهديه ، ولا قائد يرشده ، زعمت أن خطيبي في عثمان سدت عليك بيعتي ، وما أمرت بأمر يلزمني خطاه ، وليس في أهل الشام من يحكم على المسلمين حتى تحل له الشورى ، فإن سميت أحداً كذّبتك المهاجرين والأنصار .

فصار معاوية بعد ورود الكتاب عليه يستشير ثقاته في حال القتال ، فقال عقبة أخوه : ابعث إلى ابن العاص واخذعه بالأموال والولايات فانه قريع زمانه ، وقلوب أهل الشام تميل إليه ، فما زال به حتى أجابه ونهضوا لحرب أمير المؤمنين ، فخرج من الكوفة يريد ملاقاتهم وأدرك أصحابه العطش ، فلاح لهم دير راهب ، فمالوا إليه وسألوه عن الماء ، فقال : إنه بعيد عن هذا المكان جداً ، فأمر أمير المؤمنين بالحفر بالقرب من الدير فانكشف لهم عن صخرة تلمع كأنها الثلج ، فعجزوا عن اقتلاعها ، وقلعها أمير المؤمنين وحده ودحى بها عن

موضعها أذرعاً ، وإذا بماء يفوق على الشهد ، فشربوا منه وارتووا ، ثم وضع الصخرة وعفى الموضع ، ونزل الراهب ، فقال : إن الدين مبني على معرفة قالع الصخرة ومظهر الماء المعين ، فمن يكون هذا ؟ قالوا : وصي رسول الله ، فأسلم وتبعه حتى استشهد معه .

قال الأصمغ بن نباتة : لما التقى الجيشان بصفين ، مضيت إلى معاوية ومعه ملاً من أصحابه ، ودفعت إليه كتاباً من أمير المؤمنين فقرأه ثم قال : إن علياً لا يدفع إلينا قتلة عثمان ، فقلت له : يا معاوية لا تتعلل علينا بقتلة عثمان ، لأنك تطلب الملك والسلطان ، ولو أردت نصره لنصرته حياً ، لكنك تربصت به لتجعله سبباً إلى وصول الملك إليك . قال الأصمغ : فأردت أن أزيد غيظه ، فقلت لأبي هريرة : أحلفك بالله يا صاحب رسول الله أشهدت غدِير خم ؟ قال : نعم ، قلت : ما سمعت من رسول الله في عليٍّ ؟ قال : سمعته يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيثما دار . فقلت له : إنك واليت عدوه وعاديت وليه ، فتنفس صعبداً وحولق وتغير وجه معاوية ، فانتهرني وقال : لا تخدع أهل الشام عن طلب دم عثمان ، وعند صاحبك قتله ، وقد أغراهم به فهم اليوم عضده وأنصاره ، قال : فمضيت إلى أمير المؤمنين (ع) وأخبرته ، فقال : إني لا أعجب من بغض معاوية وحسده ، لكنما عجبني ممن رأى منزلتي من رسول الله كأبي هريرة وأبي الدرداء وغيرهم ، وقد أزمعوا على قتالي ، ثم عقد الألوية للحرب ، فلما رأى أصحاب رسول الله (ص) لواءه بكوا لتذكارة رسول الله ، وبكى أمير المؤمنين بكاءً شديداً ، وقال لمالك الأشتر : إن معي راية لم أخرجها منذ قبض رسول الله إلا يومي هذا ، وقد قال لي رسول الله (ص) عند وفاته : يا أبا الحسن إنك لتحارب الناكثين والفاستقين والمارقين ، وأي تعب ونصب يصيبك من أهل الشام فاصبر على ما أصابك إن الله مع الصابرين ، قال : وسبق أهل الشام على الماء ، ومنعوا أصحاب أمير المؤمنين (ع) الماء ، فشربوا ماءً آسنأ جتى فشئ فيهم السقم ، فأرسل

أمير المؤمنين (ع) من يستعطف معاوية ويداري أهل الشام ، فامتنع معاوية حتى قال قائلهم اقتلوهم عطشاً كما لم يرحموا عثمان ، فقال بعض أصحاب معاوية : أما والله لو سبقك عليّ لما منعك الماء ، فلو كانوا من الترك والديلم والروم فطلبوك الماء لما يحل لك أن تمنعهم ، فكيف وهم أصحاب رسول الله وابن عمه وصاحب سره وخليفته ، لكنه الجور والله ، ثم لحق بأمر المؤمنين (ع) وقاتل معه حتى استشهد رحمه الله تعالى ، واستأذن مالك الأشتر والأشعث بن قيس وخواص أمير المؤمنين في حال القتال ، قالوا : نموت عطشاً ومعنا الأسنة والأسياف فأذن لهم بالقتال ، وقال لقنبر : اخرج رمح رسول الله الملموس بيده الشريفة ، وسيصير لابني الحسن ثم ينكسر بيد ابني الحسين في كربلاء ، وتقلد سيف رسول الله (ص) وتدرّع بدرعه ، وخرج وعليه جحفته وقضيبه الممشوق ، واقتتلوا قتالاً شديداً حتى انكشف أهل الشام عن الماء بعد قتل ذريع ، وقد أئخنا بالجراح ، ونزلت مقدمة أمير المؤمنين (ع) على الماء ، ونزل (ع) عند مقدمته ، ثم استسقى معاوية من أمير المؤمنين الماء ، فقال بعض أصحاب معاوية وهو الذي قال : اقتلوهم عطشاً كما لم يرحموا عثمان : يا أبا الحسن ملكت فاسمح وجد علينا بالماء ، فقال أمير المؤمنين : قولوا لمعاوية يشرب ويسقي دوابه لا أمنعه ، ولا يحول بينه وبين الماء حائل ، والله در من قال :

ملكننا فصار العفومنا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما غدونا عن الأسرى نعف ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

قال الراوي : ثم قامت الحرب بينهم أياماً وشهوراً ، وروي أن عماراً استسقى يوماً فأتي له بقدر فيه لبن فشربه ، فقال : الله أكبر قد قال لي رسول الله : آخر زادك من الدنيا ضياع من لبن ، وتقتلك الفئة الباغية ، وهذا آخر أيامي من الدنيا ، ثم حمل على القوم وهو يقول : الجنة الجنة تحت ظلال الأسنة ، اليوم ألقى الأحبة محمداً وصحبه ، فأحاطوا به حتى قتل رضوان الله

عليه . ودعى أمير المؤمنين قنبراً وقال له : قل لابني محمد وعبدالله بن جعفر ليحملا إذا أنا حملت ، وقال لكميل بن زياد قل لسليمان بن صرد ليحمل إذا أنا حملت ، فحمل (ع) وحملوا معه ، وازدحم الناس بعضهم ببعض وجشوا على الركب ، وكسفت الشمس ، وثار الغبار ، وأظلمت الدنيا ، وظلت الألوية ، وفقدت الرايات ، ومر مواقيت الصلاة ، وصاروا لا يسجدون إلا تكبيراً ، ولا يسمع إلا وقع الحديد على الحديد ، حتى تكادموا بالأفواه ، ونادى القوم في تلك المفازات الله الله يا معشر العرب في الحرمات من النساء والبنات ، واتصل الليل بالنهار ، فكانت ليلة الهرير ، وسمع فيها لأمير المؤمنين خمسمائة تكبيرة عدد من قتله بيده ، وأصبح أصحاب أمير المؤمنين (ع) والمعركة خلفهم فاقتحموها .

فلما رأى ابن العاص أن الحرب عفتهم أشار على معاوية برفع المصاحف على رؤوس الأسنة ، وقال : بيننا وبينكم كتاب الله ، فامتنع أصحاب أمير المؤمنين عن القتال لما رأوا المصاحف على رؤوس الرماح ، فقال لهم أمير المؤمنين : ذرونا نناجزهم ، فما هي إلا ساعة فإن الحرب قد عفتهم ، فلم يجيبوه ، فقال (ع) : هذه خدعة ، وأنا كتاب الله الناطق ، فلم يفعلوا وكتبوا بينهم إمهال إلى شهر رمضان ، ثم خدع معاوية ثانية أصحاب أمير المؤمنين (ع) حتى ألقاوه إلى تحكيم الحكمين ، فأراد أن ينصب لهم ابن عمه عبدالله بن العباس ، فأبى أصحابه وقالوا : إلا أبو موسى الأشعري ، فأجاب وهو كاره ، وجعل معاوية من قبله ابن العاص ، وبعث كل بحكمه . فغدر ابن العاص بأبي موسى الأشعري إذ قال : إنا لنخلع عليك ومعاوية ، وندع الناس ومن يختارونه ، فقام ابن العاص وقال : لقد سمعتم ما قال وإني قد أقررت خلع علي وأثبت صاحبي ، وبادر الحصين وضرب أبا موسى الأشعري بعصى كانت في يده ، ثم ندم وقال : ليتها كانت السيف ، فرجع أمير المؤمنين (ع) مرغوماً قد استضعفه قومه ، وخرج من طاعته ثمانية آلاف من عباد قومه ونساک خاصته ، وكانوا إثنا

عشر ألف ، وأمروا فيهم عبدالله بن الكوا ، فأرسل لهم أمير المؤمنين عبدالله بن العباس ، فقالوا : ليخرج علي بنفسه لعله يزيل ما بأنفسنا ، فخرج لهم أمير المؤمنين بنفسه ، وبرز عبدالله بن الكوا في عشرة رجال وقال : يا أمير المؤمنين أنا آمن سيفك قال : نعم ، قال له : يا عبدالله عما نذر الحرب عن معاوية ؟ فقال : برفع المصاحف على رؤوس الأسنة وأمر الحكيم ، قال : ألم أقل لكم إنها خدعة فناجزوهم فأبيتم ، وأردت أن أنصب لكم ابن عمي عبدالله بن العباس فإنه لا ينخدع ، فألحيتم في أبي موسى الأشعري ، فأجبتكم كارهاً ، ولو وجدت أعواناً دونكم لما أجبتكم ، ألم أشرط على الحكيم بمسمعكم أن يحكما بما أنزل الله في كتابه المجيد من فاتحته إلى خاتمته وإن لم يفعل فلا طاعة لهما ؟ قال ابن الكوا : صدقت قد كان هذا كله فلا ترجع إلى حربيه ، قال (ع) : حتى تنقضي المدة بيننا ، قال ابن الكوا : فأنت مجمع عليه ، قال (ع) : لا يسعني غيره .

فرجع ابن الكوا والعشرة الذين كانوا معه عن رأي الخوارج ، ولحق بأمير المؤمنين ، وتفرق القوم عنه واجتمعوا إلى عبدالله بن وهب الراسي وذي الثدية ، وأمروهما وعسكروا بالنهروان ، وخرج أمير المؤمنين (ع) وعسكر على فرسخين ، وبعث لهم عبدالله بن العباس ، فقال لهم : ما الذي نقمتم على علي ؟ قالوا : أشياء كثيرة لو كان حاضراً لكفرناه بها ، فأبلغ علي (ع) مقالتهم ، فأتاهم وقال : أيها الناس أنا علي بن أبي طالب فتكلموا بما نقمتم علي ، قالوا : نقمنا عليك أنك أبحتنا بعد قتال أهل البصرة في العسكر ، ومنعتنا أسر النساء والذرية ، فإن كانوا كفاراً فهلا أحللتنا لنا ، وإن كانوا مسلمين فقتالهم وسلبهم علينا حرام ؟ فقال لهم (ع) : أهل البصرة بدؤنا بالقتال فحل لنا قتالهم ، ولنا سلب من قتلناه ، والنساء لم يقاتلن والذرية على الفطرة ، وقد رأيت رسول الله من علي المشركين ، أفلا تمنوا على المسلمين بأن لا تسلبوا نساءهم وذريتهم ؟ فقال قوم منهم : لا تخاصموا قريشاً ، فإن الله قال : ﴿بل

هم قوم خصمون ﴿١﴾ وقال الباقون : نقمنا عليك أيضاً لأنك محيت اسمك من إمرة المؤمنين يوم صفين ، فلست إذا بأمرير علينا ، فقال لهم : اقتديت برسول الله حين محى اسم الرسالة في صلح قريش ، فقالوا : نقمنا عليك قولك للحكمين انظروا في كتاب الله ، فإن كنت أفضل من معاوية فاثبتاني في الخلافة ، فأنت إذاً في شك من نفسك ، فنحن أشد شكاً فيك ، فقال : أردت منهما أن ينصفاني ، فلو قلت احكما لي واتركاه لم يرض معاوية ، كما قال رسول الله لنصارى نجران ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ ﴿٢﴾ فلو قال فنجعل لعنة الله عليكم لم يرضوا ، قالوا : نقمنا عليك قد حكمت فيما هو حق لك ، فقال : إن رسول الله حكم سعد بن معاذ في بني قريظة فاقتديت به ، فصاح من كل ناحية جماعة التوبة التوبة يا أمير المؤمنين ، واستأمن إليه ثمانية آلاف وطلبوا الاعتزال ، فأجابهم ، وبقي على حربه أربعة آلاف رجل ، فتقدم عبدالله بن الراسي وذو الثدية وقالوا : والله ما نريد بقتالك إلا الله والدار الآخرة ، فتلا عليّ (ع) هذه الآية : ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ ﴿٣﴾ .

ثم التحمت الحرب بين الفريقين ، وأسعرت الحرب لظاها ، وأسفرت عن زرقة صباحها وأحمر ضحاها ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى فني كثير من الخوارج ، فقام عبدالله الراسي ونادى يا ابن أبي طالب ، والله لا نبرح حتى تأتي على آخرنا ، فابرز وذر الناس جانباً ، فقال أمير المؤمنين وهو يتسم : ما أقل حياؤه إنه ليعلم أنني حليف السيف ، وخدين الرمح ، لكنه يش من الحياة . فحمل عليه أمير المؤمنين (ع) فقتله ، فما كانت إلا كدورة الرحي حتى أتى على آخرهم ، فلم يفلت منهم إلا عشرة كما أنه لم يقتل من أصحابه عشرة ، وقد أخبر (ع) قبل منصرفه وقال : إنا نقتلهم ولم يفلت منهم إلا عشرة ،

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٥٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ .

(٣) سورة الكهف الآية : ١٠٣ - ١٠٤ .

ولم يقتل منا إلا عشرة . والله درمن قال :

يا ليت في الأحياء شخصك حاضر
عريان يكسوه الصعيد ملبساً
متوسداً حر الصخور معفراً
ظمان مجروح الجوارح لم يجد
ولصدره تطأ الخيول وطالما
عقرت أما علمت لأي معظم
ولثغره يعلو القضيب وطالما
وبنوه في أسر الطفاة صوارخاً
ونسأؤه من حوله يندبنه
يندبن أكرم سيد من سادة
بأبي بدوراً في المدينة طلعاً
نزحت عن عقر دارهم أيدي العدى
ضاقت بهم أوطانهم فتبوأوا
ظفرت بهم أيدي البغاة ولم أجد
منعوهم ماء الفرات ودونه
هجرت رؤوسهم الجسوم فواصلت
يبكي أسيرهم لفقد قتيلهم
هذا يميل على اليمين معفراً
ومن العجائب أن تقاد أسودها
لهفي لزين العابدين يقاد في ثقل
أفدى الأسير وليت خدي موطئاً

قال الراوي : وعن جويرية بن مسهر البجلي قال : لما أبلنا مع
أمير المؤمنين (ع) من قتل الخوارج ، حتى إذا قطعنا أرض بابل حضرت

الصلاة ، فنزل أمير المؤمنين ونزل الناس معه ، فقال (ع) : أيها الناس إن هذه الأرض ملعونة قد عذبت في الدهر ثلاث مرات ، وفي خبر مرتين ، وهي تتوقع الثالثة ، وهي أول أرض عبد فيها وثن ، وهي إحدى المؤتفكات ، وإنه لا يحل لنبيٍّ أو وصي نبيٍّ أن يصلي فيها ، فمن أراد أن يصلي فليصل ، فمال الناس عن جنبي الطريق يصلون ، وركب بغلة رسول الله (ص) ، قال فمضيت خلفه ، وقلت : والله لأتبعن أمير المؤمنين وأقلد به صلاتي اليوم ، فمضيت خلفه ، فوالله ما جزنا جسر سورى حتى غربت الشمس ، فشككت ، فالتفت إليّ وقال : يا جويرية شككت ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، فنزل عن دابته في ناحية ، فتوضأ ثم قام ، فنطق بكلام لا أحسبه إلا كأنه بالعبرانية ، ثم نادى الصلاة الصلاة ، فنظرت والله إلى الشمس وقد خرجت من بين جبلين ولها صرير ، فصلى العصر وصليت معه ، فلما فرغنا من الصلاة غابت الشمس وعاد الليل كما كان أولاً ، واجتمع نفر من الخوارج وقالوا : إن علينا معاوية قد أفسدوا هذا الأمر ، فلو قتلناهم لعاد الأمر إلى أهله ، فقال رجل من أشجع : وما أمر العاص بدونها وإنه أصل هذا الفساد ، وتأسفوا على من قتل بالنهروان ، فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادي والبرك بن عبيدالله التميمي وعمرو بن أبي بكر التميمي فلو شربنا من الله أنفسنا والتمسنا غرة هؤلاء وقتلناهم لأرحنا منهم العباد والبلاد ، فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم علياً ، فقبل له : وأنتى لك به ؟ قال : أغتاله ، وقال البرك بن عبدالله : أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمر بن أبي بكر : أنا أكفيكم ابن العاص ، ومضوا إلى البيت شرفه الله تعالى وتحالفوا على الوفاء بينهم ، فأتى إلى أمير المؤمنين (ع) رجل من مراد وقال له : احرس نفسك يا أمير المؤمنين ، فإن أناساً من مراد يريدون قتلك ، فقال : مع كل رجل ملكان يحفظانه ما لم يقدر عليه أحد ، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه ، وكفى بالأجل جنة حصينة ، ثم إنه (ع) أنشأ يقول :

تلکم قریش تمنانی لتقتلنی فلا وربك ما فازوا وما ظفروا
فإن بقيت فرهن ذمتي لهم وإن عدمت فلا يبقى لهم أثر

وسوف يورثهم فقدي على عجل ذل الحياة بما خانوا وما غدروا

قال الراوي : ثم إن ابن ملجم قصد الكوفة مع الوفد الذين بعث بهم حبيب بن المنتجب عامل أمير المؤمنين ليربص الفرصة ، ودخل في جملتهم عليه وسلم كما سلموا ، وكان طلق اللسان حسن المقال ، فأعجب أمير المؤمنين (ع) لما سمع من مقالته ، ورأى حسن تأدبه في أقواله وأفعاله ، فسأله عن اسمه ، فلما أخبره أطرق برأسه يفكر ، ثم رفع رأسه وقال : أمرادي أنت أنت ؟ ثلاث مرات وهو يقول : نعم فاسترجع أمير المؤمنين (ع) وحولق وتمثل بيت ابن معد يكرب الزبيدي وهو يقول :

أريد حياته ويريد قتلي خليلي من عزيزي من مراد
ثم دعاه للبيعة واستحلفه مراراً كثيرة ، وأخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يغدر به ، فقال : ما رأيتك يا أمير المؤمنين فعلت بغيري مثلما فعلت بي ، أتراك تؤكد على البيعة ثلاثاً وتستحلفني ثلاثاً ؟ فقال : إني لا أرى أنك تفني بما عاهدت عليه ، وستخضب هذه من هذا ، وأشار إلى لحيته ورأسه ، ولقد قرب وقتك وحن زمانك ، فقال : أعيدك بالله يا أمير المؤمنين هذه يميني وهذه شمالي فاقطعهما أو فاقتلني ، فقال أمير المؤمنين : وكيف أفعل ولم تستوجب قبل شيئاً ؟ ولو أنني أعلم أنك قاتلي ، لكن هل كانت لك حاضنة يهودية وكنت إذا بكيت تلطم وجهك وتقول لك اسكت يا من هو أشقى من عاقر ناقة صالح ؟ قال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين .

وفي بعض الروايات قال له : إذا أنا قتلتك فمن يقتلني وقد سبق القضاء ، إنك قاتلي ، فسمع ذلك مالك الأشتر رضي الله تعالى عنه والمقداد بن الأسود الكندي فجردا أسياهما ، وأتيا إلى أمير المؤمنين (ع) فقالا : ومن هذا الكلب الذي تخاطبه بما سمعنا ، فأمرنا بقتله ، فقال : افتأمروني بأن أقتل رجلاً لم يفعل بعد شيئاً ؟

واجتمع نفر من أصحاب أمير المؤمنين وخواص شيعته ، فقالوا : إننا

نقترح أن نجعل كل ليلة على قبيلة تحرس سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (ع) ، فإنه يخرج غلساً إلى الجامع ونخاف أن يغتاله هذا اللعين فيفجعنا فيه ، فابتدأت بذلك أهل الكنائس ، فلما أقبل أمير المؤمنين (ع) وجدهم شاكين في سلاحهم ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : تخوفنا عليك من هذا المرادي اللعين فجتنا لنحرسك فجزاهم خيراً وتلا قوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾^(١) ثم قال : إذا نزل القضاء فلا راد له وكفى الأجل حارساً .

فتفرق القوم ، فكانت في الكوفة امرأة من الخوارج اسمها قطام بنت سجية بن تميم من تيم الرباب ، وقد خطبها ابن ملجم وتمكن في قلبه حبها ، فقالت : نعم على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة ، وأشترط عليك قتل الخليفة علي بن أبي طالب ، فقال : والله ما أقدمني إلى هذا المصير وكنت بعيداً منه إلا قتل هذا الرجل ، فلك ذلك ، والله در الفرزدق حيث يقول متعجباً من هذا الإقدام :

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح وأعجمي
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المسمم
فلا مهر أعلى من علي وإن علا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

روي أن ابن ملجم دخل يوماً الجامع ، وأمير المؤمنين على المنبر يخطب ، فقال : والله لأريحن منك العباد ، فسمعه بعض الأصحاب فأتى به ملبياً ، فقال لهم أمير المؤمنين : وما تريدون منه ؟ فأخبروه بما قال ، فقال (ع) : خلوا عنه ، فإنه لم يقتلني ، ولم يزل يكرمه لسرعته في الخدمة ويؤثره على غيره لتأدبه استظهاراً عليه ، ومع ذلك يقول : أنت قاتلي لا محالة ، بذلك أخبرني رسول الله .

(١) سورة التوبة ، الآية : ٥١ .

ثم قال : دخلت أنا يوماً على رسول الله وفاطمة والحسن والحسين فبكى حين رأنا وقال بعض من حضر : أما تستر برؤيتهم يا رسول الله ؟ فقال : والذي بعثني بالحق نبياً أنا وهم لأكرم الخلق على الله تعالى ، وما على وجه الأرض نسمة أحب إليّ منهم ، أما عليّ بن أبي طالب فإنه أخي ، وابن عمي ، وخليفتي ، ووصيي على أهلي وأمتي في حياتي وبعد وفاتي ، محبه محبي ، ومبغضه مبغضي ، وهو مولى كل تقي ، بولايته صارت أمتي مرحومة ، وإنما بكيت على ما يحل بهم بعدي من غدر الأمة ، وإنه ليزال عن مقامه ومحلّه ومرتبته التي وضعه الله فيها ، ثم لا يزال كذلك حتى يضرب على قرنه في محرابه ضربة تخضب لحيته ورأسه في بيت من بيوت الله ، في أفضل الشهور شهر رمضان ، في العشرة الأواخر منه ، يضربه بالسيف شر الخلق والخليقة ، أخو قدار ابن قديرة عاقر ناقة صالح ، ثم استعبر وبكى بكاءً شديداً عالياً .

ثم قال : وأما ابنتي فاطمة الزهراء ، فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين ، وهي بضعة مني ونور عيني وروحي التي بين جنبي ، الحوراء الانسية الزهراء الزاهرة التي أزهرت من نورها السماوات بكواكبها ، والأرضين بأقطارها ، ويقول الله تعالى إلى الملائكة : يا ملائكتي انظروا إلى أمتي إذا قامت إلى الصلاة وهي ترتعد خيفة وخشية مني ، اشهدوا أنني قد آمنت شيعتها من النار ، ولكن ذكرت ما يصنع بها بعدي كأني بها ، وقد دخل عليها في بيتها الذل والهوان ، فترى نفسها ذليلة بعد ما كانت عزيزة في حياتي ، فتناديها الملائكة بما نادت به مريم ابنة عمران ﴿ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾^(١) فتمرض عند ذلك ، فيبعث الله لها مريم ابنة عمران فتمرضها ، فتقول : إني قد سئمت الحياة وتبرمت من أهل الدنيا ، اللهم فالحقني بأبي ، فيلحقها الله بي في المدة القليلة ، فتقدم عليّ محزونة مغمصوبة

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٤٢ .

مكروبة مغمومة ، ألهم العن غاصبها وظالمها ، وخذل في النار من آذاها
وضرب جسمها حتى ألفت جنينها ، فتقول الملائكة آمين .

وأما ولدي الحسن فإنه قرّة عيني وثمره فؤادي ولكن ذكرت ما يحل به
بعدي من الذل والهوان ، حتى يقتل بالسم ظلماً وعدواناً ، فتبكيه الملائكة وكل
نبي حتى الطير في الهواء ، والحيتان في لجج البحار ، فمن بكاه لم تُعمّ عيناه
يوم القيامة .

وأما ولدي الحسين فإنه مني وأنا منه ، وهو خير الخلق بعد أبيه وأخيه ،
وهو إمام المسلمين وخليفة رب العالمين ، وسيد شباب أهل الجنة أجمعين ،
ولكني كلما نظرت إليه فكأنني به وقد استجار بحرمي وقبري فلا يجار ، فأضمه
في منامي إلى صدري ، وأمره بالرحيل إلى أرض مصرعه ومقتله ، فيرتحل
للسهادة إلى أرض تعرف بأرض كربلاء ، تنصره جماعة من المسلمين ، أولئك
سادات أمّتي يوم القيامة ، وكأنني أنظر إليه وقد رمي بسهم في قلبه ذي ثلاث
شعب ، فيخر عن فرسه الميمون صريعاً يفحص في التراب برجليه ، ثم يذبح
ذبح الشاة من قفاه .

ثم بكى وأبكى من كان حاضراً حوله ، ونهض وهو يقول : ألهم إني
أشكو إليك ما يلقي أهل بيتي من بعدي .

| | |
|---------------------------|-------------------------------|
| أبكي وما قلبي عليه بسالي | فيا ليت شعري من أنوح ومن له |
| بمنصت ذي رونق وصقال | أأشجو علياً حين عمم رأسه |
| قضت لم تفز من إرثها بخلال | له أم لبنت المصطفى بعد ما قضى |
| من السم قتالاً بغير قتال | أم الحسن الزاكي سقته جميدة |
| لباق فلا يقضى له بزوال | وإن حنيني للشهيد بكربلا |
| ركائبه قد قيدت بحبال | فديت إماماً بالطفوف كأنما |

فديت وحيداً قد أحاط برحله
يقول لأنصار له قد أبحتكم
ألا فارحلوا فالليل مرخ سدوله
فقالوا جميعاً وما يقول لنا وما
تقيقك من الموت الشديد نفوسنا
فديت الذي يرنو الفرات بغلة
فديت فتى قد خر عن سرج مهره
فديت صريعاً قد علا الشمر صدره
فديت طريحاً تركض الخيل فوقه

وروي عن أنس بن مالك قال : مرض أمير المؤمنين في حياة رسول الله
وعدته وعنده أبو فضيل وعمر ، فدخل علينا رسول الله ونظر في وجهي فبكى ،
فقال أبو فضيل وعمر : لقد تخوفنا عليه يا رسول الله ، فقال : لا بأس عليه ،
وإنه لن يموت إلا مقتولاً مضروباً على أم رأسه مخضوباً بدمائه ، في شهر الله
الحرام شهر رمضان ، في أثناء صلاته في بيت من بيوت الله ، فوا شوقاه
ووا أسفاه ووا حزنه ، ثم بكى بكاءً شديداً .

وفي المجالس عنه (ع) قال : سألت النبي ما أفضل الأعمال في شهر
رمضان ؟ قال : الورع من محارم الله ، ثم بكى ، فقلت له : وما يبكيك يا
رسول الله ؟ قال : أبكي لما يحل عليك من بعدي في شهر رمضان ، كأني بك
وأنت في محرابك إذ انبعث إليك أشقى الخلق من الأولين والآخرين ، شقيق
عافر ناقة صالح ، فيضربك ضربة على مفرق رأسك ويشقه نصفين ، ويخضب
لحيتك من دم رأسك ، فقلت له : يا سيدي أفي سلامة من ديني ؟ فقال : نعم
يا علي ، من قتلك فقد قتلني ، ومن سبك فقد سبني ، لأنك مني وأنا منك ،
وروحك روحي وروحي روحك ، إلى أن قال : وإنه لا يقرب الحوض مبعض
لك أبداً ، ولن يغيب عنه محب لك أبداً . فخرّ علي (ع) ساجداً لله تعالى

وقال : الحمد لله الذي منَّ عليَّ بك يا مولاي ، فلما مضى من شهر رمضان شطره ، دخل المسجد يوماً فصلى ركعتين ، ثم صعد المنبر وخطب خطبة أكثر فيها من الحمد والثناء ، ثم التفت إلى ولده الحسن وقال له : يا أبا محمد كم بقي من شهرنا هذا ؟ فقال الحسن (ع) : ثلاثة عشر يوماً يا أمير المؤمنين ، ثم التفت إلى ولده الحسين (ع) وقال له : يا أبا عبد الله كم مضى من شهرنا هذا ؟ فقال الحسين : سبعة عشر ليلة يا أمير المؤمنين ، فضرب على لحيته وهي يومئذ بيضاء ، فقال : الله أكبر الله أكبر ، ليخضبها بدمها إذ انبعث أشقاهها ، ثم قال (ع) : قل ما أصحبكم ، قالت أم كلثوم : لما سمعت ذلك من أبي قلت له : وكيف ذلك يا أبتاه ؟ قال (ع) : رأيت البارحة نبي الله في منامي وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول : يا عليّ لا عليك وقد قضيت ما عليك .

وما زال ابن ملجم يتربص به الغفلة ، ويتتهز في الفرص ، ويصلح سيفه ويكرر صقله ويسقيه ، فدخل يوماً بيته فأخذته الملعونة قطام وأخرجته من جفنه تنظر إليه وإلى حسن صقله ، فقالت : إني أريد أن أسقيه سماً نقيعاً عندي ، فقال ابن ملجم : إنه لا حاجة له في السم ، وهو لو وقع على حجر ابرأه شطرين ، فقالت : لا بدّ له من السم ، لأن علياً ليس كمن لاقيت من الشجعان ، فما زالت تصفه وتعظمه في عينه بكلام يغيظه ليجهد نفسه في قتله ، فأخذه بعدما عملت فيه ما شاءت من السم ، وخرج إلى السوق ومر على الإمام (ع) وهو عند ميثم التمار ، فسلم عليه بخشوع النفاق وخضوع الملاق ، فجعل أمير المؤمنين يطيل النظر إليه ، ويرسل الفكر فيما عزم عليه ، فقال : يا ميثم هذا قاتلي لا محالة ، فقال : ومتى يكون ذلك يا سيدي ؟ فقال (ع) : ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾^(١) وإذا نزل القضاء فلا مرد له ، وكفى بالأجل حارساً ، ثم استرجع وحولق وذكر رسول الله (ص) وقال :

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٦ .

ما للإنسان من الموت نجاة كل امرء لا بد يأتيه الفناء
تبارك الله وسبحانه لكل شيء آخر وانتهى
يقدر الإنسان في نفسه شيئاً وبأباه عليه القضا
لا تأمن الأيام في مكرها لكل شيء مدة وانقضا
فبينما الإنسان في غفلة يمشي وقد حل عليه القضا

قال الراوي : وانصرف الملعون ، فبقي شبيب بن بحرة التميمي ، فقال له : هل لك في المعونة على قتل علي بن أبي طالب لنحوز من الله الثواب ؟ فقال له شبيب : ويلك وأنتى لك بذلك ؟ فقال : نكمن له في بعض صلواته ونضربه ضربة رجل واحد ، فإن نحن قتلناه شفينا غل صدورنا منه ، وإن كانت الأخرى كنا كمن مضى من قبلنا من أهل الخير والصلاح ، فقال له : قد عرفت بلاءه في الإسلام وسابقته مع ابن عمه رسول الله ، وما أجد نفسي تجيبيني إلى ذلك أبداً . فما زال به حتى أجابه ، قال : فأخبر قطام بذلك ، فبعثت إلى بعض أقاربها فدعته إلى مساعدة ابن ملجم ، فغدوا جميعاً إلى الأشعث بن قيس ، وأبدوا إليه ما في نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين ، فواطأهم على ذلك ، فلما كانت الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان ، أتى (ع) بعد أن صلى المغرب وما شاء من النفل ليفطر ، وكان سلام الله عليه يتعشى ليلة عند الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبدالله بن جعفر ، ولا يزيد على ثلاث لقم ، وكان يقول : أرجو أن ألقى الله وأنا خميص الحشى ، فقدمت إليه ابنته أم كلثوم قرصين من شعير وقصعة فيها لبن وجريش ملح ، فقال (ع) : قدمت إلي أدامين في طبق واحد ، وقد علمت أنني متبعاً ما كان يصنع ابن عمي رسول الله ، ما قدم إليه أدامان على طبق واحد حتى قبضه الله إليه مكرماً ، ارفعي أحدهما فإن من طاب مطعمه ومشربه طال وقوفه بين يدي الله يوم القيامة ، ثم أكل قليلاً وحمد الله كثيراً وأخذ في الصلاة والدعاء إلى أن غفت عيناه ، فاستيقظ وقال : رأيت النبي فشكوت إليه ما أنا فيه من التبذل بهذه

الأمة ، فقال لي : ادع عليهم فإن الله تعالى لا يرد دعائك ، فقلت : اللهم أبدلني بهم خيراً ، وأبدلهم بي شراً . ثم إنه (ع) أسبغ الوضوء ، وأخذ الفكر مما لحقه من التعب في طلب إصلاح هذه الأمة وما قصدوه به من الأذية ، فخرج يسعى .

قال إسماعيل بن عبدالله الضلعي : بث قريباً من الحيرة ، فلما جنني الليل وإذا أنا برجل قد أقبل ، فاستتر برابية ، ثم صف قدميه فأطال في المناجاة ، وكان فيما قال : اللهم إني سرت فيهم بما أمرني رسولك و صفيك المرسل فظلموني ، وقاتلت المنافقين كما أمرني فجهلوني ، وقد مللتهم وملوني ، وبغضتهم وبغضوني ، فلم يبق لي خلة انتظرها إلا المرادي ، اللهم فاجعل له الشقاء ، وتغمدني بالسعادة ، إنه قد وعدني نبيك إذا سألتك اللهم [فإنه لن يرد دعائي] وقد رغبت إليك في ذلك . ثم مضى فقوت خلفه حتى دخل منزله ، فإذا هو علي بن أبي طالب .

ولما أخذ مضجعه بعد أن صلى العشاء الآخرة ، رأى النبي محمداً (ص) وهو يقول له : يا أبا الحسن إني إليك مشتاق ، وإن الله سيلحقك بنا عن قريب وعند الله خير وأبقى ، ثم انه انتبه (ع) وجميع أولاده وأهل بيته وعشيرته ، فأخبرهم ونعاهم نفسه ، فأخذوا في البكاء والنحيب ، فنهاهم عن ذلك وجعل يوصيهم بفعل الخير واجتناب السوء ، ثم تفرقوا واشتغل بالصلاة والدعاء والتلاوة ، ثم يخرج تارة إلى خارج الدار ينظر في الكواكب والعلامات لما أخذه من القلق والأرق ، ويكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم بارك لي في الموت وما بعد الموت ، اللهم بارك لي يوم ألقاك ، والله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التي وعدت فيها . ثم نعس قليلاً واستيقظ وأسبغ الوضوء ، ونزل وكان في الدار إوزاً أهدي للحسن والحسين (ع) ، فلما صار في صحن الدار تصارخن في وجهه فقال : لا إله إلا الله صوائح تتبعها نوائح من نسوة صوارخ ، فسمع ذلك الحسن ، فقال : وما ذاك يا أبتاه ، قال : يا بني إن

قلبي يحدثني أنني مقتول لا محالة ، قال لابنته أم كلثوم بحقي عليك إلا ما أطلقت هذا الإوزَ يأكل من حشائش البر ، ولا تحبسي من لا له لسان ولا يقدر على الكلام ، وأطعميه وخلي سبيله ، ثم مد يده إلى الباب ليفتحه فانحل مؤثره فشده شداً وثيقاً وقال :

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديك
ولا تغتر بالدهر وإن كان يواتيك
فكم رَفَع أقواماً وقد كانوا صعاليك
كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يبكيك

قالت أم كلثوم : كنت أمشي خلف أبي ، فلما سمعت ذلك منه قلت : واغوثاه يا أبتاه ما لي أراك يا قرّة عيني تنعي نفسك ، فأخذت في البكاء فوقف عندي وجعل يعزيني على نفسه وهويكي ، ثم خرج فأعلمت أخوي الحسن والحسين وقلت لهما : إن أبانا قد تنكر حاله في هذه الليلة ، فأخبرتهما بما جرى فأدركاه ، فقال له الحسن : ما لك يا أبتاه خرجت في هذه الساعة ؟ فقال (ع) : لأجل رؤيا أفزعنتي ، فقال الحسن : وما هي يا أبتاه ؟ فقال : رأيت كأن أخي جبرائيل نزل من السماء على جبل أبي قبيس ، فتناول منه حجرتين ومضى بهما إلى مكة ، فضرب بأحدهما الآخر فصارا رماداً فذراهما في الهواء ، فلم يبق بمكة ولا بالمدينة ولا بلد من بلاد الإسلام بيت إلا دخله من ذلك الرماد شيئاً . فقال الحسن : وما تأويل ذلك يا سيدي ؟ قال : يا بني إن صدقت رؤيا أبيك فإنه مقتول ، ولم يبق بيت من بيوت الإسلام إلا دخله من ذلك همّ وحزن ، فقال الحسن : ومتى يكون ذلك يا أبتاه ؟ فقال : إن الله تفرد بخمسة أشياء لم يطلع عليها نبي ولا وصي نبي وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا

تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴿١﴾ قال : فأردنا أن نصحبه إلى
مصلاه فأبى ، وقال : بحقي عليكما إلا ما رجعتما إلى منزلكما ، قال : فأتينا
البيت ، وإذا بأختي أم كلثوم خلف الباب ، فجلسنا معها نبكي وقد مضى
وحده .

قال عبدالله بن محمد الأزدي : كنت أصلي في المسجد الأعظم تلك
الليلة ، وهي الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان مع رجال من أهل مصر كانوا
يصلون ذلك الشهر من أوله إلى آخره ، إذ نظرت إلى رجل قريب من السدة ،
فأقبل أمير المؤمنين (ع) وهو ينادي الصلاة الصلاة يرحمكم الله تعالى ، قال
حجر بن عدي : وسمعت الأشعث بن قيس يقول : النجاة النجاة لحاجتك فقد
فضحك الصبح ، فعلمت ما أراد ، وخرجت لأخبر أمير المؤمنين ، فإذا هو قد
خرج وسبقني إلى الجامع . قال عبدالله الأزدي : فما رأيت إلا بريق السيوف
وقائلاً يقول : الحكم لله لا لك ولا لأصحابك يا عليّ وشد عليه شبيب وضربه
فأخطأه ، وشد عليه ابن ملجم فضربه على مفرق رأسه فشقه نصفين ، فخر
يخور في دمه وهو يقول : فزت وربّ الكعبة .

شعر للمؤلف :

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| تؤم هداة المستقين زواهره | طلّى شبيهه قان من الحلم رشده |
| أحالت وجوهاً للمدارس ناظرة | فدبت دمءاً بالعلوم مسيلها |
| بأن أهاضيّب الشريعة هابرة | فمن مبلغاً عني الرسول معزياً |
| لقد أصبحت تلك المعالم دائرة | ومن مبلغاً يا شمس دارة فخرها |
| تسح أماقبها من الشكل هامرة | وإن عيون المجد إذ فجعت به |
| تطارح مسجور الحشاشة شاعرة | وها معصرات الورق تبدى حنينها |

قال عبدالله الأزدي : وهرب الثالث الذي كان معهما ، وسمعت

(١) سورة لقمان ، الآية : ٣٤ .

أمير المؤمنين (ع) يقول : لا يفوتكم الرجل ، ولزم رأسه الشريف بيده وهو يقول : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله . وغشي عليه من انبعاث الدم على لحيته ووجهه ، وقد صبغ جميع أثوابه وبدنه حتى احمرت الأرض ، وسمع الناس نعي جبرائيل يقول : تهدمت والله أركان الهدى ، وانطمست أعلام التقى ، وانفصمت العروة الوثقى ، قتل والله علي المرتضى ، قتل الوصي المجتبي ، قتل خاتم الأوصياء ، قتله أشقى الأشقياء . فقامت أم كلثوم لاطمة خدها صارخة وأبتاه واعلياه وأماه وفاطماه ، فأخذت الناس الدهشة وهم لا يعلمون وإلى أين يذهبون حتى أحاطوا به (ع) ، واختلطت النساء بالرجال ، وهبت ريح سوداء مظلمة ، والملائكة تنعاه في السماء .

وأقبل الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وبقية أولاده فوجدوه مشقوق الرأس ، وقد علتة الصفرة من انبعاث الدم وشدة السم ، والناس من حوله في النياحة والعويل والبكاء المحرق للأكباد ، فأخذ الحسن رأسه ووضعها في حجره ، فأفاق وقال : هذا ما وعد الله ورسوله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم نظر إلى أولاده فرأهم تكاد أنفسهم تزهب من النوح والبكاء ، فجرت دموعه على خديه ممزوجة بدمه ، قال (ع) : أتبكي علي ؟ ابكيا كثيراً واضحكا قليلاً ، أما أنت يا أبا محمد ستقتل مسموماً مظلوماً مضطهداً ، وأما أنت يا أبا عبدالله شهيد هذه الأمة وسوف تذبح ذبح الشاة من قفاك ، وترض أعضاك بحوافر الخيل ، ويطاف برأسك في ممالك بني أمية وحریم رسول الله تسبي ، وإن لي ولهم موقفاً يوم القيامة . فقال الحسن : من فعل بك هذا الفعل يا مولاي ؟ فقال : فعله ابن ملجم المرادي وسوف يطلع عليكم الساعة من هذا الباب ، وأشار بيده إلى باب كندة على يد رجل محب لنا أهل البيت ، فاشتغل الناس بالنظر إلى باب كندة على يد رجل محب لنا أهل البيت ، فاشتغل الناس بالنظر إلى باب كندة وقد غص بهم الجامع وهم بين باك وبأكية ، فبينما هم كذلك وإذا هم برجال قد دخلوا بابن ملجم اللعين مكشوف الرأس ، وحذيفة

يذود الناس عنه وكل منهم يود [أن] يبرد غلة صدره ، وأنى لهم الشفاء بعد قتل سيد الأوصياء ، وكيف يبرد منهم الغليل وقد فقد من اهتز له عرش الجليل ، لكنما الأمر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

عجباً لمصقول أصابك حده في الرأس منك وقد علاه غبار لم لا تقطعت السيوف بأسرها حزناً عليك وطنت الأوتار

قال : ثم انكب الحسن على وجه أبيه يقبله ، ففتح عينيه وقال : رفقاً بي ملائكة ربي ، فقال الحسن : يا أبت هذا عدو الله قد أمكننا الله منه ، فالتفت إليه وقال : يا عدو الله ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى ، قال : فما حملك على ذلك ؟ قال : إني شحذته أربعين صباحاً ، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه . فقال الحسن لحذيفة : كيف ظفرت بعدو الله ؟ قال : كنت نائماً وزوجتي إلى جانبي إذ سمعت نعي جيراثيل ينعي أمير المؤمنين أباك في السماء ، فأيقظتني زوجتي وقالت لي : أنت نائم لا نامت عينك وقد قتل أمير المؤمنين ، فقلت مكذباً لها : فض الله فاك ، قد ألقى الشيطان على سمعك ذلك ، فقالت : والله ما أظن بيتاً في الكوفة إلا دخله صوت التعزية من السماء وترديد القول بالنعاء ، فوهى فزادي وتحدرت مدامعي ، فظللت مبهوتاً ، وإذا الناعي ينعي أباك في الأزقة والطرقات ، والناس لا تفيق من البكاء والنحيب في كل جهة ، فمددت يدي إلى قائم سيفي وسللته من غمده ونزلت حتى صرت في الجادة ، وإذا بعدو الله يطلب مهرباً وقد انسدت عليه الطرق في وجهه ، فقلت : من أنت ؟ فتسمى لي بغير اسمه ، فسألته عن الصيحة وقتل أمير المؤمنين ، فقال : لا علم لي بذلك ، قلت : هلا تجيء معي نتحقق الخبر ، قال : أنا ماض [لا] أمر أهم من ذلك ، قلت : أظن أنك قاتله ، فأراد أن يقول لا فقال نعم ، فهممت عليه فراغ عني ، وإذا ببيريق سيفه تحت ثيابه فتحققت أنه قاتل أمير المؤمنين ، فعلوته بسيفي ، فسقط إلى الأرض ، فوقعت عليه ، فخرج من أهل الجادة من ساعدني عليه وجئت به يا سيدي ، فقال : الحمد لله الذي نصر وليه وخذل

عدوه ، فابشريا حذيفة بمغفرة ذنوبك ، والله در من قال :

قل لابن ملجم والأقدار غالبية هدمت ويحك للإسلام أركاننا
قتلت أفضل من يمشي على قدم وأحسن الناس إسلاماً وإيماناً
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما سن الرسول لنا علماً وتبياناً
صهر النبي ومولاه وناصره أضحت مناقبه نوراً وبرهاناً
وكان منه على رغم الحسود له مكان هارون من موسى بن عمراننا
ذكرت قاتله والدمع منحدر فقلت سبحان رب العرش سبحاننا
قد كان يخبرنا [أن] سوف يخضبها شر البرية أشقاهما وقد كانا

قال : ولما حمل (ع) من مصلاه ، والناس من حوله قد أشرفوا على
الهلكة من شدة البكاء والنحيب ، وبلغوا به منزله ومعهم ابن ملجم موثقاً ،
وأقبلت فضة أمة فاطمة الزهراء ويدها حربة ، فقالت : أموالي ذروني أضرب
عدو الله بهذه الحربة فأشفي بعض جوى صدري ، فقد أحرق فؤادي ، وأقلق
رقادي ، وهيج حزني ، وأوهى ركني ، وأجرى دمعي ، وهتك ستري ، واجتث
أصلي وفخري ، وانقضت عليه كالشهاب ، فقال لها الحسن (ع) : اصبري يا
أمة الله ، وردّها إلى الدار فقالت لابن ملجم : ويلك يا عدو الله أفجعتنا وجميع
الإسلام ، فمصيرك إلى النار ، ولا بأس على سيدي فلقد قتل في جنب الله
واختنقت بعبرتها ، فقال لها ابن ملجم : يا أمة الله ابكي على نفسك إن كنت
باكية ، فلقد سقيته السم حتى عذقه ، ولو كانت هذه الضربة على من في
الأرض لأفنتهم جميعاً .

قال محمد بن الحنفية : لما طرحناه على فراشه أقبلت أم كلثوم وزينب
وهما يندبانه ويقولان : من للصغير حتى يكبر ، ومن للكبير بين الملاء ، يا أبتاه
حزننا عليك طويل وعبرتنا لا تبرح ولا ترقى . قال : فضج الناس من وراء
الحجرة بالبكاء والنحيب ، وفاضت دموع أمير المؤمنين على خديه وهو يقلب
طرفه وينظر إلى أهل بيته .

قال الأصمغ بن نباته غدونا على أمير المؤمنين (ع) ونحن نفر من أصحابه ، فسمعنا البكاء في منزله ، فبكيت حتى ارتفع صوتي بالبكاء ، فخرج الحسن (ع) وقال : ألم أقل لكم انصرفوا ، فقلت : لا والله يا ابن رسول الله ، لا تحملني رجلي أن أنصرف ولم أر سيدي ومولاي وبكيت ، ودخل الحسن فلم يلبث أن خرج إليّ فأدخلني معه ، فوجدته معصب الرأس بعمامة صفراء ، فلم أشعر أن وجهه أشد صفرة من العمامة أو العمامة أشد صفرة منه ، فنظرته وأنا أبكي ، فقال لي : لا تبكي يا أصمغ ، إنها والله الجنة . فقلت : جعلت فداك يا سيدي إنما لفقتي إياك ، ثم دعا بابنيه الحسن والحسين وفتح يده وضمهما إلى صدره وعيناه تهملان دموعاً ، ثم أغمى عليه ساعة طويلة وأفاق ، وهكذا كان رسول الله (ص) لما غلب عليه السم الساري في بدنه ، فأتي له بقدح فيه لبن وعسل فشرب منه قليلاً وقال : احملموه إلى أسيركم بحقي عليكم ، طيبوا طعامه وشرابه ، فقالوا : إنه قد أفجعنا فيك ، فقال (ع) : إنا أهل بيت لا نزداد على كثرة الإساءة لنا إلا إحساناً .

قال حبيب بن عمر دخلت على أمير المؤمنين فحل لي عن جراحاته ، فقلت : يا أمير المؤمنين ما جرحك هذا بشيء ، وما عليك من بأس فقال (ع) : إني مفارقكم ، فبكيت وبكت أم كلثوم ، فقال لها : يا بنية لو ترين ما يرى أبوك ما بكيت ، فقلت : ما ترى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أرى يا حبيبتي ملائكة السماء وملائكة الأرض صفوفاً بعضهم في اثر بعض يتلقوني ، وأخي رسول الله جالس عندي يقول : فإن أمامك خير لك والله در من قال :

عين تروم فراق شخصك ساعة كحلت بأميال العمى أماقها
نفس للحظك لم تكن مشتاقة ضربت بأسياف العدى أعناقها

قيل وحضر عروة السلولي^(١) وكان أعرف أهل زمانه بالطب ، فذبح شاة

(١) وفي بعض الروايات : السكوني (المصحح) .

وأخرج من ريتها عرقاً فأدخله في جراحته ثم أخرجه ، وإذا عليه بياض الدماغ ، فقال الطبيب بعد ان استعبر وبكى : أعهد عهدك يا أمير المؤمنين فإن الضربة وصلت إلى الدماغ .

قال محمد بن الحنفية ، فبينما نحن ليلة عشرين من شهر رمضان عند أبي علي (ع) وقد سرى السم في جميع بدنه الشريف ، وكان تلك الليلة يصلي من جلوس وهو يعزينا على نفسه ويوصينا بما هو أهله من أفعال الخيرات واجتناب الشرور ، ويكثر من ذكر الله تعالى وقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فلما أصبحنا أقبل الناس يعودونه ويسلمون عليه فيرد عليهم وهو يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، قال الحسن (ع) : فقلت سلوه قبل أن تفقدوه وخففوا سؤالكم عنه ، فما زالوا يسألونه عما يريدون وهو (ع) يجيبهم ويعلمهم كثيراً من الأحكام ، ويبين لهم من مسائل أصول الدين والإسلام ، ويوعظهم بما يجرهم من ارتكاب الآثام ، قال : وكان ابن عباس حاضراً عنده ، قال : وفي نفسي أن أسأله عن سبعين مسألة وأنا مشفق عليه لما أرى ما به ، فما شعرت به إلا وقد قال لي : يا ابن العم عندك مسائل تريد أن تسألني عنها ؟ قلت : نعم ، فاحتوى على ما في نفسي ، وشرح لي عن كل مسألة مسألة ، ثم قال : اثنوا لي الوسادة فثنيت له ، فقال :

الحمد لله قدره متبعين أمره كما أحب ، ولا إله إلا الله الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد كما انتسب . أيها الناس كل امرء لاقٍ لاقٍ ما يفر منه في فراره ، الأجل مساقُ النفس والهرب منه موافاته ، كم اطردت الأيام أبحاثها عن مكنون هذا الأمر ، فأبى الله إلا إخفائه . هيهات : علم مكنون . أما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئاً ، ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته ، أقيموا هذين العمودين ، وأوقدوا هذين المصباحين ، وخلاكم دُمُّ ما لم تشردوا . وحُمِّل كل امرئ منكم مجهوده ، وخفف عن الجهلة . رب رحيم وإمام ودين عليم قويم ، أنا بالأمس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم غفر الله لي

ولكم ، إن تثبت الوطأة في هذه المزلّة فذاك ، وإن تدحض القدم فانا كنا في أفياء أغصان ومهابّ رياح ، وتحت ظل غمام اضمحل في الجومتلفقها ، وعفا في الأرض مخطّها ، وإنما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً ، وستعقبون مني جثة خلاءً ساكنةً بعد حراك وصامته بعد نطق ، ليعظكم هُدُوي ، وخفوت إطراقي وسكون أطرافي فإنه أوعظ امري من النطق البليغ والقول المسموع ، وداعي لكم وداع مرصد للتلاقي ! غداً ترون أيامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفوني بعد خلوميكاني وقيام غيري مقامي ، فإن أبقى فأنا ولي دمي ، وإن أفضى فالفناء ميعادي ، العفولي قربة ولكم حسنة فاعفوا واصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟ فيا لها حسرة على كل ذي غفلة ان يكن عمره عليه حجة أو توديه إلى النار شقوة ، جعلنا الله وإياكم ممن لا تقتصر به عن طاعة الله رغبة أو تحل به بعد الموت نقمة ، فإنما نحن له وبه ، ثم أقبل علينا يوصينا ، وقال : يا حسن ضربة مكان ضربة ولا تأثم .

وجاء جماعة من اليهود وأستاذنوا عليه في تلك الساعة فأذن لهم ، فدخلوا عليه وأسلموا على يديه ، وأخبرهم عن كثير من الأحكام ، ثم سألوا عن سبب إسلامهم قالوا : نعم رأينا الساعة المياه قد تكدرت والهواء قد سكن ، والجوقد اسود ، والبهائم قد صفت آذانها ، والسحاب قد أقبل على داره ، والطير قد رفر على بيته ، فعلمنا أنه وصي نبي ، وذلك مكتوب في التوراة .

ثم قال (ع) : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته ، اختاره لعلمه وارتضاه لخلقه ، وأن الله باعث من في القبور ، وسائل الناس من أعمالهم ، عالماً بما في الصدور ، أوصيك يا حسن وكفى بك وصياً بما أوصاني به جدك رسول الله ، فإذا كان ذلك يا بني فالزم بيتك وابك على خطيئتك ، ولا تكن الدنيا أكبر همك ، وأوصيك بالصلاة عند وقتها ، والزكاة عند محلها ، والصمت عند الشبهة ، والإقتصاد في العطاء ، والعدل في الرضى والغضب ، وحسن الجوار ، وإكرام الضيف ، .

ورحمة المجهود ، وحب المساكين ، ومجالستهم ، والتواضع لهم ، فإنه من أفضل العبادات وقصر الأمل ، وذكر الموت والزهد في الدنيا ، فإنك رهين موت ، وغرض بلاء ، وطريح سقم ، وأوصيك يا بني بخشبة الله في شرك وعلايتك ، وإياك ومواطن التهمة ، والمجلس المظنون به السوء ، فإن قرين السوء في جليسه ، وكن الله يا بني ذاكراً ، ولنعمائه شاكراً ، وللبلاء صابراً ، وعن المنكر ناهياً ، بالمعروف آمراً ، ودار الفاسق لدينك ، وأبغضه بقلبك ، وزايله بأعمالك ، لثلاث تكون مثله ، وإياك والجلوس في الطرقات ، ودع المماراة ومجاراة من لا عقل له ، واقصد يا بني في مشيتك واقتصد في معيشتك ، والزم الصمت تسلم ، وقدم لنفسك تغنم ، وتعلم الخير ، وكن الله ذاكراً على كل حال ، وارحم من أهلك الصغير ، ووقر الكبير ، ولا تأكل طعاماً حتى تصدق منه قبل أكله ، وعليك بالصوم ، فإنه زكاة البدن ، وجنة لأهله من النار ، واحذر جليستك واجتنب عدوك ، وعليك بمجالسة أهل الذكر ، وأكثر من الدعاء وخالط الناس مخالطة إن مت بكوا عليك ، وإن غبت عنهم اشتاقوا إليك ، فإنني إليك يا بني ناصحاً ، وهذا فراق بيني وبينك ، وأوصيك بأخيك محمداً خيراً ، فإنه ابن أبيك ، وأنت تعلم حبي له ، وأما أخوك الحسين فلا أزيدك الوصاة في حقه ، والله خليفتي عليكم ، وإياه أسأل أن يصلحكم وأن يكف بأس الطغاة البغاة عنكم ، والصبر الصبر حتى ينزل الأمر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم قال : يا حسن إذا مت فغسلني وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله وأمك ، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل يوم مات رسول الله ، ولا تغال في كفني ، ثم ضعني على السرير ، ولا يحمل أحد منكم مقدمه ، فإذا رأيتم مقدمه قد ارتفع فارفعوا أنتم مؤخره ، فإن الله عز وجل يأمر جبرائيل وميكائيل [أن] يرفعونه ، فإذا وضع المقدم فضعوا أنتم مؤخره فإنه موضع قبري ، ثم تقدم يا حسن وصل عليّ وكبر سبعاً ، واعلم أنه لا يجوز إلا عليّ ورجل يخرج في آخر

الزمان اسمه القائم المهدي من ولد أخيك الحسين ، ثم زحزحوا السرير واكشفوا التراب عنه ، فإنكم ترون لحداً محفوراً وساجة منقورة ، فإذا وضعتوني [في] قبري واشرجتموه فعد إليّ النظر ، فإنك لا تجدني فإني ألحق بجدك رسول الله فاجتمع به ، فإنه ما من نبي يموت ولو كان بالمغرب ويموت وصيه بالمشرق إلا ويجمع الله بين روحيهما وجسديهما ، ثم يفترقان كل واحد إلى تربته التي أعدت له .

ثم قال : يا أبا محمد ويا أبا عبدالله ، كأني بكما وقد خرجت عليكم الفتن من ها هنا وها هنا ، فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين . ثم قال : أما أنت يا أبا محمد ستقتل مسموماً مضطهداً ، وأما أنت يا أبا عبدالله فشهد هذه الأمة ، فعليك بتقوى الله والصبر الجميل .

ثم نادى أولاده واحداً بعد واحد ، إنائاً وذكوراً ، صغيراً وكبيراً ، وأوصاهم بطاعة الله وطاعة أخويهم الحسن والحسين (ع) وشفثاه تختلجان بذكر الله تعالى ، وجبينه يرشح عرقاً وهو ينشفه بيده ، فقال له ابنه الحسن : يا أبا أراك تمسح جبينك ، فقال : سمعت جدك رسول الله يقول : إن المؤمن إذا نزل به الموت عرق جبينه وسكن أنينه . ثم أدار عينيه في أولاده وأهل بيته واحداً بعد واحد وهو يقول : أستودعكم الله ، حفظكم الله ، وهو خليفتي عليكم وكفى به خليفة . ثم قال : ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾^(١) ثم مد يديه ورجليه وغمض عينيه ، وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ثم قضى نجه صلوات الله وسلامه عليه ، فأقاموا عزاءه ، وارتفعت الأصوات بالنياحة والعويل من أهل بيته ونسائه وهن حاسرات ، وخرجت نساء بني هاشم ، مشققات الجيوب ، ناشرات الشعور ، لاطمات الخدود ، وارتجت الكوفة بالنياحة والعويل ، ودهش الناس وصار كأنه اليوم

(١) سورة الصافات ، الآية : ٦١ .

الذي مات فيه رسول الله ، وأقبل الناس من كل فج ، وأخذتهم الرجفة والزلزلة ، وأظلمت الدنيا ، واغبر الأفق ، وكسفت الشمس ، وما قلب في ذلك اليوم حجر إلا وجد تحته دم عبيط ، وكثر النوح من تحت الأرض من الجن ، وسمع الناس جبرائيل مع الملائكة ينعونه في السماء وقائلاً يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول :

| | |
|-----------------------------|----------------------------------|
| بنفسي ومالي ثم أهلي وأسرنني | فداء لمن أضحي قتيل ابن ملجم |
| عليّ أمير المؤمنين ومن بكيت | لمقتله البطحاء وأكناف زمزم |
| وظل له أفق السماء كأنه | شقيقة ثوب لونها لون عندم |
| وناحت عليه الجن إذ فجعت به | حينئذ ككلى نوحها بترنم |
| تكاد الصفا والمروتان كلاهما | يهدا وبان النقص في ماء زمزم |
| لفقد عليّ خير من وطأ الثرى | أخي المصطفى الهادي النبيّ المكرم |

قال وعن رزين قال : كنت بالرحبة فسمعت غلاماً يقول : مات أمير المؤمنين (ع) ورب الكعبة ، قال : فقمت إليه وضربته وقلت له : ما تريد من المصالح ، قال : كنت أرعى الأغنام منذ خمسين سنة ، وكانت الذئاب تقع فيها فتدفع عن نفسها ، وأرى هذه الساعة الرعاة يضحجون من كل ناحية وما ذاك إلا فقد إمام عادل . قال : فرحلت راحلتي ودخلت الكوفة فجراً وإذا الناس يضحجون من كل ناحية مات أمير المؤمنين وسيد الوصيين والله در من قال :

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| عليك أمير المؤمنين تأسفي | وحزني وإن طال الزمان طويل |
| جللت فجعل الرزء فيك على الورى | كذا كل رزء للجليل جليل |
| مصاب أصيب الدين منه بفادح | تكاد له شم الجبال تزول |
| فليس بمجدفيك وجددي ولا البكا | مفيد ولا الصبر الجميل جميل |
| وإن سثم الباكون فيك بكائهم | ملاً فلإني للبكاء مطيل |
| فما خف من حزني عليك تفجعي | ولا جف من دمعي عليك مسيل |
| وينكر دمعي فيك من بات قلبه | خلياً وما دمع الخلى هطول |

وما هي إلا فيك نفس نفيسة يحللها حر الأسى فتسيل
تباين فيك القبائلون فمعجب كثير وذو حزن عليك قليل
فأجر بنى الدنيا عليك لشأنهم دني وأجر المخلصين جزيل
عليك سلام الله ما اتضح الضحى وما عاقبت شمس الأصيل أفول

قال محمد بن الحنفية : ثم أخذنا في جهاز أبي ليلاً ، وهي الليلة الحادية والعشرون من شهر رمضان . قال : وكان الحسن (ع) يغسله ، والحسين (ع) يصب الماء عليه ، وأخرجت زينب الحنوط الذي أوصى به ، فشمّل أهل الكوفة ريحه ، لأنه كان من كافور الجنة ، ثم لفوه في خمسة أثواب ، ثم وضعوه على السرير ، ودخل عليه رجل أزهرى اللون وانتحب وبكى برفيع صوته ودמע كالسيل الجاري ، وقال :

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، السلام عليك يا سيد الوصيين ، السلام عليك يا وصي خاتم الوصيين ، انفصمت بك والله خلافة الأنبياء فرحمك الله يا أبا الحسن ، كنت أول القوم إسلاماً ، وأخلصهم إيماناً ، وأشدّهم يقيناً ، وأخوفهم لله ، وأعظمهم عند الله بلاء ، وأحفظهم ميثاقاً ، وأكرمهم سوابقاً ، وأرفعهم درجةً ، وأشرفهم منزلةً ومحلاً ، فجزاك الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء ، برزت به إذ تأخروا ونهضت به إذ وهنوا ، ولزمت منهاج ابن عمك رسول الله (ص) ، كنت له خليفة حقاً ، لم تنازع فيها ، ولم تعجل على المنافقين الذين تعدوا عليك في أخذها ، صبرت على كظم الغيظ ، وكثرة الحاسدين وضغن ، الفاسقين ، قمت بالأمر حين فشلوا ، ومضيت بنور الله إذ وقفوا ، كنت أحفظهم صوتاً ، وأعلاهم فضلاً ، وأقلهم كلاماً ، وأصوبهم منطقاً ، وأحسنهم رأياً ، وأشجعهم قلباً ، وأحسنهم عملاً ، وأعرفهم للأمر ، كنت والله للدين يعسواً حين تفرق الناس ، كنت للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً ، وحملت أثقالهم حتى قضيت نحبك ماجوراً ، وحفظت إذ ضاعوا ، كنت للكافرين عذاباً صيباً والمؤمنين غيثاً وخصباً ، حضيت والله

بنعمائها ، وفزت بحبورها ، لم تهلكك الصفوف ، ولم تكثرت بالألوف ، ولم يزغ قلبك ، ولم تضعف بصيرتك ، كنت ولم تجبن نفسك كالجبل العظيم الذي لا تحركه العواصف ، ولا تنزله القواصف ، كنت كما قال ابن عمك رسول الله ضعيفاً في بدنك ، قوياً في ذات الله ، متواضعاً في نفسك ، عظيماً عند الله ورسوله ، جليل عند المؤمنين ، لم يكن لأحد فيك مهمز ، ولا لقائل فيك معمز ، ولا لأحد عندك هواده الضعيف ، والقوي عندك واحد ، والقريب والبعيد عندك سواء في العطاء ، تأخذ للضعيف من القوي ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، وقولك حق ، وأمرك حتم ، ورأيك علم ، فانقرضت وقد أوضح بك السبل ، وأطفئت بك النيران ، واعتدل بك الدين ، وقوي بك الإسلام ، فجللت عين من لا يبكي عليك ، وقد عظمت رزيتك في السماوات والأرض ، وقد هدت مصيبتك جميع الإسلام وجميع الأنام ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، رضينا عن الله قضاءه وسلمنا إليه أمره ، فوالله لن يصاب الإسلام بمثل مصيبتهم بك ، كنت لهم كهفاً حصيناً ، وعلى الكافرين غيظاً ، فألحقك الله بنبيه ، ولا حرمننا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك .

وكان الناس كلهم سيكون لما يسمعون من كلامه ، ثم انتحب باكياً ثم انتحب باكياً وانكب عليه يقبله والناس مما عاينوه منه سكارى كأنهم سقوا خمراً ، ثم غاب ولم يعلمه ، فسألوا الحسن (ع) وهو يبكي ، فقال : هذا أخوه الخضر ، ثم تأوه (ع) وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وا انقطاع ظهراه وا أبتاه وا عليها وا فاطماه وا محمداه من أجلكم تعلمنا البكاء ، فإلى الله المشتكى وهو المستعان على الأمور كلها .

ثم ارتفع مقدم السرير ، فرفع الحسن والحسين (ع) مؤخره ونحن نسمع تسييحاً ، وتقديساً ، وتكبيراً ، وتهليلاً من أعلى الهواء ، وقائلاً يقول : أحسن الله لكم العزاء في سيدكم حجة الله ، وأعظم لكم الأجر وجزاكم أحسن الجزاء ، والصوت يردد هذه التعزية على هذه الصفة وخرجن نساء أهل الكوفة

وهن بحالة تصدع القلوب القاسية بالندب والبكاء فردهن الحسن (ع) ، وان
الحيطان والجدران والنخيل والأشجار لتحنى على سريره إجلالاً له وشوقاً ،
حتى إذا بلغوا به الغري فوضع المقدم فوضعوا المؤخر ، ثم تقدم الحسن وصلى
عليه كما أمره ، وكشفوا التراب وإذا بقبر محفور ولحد مشقوق وساجة منقورة
مكتوب عليها بخط حسن : (هذا قبر ادخره نوح النبي للعبد الصالح والميزان
الراجح والصرط الواضح والعلم اللائح والزناد القادح ، سراج الأمة والكاشف
عن وجه رسول الله (ص) الغمة ، إمام المشارق والمغرب علي بن أبي
طالب (ع) .

ثم سمعوا هاتفاً يقول : انزلوا الجسد الطاهر في التربة الطاهرة ، فلقد
اشتاق الأب إلى ولده ، والحيب إلى حبيبه . فألحده الحسن (ع) وخرج من
قبره ، فوقف عليه صاحبه صعصعة بن صوحان العبدي وأرسل دموعه كالسيل
الجاري وهو يقول : هنيئاً لك يا أبا الحسن بهذه الشهادة وهذه التربة ، فلقد
طبت وطاب مولدك فطيب الله بك التراب ، وقد عظم صبرك ، وارتفع قدرك
وجاهك ، وربحت تجارتك ، ولحقت بدرجة ابن عمك محمد
المصطفى (ص) ، وشربت بكأسه الأوفى ، فلقد من الله علينا بك ، وباقضاء
أثرك ، والعمل بسيرتك ، وبموالاتك ، ومعاداة عدوك ، فنسأل الله أن يحشرنا
في زمرك ، فلقد نلت من الشرف ما لم ينله أحد ، وأدركت ما لم يدركه
مجتهد ، ولقد جاهدت الفجار والكفار بين يدي رسول الله (ص) حتى أقيمت
بك السنن ، وارتفعت بك الفتن ، واستقام بك الإسلام ، وانتظم من أجلك
الإيمان ، فكم قصم الله بك من جبار عنيد وذئب بأس شديد ، وكم هدم بك من
حصون الكفر والضلال ، فهنيئاً لك يا أمير المؤمنين ، كنت أقرب الناس
إلى رسول الله نسباً ، وأولهم سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأسخاهم كفاً ، وأعدلهم
قسماً ، وأقربهم جاهاً ، فعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

فبكى وأبكى جميع من حضر ، ثم أخرجوا عليه اللبن ، وأهالوا عليه

التراب ، وسويت الأرض ، ثم رفعوا لبنة من قبره من عند الرأس الشريف ، ونظروا فإذا ليس في القبر أحد والهاتف يقول : كان عبداً صالحاً فآلحقه الله بنيه محمد (ص) ، وكذلك يفعل بالأنبياء ، حتى لو أن نبياً مات بالمشرق والوصي بالمغرب لألحق الله النبي بالوصي . والله در من قال :

آه لها من حسرة لا تنقضي طول الزمان وعبرة لا تنفذ
بالله يا حادي السرى سحراً إذا وافاك ربع للوصي ومعهد
فاقبل وقبل بالجفون ترابه فترابه لقذى النواظر أتمد
وقل السلام عليك يا من عنده يهبط أملاك السماء ويصعد

قال ورجع الحسن والحسين ومن معهما من خواصهما وأهل بيتهما ، مروا على مكان خرب من الكوفة ، فسمعوا أنيماً ، فقفوا أثره ، فإذا به رجل قد توسد لبنة وهو يحن حنين الثكلى الوالهة ، فوقف عنده الحسن والحسين وسألاه عن حاله ، فقال : إني رجل غريب لا أهل لي قد أعوزتني المعيشة ، وأتيت إلى هذه البلدة منذ سنة ، وكل ليلة يأتيني شخص إذا هدأت العيون بما أقتات به من طعام وشراب ، ويجلس معي يؤنسني ويسليني عما أنا فيه من الهم والحزن ، وقد فقدته منذ ثلاثة أيام ، فقالا له (ع) وهما بيكيان : صفه لنا ، فقال : إني مكفوف البصر ولا أبصره ، فقالا : ما اسمه ؟ قال : كنت أسأله عن اسمه فيقول : إنما أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة ، فقالا له : اسمعنا من حديثه ، قال : دأبه التسبيح ، والتقديس ، والتكبير ، والتهليل ، وإن الأحجار والحيطان تجيب بإجابته ، وتسبح بتسبيحه ، وتكبر بتكبيره ، وتهلل بهلله ، وتقديس بتقديسه ، فقالا له : هذه صفات سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (ع) ، فقال الرجل الغريب : ما فعل الله به ؟ ، فقالا (ع) وهما بيكيان : قد أفجعنا فيه أشقى الأشقياء ابن ملجم المرادي ، وها نحن راجعون من دفنه . فلما سمع ذلك منهما لم يتمالك دون أن رمى بنفسه على الأرض وجعل يضرب برأسه الأشجار ، ويحثو على رأسه التراب ، ويصرخ صراخ المعولة الفاقدة ، فأبكي

من كان حاضراً ، ثم قال لهما : بالله ما اسمكما واسم أبيكما ؟ فقالا له : أبونا أمير المؤمنين (ع) عليّ بن أبي طالب ، وأنا الحسن ، وهذا أخي الحسين ، وهؤلاء بقية أولاده وأقربائه وجملة من أصحابه راجعين من دفنه ، فقال : سألتكما بالله وبجدكما رسول الله وأبيكما ولي الله إلا ما عرجتما بي على قبره لأجدد به عهداً ، فقد تنغص عيشتي بقتله وتكدرت حياتي بعد فقده .

فأخذ الحسن (ع) بيده اليمنى ، والحسين (ع) بيده اليسرى ، والناس من ورائهما بالبكاء والعيول المقرح للأكباد ، حتى أتوا إلى القبر المنور ، فجنى عليه وجعل يمرغ نفسه عليه ويحشو التراب على رأسه ، حتى غشي عليه وهم حوله يبكون ، وقد أشرفوا على الهلاك من كثرة البكاء والنحيب ، فلما أفاق من غشوته رفع كفيه إلى السماء وقال : اللهم إني أسألك بحق من سكن هذه الحفرة المنورة أن تلحقني به وتقبض روحي إليك ، فإني لا أقدر على فراقه ولا أستطيع التحمل لوجده واشتياقه ، فاستجاب الله دعاؤه ، فما وجدوه إلا مثل الخشبة الملقاة ، فجهزوه ، وقيل دفنوه بجنب أمير المؤمنين (ع) :

يا قبر سيدنا المجن سماحة صلي عليك الله يا قبر
فليعذبن سماح كفك في التراب وليورقن بجنبك الصخر
والله لو بك لم أدع أحداً إلا قتلت لفاتني الوتر

قال الراوي : قال حبيب بن عمر : لما رجع الحسن (ع) من دفن أبيه تلك الليلة وهي الليلة الحادية والعشرون من شهر رمضان ، رقى المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على جده ، ثم قال :

أيها الناس إن في هذه الليلة نزل القرآن ، وفي هذه الليلة رفع عيسى ابن مريم (ع) ، وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون ، وفي هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين ، إنه كان لا يسبقه أحد كان قبله من الأوصياء ولا بعده ، وإنه كان رسول الله لبيعه في السرية فيقاتل جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، ومات ولم يورث بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطاياه ، كان

يجمعها ليشتري بها خادماً لأهله ، ثم خنفته العبرة وبكى . ثم نزل عن المنبر وصلى بأهله وخاصته صلاة الصبح ، ثم جلس في معزا أبيه ، فأنت الناس إليه للتعزية . ثم انه (ع) أمر بإحضار اللعين ابن ملجم ، فلما مثل بين يديه قال للحسين : يا أبا محمد إني ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به ، وإني عاهدت الله أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، وقد قتلت أباك ، فإن شئت خلعت بيني وبين معاوية ولك الله على إن قتلته لأتيتك حتى أضع يدي في يدك . فقال الحسن : لا والله حتى تعاین النار . ثم قال للحسن : يا ابن رسول الله إني أريد أن أسارك بكلمة ، فأبى الحسن وقال : إنه يريد أن يكدم على أذني ، فقال الملعون : أي والله لو أمكنتني منها لقلعتها من صماخها .

ثم تراددوا في القول كيف يقتلونه ، فقال الحسن : أنا ماض فيه بما أوصاني به أبي ضربة بضرية ولا تأثم ، فإني سمعت رسول الله يقول : إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور . ثم أبركوه على ركبتيه وقام الحسن وضربه ضربة بالسيف شق بها رأسه ، فانقلب عدو الله يخور في دمه لا رحمه الله تعالى ، وقيل استوهبت جثته أم الهيثم زوجة حذيفة بن اليمان وأحرقتها بالنار ، وأما شبيب بن بحرة فلقيه رجل حين أصيب أمير المؤمنين (ع) وخرج من الجامع فصرعه وبرك عليه يريد قتله ، فرأى الناس يقصدونه ، فخشي أن يكونوا عليه ، فخلاه حتى دخل منزله ، فراه ابن عم له يحل الحرير من صدره ، فقال له : لعلك قتلت أمير المؤمنين ، فأراد أن يقول : لا ، فقال : نعم ، فقتله ، وأما الثالث فلم يظفر به أحد ، قيل وكانت قطام جالسة على روشن لها ، فسمعت ضجيج الناس وقائلاً يقول : قتل أمير المؤمنين ، فصفقت كفيها فرحاً ، فأقلب الله عليها الروشن ، فما وجدوها إلا كالرغيف المحترق وعجل الله بروحها إلى النار ، وأما اللذان تعاقدوا مع ابن ملجم على قتل علي ومعاوية وابن العاص ، فقد خاب أملهما وقتلا ، أما ابن العاص فاستخلف على الصلاة تلك الليلة خارجة العامري فظن عمرو التميمي أنه ابن العاص [فضره فمات خارجة من

تلك الضربة [ثم قتل ، وأما معاوية فأصابه البرك في يتيه ثم قتل . وسلم معاوية وفيه يقول ابن زيدون :

فليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بما شاءت من البشر

وكتب ابن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان يخبره بقتل عليٍّ وسلامته . فبلغه الكتاب وكان في مجلسه ضرار بن ضمرة ، فقال له : صف لي علياً يا ضرار - مظهراً للشماتة - فقال : اعفني من ذلك ، قال له معاوية : لا أعفك ، فقال ضرار : رحم الله أبا الحسن علياً ، كان فينا كأحدنا ، ينبتنا إذا استنبأناه ويجينا إذا سألناه ، ويقربنا إذا أردناه ، لا يغلق دوننا بابه ، ولا يمنعنا حجاباه ، ونحن والله مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هية منه ، وكان إذا ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة عن لسانه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، كان والله غزير الدمعة ، كثير الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، ويناجي ربه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جش ، كان يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوي في بطشه ، ولا ييأس الضعيف من عدله . فقال معاوية وهو يبكي : زدني يا ضرار ، فقال ضرار : رحم الله أبا الحسن ، كان طويل السهاد قليل الرقاد ، يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار ، فكيف بك يا معاوية لورأيت في محرابه وقد أرخى الليل سدوله وغابت نجومه ، وهو قابض على لحيته يتململ يتململ السليم ، ويئن أنين السقيم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غري غيري أبي تعرضتي أم إليّ تشوقتي ، هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، فعمرك قصير ، وخطرك كبير ، وعيشك حقير ، ثم يقول : آه آه لبعده السفر ، وقلة الزاد ، ووحشة الطريق ، وعظم السرى .

فبكي معاوية وجلساؤه ، ثم قال : يا ضرار كان والله أبو الحسن كذلك وأكثر ، ثم قال معاوية : رحمك الله يا أبا الحسن ، كنت عفيفاً عمّن جنى

عليك ، حليماً بما سطى عليك ، رقيق القلب ، فكيف صبرك عنه يا ضرار ؟
فقال : صبري والله صبر من ذبح ولدها الواحد في حجرها بعد كبرها ، فهي لا
ترقى لها عبرة ، ولا تبل لها حسرة ، ولا تبرد لها زفرة . ثم قال : معاوية
لأصحابه : أما إنكم لو فقدتموني ما كان فيكم من يشي عليّ مثلما يشي هذا
على صاحبه عليّ ، فقال له بعضهم : الصاحب على قدر صاحبه .

وشوهدت أم شيبان المذحجية بحضرة معاوية بهذه الأبيات تقول :
لما ملكت أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هادياً مهدياً
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت فوق الأراك حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفاً لنا أوصى إليك بنا وكان وفيا
فاليوم لا خلف نؤمل بعده هيهات نأمل بعده انسيا

قيل وبعث معاوية إلى دار مية الحجونية ، فلما حضرت عنده قال لها :
أتدرين لم بعثت إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلا الله تعالى ، قال : بعثت
إليك لأسألك عن حبك لعليّ وبغضك إليّ ، واليتيه وعاديتني ، قالت :
اعفني ، قال : لا أعفيك ، قالت : إذا أبيت فإني أحببت علياً على عدله في
الرعية ، وقسمته بالسوية ، وبغضتك على تقدمك على من هو أولى منك بالأمر
وطلبك ما ليس لك بحق ، وواليت علياً على ما عقده له رسول الله من الولاية ،
وعلى حبه المساكين وتعظيمه لأهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ،
وجورك في القضاء وحكمك في الهوى .

وروي أنه قدمت عليه سودة بنت معمر الهمدانية شاكية من عامله بشر بن
أرطاة وقد جار فيهم ، فقالت : يا معاوية إن عزلته عنا شكرناك أو إلى الله
شكوناك ، فقال معاوية : والله لأحملنك إليه على قتب الشوس فينفذ فيك
حكمه ، فأطرقت رأسها ساعة ثم رفعت رأسها باكية حزينة وهي تنشد وتقول :
صلى الآله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقروناً

ثم قال : يا سودة من هذا الذي قلت فيه هذين البيتين ؟ قالت : هو والله زوج البتول فاطمة بنت الرسول ، هو والله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، اعلم يا معاوية أنني جئته مثل مجيئي لك شاكية إليه من رجل ولاه علينا وجار فعلم حين رأيته أنني شاكية ، فأقبل عليّ بوجه طلق ورحمة ورفق ، وقال لي : ألك حاجة ؟ فقلت : نعم يا مولاي . ما حبره ، فبكى رحمة لي ، ثم قال : اللهم إنك تعلم أنني لم أمره بظلم ، ثم خرج من جيبه قطعة جلد وكتب فيها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، قد جاءكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾^(١) فإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ ما عندك وما بين يديك من عملك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام . ثم دفع إليّ الكتاب وانصرف عنا معزولاً ، فقال معاوية : اكتبوا لها ما تريد واصرفوها مكرمة غير شاكية .

ورثاه أبو الأسود الدؤلي وقيل لغيره بهذه الأبيات :

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| ألا يا عين ويحك فاسعدينا | ألا فابكي أمير المؤمنيننا |
| وابكي خير من ركب المطايا | وفارسها ومن ركب السفينا |
| ومن لبس النعال ومن حداها | ومن قرأ المثنائي والمبينا |
| ومن صام الهجير وقام ليلاً | وناجى الله رب العالمينا |
| إماماً صادقاً برأ تقياً | فقيهاً قد حوى علماً وديناً |
| شجاعاً أشوساً بطلاً هماماً | ومقدماً لأساد العرينا |
| زكياً سيداً قرماً هزبراً | حمياً أروعاً بطلاً بطينا |
| مضى بعد النبيّ فدته نفسي | أبو حسن وخير الصالحينا |
| إذا استقبلت وجه أبي حسين | رأيت البدر راع الناظرينا |

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٨٥ .

وكنا قبل مقتله بخير نرى المولى رسول الله فينا
يقيم الدين لا يرتاب فيه ويقضي بالفرائض مستبيننا
فلا والله لا أنسى علياً وحسن صلاته في الراكعيننا
فلا يفرح معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامئيننا
وقل للشامتين بنا رويداً سيلقى الشامتون كما لقينا
أفي الشهر الحرام فجعثموننا بخير الخلق طراً أجمعيننا
كأن الناس مذ فقدوا علياً نعام جال في بلد سنيننا
فلوإننا سألنا المال فيه بذلنا المال فيه والبنيننا
فلا يفرح معاوية بن حرب فإن بقية الخلفاء فينا

قيل ومن خواص تربته (ع) إسقاط عذاب القبر ، وترك محاسبة منكر
ونكير .

وعن أبي عبدالله (ع) أنه قال : بين قبره والكوفة دار السلام محشر أرواح
المؤمنين ، وكأني بأناس منهم على منابر من نور يتنعمون إلى يوم القيامة .

وروي أنه (ع) خرج يوماً إلى ظهر الغري ، وإذا برجال ومعهم جنازة ،
فسلموا عليه ، فرد عليهم السلام ، ثم قال لهم : من أين أقبلتم ؟ فقالوا : من
اليمن ، فقال : لمن هذه الجنازة ؟ ، فقال أحدهم : هذي جنازة والدي ، وقد
أوصاني أن أدفنه هنا ، فقلنا : لماذا يا أبتاه وهو مكان شاسع ؟ فقال : إنه
سيدفن بهذه الأرض رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر ، ولا سبيل على
هذه الأرض لأجل من يقبر فيها ، فقال (ع) : أنا والله ذلك الرجل ، فدفنوه
وانصرفوا .

ولله در من قال :

إذا مت فادفني مجاور حيدر أبا شبر أكرم به وشبير
فتي لا يخاف النار من كان جاره ولا يختشي من منكر ونكير

جوار عليّ فادفنوني فإنه أميرى ومن حر الجحيم مجيرى
أظلماً وهو العذب في كل مورد وأظلم بين الناس وهو خفيرى
فعار على حامى الحمى وهو فى الحمى إذا ضل فى البیدا عقال بعيد

وعن الرضا (ع) قال : إن لكل إمام عهداً فى عتق أوليائه وشيعته ، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة فى زيارتهم وتصديقاً لما رغبوا فيه كانوا أئمتهم وشفعائهم يوم القيامة .

وعن الصادق (ع) أنه قال : من زار إماماً مفترض الطاعة وصلى عند قبره أربع ركعات ، كتب الله له حجة مبرورة وعمرة ، ومن زار واحداً منا كان كمن زار رسول الله . وعنه أيضاً أنه قال : من زار أمير المؤمنين ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين .

وقال (ع) وقد سأله ابنه الحسن يا أبت ما لمن زار قبرك بعد موتك ؟ قال : يا بني من أتاني زائراً بعد موتى فله الجنة ، ومن أتى أخاك زائراً فله الجنة ، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة .

قال رسول الله (ص) للحسين : يا بني تزورك بعد موتكم طائفة من أمتي يريدون بذلك بري وصلتي ، فإذا كان يوم القيامة زرتها فى مواقفها وأخذت بأعضادها وأدخلتها الجنة ، ثم قال لعليّ (ع) : لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها ، وزواركم هم المخصوصون بشفاعتي يوم القيامة ، فابشرو بشر محبيك ، فإن لهم فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وأن حثالة طائفة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها فى آخر الزمان ، أولئك شرار أمتي يوم القيامة .

وروى صفوان الجمال قال : كنت عند مولاي جعفر بن محمد الصادق ، وكنا نسير إلى نجف الكوفة ، فلما بلغنا إلى هذا المكان المعروف بالأكمة ، قال لي : أنخ الناقة ، فأنختها ، فقام واغتسل ، واحتفى ، وتضرع ، وقال لي :

افعل كما فعلت ، ثم قال لي : قصر خطاك فإن لك بكل خطوة مائة ألف حسنة ، وتمحى عنك مائة ألف سيئة ، وترفع لك مائة ألف درجة ، ويكتب لك ثواب كل شهيد وصديق مات أو قتل في سبيل الله . ثم مشى ومشيت خلفه وعلينا السكينة والوقار ، ونحن نسبح الله ونقدسُه ونهلله ، إلى أن بلغنا الأكمة ، فوقف ، فنظر يمينا ويسرة وخط بعكازه خطأً وقال لي : اطلب فطلبت ، وإذا أنا بأثر قبر في الخط الذي خطه ، فأرسل دموعه وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال :

السلام عليك أيها الوصي البر التقي ، السلام عليك أيها النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون وعنه مسؤولون ، السلام عليك أيها الصديق الشهيد ، السلام عليك أيها الصديق الزكي ، السلام عليك أيها الوصي ، وصي رسول رب العالمين ، السلام عليك يا خيرة الله من الخلق أجمعين ، أشهد أنك حبيب الله وخاصته وخالصته ، السلام عليك يا ولي الله ، وموضع سره ، وعيبة علمه ، وخازن وحيه .

ثم أنه (ع) انكب على القبر وبكى بكاءً شديداً وقال : بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ، بأبي أنت وأمي يا حجة الخصام ، بأبي أنت وأمي يا باب الله والمقام ، بأبي أنت وأمي يا نور الله التمام ، أشهد أنك قد بلغت عن الله عز وجل ورسوله (ص) ما حملت ، ورعيت وحفظت ما استودعت ، وحللت ما حلل الله وحرمت ما حرم الله ، وأقمت أحكام الله ، ولم تتعد حدود الله ، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين ، صلى الله عليك وعلى الأئمة من ولدك .

وصلى ركعتين عند رأسه الشريف ، ثم قال لي : يا صفوان ، من زار أمير المؤمنين (ع) بهذه الزيارة من قرب أو بعد ، وصلّى مثل هذه الصلاة ، رجع إلى أهله مغفوراً ذنبه ، مشكوراً سعيه ، وكتب له ثواب من زاره من الملائكة وغيرهم .

ثم رجع (ع) مقهقراً وهو يقول : يا جداه ، يا طيباه ، يا طاهره ، لا جعله الله آخر العهد مني لزيارتك ، ورزقني العود إليك وإلى المقام في حرمك ، والسكون مع الأبرار من ولدك الصالحين ، والسلام عليك وعلى الملائكة المحققين بك ورحمة الله وبركاته . فقلت : يا سيدي أتأذن لي أن أعلم الناس ؟ قال : نعم فأعطاني دراهم فأصلحت بها القبر ، فكان ما هو الآن معروفاً عند شيعته ، وقد كان مختفياً لوصية سبقت منه لعلمه بما [في] قلوب المنافقين والمارقين ، حتى قيل ان صبيحة دفنه أخرجوا أربعة ثوابيت ، فبعثوا بواحد إلى بيت الله الحرام ، وواحد إلى المدينة ، وواحد إلى بيت المقدس ، وأدخلوا بيته واحداً .

وروي ان سبب ظهوره أن هارون الرشيد خرج يوماً للصيد والقنص في ظاهر الكوفة ، فرأى ظبياً كثيراً ، فأرسل عليهم الصقور والكلاب ، فالتجأت الظبا بالأكمة ، فوقفت عنها الصقور والكلاب . وكان يفعل ذلك مراراً كثيرة ، فأخبر هارون عن تلك الأكمة أخبره رجل من بني أسد عن آبائه أن فيها قبر أمير المؤمنين (ع) فبنى عليه قبة ، ولعل ذلك بعد اندراسه من العمارة الأولى لهجرانه خوفاً من الأعداء . يقول الصادق (ع) من ترك زيارة أمير المؤمنين خوفاً من أحد لم ينظر الله إليه ، ألا تزورون من تزوره الملائكة .

ولله در من قال من الرجى :

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| قد قلت للبرق الذي شق الدجا | فكان زنجياً هناك يجذع |
| يا برق إن جئت الغري فقل له | أتراك تعلم من بأرضك مودع |
| فيك ابن عمران الكلیم وبعده | عيسى يقفيه وأحمد يتبع |
| بل فيك نور الله جل جلاله | لذوي البصائر يستشف ويلمع |
| فيك الإمام المرتضى فيك الوصي | المجتبى فيك البطين الأنزع |
| هذا ضمير العالم الموجود من | عدم وسر وجوده المستودع |
| هذي الإمامة لا يقوم بحملها | حلقاء هابطة وأطلس أرفع |

تأبى الجبال الشم عن تقليدها وتضج تيهاء وتشفق برقع
هذا هو النور الذي عذباته كانت بغرة آدم تتطلع
ما العالم العلوي إلا تربة كانت لجثته الشريفة موضع

وروي أن محمد بن الحنفية بكى حتى أنحل جسمه وتغير لونه ، وكان يسمى سادس البكائين . قيل دخل يوماً دمشق ، فسمع رجلاً يقول : هذا ابن أبي تراب ، فأسند ظهره إلى جدار محراب جامع دمشق ، ثم قال : اخسئوا ذرية النفاق ، وحشوة النيران ، وحطب جهنم ، عن البدر الزاهر ، والنجم الثاقب ، واللسان النافذ ، وشهاب المؤمنين ، والصراط المستقيم ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولاً﴾^(١) أتدرون أي عقبة تقتحمون ؟ أخور رسول الله تستهدفون ؟ ويعسوب الدين تلمزون ؟ فبأي سبيل رشاد بعد ذلك تسلكون ؟ وأي حرف بعد ذلك تدفعون ؟ هيهات برز الله بالسيف ، وفاز بالخضل ، واستولى على الغاية ، وأحرز الحظ ، وانحسرت دونه الأبصار ، وانقطعت دونه الرقاب ، وقرع الذرورة العلياء ، وكسرت والله من الأمة التبعة ، وفات الطلب ، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ، اقلوا عليهم لا أبالكم من اللوم ، وسدوا المكان الذي أبي يسد ثلثة أخيه رسول الله إن سفعوا وشقيق لنبه إذ حصلوا ، وبدين هارون من موسى إذ مثلوا ، وذو قربي كبيرها إذ امتحنوا ، ومصلى القبلتين إذ انحرفوا ، والشهود له بالإيمان إذ كفروا ، والمدعو للخير إذ نكلوا ، والمندوب لعهد المشركين إذ نكثوا ، والخليفة على المهاجرين إذ جزعوا ، والمستودع للأسرار ساعة الوداع إذ حجبوا .

هذي المكارم لا تعبان من لبن شييا بماء فعادا بعد أبوالا
وانى يبعد من كل علا وسنى ، فبأي آلاء أمير المؤمنين تختبرون ؟ وعن

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٧ .

أمر من حديثه تأثرون ، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وفي هذا القدر كفاية إن شاء الله تعالى للمنصف ، وغاية كمد للمتعسف ، وغرض المحزون لبث الشجون ، وإذراف المدامع من العيون على ما صدر بأمر المؤمنين (ع) من الكفرة الملاعين والمنافقين ، تشتت من البال وتعاقب المحن والأشجان والبلبال ، وتراكم سحائب الهموم ، وتفاقم المصائب والغموم ، ملتسماً منكم أيها الاخوان والجماعات من المؤمنين والمؤمنات الابتهاال إلى الله تعالى العالم بالخفيات ، والتضرع إليه بكشف ما منيت به من البليات ، وأن يفرج عني وعن المؤمنين والمؤمنات ما حظيت من الكربات ، وأن يكف بمنه عني بأس الباغين ، والعفو عما أجرئته في كل حين ، وأن يحشرنا وإياكم مع الأئمة في زمرةهم ، وأن يثبينا على محبتهم ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وفاةُ الأئمِّ
الحسن بن عليِّ
"عليهما السلام"

تأليف

المصموم الشيخ علي بن محمد آل سيف الزطبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ كل شيء ووارثه ، وخالق العالم ماضيه وحادثه ، والصلاة والسلام على محمد معدن الرسالة ، وفلك الفضل والجلالة ، وعلى آله خير البرية ، المبتهلين في أموالهم وأنفسهم ، ولن تبعد من الحق بلية ، صلاة دائمة بدوام الدهور والأيام .

وبعد فأني إن شاء الله تعالى مورد في هذه الأوراق نبذة يسيرة مما يتعلق بالأخبار التي وردت في أمر الحسن (ع) مما يتعلق بحال خلافته ، وصلحة لمعاوية ، وما يتعلق بوفاته وبعض أحواله المناسبة لذلك ، طلباً للشواهد الجزيل ، من الإله الجليل ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

روي أن أمير المؤمنين (ع) لما ضرب ليلة تسعة عشر من شهر رمضان ، وقد كانت وصيته تقدمت لابنه الحسن (ع) وجعله إماماً بعده ، ونصبه علماً للناس بعده ، فمما أوصى به للحسن (ع) ما روي عن الحسن ، قال : لما حضرت أبي الوفاة أقبل يوصي ، فقال : هذا ما أوصى به عليّ بن أبي طالب أخو محمد رسول الله . أول وصيتي أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وخيرته ، اختاره لعلمه ، وارتضاه لبريته ، وإن الله باعث من في القبور ، ثم إنني أوصيك يا حسن وكفى بك وصياً بما أوصاني به النبيّ ، فإذا

كان ذلك يا بني ، فالزم بيتك ، وابك على خطيئتك ، ولا تكن الدنيا أكبر همك ، وأوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها ، والزكاة في أهلها عند محلها ، والصمت عند الشبهة ، والإقتصاد والعدل في الغضب والرضى ، وحسن الجوار ، وإكرام الضيف ، ورحمة المجهود وأهل البلاء ، وصلة الرحم ، وحب المساكين ومجالستهم ، والتواضع ، فإنه من أفضل العبادات ، وقصر الأمل ، وذكر الموت ، والزهد في الدنيا فإنك ، رهين موت ، وغرض بلاء ، وطريح سقم ، وأوصيك بخشية الله في سررك وعلايتك ، وأنهاك عن التسرع بالقول والفعل ، فإذا عرض عليك شيء من أمر الدنيا فابدأ به ، وإذا عرض عليك شيء من أمر الآخرة فتأني حتى تصيب رشدك ، وإياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء ، فإن قرين السوء يعير جليسه ، وكن يا بني لله عاملاً ، وعن الخنا زاجراً ، وبالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً ، وأخي الإخوان في الله وحب الصالح لصاحبه ، ودار الفاسق في دينك ، وابغضه بقلبك ، وزايله بأعمالك ، لئلا تكون مثله ، وإياك والجلوس في الطرقات ، ودع المماراة ، ومجاراة من لا عقل له ولا علم ، واقصد يا بني في معيشتك ، واقصد في عبادتك ، وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه ، والنزم الصمت تسلم ، وقد لنفسك تغنم ، وتعلم الخير تعلم ، وكن لله ذاكراً على كل حال ، وارحم من أهلك الصغير ، ووقر الكبير ، ولا تأكل طعاماً حتى تتصدق منه قبل أكله ، وعليك بالصوم فإنه زكاة البدن ، وجنة لأهله من النار ، وجاهد نفسك ، واحذر جلسك ، واجتنب عدوك ، وعليك بمجالس الذكر ، وأكثر من الدعاء ، فإنني لم ألك نصحاً ، وهذا فراق بيني وبينك .

وأوصيك بأخيك محمد ، فإنه ابن أبيك وتعلم حبي له ، وأما أخوك الحسين (ع) فلا أزيدك الوصاة به ، والله خليفتي عليكم ، وإياه أسأل أن يصلحكم ويكف الطغاة البغاة عنكم ، والصبر الصبر حتى ينزل الأمر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة وأمرهم باتباع أخويهم الحسن والحسين (ع) ، وأن لا يخالفوا له أمراً ، وقال : عليكم بتقوى الله ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ، فاني سمعت أبا القاسم يقول : إن إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام . انظروا إلى ذوي أرحامكم يهون الله عليكم الحساب ، والله الله في جيرانكم ، فإنها وصية نبيكم ، ما زال يوصيني بهم حتى ظننت أنه سيورثهم ، الله الله في القرآن ، فلا يسبقكم بالعمل به غيركم ، الله الله في الصلاة ، فإنها عمود دينكم ، الله الله في بيت ربكم ، لا تخلوا منه ما بقيتم ، فإنه ان يترك لم تناظروا ، الله الله في صيام شهر رمضان ، فإن صيامه جنة لأهله من النار ، الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم ، الله الله في الزكاة ، فإنها تطفىء غضب الرب ، الله الله في ذرية نبيكم ، فلا يظلموا بين أظهركم ، الله الله في الفقراء والمساكين ، فاشركوهم في معاشكم ، الله الله في ما ملكت أيما نكم ، ولا تخافن في الله لومة لائم ، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيتولى الأمر شراركم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم . وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم والتدابير والتقاطع والتفرق ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾^(١) . حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم ، استودعكم الله واقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

ثم التفت إلى الحسن والحسين (ع) وقال : أوصيكمما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء منها ذوى عنكما ، وقولا الحق واعملا به ، وارحما اليتيم والضائع ، واصنعوا للأخرة ، وكونوا للظالم خصماً ، وللمظلوم ناصراً ، واعملا بما في الكتاب ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٢ .

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية وقال له : هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ قال : نعم ، [قال] : اني أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقيع أخويك لعظم حقهما عليك ، ولا توثق أمراً دونهما . ثم قال (ع) أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما يحبه ، ثم قال للحسن (ع) : أمرني رسول الله (ص) أن أوصي إليك وأدفع إليك كتيبي وسلاحي ، كما أوصى إلي ودفع كتبه وسلاحه ، وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها لأخيك الحسين (ع) . ثم أقبل على الحسين (ع) وقال له : أمرك رسول الله (ص) أن تدفعها إلى ابنك هذا ، ثم أومى بيده إلى علي بن الحسين (ع) وقال له : أمرك رسول الله (ص) أن تدفعها إلى ابنك محمد وأقرأه مني ومن رسول الله السلام ، ثم استودعكم الله وهو خليفتي عليكم ، ولم يزل ينطق بلا إله إلا الله حتى قبض صلوات الله وسلامه عليه ، فقام الحسن والحسين (ع) في جهازه ، وغسله الحسن (ع) وكفنه في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، وكبر عليه سبع تكبيرات ، وحمل إلى ظهر الغري ، ودفن هناك صلوات الله عليه .

صلى الإله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقروناً

ثم رجع الحسن والحسين (ع) وأخوتهما من دفنه ، وقعد في بيته ولم يخرج ذلك اليوم ، ثم خرج عبدالله بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس ، فقال : إن أمير المؤمنين (ع) قد توفي وانتقل إلى جوار الله وقد ترك بعده خلفاً ، فإن أحببتم خرج إليكم وإن كرهتم فلا أحد ، على أحد فبكي الناس وضجوا بالبكاء والنحيب ، فقالوا : بل يخرج إلينا ، فخرج إليهم الحسن وعليه ثياب سود وهو يبكي لفقد أبيه ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبيّ صلى عليه ، ثم قال :

أيها الناس اتقوا الله فانا أمراءكم وساداتكم وأهل البيت الذين قال الله

فيهم : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(١) أيها الناس لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يلحقه الآخرون ، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيفديه بنفسه ، ولقد كان يوجهه برايته فيكفنه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ، ولقد توفي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم ، والتي توفي فيها يوشع بن نون ، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة دينار فضلت من عطاياه ، أراد أن يتناع بها خادماً لأهله .

ثم خنقته العبرة وبكى وبكى الناس معه ، ثم قال :

أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي ابن عم محمد رسول الله ، أنا ابن البشير النذير ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير ، أنا من أهل البيت الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ والذي افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول : ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً﴾^(٢) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

فلما انتهى إلى هذا الموضع قام عبدالله بن العباس بين يديه وقال :

أيها الناس هذا الحسن بن علي بن أبي طالب ابن إمامكم وابن بنت نبيكم فبايعوه .

فاستجابوا لبيعته وقالوا : ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة علينا . فبايعه الناس ، ونزل عن المنبر وجلس مجلس أبيه أمير المؤمنين (ع) ، وذلك في يوم الجمعة يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، فأنت إليه حيازة الوالدية ، ولقد كانت أتت أباه علياً (ع) في رجة المسجد وقالت : يا

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٣ .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٢٣ .

أمير المؤمنين ما دلالة الإمامة رحمك الله ؟ فقال : آتيني بتلك الحصاة ، وأشار بيده إلى حصاة هناك ، قالت : فأتيت بها ، فطبع فيها بخاتمه وقال : يا حبابة إن ادعى مدع للخلافة بعدي وقد رأن يفعل كما فعلت فاعلمي أنه محق مفترض الطاعة ، والإمام بعدي لا يعزب عنه شيء يريد ، قالت : فانصرفت ، فلما قبض أمير المؤمنين (ع) أتيت إلى الحسن (ع) وهو جالس في مجلس أبيه والناس حوله يسألونه ، فلما رآني قال لي : يا حبابة قلت : نعم يا مولاي قال : هاتي ما معك فأعطيته الحصاة ، فطبع فيها بخاتمه كما طبع أمير المؤمنين ، قالت : ثم أتيت الحسين وهو في مسجد النبي ، فقرب ورحب وقال لي : أتريدين دلالة الإمامة ؟ فقلت : نعم يا سيدي ، فقال : هاتي ما معك ، فناولته الحصاة فطبع فيها كما طبع أبوه وأخوه ، ثم قالت : أتيت علي بن الحسين بعد قتل أبيه وقد بلغ بي الكبر وأنا أعد مائة وثلاثة عشر سنة ، فرأيت ساجداً وراكعاً مشغولاً بالعبادة ، فأيست من الدلالة ، فأومى إلي بالسبابة فعاد إلي شبابي ، فقلت يا سيدي كم مضى من الدنيا وكم بقي ، فقال : يا حبابة أما ما مضى فنعم ، وأما ما بقي فلا ، ثم قال : هاتي ما معك فأعطيته الحصاة ، فطبع فيها ، ثم أتيت أبا جعفر محمد الباقر فطبع فيها ، ثم أتيت أبا عبد الله الصادق ، فطبع فيها ، ثم أتيت أبا الحسن موسى بن جعفر فطبع فيها ، وعاشت حبابة بعد ذلك تسعة أشهر ثم توفيت رحمة الله عليها ، وأوصت أن تدفن معها تلك الحصاة ، فدفنت معها .

ثم ان الحسن أمر الأمراء ورتب العمال وولى عبد الله بن العباس البصرة ، وكتب إلى سائر العمال بالمبايعة له ، فبايعه سائر العمال الذين كانوا تحت إمرة أمير المؤمنين ، وهي الحجاز والعراق وفارس واليمن ، وكتب إلى معاوية بن أبي سفيان كتاباً يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله الحسن بن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان . أما بعد فإن الله بعث محمداً رحمة للعالمين ، فأظهر به

الحق ، وقمع به الشرك ، وأعز به العرب ، وشرف به قريش خاصة ، فقال ﴿وإنه لذكر لك ولقومك فسوف تسألون﴾^(١) ، فلما توفاه الله تعالى تنازعت العرب الأمر بعده ، فقالت قريش : نحن عشيرته وأوليائه فلا تنازعونا سلطاننا ، فعرفت لها العرب ذلك وجاحدتنا قريش ما عرفته لنا العرب ، فها هنا ما أنصفتنا قريش ، فمضوا على ما مضوا عليه ، ولا غرو إلا منازعتك إيانا هذا الأمر بغير حق في الدنيا معروف ، ولا أتر في الإسلام محمود ، فله الموعود نسأل أن لا يؤتينا في هذه الدنيا شيئاً ينقصنا عنده في الآخرة . إن علينا لما توفاه الله تعالى ولأنني الأمر بعده ، فاتق الله يا معاوية ، وانظر لأمة محمد ما تحقن به دماءها وتصلح به أمرها ، وبايع كما بايع أولو الفضل والدين والسلام .

ويعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التيمي تيم الرباب ، وجندب الأسدي ، فقدموا على معاوية ودفعوا له كتاب الحسن (ع) ، ودعوا إلى البيعة فلم يجبهما ، وأظهر الشماتة بموت أمير المؤمنين (ع) ، وكتب إلى الحسن كتاباً فيه رد جوابه :

أما بعد فقد فهمت ما ذكرت به رسول الله وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله ، وذكرت تنازع المسلمين الأمر بعده بتهمة أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وصلحاء المهاجرين ، فكرهت لك ذلك ، إن الأمة لما تنازعت الأمر بعد نبينا رأت قريشاً أحقها به ، فرأت قريش والأنصار وذو الفضل من المسلمين أن يولوا من قريش أعلمها وأخشأها له وأقواها على الأمر ، فاختاروا أبا بكر ، ولم يألوا ولو علموا مكان أبي بكر رجل غير أبي بكر يقوم مقامه ما عدلوا بالأمر إلى أبي بكر ، والحال الآن بيني وبينك على ما كانوا عليه ، فلو علمت أنك أضبط لأمر الرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ، وأكيد للعدو ، وأقوى على جمع الفيء مني ، سلمت إليك الأمر بعد أبيك [الذي] سعى على عثمان

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٤٤ .

حتى قتل مظلوماً ، فطالبه الله بدمه ، ومن يطلبه الله فلا يفوته ، ثم ابتز الأمة أمرها وخالف جماعتها فخالفه نظراؤه من أهل السابقة والجهاد والقدم في الإسلام ، فادعى أنهم نكثوا بيعته ، فقاتلهم حتى سفكت الدماء واستحلت الحرم ، أقبل علينا لا يدعي علينا بيعة ، ولكنه يريد أن يملكنا اغتراراً ، فحاربنا وحاربناه ، ثم صارت الحرب إلى أن اختار رجلاً واختارنا رجلاً ليحكمنا بما يصلح عليه الأمر وتقوم به الجماعة والألفة ، وأخذنا عليهما ميثاقاً وعليه وعلينا مثله على الرضى بما يحكما ، فأمضى الحكمان عليه الحكم بما علمت وخلعاه ، فوالله ما رضى بالحكم ولا صبر له ، فكيف تدعوني لأمر إنما تطلبه بحق أبيك وقد خرج منه ، فانظر لنفسك ودينك والسلام .

وقال للحارث وجندب ارجعا ، فليس بيني وبينه إلا السيف .

فرجعا للحسن ودفعا إليه الكتاب وأخبراه بما قال معاوية ، وما أضمره من الشماتة بموت أمير المؤمنين (ع) ، فكتب إليه الحسن كتاباً يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسن بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك ، فإني أحمد الله تعالى إليك الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن الله جل جلاله بعث محمداً رحمة للعالمين ، وكافة إلى الخلق أجمعين ، لينذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين ، فبلغ رسالات الله ، وأقام بأمر الله ، حتى توفاه الله غير مقصر ولا وإن ، بعد أن أظهر الله به الحق ، وقمع به الشرك ، فلما توفي تنازعت العرب سلطانه فادعت قريش سلطانه ، فسلمت لهم العرب ذلك ، وجاحدتنا قريش حقوقنا ، واستولوا على ظلمنا ، ولنا الحجة الظاهرة عليهم ، والسلطان المبين ، فالموعود الله وهو نعم المولى ونعم النصير ، ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان نبينا ، وإن كانوا ذوي سابقة في الإسلام ، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يبيد ، وأن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغمراً يثلبونه بنا ، ويكون بذلك لهم سبباً إلى ما أرادوا من إفساده ، فالיום فليتعجب المتعجب من

توثبك علي يا معاوية على أمر لست من أهله ، لا بفعل في الدين معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب وأعداء قريش لرسول الله ولكتابه ، والله تعالى حسبيك ، فسترد وتعلم لمن عقبى الدار ، وبالله لتلقين ربك عن قليل ثم ليجزينك بما قدمت يداك ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾^(١) ، إن علياً لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ويوم يبعث حياً ولاني أمر المسلمين من بعده ، فأسال الله أن لا يؤتينا في هذه الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا عنده في الآخرة مما عنده من كرامته ، وإنما حملني إلى الكتاب إليك الأعذار فيما بيني وبينك وبين الله تعالى في أمرك ، ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين ، فدع التمادي في الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس ممن تبغني ، فإنك تعلم أنني أحق بهذا الأمر منك عند الله وكل أواب حفيظ ومن له قلب منيب ، ودع البغي واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالك خير في أن تلقى الله بدمائهم أكثر مما تلاقيه به ، وادخل في الإسلام والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق به منك ، ليظفيء الله النائرة بذلك ، ويجمع الكلمة ، ويصلح ذات البين ؛ وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيك سرت إليك بالمسلمين ، وحاكمتك حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ، وبلغني أنك شمت بما لم يشمت به ذووا الحجى ، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول :

فإننا ومن قد مات منا لكالذي يروح فيمسي في المبيت ليغتدي
فقل للذي يبغى خلاف الذي مضى تجهز لاخرى مثلها فكان قد

ثم أرسل الكتاب إليه مع جنذب الأزدي ، فقدم به على معاوية ، فقرأه وكتب جوابه :

أما بعد فقد وصل كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، ولقد علمت بما حدث ، فلم أفرح ولم آيس ، وإن علياً أباك لكما قال أعشى بن تغلبة :

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤٦ .

فأنت الجواد وأنت الذي إذا ما القلوب ملأن الصدورا
جدير بطعنة يوملقى يضرجن منها النساء النحورا
وما من بد من خليج البحار فيعلو الأكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده فيعطي الألوف ويوفي النذورا

قال جندب لما أتيت الحسن بكتاب معاوية ، قلت له ما أرى الرجل إلا سائراً إليك فابدأه بالمسير حتى تقاتله في أرضه وبلده ، فأما أن تقول إنه ينقاد لك لا والله حتى يرى منا يوماً أعظم من يوم صفين ، فقال : أفعل إن شاء الله تعالى ، ثم أن معاوية دس رجلاً من حمير إلى الكوفة ، ورجلاً من القين إلى البصرة ليكتبا له بالأخبار ويفسدا على الحسن ، فعرف ذلك الحسن ، فأمر باستخراج الحميري من عند حجام بالكوفة فأخرج وأمر بضرب عنقه ، وكتب إلى البصرة كتاباً إلى عبد الله ابن العباس ، وكان عامله عليها ، وأمره باستخراج الرجل القيني وقتله ، فاستخرجه عبد الله بن العباس من بني سليم وقتله ، وكتب الحسن إلى معاوية :

أما بعد فإنك دسست الرجال للاحتيال والاعتتيال ، وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء وما أوشك ذلك ، فتوقعه إن شاء الله تعالى ، وبلغني أنك شمت بما لم يشمت به ذووا الحجى إلى آخر الكلام المتقدم ذكره .

وكتب عبد الله بن العباس : أما بعد ، ودسك أخا بني القين تلتمس من غفلات قريش مثل ما ظفرت به من يمانيتك لكما ، قال أمية بن أبي الصلت :

لعمرك إني والخزاعي طارقاً كنعجة غاز حثفها بتحفر
أثارت عليها شفرة بكراعها فظلت به من آخر الليل يتحر
شمت بقوم من صديقك أهلكوا أصابهم يوم من الدهر أصفر

فأجابه معاوية بما لا حاجة إلى ذكره .

ثم إن معاوية كتب إلى عماله من جميع النواحي : من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين ، سلام عليكم ، فإنني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو . أما بعد ، فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم ، وقتل خليفتمكم ، إن الله بلطفه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فاغتاله وترك أصحابه متفرقين مختلفين ، فجاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرتهم ، فاقبلوا إلى حين يأتيكم كتابي بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم ، فقد أصبتم بحمد الله وبلغتم الأمل ، وأهلك الله أهل البغي والعدوان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ثم كتب إلى زياد وكان عامل علي (ع) بفارس ، فضبطها ضبطاً حسناً ، فلما قتل علي بقي زياد في عمله ، فأقره الحسن على فارس ، فخاف منه معاوية ، فكتب إليه :

من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عبيد ، أما بعد ، فإنك عبد كفرت النعمة ، ولقد كان الشكر أولى بك من الكفر ، وظننت أنه لا ينالك سلطاني ، هيهات ما كل ذي لب يصيب رشده ، بالأمس عبد واليوم أمير ، حطة ما ارتقاها مثلك يابن سمية ، فإذا أتاك كتابي فخذ لي البيعة علي [من] معك وأسرع الإجابة ، فإنك إن تفعل فدمك حققت ونفسك تداركت ، وإلا اختطفتك بأهون سعي ، ورددتك إلى حيث كنت والسلام . فلما وصل الكتاب إلى زياد اغتأظ غيظاً شديداً وجمع الناس فصعد المنبر وقال :

عجباً لابن آكلة الأكباد ، يتهددني ويبيني وبينه ابن بنت رسول الله في مائة ألف من المهاجرين والأنصار ، والله لو أذن لي فيه لرأيت الكواكب نهراً ، ولأوسعته ماء الخردل ، اليوم الكلام والجمع غداً .

ثم كتب لمعاوية : أما بعد فقد وصل كتابك وفهمت ما فيه ، فرأيتك

كالغريق يغطشه الموج ، فيتعلق بأرجل الضفادع ، فاجتهد جهدك ، فلست أنزل إلا على حيث تكره ، ولا اجتهد إلا في ما يسؤك ، وستعلم أيننا الخاضع لصاحبه الطالب إليه والسلام .

فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمه وأحزنه ، وبعث إلى المغيرة بن شعبة وخلا به ، وقال له : يا مغيرة إن زياد قد أقام لنا بفارس يكش لنا كشيخ الأفاعي ، وهو رجل ثاقب الرأي ماضي العزيمة ، وقد كنت أخشى منه إذا كان صاحبه وأخشى مما لاته حسناً ، فما الحيلة في إصلاح رأيه ؟ ، فقال المغيرة : إن زياد يحب الشرف والذكر وصعود المنابر ، فلو لاطفت له المسألة وألفت له القول لكان أميل إليك ، فاكتب إليه كتاباً وأنا الرسول ، فكتب :

من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان ، أما بعد ، فإنك قطعت رحمك ، ووصلت عدوك ، وحملك سوء ظنك بي على أن قسطت رحمي ، ووصلت خصمي ، وعققت قرابتي ، حتى كأنك لست أخي ، وليس صخر بن حرب أبك وأبي ، وقد رأيت أن أعطف عليك ولا أؤاخذك بسوء فعلك ، واعلم أنك لو خضت البحر في طاعة بني هاشم ما ازددت منهم إلا بعداً ، فإن بني عبد شمس أبغض إلى بني هاشم من الشفرة إلى الثور الصريع ، فارجع إلى أصلك واتصل بقومك ، فقد أصبحت ضال النسب ، فإن أحببت إجابتي فثق بقولي ، وإن كرهت إجابتي ففعل جميل لا إلي ولا علي والسلام .

فرحل المغيرة بالكتاب حتى دخل على زياد ، فدفع إليه الكتاب ، فجعل يتأمله ويضحك فلما فرغ من قراءته قال : حسبك يا مغيرة أني أطلعك على ما في ضميري ، إني صاحب رؤية في نفسي ، فلا تعجل علي ولا تبدأني بشيء حتى أبدأك به ، ثم غلبت عليه الشقاوة وحب الجاه والرئاسة ، فصعد المنبر بعد ثلاثة أيام ، ثم قال :

أيها الناس ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم ، وارغبوا في دوام العافية لكم ،

فقد نظرت في أمور المسلمين ، فوجدت أحمد العاقبتين العافية ، وساء فعل في أموركم ما تحمدون عاقبته .

ثم نزل عن المنبر ، وكتب إلى معاوية كتاباً : أما بعد ، فقد وصل كتابك وفهمت ما فيه ، والحمد لله الذي عرفك الحق وردك إلى الصلة ، ولكنك إن كنت كتبت عقداً صحيحاً ونية حسنة ، لا غدر ولا مكيدة ، فازرع في قلبي مودة وقبولاً . فأعطاه معاوية جميع ما سأله ، وكتب إليه جميع ما وثق به ، واستخلفه مراغماً لرسول الله حيث قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، فنكت زياد بيعة الحسن ، وأطاع معاوية بن أبي سفيان ، ثم اجتمعت العساكر إلى معاوية من كل جانب ومكان ، فتكاملت عنده ستون ألفاً ، فسار بهم إلى العراق ، واستخلف الضحاك بن قيس الفهري على الشام ، والحسن مقيم بالكوفة لم يشخص ، فكتب له عبد الله ابن العباس من البصرة :

أما بعد فإن المسلمين ولو كأمورهم بعد علي ، فشمروا للحرب ، وجاهد عدوك ، وقارب أصحابك ، واشتر من الضنين دينه بما لم يثلم لك ديناً ، وفضل أهل البوينات والشرف تصطلح به عشائريهم ، حتى يكون الناس جماعة ، فإن بعض ما تكره الناس إذا كانت عواقبه تؤدي إلى ظهور الحق ، وعز الدين خير مما تحبه الناس ، إذا كانت عواقبه تؤدي إلى ظهور الجور ، وذل المؤمنين ، وعز الفاجرين ، واقتد بما جاء عن أئمة العدل ، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الخداع إلا في الحرب ، فإن الحرب خدعة ، ولك في ذلك سعة إن كنت مجتمعاً على الحرب ما لم تبطل حقاً ، واعلم أن عليك رغب الناس إلى معاوية ، لأنه واسى بينهم في الفياء ، وساوى بينهم في القسمة والعطاء فنفل عليهم ، واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الإسلام حتى ظهر أمر الله ، فلما وحد الرب ومحق الشرك وعز الدين أظهروا الأيمان ، وقرؤوا القرآن مستهزئين بآياته ، وقاموا إلى الصلاة كسالى ، وأدوا الفرائض وهم كارهون ، فلما رأوا أنه لا يعز في الدين إلا الأتقياء الأبرار ، توسموا بسماء

الصالحين الأخيار، ليظن المسلمون بهم خيراً ، فما زالوا بذلك حتى أشركوهم في أماناتهم ، فجاهدهم ولا ترض دنية ولا خسفاً ، فإن علياً لم يجب إلى الحكومة حتى غلب أمره فأجاب ، وإنهم يعلمون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل ، فلما حكم بالهوى رجع إلى ما كان عليه حتى أتاه أجله ، فجاهد أعداء الله ورسوله حتى يحول الموت دونك والسلام .

فلما وصل كتاب ابن عباس للحسن وقرأه ، قال : لقد نصح ابن عباس فيما يراه ، ولكن هيهات أن أخالف سنة سنّها رسول الله وأمير المؤمنين بعدهما طلباً لالتماس دنيا ، فإن في الحق سعة عن الباطل ، ثم أن الحسن لما بلغه توجه معاوية إلى العراق وأنه قد بلغ جسر منبج ، تحرك وبعث حجر بن عدي ، فأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير ، ونادى مناديه الصلاة جامعة ، فأقبل الناس يجتمعون من كل جانب ومكان ، وقال الحسن : إذا اجتمعت جملة الناس فاعلمني ، فجاء سعيد بن قيس الهمداني وقيل له : أخرج ، فخرج الحسن فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه ، ثم قال :

أما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً ، وقال لأهل الجهاد من المؤمنين ﴿اصبروا فإن الله مع الصابرين﴾^(١) فلستم تنالون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ، وقد بلغني أن معاوية رأس المنافقين وابن عدو الله ورسوله بلغه أنا أزعنا على المسير فتحرك لذلك ، وأنه بلغ جسر منبج ، فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة ، حتى ننظر ونرى وترون .

قال وانه في كلامه ليتخوف خذلان الناس عنه لما يعلم ما في قلوبهم من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى ، قال : فسكتوا ، فما تكلم أحد منهم ولا أجابوه بحرف واحد ، فلما رأى ذلك عدي بن حاتم الطائي قام وقال : أنا ابن حاتم يا سبحان الله ما أقبح هذا المقام ، ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم ، أين

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٤٦ .

خطباء ربيعة ومضر الذين ألسنتهم كالمخاريق ، فإذا جد الجد فيراوغون كالثعالب ؟ أما تخافون مقت الله ؟ أما تخشون عيبتها ولا عارها ؟ ثم استقبل الحسن بوجهه وقال : أصاب الله بك المرشد ، وجنبك المكاره ، ووفقك لما تحب وترضى ، يا بن رسول الله قد سمعنا مقاتلك إلى أمرك ، وسمعنا لك فيما قلت وما رأيت ، فهذا وجهي إلى معسكري ولا أراجع إلى منزلي ، فمن أحب أن يواتيني فليواف معي .

ثم مضى لوجهه وخرج من المسجد ودابته بالباب ، فركبها ومضى إلى النخيلة ، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه من الزاد ، وبفرسه وبلامه حربيه ، فألحقه غلامه بذلك ، فكان عدي بن حاتم أول الناس معسكراً ، وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ومغفل بن قيس الرياحي ، وزياد بن خصفة التيمي ، فأنبأ القوم ولا موهم على الثاقل ، وحرصوهم على الخروج إلى الجهاد ، وكلموا الحسن بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول ، وقال لهم الحسن : صدقتم ، ما زلت أعرفكم بحسن النية ، والوفاء ، والقبول ، والنصية ، والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيراً ، ثم نزل وأمر إخوته بالتجهز فتهيؤا ، وخرج الناس إلى معسكرهم ، ونشطوا بعد تكاسلهم ، وخرج الحسن والحسين وإخوته إلى المعسكر ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأمره أن يحث الناس على الخروج . فجعل المغيرة يحثهم ويخرجهم حتى تكامل العسكر ، وكان غالب من معه من أخلاط الناس بعضهم خوارج محكمة يؤثرون معاوية على كل حال ، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم ، وبعضهم شكاك ، وبعضهم عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين ، وليس معه من شيعة أبيه إلا فرقة قليلة ، بعض من الأنصار وبعض من همدان وإخوته وأهل بيته .

فسار الحسن في عسكر عظيم وعدة حسنة ، حتى نزل دير عبد الرحمن ، فأقام فيه ثلاثة أيام ، حتى اجتمع الناس ، ثم دعى عبيد الله بن العباس ، فقال

له : يا ابن العم إني أبعث معك إثنا عشر ألفاً من فرسان العرب وقراء المصر ، كل رجل منهم يرد الكتيبة ، فسر بهم وألن لهم جانبك ، وابسط لهم وجهك ، وافرش لهم جناحك ، وادنهم من مجلسك ، فإنهم بقية ثقة أمير المؤمنين ، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفلوجة ، ثم تصير بمسكن ، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية ، فإن أنت لقيته فاحبسّه حتى آتيك ، فإنني على أترك وشيك ، وليكن خبرك عندي كل يوم ، وشاور هذين في أمورك كلها ، يعني قيس بن عباد وسعد بن قيس الهمداني ، فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك ، فإن فعل فقاتله ، فإن أصبت فقيس بن سعد على الناس ، وإن أصيب قيس بن سعد فسعد بن قيس على الناس ، فسار عبيد الله بن العباس بالجيش حتى أتوا شينور ، حتى خرج إلى شاهي ، ثم لزم الفرات والفلوجة حتى اتى إلى مسكن ، وأخذ الحسن في مسيره ببقية من الناس على حَمَام عمر ، حتى أتى دير كعب ، ثم ديار بكر ، فنزل ساباط دون القنطرة ، ولما وصل إلى الحبونية قرية من قرى مسكن بجيشه ، حتى نزل بأزاء معاوية ، فلما كان من الغد توجه بخيله إليهم ، فخرج إليهم عبيد الله بن العباس بمن معه ، فضربهم حتى ردهم إلى مصافهم ؛ فلما عرف معاوية أن لا مطمع له في التوجه إلى العراق وهم من دونه ، أرسل إلى عبيد الله بن العباس ، فقال له : إن الحسن قد أرسلني في الصلح وهو مسلم الأمر إلي ، فإن دخلت الآن في طاعتي أعطيك ألف ألف دينار اعجل لك نصفها الآن ، والنصف الآخر إذا دخلت الكوفة ، أو الشام ، فأقبل عبيد الله بن العباس ليلاً ، فدخل في عسكر معاوية ، فوفى له معاوية بما وعده ، وأعطاه الدراهم التي ضمنها ، وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله ليصلي بهم صلاة الصبح فلم يخرج ، حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه ، فصلى بهم قيس بن سعد بن عباد ، ثم فتشوا عن خبر عبيد الله فوجدوه قد لحق بمعاوية ، فكتب قيس بن سعد إلى الحسن يخبره بخبر عبيد الله وما فعل من لحوقه لمعاوية ، وقام قيس بن سعد خطيباً فيهم فثبطهم ، ثم ذكر عبيد الله بن العباس فنال منه ، وقال :

ألا تعجبون من ابن عم رسول الله كيف اتبع هواه وغرته دنياه ، فترك بيعة الحسن ابن بنت رسول الله وخير الخلق بعدهم ، ودخل في حزب هذا الطاغية المنافق ، أيها الناس لا يحملنكم ما فعل على الشك في الحق والوقوع في الباطل ، فإن الدنيا لها طالب ، والأخرى لها طالب ، فنسأل الله تعالى بمنه أن يجعلنا وإياكم من الطالبين لما عند الله من الكرامة ، والأخرة خير وأبقى .

ثم أمرهم بالصبر والنهوض على العدو ، فأجابوه بالطاعة ، وقالوا له : انهض بنا إلى عدونا على اسم الله تعالى ، فنزل ونهض بهم ، فخرج لهم بسر بن أرطاة ، فصاحوا : يا أهل العراق ويحكم هذا أميركم عندنا ، وإمامكم الحسن قد دخل في طاعتنا فعلاّم تقتلون أنفسكم ، فقال قيس بن سعد لأصحابه اختاروا إحدى اثنتين إما أن تقاتلوا بلا إمام وإما أن تبايعوا بيعة ضلال ، فخرجوا وضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم .

فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويعدده ويمنيه ، فكتب إليه قيس والله لا تلقاني أبداً إلا بيني وبينك الرمح والسيف ، فكتب إليه معاوية لما يش منه :

أما بعد فإنك يهودي ابن يهودي تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك ، فإن ظهر أحب الفريقين إليك نبذك وعزلك ، وإن ظهر أبغضهم إليك نكل بك وقتلك ، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه ، ورمي غير غرضه ، فأكثر الحز وأخطأ المفصل ، فقتله قومه ، وأدركه يومه فمات بحوران طريداً غريباً والسلام .

فكتب إليه قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه :

أما بعد ، فإنك وثن ابن وثن ، دخلت في الإسلام كرهاً ، فأقمت فيه فرقاً ، وخرجت منه طوعاً ، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً ، لم يقدم إسلامك ، ولم يحدث نفاقك ، ولم تزل حرباً لله ولرسوله ، وحزباً من أحزاب المشركين ، وعدواً لله ولنبيه والمؤمنين من عباده ، وذكرت أبي ، فلعمري ما أوتر إلا قوسه ،

ولا رمى إلا غرضه ، فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه ، وزعمت أني يهودي ابن يهودي ، وعلمت وعلم الناس أني وأبي أعداء الدين الذي دخلت فيه ، وأنصار الدين الذي خرجت منه وصرنا إليه والسلام .

فلما قرأه معاوية أعاظه وأراد إجابته ، فقال عمرو بن العاص : مهلاً فإنك إن كتبتَه أجابك بأشد من هذا ، وإن تركته دخل في ما يدخل فيه الناس ، فأمسك عنه ، ثم كتب معاوية إلى الحسن (ع) كتباً متعددة يطلب منه الصلح وأن يجعل الأمر له ، وشرط له شروطاً كثيرة ، ثم أرسل إليه كتب الأشراف من أهل الكوفة ورؤساء القبائل يعدونه بالنصر والغدر بالحسن وتسليمه وأهل بيته إلى معاوية .

ودس معاوية إلى عمرو بن حريث ، والأشعث بن قيس ، وإلى حجر بن الحر ، وشبث بن ربعي دسيساً ، وأفرد كل واحد بعين من عيونهم ، إنك إن قتلت الحسن بن علي بن أبي طالب فلك مائة ألف درهم ، وجند من أجناد الشام ، وبنت من بناتي ، فبلغ الحسن ذلك ، فاستلام ولبس درعاً وكفرها ، وكان يحترز ولا يتقدم بهم في الصلاة إلا كذلك ، فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من الدرع المستور ، ثم قدم إلى الحسن خبير عامله زياد ، أنه استماله معاوية ، واستخلص بيعته وبيعة فارس ، فعلم الحسن (ع) أن أصحابه خذلوه وكبرها مقامه فيهم ، فقام خطيباً صبح ليلة نزوله ساباط ، ليمتحن أصحابه ويختبر أحوالهم وطاعتهم ، ليميز أوليائه من أعدائه ، ويكون على بصيرة من أصحابه في لقاء معاوية ، فأمر أن ينادى الصلاة جامعة فاجتمعوا ، فصعد المنبر ، فخاطبهم وقال :

الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ، واثمنه على الوحي ، أما بعد ، فوالله إنني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أنصح خلق الله لخلقهم ، وما أصبحت حاملاً على أمرى ضغينة ، ولا مريداً

له بسوء ولا غائلة ، وإنما تكروهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة ،
ولإني ناظر لكم خير من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا علي أمري ، ولا تردوا
علي رأبي ، غفر الله لكم وأرشدني وإياكم لما فيه من المحبة والرضى .

قال : وكان غالب من معه من جنده محكمة وأصحاب فتن ، فنظر الناس
بعضهم إلى بعض وقالوا : ما ترونه يريد بما قال ؟ قالوا : نظن أنه يريد أن
يصالح معاوية ويسلم إليه الأمر ، فقالوا : كفر والله الرجل ، فشدوا على
فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن
عبد الله بن جعال الأزدي فانتزع مطرفه عن عاتقه ، فبقي واقفاً متقلداً سيفاً بغير
رداء ، ثم دعى بفرسه فركبه ، وأحدق به أخوته وخاصته وشيعته ، ومنعوا عنه
من أراده ، ودعى من معه ربيعة وهمدان فطافوا به ومنعوه ، فسار ومعه شوب من
شيعته ، فلما مر في مكان مظلم بساباط ، بدر إليه رجل من بني أسد اسمه
الجراح بن سنان لعنه الله ، فأخذ بلجام فرسه وبيده مغول ، فقال : الله أكبر
أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل ، فطعنه في فخذه فشقه حتى بلغ
العظم ، فاعتنقه الحسن وخرا جميعاً إلى الأرض ، فأكب عليه رجل من شيعة
الحسن يقال له زيد بن حفصة التيمي فرضخ رأسه بحجر ، وخضضه عمارة
ابن ظبيان^(١) بخنجر فمات الجراح من ساعته لا رحمه الله تعالى ، وقتل شخص
ملعون كان يساعده ، وحمل الحسن على سريره إلى المدائن ، فبقي في
المدائن أياماً كثيرة لمعالجة جرحه .

وأرسل إلى طبيب نصراني يعالجه ، فلما برىء جرحه ، أخرج كيساً فيه
خمسائة دينار وصبها بين يديه وقال له : يا أخا النصاري خذها ونحن نعتذر
إليك لأننا على طريق وقد نهب أعداء الله فسطاطنا ، فضحك النصراني وقال
له : يا ابن رسول الله أتدري منذ كم أتوقع قدومكم ؟ منذ فتح سعد بن أبي

(١) في رواية أخرى ظبيان بن عمارة .

وقاص المدائن وأخذت العرب الجزائر ، وقع في يدي كتاباً بالسريانية من بعض كتب تلامذة المسيح ، وفيه لولده : أن العام الفلاني يأتي بلدكم هذه أبناء رسول الله المبعوث في آخر الزمان ، وبالأكبر منهم جراحة ، وهو مطلوب من الأعداء فإذا لقيته يا بني فاقرأه مني السلام وقل لهما لا ينسياني من الشفاعة عند الله تعالى وعند جدهما رسول الله يوم القيامة ، فما برحت أحسب الليالي والأيام حتى كانت ساعتى تلك ، فقلت : إن كان الكتاب صادقاً الساعة يشرف ابنا رسول الله ، فما أتممت كلامي إلا والمختار يدعوني ويقول لي : يقول لك عمي إنه قد نزل بنا أبناء رسول الله وبالأكبر منهما جراحة ، فقلت : الله أكبر هذا هو الحق ، فكل ما أعطيتني يا مولاي هدية مني إليك فاقبلها مني بحق جدك رسول الله ، وإنكم أولياء الله وخلفائه ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً رسول الله وأنتم خلفاؤه في أرضه ، فلا تنساني من الشفاعة ، فقبلها الحسن وقال أنت شمعون المدعو ببطرس الأكبر ، رزقك الله عشرين ولداً ذكراً . قال : نعم ، قال : ثم دخلت عليه أم كلثوم فرأته مريضاً ، فبكت وقالت : يا اخي بأبي أنت وأمي أخبرني ما أنت عازم عليه ، وقد علمت أهل الكوفة وغدرهم ومكرهم وخذلانهم لك ، فقال (ع) : أسير إلى الحجاز وفارس واليمن واستمد بالعساكر ، فقالت : أما فارس فقد ذهب بها زياد واستخلفها لمعاوية ، وأما الحجاز واليمن فإنهم يرون رأي عثمان ، فإن وفوا لك بلسانهم فهم أغدر بقلوبهم ، فأدركته رقة فبكى ، فسمع الحسين وأخوه محمد بن الحنفية بكاه فأتياه حافين متقلدين بسيوفهما ، فقال له الحسين (ع) : مالك تبكي لا أبكي الله لك عيناً أتبكي من غدر أهل الكوفة بك ؟ والله إنهم أهل غدر ونفاق ، ثم قال : يا قنبر علي بسيفي ودرعي ، فوحق تربة جدي وأبي لئن أمرتني لا شربت بارد الماء ، ولا توسدت وساداً حتى أفني أهل الكوفة ، أو ألاقى حمامي ذون ذلك ، فما على المرء المسلم من غضاضة إذا قتل في سبيل الله . ثم قال له محمد بن الحنفية بمثل ذلك فتجلى عنه بعض ما يجده ، وقال : إن الله أمراً هو بالغه ربنا يفعل ما يشاء ويريد ، ربنا تبارك وتعالى كل يوم

هو في شأن .

ولما وصل خبر طعن الحسن ونهبه إلى معاوية سر سروراً عظيماً ، وأشاع ذلك في عسكره وعسكر قيس الذي هم لمرابطته ليزعزع قلوبهم ويرهبهم ، وجعل أصحاب الحسن الذين مع قيس يتسللون إلى معاوية ، فكتب قيس بذلك للحسن ، فخطب الناس ووبخهم وقال : خالفتم أبي حتى حكم وهو كاره ، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم فأبيتهم ، حتى صار إلى كرامة الله عز وجل ، ثم بايعتموني على أن تسالموا من سالمتم وتحاربوا من حاربتم ، وقد بلغني خبر وهو أن أهل الشرف منكم أتوا معاوية فبايعوه ، فحسبي منكم لا تغروني في ديني ونفسي .

وأما قيس فلم يلتفت إلى كلام معاوية وقال : لا أفارق هذا المكان حتى يأذن لي الحسن بالانصراف ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : ألا إن أردت منهم الصلح وتسليم الأمر فاطلب منه ذلك ، لأنني أرى أنهم قد اختلفت كلمتهم وذهبت نارهم ، فكتب معاوية إلى الحسن كتاباً يقول فيه :

أما بعد ، فإن الله يفعل في عباده ما يشاء ﴿ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ﴾^(١) ، وإنني أرى لك يا حسن أن تدخل في طاعتي ولك الأمر من بعدي ، ولك في بيت مال العراق من مال بالغ ما بلغ تحمله إلى حيث شئت ، ولك خراج أي كور أردت في العراق معونة لك على نفقتك يجيها أمينك ويحملها إليك في كل سنة ، ولك أن تستولي بالأشياء ، ولا تقضى دونك الأمور ، ولا تعصى في أمر أردت ، أعاننا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب ، واحذر يا حسن أن تكون منيتك على أيدي رعاي الناس ، فأبوك من قبلك الأسد الباسل ، وقد أفسدوا عليه أمره ، فأيس من أن يجد فينا عزة ، وإن أنت أعرضت عما أنت عليه وبايعتني ، وفيت لك بما وعدت ، وأجريت لك ما

(١) سورة الرعد ، الآية : ٤١ .

اشترطت ، وأكون في ذلك كما قال قيس بن تغلبة :
وإن أحد أسدى إليك أمانة فإوف بها تدعى إذا مت وإيما
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفه إن كان في المال فإيما
ثم الخلافة لك من بعدي فأنت أولى الناس بها والسلام .

وأرسل له الكتاب مع رجلين من بني عبد شمس أحدهما عبد الرحمن بن
سمرة ، والآخر عبد الله بن عامر ، فقدما على الحسن (ع) ، وعرضا عليه
الكتاب ، ورغباه في الأمر ، وهونا عليه الخطب ، فلما رأى الحسن خذلان
أصحابه وتفرقهم عنه واستحلالهم دمه ونهبهم فسطاطه وماله ، وكتاباتهم
لمعاوية في استحاثهم في المسير إلى الكوفة ليسلموا له الحسن وإخوته ، ورأى
أنه لم يبق معه إلا فرقة قليلة من أهل بيته وخاصته وشيعته وشيعة أبيه ، لا
يقومون بقتال أهل الشام والعراق ، أشفق على نفسه وعياله وشيعته ، فأذعن
لصلح معاوية وتسليم الأمر إليه ، وأشراط على الرجلين شروطاً كثيرة ، وأرسل
معهما عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وكانت أمه هند بنت أبي
سفيان أخت معاوية [وكان] يستوثق منه ، فقدما على معاوية فرضي بذلك كله ،
وقال للرجلين المذكورين : اذهبا واضمنا له بكل ما شرط واعطياه عني العهود
والمواثيق ، وكتب الحسن (ع) بيده كتاب الصلح :

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن معاوية بن أبي
سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين ، على أن يعمل فيهم
بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين الصالحين ، وليس لمعاوية بن
أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده ، بل يكون الأمر بعده شورى بين
المسلمين ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا في أرض الله في شامهم ،
وعراقهم ، ويمنهم ، وحجازهم ، وعلى أن لا يتعرض لسب علي ، ولا لأحد
من أشياعه وأتباعه ، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم
وأموالهم ، ونساءهم ، وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله

وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بما أعطاه الله من نفسه بالوفاء ، وعلى أن لا يبتغي للحسن ، ولا لأخيه الحسين ، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة سراً ولا جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق ، شهد الله عليه وكفى بالله شهيداً ، ويشهد به فلان وفلان والسلام .

وسمى معاوية ذلك العام عام الجماعة ، لاجتماع الناس عليه ، ثم دفع الكتاب إلى رسولي معاوية فسار به ، ثم أراد معاوية التوجه إلى العراق فمنعه قيس بن سعد أشد المنع ، وقال : لا أدعك تسير حتى تأتيني من الحسن كتاباً يدل على خروجي عنك ، فكتب معاوية إلى الحسن كتاباً يقول فيه : لقد أديت الأمانة وبذلت النصيحة ، فجزاك الله خيراً ، فإذا قدم عليك كتابي هذا ، فانت بعسكرك إلى الكوفة ، فإني سائر لها والسلام .

ثم سار الحسن (ع) من المدائن مع شيعته الذين بقوا معه ودخل الكوفة ، ورجع قيس بن سعد بن عباد إلى الكوفة وعسكره ، ثم أتى معاوية بعسكره إلى الكوفة وضرب فسطاطه بالنخيلة قبل دخوله الكوفة ، فخرج أشراف أهل الكوفة وأمرؤها يتلقونه ، فقام خطيباً فيهم وخطب خطبة طويلة لم ينقلها الرواة تامة ، وجاءت مقطعة ، ولندكر ما انتهى إلينا منها . قال الشعبي أن معاوية قال في خطبته بالنخيلة :

أيها الناس ما اختلف أمر أمة بعد نبيها إلا وظهر أهل باطلها على أهل حقها . ثم انتبه وندم وقال : إلا هذه الأمة فإنها وإنها ، ثم قال ألا وإن كل شيء أعطيته الحسن ، وكل شرط شرطته له فهو تحت قدمي لا أفي له منه بشيء ، ثم قال : يا أهل الكوفة والله ما قاتلتكم ، لا لتصلوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتزكوا ، ولا لتحجوا ، وإنكم لتفعلون ذلك ، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ، فأعطاني الله ذلك وأنتم كارهون .

قال وكان عبد الله بن شريك إذا حدث بذلك يقول : هذا والله هو التهتك

في الدين ، قال : ثم أن معاوية قوض من النخيلة ودخل الكوفة ودخل الجامع ، فأذن للناس بالحضور ، فاجتمع الناس ، فصعد المنبر وخطب خطبة طويلة أكثر فيها من الافتخار والتكبر ، ثم قال للحسن : قم يا حسن واصعد المنبر وأخبر الناس بما جرى بيني وبينك من الصلح ، فقام الحسن (ع) وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبي صلى عليه ، ثم قال :

إن أكيس الكيس التقي ، وإن أحمق الحمق الفجور ، وإنكم لو طلبتم ما بين جابلقا إلى جابرصا رجلاً جده رسول الله لم تجدوا غيري وغير أخي الحسين ، وقد علمتم أن الله تعالى هداكم بجدي رسول الله ، وأنقذكم من الضلالة ، ورفعكم من الجهالة ، وأعزكم بعد الذلة ، وكثركم بعد القلة ، وأن معاوية نازعني حقاً هولي دونه ، فنظرت إصلاح الأمة وقطع الفتنة ، وإن كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمتم وتحاربوا من حاربتم ، فرأيت أن أصالحو معاوية وأضع الحرب بيني وبينه ، ورأيت أن أحقن الدماء خيراً من سفكها ، ولم أرد بذلك إلا إصلاحكم ﴿ وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ﴾^(١) .

ثم نزل عن المنبر وحضر يوماً المسجد وفيه معاوية وعمرو بن العاص وجماعة من بني أمية ، فقال عمرو بن العاص لمعاوية : لو أمرت الحسن يخطب على المنبر بمجمع من الناس ، فربما يحصل له حصر فيكون أنقص لحظه بين الناس ، فقال : نعم ، فقال معاوية : قم يا حسن واخطب الناس ، فامتنع الحسن ، فناشده الله ، فقام الحسن ، فصعد المنبر ، ثم قال :

الحمد لله الذي علا في توحده ، وتفرد في ربوبيته ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، والحمد لله الذي أكرم بنا موضعكم ، وأخرج من الشرك أولكم ، وحقق دماء آخركم ، فبلاؤنا عندكم قديماً ، وحديثنا أحسن حديثاً ، إن شكرتم أو كفرتم . ثم قال : أيها الناس إن رب علي كان أعلم بعلي

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ١١١ .

حين قبضه إليه ، لقد اختصه الله بفضل لم تعدوا بمثله ولم تجدوا مثل سابقته ، فهيهات هيهات ، طالما قلبتم له الأمر حتى أعلاه الله عليكم ، وهو صاحبكم في بدر وأخواتها ، جرعكم رتقاً ، وسقاكم علقاً ، وأذل رقابكم ، وأشرقكم بريقتكم ، فلستم بملومين على بغضه ، وأيم الله لا ترى أمة محمد خفضاً ما دامت ساداتهم وقادتهم بني أمية ، ولقد وجه الله إليكم فتنة لم تصدروا عنها حتى تهلکوا ، لطاعتكم طواغيتكم وانضوائكم ، فعند الله احتسب ما مضى وما ينتظر من حسن رعيتكم وحنف حكمكم .

ثم قال : يا أهل الكوفة ، فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله صائب على أعداء الله ، نکال على فجار قريش ، لم يزل آخذاً بحناجرها ، جائماً على أنفاسها ، ليس بالملومة في أمر الله ، ولا بالسروقة في مال الله ، ولا بالفروقة في حرب أعداء الله ، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه ، دعاه فأجابته ، وقاده فاتبعه ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، صلوات الله عليه ورحمته يوم قبض ويوم يبعث حياً .

فأراد معاوية أن يخجله ويقطع عليه كلامه ، فقال : يا حسن حدثنا بنعت الرطب كيف يكون ، فقال :

نعم يا معاوية إن الرطب أولاً تلتفحه الشمال ، وتخرجه الجنوب ، وتنضجه الشمس ، ويصبغه القمر ، وتنفحه الريح ، والليل يبرده ، والبرودة تحليه وتطيبه ، ثم استمر في كلامه وقال : أيها الناس أنا ابن مروة والصفاء ، أنا ابن محمد المصطفى ، أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن من على الجبال الرواسي علا ، أنا ابن من كسى محاسن وجهه الحيا ، أنا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء ، أنا ابن عديمت العيوب ، أنا ابن نقيات الجيوب ، أنا ابن أزكى الورى طراً ، وكفاني بهذا فخراً .

ثم أن معاوية أمر المؤذن أن يؤذن ويقطع عليه كلامه ، فلما قال المؤذن

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال الحسن : يا معاوية محمد أبي أم أبوك ، فإن قلت إنه ليس بأبي فقد كفرت ، وإن قلت أنه أبي فقد أقررت بحقنا ، وأنت تخصصنا ما هولنا ولا ترد علينا حقنا ؟ فقال له معاوية : يا حسن أنا خير منك ، فقال (ع) : ولم ذلك ؟ فقال : إن الناس أجمعوا علي ولم يجمعوا عليك ، فقال (ع) : هيهات هيهات ، إن هذا لشر علوت به يابن هند ، ألم تعلم أن المجمعين عليك رجلا ن مطيع ومكروه ، فالطائع لك عاص الله ، والمكروه معذور عند الله ، وحاشا الله أن أقول أنا خير منك ، لأنك لا خير فيك ، وإن الله تعالى قد برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل ، فهل لك أب كأبي تبايعني به ، أو لك قديم كقديمي تساميني به ، فهل تقول نعم يا معاوية ، أو تقول لا ؟ فقال : بل أقول نعم وهي لك تصديق ، فتعجب الحاضرون من ذلك ومن كلام الحسن ، وأدركت معاوية الندامة وقال : أصاب مثبتت أو كاد ، وأخطأ عجل أو كاد ، ماذا أردت من خطبة الحسن ، ثم أن معاوية صعد المنبر فخطب خطبة طويلة وذكر علياً ونال منه ، فقام له الحسين ويده في قائم سيفه ، فأخذ الحسن بيده وقال :

أيها الذاكر علياً أنا الحسن وأبي علي ، وأنت معاوية وأبوك صخر ، وأمي فاطمة وأمك هند ، وجدتي رسول الله وجدك عتبة ، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة ، فلعن الله أحملا ذكراً والأمنا حسباً وأشرفاً ، قديماً وحديثاً ، وأقدمنا كفراً ونفاقاً . فقالت طوائف من أهل المسجد : آمين .

قال الفضل بن الحسن البصري راوي هذا الحديث : آمين ، وقال يحيى بن معين : آمين ، وأنا أقول : آمين ، وقال علي بن الحسين الأصبهاني : آمين ، وقال عبد الحميد بن أبي الحديد : آمين ، قلت ويقول مؤلف هذا الكتاب : آمين ، ورحم الله عبداً قال : آمين .

ثم خرج الحسن وأخوه الحسين من المسجد ، فدخل عليه وجوه الشيعة وأكابر أصحاب أمير المؤمنين يلومونه على الصلح ويكون إليه جزءاً مما فعله ،

فروي أنه دخل عليه سفيان بن أبي الليل النهدي ، قال سفيان : فأتيت إليه وعنده رهط من شيعته وهو جالس بفناء داره ، فقلت له : السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال : وعليك السلام يا سفيان انزل ، فنزلت وعقلت راحلتي ، ثم أتيت وجلست إلى جانبه ، فقال لي ؛ كيف قلت يا سفيان ؟ قال : قلت السلام عليك يا مذل المؤمنين ، فقال : ما جرى هذا منك إلينا ؟ قلت : أنت والله بأبي وامي أذلت رقابنا حيث أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلمت له الأمر ومعك مائة الف كلهم يموتون دونك ، فقد جمع الله عليك أمر الناس ، فقال لي : يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به ، وإنني سمعت علياً يقول : لن تنقضي الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرة ، ضخم البلعوم ، يأكل ولا يشبع ، لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ولا في الأرض ناصر ، وإنه لمعاوية ، وقد عرفت أن الله بالغ أمره ، ثم أمر المؤذن أن يؤذن ، فقمنا على حالب يحلب ناقة ، فتناول الحسن الإناء وشرب قائماً . ثم سقاني ، وخرج وخرجنا إلى المسجد ، فقال : ما جاء بك يا سفيان ؟ قلت : حبكم والذي بعث محمد بالحق نبياً بالهدى ودين الحق ، قال : ابشر يا سفيان ، فإنني سمعت رسول الله يقول : يرد على الحوض أهل بيتي ومن تبعهم من أمتي كهاتين ، أحدهما تفضل على الأخرى ، ابشر يا سفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر ، حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد ، ولما وصل خبر الصلح إلى حنظل بن عدي رضي الله عنه ، اغتم غماً شديداً وأنشأ بهذه الأبيات يقول :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| أتاني فريق العال من آل مسكن | بأن إمام الحق أضحى مسالما |
| فما زلت مدنياً له بكآبة | أراعي نجوماً خاشع الطرف واجما |
| فراجعت نفسي ثم قلت لها اصبري | فإن إمامي كان بالأمر عالماً |
| فبلغه عني أنني كنت شيعة | له وعلى أعدائه كنت ناقما |
| أطاعنهم بالرمح في رهج الوغى | وأعلوا بسيفي هامهم والجماجما |
| ونحن لمن سالمت سلم ومن يكن | عدوك نقرعه العداوة راغما |

قال : ثم أتى الحسن ودخل بيته ودخل معه المسيب بن نجبة وعبيدة بن عمر الكندي ، فقال المسيب بن نجبة للحسن : ما ينقضي عجبني منك ، بايعت معاوية ومعك أربعون ألفاً ، ولم تأخذ لنفسك وثيقة وعهداً ، أعطاك أمراً فيما بينك وبينه . ثم قال : ما سمعت أما والله ما أراد بها غيرك ، فقال الحسن : فما ترى ؟ قال : أن ترجع لما كنت عليه ، فقد نقض ما كان بينك وبينه ، ثم قال : يا مسيب لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر على اللقاء ، ولا أثبت عند الحرب مني ، ولكن أردت إصلاحكم وكف بعضكم عن بعض ، فارضوا بقضاء الله وقدره حتى يستريح بر ويستراح من فاجر ، ودخل عبيدة بن عمر الكندي على الحسن ، وكان قد ضرب على وجهه ضربة وهو مع قيس بن سعد ، فقال له الحسن : ماذا أرى بوجهك ؟ فقال : أصبت مع قيس بن سعد بن عبادة ، فالتفت حجر بن عدي رضي الله عنه إلى الحسن وقال : لوددت أنك مت قبل هذا ولم يكن ما كان ، إننا رجعنا راغمين بما كرهنا ، ورجعوا مسرورين بما أحبوا ، فتغير وجه الحسن (ع) وغمز الحسين (ع) حجراً فسكت حجر . فقال الحسن : يا حجر ليس كل الناس تحب ما تحب ، ولا رأيهم رأيك ، ولا فعلت ما فعلت إلا اتقاء عليك ، والله كل يوم هو في شأن ، يا حجر إن رسول الله (ص) رفع له ملك بني أمية ، فنظر إليهم يعلون منبره واحداً بعد واحد ، فشق عليه ذلك ، فأنزل الله في ذلك قرآناً ، قال :

﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ﴾^(١) .

وسمعت أبي علي بن أبي طالب يقول : سيلي أمر هذه الأمة رجل واسع البلعوم كبير البطن ، فسألته من هو ؟ فقال : معاوية ، وقال : إن القرآن نطق بملك بني أمية ومدتهم قال الله تعالى : ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾^(٢)

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٦٠ .

(٢) سورة القدر ، الآية : ٣ .

ولما وقع الصلح بين الحسن ومعاوية انعزل قيس بن سعد بن عبادة ومن معه ، وكان معه أربعة آلاف فارس ، فأبى أن يبايع ، فألزمه معاوية على البيعة وأكرهه على ذلك ، فجاء قيس بن سعد إلى الحسن وقال له : يا ابن رسول الله أنا في حل من بيعتك ؟ قال : نعم ، فانصرف قيس وبايع ، وكان قيس رجلاً طويلاً إذا ركب الفرس المشرف رجلاه تخطان في الأرض وما في وجهه طاقة شعر ، وكان يسمى خصي الأنصار لقلته شعره ، فلما أرادوا إدخاله على معاوية للبيعة قال : إني حلفت لا ألقاه إلا وبينني وبينه الرمح والسيف ، فأمر معاوية بإحضار رمح وسيف ليبريمينه ، ودخل على معاوية ، فوضع له كرسي وجلس معاوية على سريره والحسن (ع) معه ، فقال له ، أتبايع يا قيس ؟ قال : نعم ، فوضع يده على فخذه ولم يمدّها إلى معاوية ، فأكب معاوية على قيس بن سعد بن عبادة حتى مسح يده على يده ، ولم يرفع قيس إليه يده .

ثم أن الحسن (ع) أقام في الكوفة أياماً ، ثم تجهز للشخوص إلى المدينة فدخل عليه المسيب بن نجية وظبيان بن عمارة لوداعه ، فقال الحسن : الحمد لله الغالب على أمره ، لو اجتمع الخلق جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا ، فقال أخوه الحسين (ع) للمسيب : لقد كنت كارهاً لما كان طيب النفس على سبيل أبي حتى أعزم على أخي فأطعنه ، فكأنما يجذ أنفي بالمواصي ، ولكنه الإمام وتجب علينا طاعته ، قال المسيب : إنه والله ما يكبر علينا هذا الأمر إلا أن تضاموا وتقصوا وأما نحن فإنهم يطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه ، فقال الحسين (ع) : يا مسيب إننا نعلم أنك تحبنا ، فقال الحسن (ع) : سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله يقول : من أحب قوماً كان معهم ، فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع عن المسير فقال : ليس إلى ذلك من سبيل ، فلما كان من الغد خرج (ع) بأهله وإخوته وأولاده وجميع من يليه من أهل بيته ، وخرج سائراً ، فلما صار بدير هند ، نظر إلى الكوفة وقال :

وما عن قلا فارقت دار معاشرى هم المانعوني حوزتي وذماري

ولكنه ما حُم لا بد واقع وما هذه الدنيا بدار قراري

فكأنني بلسان حال تلك المنازل حيث عظم عليها لفراقه الخطب النازل
وساورها الخطب الهائل القيم الدائم ، فاشتمل عليه الغم المتراكم لفراق تلك
الأخلاق المسكية العطرة ، والشمائل الزكية النضرة ، والاستيحاش من الانس
بالتهدد في الأسحار والإشراق بالعلوم ، والاذكار بالليل والنهار ، وفقد أياديهم
المقلدة أعناق الزمان بالفضل والإحسان ، تبيكهم من قلب ذائب بايد ، وطرف
ساجم غير جامد ، وييدي الشكاية والحنين ، ويدعوهم من قلب حزين ، وينشد
ويقول بما قال بعض ذوي العقول :

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| لقد كنت أبكي والديار أنيسة | وما ضغنت للطاعنين قفول |
| فكيف وقد شط المزار وروعت | فريق التداني فرقة ورحيل |
| إذا غبتم عن ربع حلة بابل | فلا سبحت للسحب فيه ذبول |
| ولا هب معتل النسيم ولا سرى | ليل على تلك الربوع لليل |
| وما النفع فيها وهي غير أوائل | ومعهدها ممن عهدت محيل |
| تنكر منها عرفها فاهيلها | غريب وفيها الأجنبي أهيل |
| نقاضى النوى مني فما لظلاله | مقيل ولا مما جناه مقيل |
| فحسبي إن شطت بكم غربة النوى | علاج يحول لا يكاد يحول |
| لعل الصبا إن شطت الدار أو نأى | مثالكم أو عز منك مثيل |
| تمر بنا في الليل وهناً عسى بها | يداوي عليل أو يبيل غليل |
| أروم بمعتل الصبا بروء علتي | وأعجب ما يشفي العليل غليل |
| فليس بمجد فيك وجدي ولا البكا | مفيدي ولا الصبر الجميل جميل |
| فإن خف حزن الشاكلات لسلاة | فحزني على مر الدهور ثقيل |

ثم سار الحسن حتى دخل المدينة ، فأقام بها ملازماً بيته ، كاظماً غيظه ،
مسلماً لله أمره ، ثم توجه إلى بيت الله الحرام ، وساق معه المحامل ، وحج

بيت الله ماشياً لم يركب قط ، وقد فعل ذلك عشرين سنة .

وروى الكليني مرسلأ عن أبي أسامة ، عن أبي عبدالله الصادق (ع) قال : خرج الحسن إلى مكة ، فلما كان في بعض الطريق ورمت قدماه من المشي ، فقال له بعض مواليه : لوركبت يا سيدي لسكن هذا الورم ، قال : كلا إذا أتينا هذا المنزل ، فإنه سيستقبلك غلام معه دهنأ ، فاشتر منه ولا تماكسه ، فقال له مولاه : بأبي أنت وأمي ما قدامنا منزل فيه أحد يبيع هذا الدواء ، قال : بلى فإنه أمامك دون المنزل ، فساروا أميالأ ، فإذا هم بالغلام ، فقال الحسن لمولاه : دونك الرجل خذ منه الدهن وأعطه الثمن ، فقال له الأسود : يا غلام لمن أردت هذا الدهن ؟ فقال : للحسن بن علي ، فقال : انطلق بي إليه ، فانطلق به وأدخله عليه ، فقال : بأبي أنت وأمي لم أعلم أنك محتاج إلى هذا الدهن ولست آخذأ له ثمنأ ، إنما أنا مولاك ، ولكن ادع الله تعالى أن يرزقني ولداً ذكراً يحبكم أهل البيت ، فإني خلفت أهلي تمخض : فقال (ع) : انطلق إلى منزلك فقد وهب الله لك ذكراً سوياً وهو من شيعتنا ، ثم سار (ع) من ذلك المنزل ، وكان معه رجل من ولد الزبير يتوالاه ويقر بإمامته ، فنزلوا منزلاً يتحت نخل يابس ، ففرش للحسن تحت نخلة والزبيري تحت نخلة أخرى ، فقال الزبيري : لو كان في هذه النخلة رطب لأكلنا منه ، فقال الحسن : وإنك لتشتهي الرطب ؟ فقال الزبيري : نعم ، فرفع يده إلى السماء ودعى الله سبحانه وتعالى بكلام لم أفهمه ، فاخضرت النخلة وصارت إلى حالها وحملت رطبأ ، فقال الجمال الذي أكثروا منه : سحر والله ، فقال الحسن : يا ويلك ليس هذا سحر ، ولكنها دعوة ابن بنت نبي مستجابة ، فصعدوا وصرموا ما كان في النخلة وكفاهم وساروا إلى مكة ودخلوها ، وكان معاوية قد أمر على الحاج تلك السنة عمرو بن العاص ، فلقي عمرو بن العاص الحسن في الطواف ، فقال له عمرو : يا حسن زعمت أن الدين لا يقوم إلا بك وبأبيك ، فقد رأيت [كيف] أقامه معاوية ، فجعله راسياً بعد ميله ، وبينأ بعد خفائه ،

أفرضي الله بقتل عثمان ، أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يطوف الجمل بالطحن ، عليك ثياب كغرقى البيض وأبوك قاتل عثمان ، والله إنه لألم للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك . فقال الحسن : إن لأهل النار علامات يعرفون بها ، المحادة لأولياء الله ، والموالة لأعداء الله ، والله إنك لتعلم أن علياً لم يرتاب في الدين ، ولا شك في الله طرفة عين قط ، وأيم الله لتنتهين يا ابن أم عمرو أو لأنفذن في حضينتك بنوافد أشد من القعضية ، فيياك والتهجم علي ، فاني لست ممن عرفت بضعيف الغيرة ولا هش المساسة ولا مري المأكلة ، وإني من قريش كواسطة القلادة ، يعرف حسبي ونسبي ، ولا ادعى لغير أبي ، وأنت ممن تعلم وتعلم الناس ، تحاكت فيك رجال من قريش ، فغلب عليك جزاها ألثمها حسباً وأدناها لوماً ، فيياك عني ، فيياك رجس ونحن أهل بيت الطهارة ، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيراً ، فانصرف عمرو حزيناً كثيباً يرعد خوفاً ، فقال له بعض من كان معه من أصحابه : ما لك يا عمرو رعدت وفحمت ؟ فقال له : ذكرت يا ويلكم بكلامه شجاعة أبيه علي بن أبي طالب ، فلم أملك على نفسي ، فأنشد يقول :

أما حسن يا ابن النبي كان قلبه إذا سار سار الموت حيث يسير
وهل يلد الريبال إلا نظيره إذا حسن شبه له ونظيره
ولكنه لو يوزن الحلم والحجى بأمر لقالوا يذبل وتبير

ثم أن معاوية لا زال بعد الاستقرار بالأمر يتجبر في ملكه ويفتك بشيعة أمير المؤمنين ، ثم انه استلحق بزياد ، وأشاع بإخوته مراغمة لرسول الله ، حيث قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، ثم توصل إلى حجر بن عدي الزاهد العابد ، فقتله رحمة الله عليه مع أصحابه ، لأنه عرض عليه البراءة من علي بن أبي طالب فأبى فقتله .

وروي أن حجراً دخل على علي عند حضور وفاته ، فالتفت إليه أمير المؤمنين ، فقال له : كيف لي بك يا حجر إذا دعيت إلى سيي والبراءة

مني ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ، بل أسمح بنفسي دونك ، فقال له :
وفقت لكل خير يا حجر .

وكان الحسن البصري يقول : أربع خصال في معاوية لو لم تكن فيه إلا
واحدة لكانت عليه موبقة عظيمة : انتزأؤه على هذه الأمة بالسفهاء ، حتى ابتزها
أمرها من غير مشاورة مشير ، ولا طاعة أهل الدين ، وفيهم بقايا الصحابة وأهل
الدين والرأي ، وإعادته زياد وقد قال رسول الله : الولد للفراش وللعاهر
الحجر ، وتوليته ابنه يزيد رقاب المسلمين وهو سكير خمير ، يلبس الحرير ،
ويلعب بالطنابير ، وقتله حجر بن عدي وأصحابه ، ثم ولي العراق زياد وسلطه
على شيعة علي ، فما زال زياد يتتبع شيعة علي قتلاً ونهباً وغيلةً وحبساً وتمثيلاً
بهم بأنواع العذاب ، ثم نادى منادي زياد بالكوفة : إني ممهلكم ثلاثة أيام ، ثم
أعرض عليكم البراءة من علي بن أبي طالب ، فمن أبي ضربت عنقه وقتلت
ذويه وأصحابه وأخذت ماله ، فأصبحت الشيعة بالكوفة تضج من الحزن
والتجأوا إلى الله تعالى ، فابتلى الله زياد بقرحة في حلقه فهلك في اليوم
الثاني ، وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار .

ثم إنه لما تم الأمر لمعاوية عشر سنين ، عزم أن يجعل ابنه يزيد ولي
عهده ، فنظر في نفسه فرأى أن أثقل الناس عليه مؤنة الحسن بن علي وسعد بن
أبي وقاص الزهري . أما الحسن فلن تعدل الناس عنه إلى يزيد ، لانه إبن بنت
رسول الله . وأما سعد فإنه من الصحابة أحد الستة أصحاب الشورى ، فتوصل
إلى هلاكهما بكل وجه حتى يخلوله الأمر عن منازع ينازعه في ذلك ، فأرسل
إلى سعد رجلاً فسد إليه سمأ فمات ، ثم عزم على هلاك الحسن بن علي
فأرسل إلى الأشعث بن قيس وهو قبل ذلك من حزب علي ، فولاه أذربيجان ،
فاقتطع من فيء مال المسلمين مالاً وهرب به إلى معاوية وبقي عنده ، فاستشاره
معاوية في هلاك الحسن ، فقال له : الرأي عندي أن ترسل إلى ابنتي جعدة
فإنها تحت الحسن وتعطيها مالاً جزيلاً ، وتعدّها أن تزوجها من ابنك يزيد ،

وتأمرها أن تسم الحسن . فقال معاوية : نعم الرأي ، وليكن أنت الرسول إليها ، فقال : لا بل يكون الرسول غيري ، لأنني إذا سرت إليها يستوحش الحسن من ذلك ، فربما فات المراد ، فاستدعى معاوية رجلاً من بطانته وخاصته ، ودفع إليه مائة ألف درهم ، وكتب معه كتاباً إلى جعدة بنت الأشعث ، وأوعدها بالعطاء الجزيل ، وأن يزوجه من ابنه يزيد إذا قتلت الحسن . فسار الرجل ونزل في بعض بيوت المدينة ، وأرسل إلى جعدة سراً ، فأنت إليه ، فدفع لها المال والكتاب الذي من عند معاوية ، فسرت الملعونة بذلك سروراً عظيماً ، وكانت على رأي أبيها من بغض علي بن أبي طالب ، وعلمت أن أباه هو الذي أشار على معاوية بذلك ، فما زالت الملعونة تتربص به الغرة وتنتهز فيه الفرصة والغفلة ، حتى كانت ليلة من الليالي قدم إلى منزله ، وكان صائماً في يوم صائف شديد الحر ، فقدمت إليه طعاماً فيه لبن ممزوج بعسل قد ألقته فيه سمّاً ، فلما شربه أحس بالسم ، فالتفت إلى جعدة وقال لها : قتلتني يا عدوة الله قتلك الله ، وأيم الله لا تصيبين مني خلفاً ، ولقد غرّك وسخر بك فالله مخزيه ومخزيك .

ثم أنه (ع) لزم البيت وألزم نفسه الصبر وسلم الله الأمر ، فاشتد الأمر عليه ، فبقي طوال ليلته فأكب عليه ولده عبدالله وقال له : يا أبت هل رأيت شيئاً فقد أغممتنا ؟ فقال : يا بني هي والله نفسي التي لم أصب بمثلها ، ثم قال : افرشوا لي في صحن الدار واخرجوني لعلي أنظر في ملكوت السماوات ، ففرش له في صحن الدار وأخرج فراشه ، فدخل عليه أخوه الحسين فرآه متغيراً وجهه مائلاً بدنه إلى الخضرة ، فقال له الحسين : بأبي أنت وأمي ما بك فقال له : يا أخي صح حديث جدي رسول الله فيّ وفيك ، فقال له : ما حدثك به جدك وماذا سمعت منه ؟ فبكى الحسن ومد يده إلى أخيه الحسين واعتنقا طويلاً وبكيا بكاءً شديداً ، ثم قال : أخبرني رسول الله أنه قال : مررت ليلة المعراج على منازل أهل الإيمان وبروضات الجنان ، فرأيت قصرين عالين متجاورين

على صفة واحدة ، لكن أحدهما من الزبرجد الأخضر ، والثاني من الياقوت الأحمر ، فاستحسنتهما وشاقتني حسنهما ، فقلت : يا أخي جبرائيل لمن هذان القصران ؟ فقال : أحدهما لولدك الحسن ، والآخر لولدك الحسين ، فقلت : يا أخي لم لا يكونان على لون واحد ؟ فسكت جبرائيل ولم يرد جواباً ، فقلت : لم لا تتكلم ؟ فقال : حياء منك يا محمد ، فقلت : بالله عليك إلا ما أخبرتني ، فقال : أما خضرة قصر الحسن ، فإنه يسم ويخضر لونه عند موته ، وأما حمرة قصر الحسين ، فإنه يقتل ويذبح ويخضب شبيه من بدنه ، فعند ذلك بكيا وضج الناس بالبكاء والنحيب .

وحدث عمر بن إسحاق ، قال : دخلت أنا ورجل على الحسن نعوذه ، فقال : يا فلان سلني ؟ فقال : لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله ، ثم نسألك ، ثم انه دخل إلى الخلاء ، ثم خرج إلينا ، فقال : سلني قبل أن لا تسألني ، قال : بل يعافيك الله ، وأسألك ، ثم انه قال : لقد رميت قطعة من كبدي ، واني قد سقيت السم مراراً فلم اسق مثل هذه المرة ، ثم دخلت عليه من الغد وهو يوجد بنفسه والحسين عند رأسه ، فقال : يا أخي من تتهم ؟ فقال : وماذا تريد منه ؟ فقال : لأقتله ، فقال : إن يكن ، الذي أظنه فالله أشد نقمة منك وأشد تنكيلاً ، وإن لم يكن فما أحب أن يؤخذ بي بريء ، ثم أن الحسين بكى لما رأى من حال أخيه ، فقال له الحسن : أتبكي يا أبا عبدالله وأنا الذي يؤتى إلي بالسم فأقضي به ، ولكن لا يوم كيومك ، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدك فيقتلونك ، ويقتلون بنيك وذريتك ، ويسبون حريمك ، ويسرون برأسك هدية إلى أطراف البلاد ، فاصبر يا أبا عبدالله ، فأنت شهيد هذه الأمة ، فعليك بتقوى الله ، والصبر والتسليم لأمره ، والتفويض له ، لتنال الأجر الذي وعدنا به ، فقال له الحسين (ع) ستجدني إن شاء الله صابراً راضياً مسلماً له الأمر ، وأهون علي ما نزل بي أنه بعين الله ، فقال له الحسن : وفقت لكل خير يا أبا عبدالله .

ثم أن الحسن (ع) قام في مرضه أربعين يوماً ، ثم أنه لما تحقق دنو

أجله ، دعى بالحسين ونصبه علماً للناس ، ودفع إليه كتب رسول الله (ص) وسلاحه ، وكتب أمير المؤمنين (ع) وسلاحه ، وأوصاه بجميع ما أوصى به أمير المؤمنين ، ثم قال له : يا أخي إني مفارقتك ولاحق برابي عزّ وجلّ ، وقد سقيت السم ورميت بكبدي في الطشت ، وإني لعارف بمن سقاني السم ومن أين دهيت ، وأنا أخاصمه عند الله ، فبحقي عليك لا تهرق في أمري ملء محجمة دماً ، فإذا قضيت نحبي ، فغمضني ، وغسلني ، وكفني ، واحملي علي سريري إلى قبر جدي رسول الله ، لأجدد به عهداً وميثاقاً ، ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد ، وادفني هناك ، وستعلم يا ابن أمي أن القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند جدي ، فيجدون في منعك ، فبالله أقسم عليك لا تهرق في أمري ملء محجمة دماً .

ثم أوصاه بجميع أهله وأولاده ، وما كان أوصى به أمير المؤمنين حين استخلفه وأهله ، ودل شيعته على إمامته ونصبه لهم علماً من بعده ، ثم التفت إلى أولاده وإخوته وأمرهم باتباع الحسين ، وأن لا يخالفوا له أمراً .

ثم أنه لما حضره الموت وكان الحسين (ع) عنده جعل يجود بنفسه ، فقال له أخوه الحسين يعزيه : يا أخي ما هذا الجزع ؟ إنك ترد على رسول الله وعلى علي وهما أبواك ، وعلى خديجة وفاطمة وهما أماك ، وعلى القاسم والطاهر وهما خالاك ، وعلى حمزة وجعفر وهما عماك ، فقال له الحسن (ع) : إني أدخل في أمر لم أدخل في مثله ، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثلهم قط . فبكى الحسين .

ثم أن الحسن قال أستودعكم الله ، والله خليفتي عليكم ، ثم أنه غمض عينيه ومد يديه ورجليه ، ثم قضى نحبته وهو يحمد الله ويقول : لا إله إلا الله ، فضج الناس ضجةً عظيمةً ، وصار كيوم مات رسول الله ، وخرج أولاده وإخوته يكون وينوجون ، وأمثلة بنو هاشم رجالاً ونساءً يكون عليه ويدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور .

ثم أن الحسين قام في جهاز أخيه الحسن ، وأمر عبدالله بن العباس
وعبدالله بن جعفر أن يناولاه الماء ، فغسله ، وحنطه ، وكفنه ، كما أمره ،
وصلى عليه في جملة أهل بيته وشيعته .

ثم إن والي المدينة سعيد بن العاص أتى وصلّى على الحسن ، وأمر
الناس بالصلاة عليه .

ثم أنهم حملوه على سريره إلى قبر رسول الله ليجدوا عهداً .

ثم أنه أتى مروان بن الحكم وخرج شاكراً في سلاحه ، ومعه بنو أمية
شاكين في السلاح ، وهم لا يشكون أنهم يريدون دفن الحسن عند جده
رسول الله ، فتجمعوا ولبسوا السلاح ، فلما توجه الحسين إلى قبر جده أقبلوا
في جمعهم ، ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول : مالي ولكم يا بني
هاشم ، أتريدون أن تدفنوا في بيتي من لا أحب .

وجعل مروان بن الحكم يقول :

يا رب هيجا هي خير من دعة

أيدفن عثمان في أقصى المدينة ، ويدفن الحسن عند جده رسول الله ؟
والله لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف ، وكادت تقع بينهم فتنة عظيمة بين
بني أمية ، فبادر ابن عباس إلى مروان بن الحكم وقال له : ارجع من حيث
جئت ، فإننا لا نريد دفنه عند رسول الله ، لكن جئنا لنجدد به عهداً وميثاقاً عند
جده ، ثم نرده إلى قبر جدته فاطمة بنت أسد وندفنه هناك لوصية تقدمت منه ،
ولو كان أوصى بدفنه عند جده لعلمت أنك أقصر بآعاً عن ردنا عن ذلك ، ولكنه
أعلم بالله ورسله وبحرمة قبره أن يطرقه هدم كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير
أذنه . ثم أقبل على عائشة وقال لها : واسوأناه لك ، يوماً على جملٍ ويوماً على
بغلٍ ، تريدان أن تطفئي نور الله وتقاتلين مع أعداء الله ، ارجعي فقد كفيتي ما
تخافين وبلغتي ما تحبين ، والله منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين .

ويوم الحسن الهادي على بغلك أسرعت تجملت تبغلت وان عشت تفيلت
وفي بيت رسول الله بالظلم تحكمت لك التسع من الثمن وبالكل تصرفت

وقال : لولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء وأن لا أهرق في أمره ملء
محجمة دماً ، لعلمتم كيف تأخذ السيوف مأخذها منكم ، فلقد نقضتم العهد
الذي بيننا وبينكم ، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا وشيعتنا .

ثم أنهم ألقوا السلاح وساروا بالحسن إلى البقيع ، فجاء مروان بن
الحكم بعد كف الفتنة ودخل تحت سرير الحسن وحمل جنازته ، فقال له
الحسين (ع) : أتحمل اليوم سريره وبالأمس كنت تجرعه الغيظ ؟ فقال مروان :
كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

ثم أنهم أوصلوا الحسن (ع) إلى البقيع ، ونزل الحسين القبر ومعه
عبدالله بن العباس وعبدالله بن جعفر ، وألحده الحسين ودفنه وخرج من قبره
باكياً حزياً ، وهو يقول هذه الأبيات :

يا قبر سيدنا المجن سماحة صلى عليك الله يا قبر
ما ضر قبر أنت ساكنه أن لا يحل بربعه القطر

ورجع الحسين (ع) إلى منزله وجلس في معزى أخيه الحسن (ع) ، وأقبل
الناس من كل جانب ومكان يعزونه ، وبكته نساء أهل بيته ونساء بني هاشم ،
وخرجت أم كلثوم ، وكانت أكبر أخواتها تجر ذيلها متجللةً بطرف رداها ، وهي
تنشد وتقول :

أخي حزني عليك اليوم باق ويومي في التحس مثل أمسي
أخي والله لا أنساك حتى أوسد في الثرى وأحل رمسي
عدمت تصبري فذعنت عني فأصبح ثاكلاً عبري وأمسي
يذكرني طلوع الشمس صنوي وأذكره بكل غروب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
ولا يبكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي

ثم أقبلت زينب بنت علي (ع) وشهقت شهقةً كادت روحها أن تخرج
منها ، وبكت بكاءً شديداً حتى غشي عليها ، فلما أفاقت من غشوتها بكت
وقالت :

أخي إن كنت قد أبكيت عيني فقد أضحككتني زمناً طويلاً
بكيتك في نساء معولات وكنت أحق من يبدي العويلاً
دفعت بك الخطوب وأنت حي فمن ذا يدفع الخطب الجليلاً
إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلاً

وفي رثاء الحسن يقول سليمان بن قبة وكان محباً له :

يا كذب الله من نعى حسناً ليس لتكذيب نعيه ثمن
كنت خليلي وكنت خالصتي لكل حي من أهله سكن
أجول في الدار لا أراك وفي الدار أناس جوارهم غبن
أبدلتهم منك ليت أنهم أضحوا وييني وبينهم عدن

ثم أن محمد بن الحنفية كان غائباً يوم وفاة أخيه الحسن (ع) فقدم في
اليوم الثالث من وفاته ، فسمع بموت أخيه الحسن ، فبكى بكاءً شديداً ، ثم
أتى للحسين (ع) وهو في المعزى ، فلما رأى الحسين لم يتمالك في البكاء
حتى غشى عليه زمناً طويلاً ، فلما أفاق من غشوته قال : بأبي أنت وأمي يا ابن
رسول الله ، لئن سررتني بحياتك فقد أحزنتني بفقدك ، فنعم الكفن كفناً تضمن
جسدك ، ونعم القبر قبراً ضم جسمك ، وكيف لا تكون كذلك وأنت ابن مآوى
التقى ، وخامس أهل العبا ، ابن خير الأوصياء ، وابن سيدة النساء ، محلك من
الشرف وسطاً ، وتقدمت فيه فرطاً ، فلئن كانت نفوساً غير طيبة بفراقك ، فإنها

غير شاكية في الخير لك ، صلوات الله وسلامه عليك يوم تموت ويوم تبعث
حياً .

ثم بكى بكاءً شديداً وأنشأ يقول :

سأبكيك ما دامت عيوني فإن تفض فحسبك مني ما تجن الجوانح
لئن حسنت فيك المراثي ووصفها فقد حسنت من قبل فيك المدائح
كأن لم يمت حي سواك ولم تقم على أحد إلا عليك النوائح
فما أنا من رزه وإن جل جازع ولا بسرور بعد موتك فارح

قال أبو الحسن المدائني : ووصل نعي الحسن من المدينة إلى البصرة
في يومين وليلتين ، فقال الجارود بن أبي سبرة :

إذا كان شراً سار يوماً وليلة وإن كان خيراً جرد السير أربعا
إذا ما بريد الشر أقبل نحونا بإحدى الدواهي الريد سار وأسرعاً

وكان أول من نعى الحسن (ع) بالبصرة عبدالله بن أبي سلمة ، نعاه
لزياد ، فخرج الحكم بن أبي العاص الثقفي فنعاه ، فبكى الناس وأبو بكر
يومئذ مريض ، فسمع الضجة ، فقال : ما هذا ؟ فقالت امرأته منسية بنت سجام
الثقفية : مات الحسن والحمد لله الذي أراح الناس منه ، فقال لها أبو بكر :
اسكتي ويحك فقد أراحه من شر كثير ، وفقد الناس بموته خير كثير . يرحم الله
حسناً .

وفي بعض الأخبار أن عبدالله بن العباس كان يوم موت الحسن (ع)
بدمشق ، فلما وصل نعي الحسن إلى دمشق أقبل معاوية إلى ابن عباس ، فقال
له معاوية : لا يحزنك الله ولا يسؤك ، ثم جرى بينه وبينه كلام أغلظ فيه ابن
عباس لمعاوية ، فقال له : يا معاوية أصبحت سيد قومك ، فقال : أما والحسين
حي فلا ، فكان ابن عباس يقول : إن أول ذل دخل على العرب موت الحسن ،

ويحق لي أن أتمثل بهذه الأبيات :

| | |
|-------------------------|-----------------------|
| يا حي قومي فاندبين | بسحرة شجو النوائح |
| المعولات الخامشات | وجوه حرات صحائح |
| فكان سيل دموعها | الانضاب تخضب بالذبايح |
| يبكين سادات أمجد | كأنهم المصباح |
| شم بطارقة خضار | مة مسامح |
| المشترون الحمد بالأموال | إن الحمد آنح |
| والجامزون بلجمهم | أبدأ إذا ما صاح صايح |
| ذكرتني سبط الرسول | وكان مذرهن المنافح |
| عنا شديديات الأمور | إذا ينوب لهن فادح |
| يا سبط لا والله لا أنسا | ك ما ضر اللقائح |
| لمناخ أضياف وأيتام | وأرملة تلامح |
| ولما ينوب الدهر في | حرب لحرب فهو لافح |
| إن يجنحن إلى العزا قلب | فقلبي غير جانح |
| فلأبكينك دائماً | حتى أوسد في الصفائح |
| إن البكاء هو الشفا | من الجوى بين الجوانح |

وكانت وفاة الحسن (ع) في شهر صفر لليلتين بقيتا منه ، وقيل لليال خلت منه ، سنة خمسين من الهجرة .

وقال الشهيد رحمه الله في الدروس : قبض الحسن عام الخميس سابع شهر صفر .

ومثله قال الكفعمي رحمة الله عليه وهو المشهور في زماننا هذا والمعول عليه .

وفي رواية المدائني أنها في شهر ربيع الأول لليال خلت منه .

وكان عمره يوم مات سبع وأربعين سنة وأشهر ، أقام منها مع جده رسول الله (ص) سبع سنين ، أو ثمان سنين من الهجرة ، وقام بالأمر بعد أبيه علي بن أبي طالب (ع) وله سبع وثلاثون سنة .

وأقام في خلافته ستة أشهر وثلاثة أيام ، وصالح معاوية بن أبي سفيان إحدى وأربعين ، وإنما صالحه وهاونه خيفة على نفسه وأهل بيته وشيعته ، لأن جماعة من رؤساء الصحابة كاتبوا معاوية وضمنوا له تسليم الحسن (ع) ، ولم يكن فيهم من يأمن غائلته ، إلا فرقة قليلة من أهل بيته وشيعته ، لا تقوم بقتال أهل الشام .

وبعث إليه معاوية في الصلح وصالحه على شروط كثيرة منها : أن يترك السب عن علي (ع) ، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لأحد ، فأجابه معاوية إلى ذلك وكتب كتاب الصلح .

ثم خرج الحسن إلى المدينة وأقام بها عشر سنين ، حتى دس إليه معاوية سماً على يد زوجته جعدة بنت الأشعث ، فانتقل إلى رضوان الله تعالى ، فوفى معاوية لها بالمال الذي ضمنه لها وهو مائة ألف درهم ، وطلبت منه أن يزوجه من يزيد فأبى ، وقال : أخاف أن تفعلني بابني كما فعلت بالحسن ، فخلف عليها بعد الحسن رجل من آل طلحة فأولدها ، وكان إذا وقع بينه وبين بطون قريش كلام عيروه وقالوا له : يا ابن مسمة الأزواج ، وابتلاها الله بجنون ونقص في عقلها إلى أن ماتت لا رحمها الله .

ففي نسبه ووصفه (ع)

وأما ذكر نسبه ووصفه فقد قال محمد بن طلحة الشامي : حصل للحسن والحسين ما لم يحصل لغيرهما ، فإنهما سبطا النبي وريحانتاه ، وسيدا شباب أهل الجنة ، فجدهما النبي ، وأبوهما علي ، وأمهما الطهر البتول فاطمة بنت الرسول .

نسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمود

وقال الشيخ علي بن عيسى الأربلي في هذا المقام .

إن نسبه هو النسب الذي تضال عنده الأنساب ، وشرفه الذي سجل بصحته الأثر والكتاب ، فهو وأخوه دوحتا النبوة التي طابت فرعاً وأصلاً ، وشعبتا الفتوة التي سمت رفعةً ونبلاً ، وإنسانا عيني السيادة والفخار ، وسليبي الشرف الذي أظهر الخيلا في مضر ونزار ، وقد اكتنفها العز والشرف ؛ ولأزمهما السؤدد ، فما له عنهما منصرف ، وأحاط بهما المجد من طرفيهما ، وتصورا من الجلاله فكادت تقطر من عطفيهما ، وتكونا من الأريحية فهي تلوح من شمائلهما ، وتبدو كما يبدو النهار على مخائلهما ، بدءا الأمثال والأضراب ، فأين الضريب والممائل ، وترفعا في أوج الفتوة عن العديل والمساجل ، وفاقا في طيب الأعراق ، فطهارة الأخلاق رتبة الأواخر والأوائل ، فعلت سماء

فضلهما عن اللمس ، حتى قيل وأين الثريا من يد المتناول بسبب يتصل من قبل
أمهما بمحمد بلا فصل ، أبيهما علي يجتمع في عبد المطلب ، فاعجب لطيب
فرع وزكي أصل .

أنتم ذووا النسب القصير وطولكم ناد على الكبراء والأشراف
والخمر إن قيل بنت العنب اكتفت بأب عن الألقاب والأوصاف

وأما صفته فانه كان أيضاً مشوباً بحمرة ، دقيق المشربة ، حسن الوجه
والمضحك ، ربع من الرجال إلى الطول أقرب ، كان أشبه برسول الله ما بين
الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه [برسول الله] ما بين الصدر إلى القدمين .

في عدد أولاده (ع)

وأما عدد أولاده فقد قال كمال الدين المفيد رحمه الله خمسة عشر ذكر وأنثى ، زيد بن الحسن وأخته أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشر بنت أبي مسعود بن عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية ، والحسن بن الحسن أمه خولة بنت منظور الفزارية ، وعمرو وأخواه القاسم وعبدالله بن الحسن أمهم أم ولد ، وعبد الرحمن بن الحسن أمه أم ولد ، والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم وأخوه طلحة بن الحسن وأختهما فاطمة بنت الحسن أمهم أم إسحاق بن طلحة بن عبدالله التيمي ، وأم عبدالله وفاطمة الصغرى وأم سلمة ورقية بنات الحسن ، فهن لأمهات شتى .

فأما عبد الرحمن ، فإنه خرج مع عمه الحسين إلى الحج وتوفي بالأبواء وهو محرم ، والحسين بن الحسن المعروف بالأثرم كان له فضل وعبادة ولا بقية له ، وطلحة بن الحسن كان جواداً كثير العطاء والصدقات ، وأما عمرو بن الحسن فكان مع الحسين بكر بلاء واستشهد ، وعبدالله بن الحسن كان مع عمه الحسين وكان صغيراً لم يراهق ابن إحدى عشر سنة ، فلما فني أنصار الحسين (ع) وعزم على لقاء الأعداء بنفسه أتى مودعاً لنسائه ، فسمع عبدالله ، وداع عمه الحسين والوصية به ، فلما خرج الحسين من الخيمة لحقه عبدالله فصاح الحسين بالنساء أمسكنه ، فخرجن النساء ليردونه ، فقال : اتركوني فوالله لا أفارق عمي أو أموت دونه ، فانفلت من أيدي النساء ولحق عمه ، فرأى

عبدالله مرة بن فضيل الأزدي وهو هو إلى الحسين بسيفه ، فنادى يا ابن الزانية أتقتل عمي ؟ فالتفت إليه مرة وضربه بسيفه فاتقاها الغلام بيده فأطنها إلى الساعد ، فصاح عبدالله : يا عماء أدركني ، فحل عليه الحسين كما يحل الصقر على فريسته ، فأتاه وقتل مرة ، ثم وقف (ع) على الغلام وهز يحفص برجليه ، فقال : عزيز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أويجيبك فلا ينفحك ، صوت كثر والله واتره وقل ناصره ، ولكن هون عليّ ما نزل بي أنه بعين الله .

وأما القاسم بن الحسن ، فإنه كان مع عمه الحسين بكر بلاء ، فلما رأى تفاني أصحاب الحسين وأهل بيته ، أتى إلى عمه واستأذنه في البراز ، فلم يأذن له ، فقال له : يا ابن الأخ أنت العلامة من أخي ، وأريد أن تبقى لأتسلى بك ، فلم يأذن له في البراز ، فجلس حزينا كئيباً من حر قلبه ، فذكر أن أباه الحسن قد ربط له عوذة في عضده وقال له : يا ولدي إذا وقع عليك أمر شديد وهم عظيم فعليك بحل العوذة وقراءتها والعمل بما تراه مكتوباً فيها ، فقال القاسم لنفسه إنني مذ كنت إلى الآن لم يصيبني مثل هذا الهم والغم الذي أنا فيه ، فأقبل إلى العوذة وفكها من عضده وقرأها ، وإذا فيها :

يا ولدي يا قاسم أوصيك إذا رأيت عمك الحسين بكر بلاء وقد أحاطت به الأعداء ، فلا تبخل عليه بروحك ، وكلما نهاك عن البراز عاوده لتحظى بالسعادة الأبدية .

فلما وقف القاسم على العوذة أتى إلى عمه الحسين وعرض عليه ما فيها ، فبكى الحسين بكاءً شديداً وتنفس الصعداء وأن كمداً ، فقال له : يا ابن الأخ هذه وصية لك من أبيك وعندني وصية أخرى منه لك ولا بد من إنفاذها .

فجاء الحسين (ع) وأخذ بيد القاسم وأدخله الخيمة وطلب عوناً وعباساً ، وقال لأم القاسم : أليس للقاسم ثياب جدد ؟ قالت : لا ، فقال لأخته زينب :

ناوليني الصندوق الفلاني ، فأتت به ، ففتحه وأخرج منه قباء الحسن وعمامته وألبسهما القاسم ومسك بيد ابنته المسماة للقاسم وعقد له عليها وأفرد له خيمة وخرج عنهما ، فعاد القاسم ينظر إلى ابنة عمه ويكي إلى ان سمع الأعداء ينادون : هل من مبارز ؟ فرمى بيد زوجته وأراد الخروج فجذبت ذيله ومانعته عن الخروج وهي تقول : ما الذي تريده ؟ فقال : أريد ملاقة الأعداء ، فلزمت ذيله ، فقال لها : خلي ذيلي فإن عرسنا أخرناه إلى الآخرة ، فبكت لذلك بكاءً شديداً وانفجع أهل البيت بالبكاء والنحيب ، ثم قالت له : يا قاسم أنت تقول عرسنا أخرناه للآخرة وفي الآخرة بأي شيء أعرفك ، قال : فمسك القاسم يده وضرب بها على رده فقطعها وقال : اعرفيني بهذه الرदन المقطوعة ، قال : فانفجع أهل البيت بالبكاء والنحيب لفعل القاسم وبكوا ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور .

ثم أن القاسم ركب جواده وخرج للبراز ، فلما رآه الحسين قال له : يا ولدي أتمشي برجلك إلى الموت ؟ فقال : نعم يا عم وكيف لا أمشي برجلي إلى الموت وأنت بين الأعداء وحيداً فريداً لم تجد محامياً ولا معيناً ، روحي لروحك الفدا ، ونفسي لنفسك الوقا .

فعند ذلك برز القاسم إلى الميدان ، ولم يزل يجاهد أعداء الله حتى غلب عليه العطش ، فرجع إلى عمه الحسين وقال : العطش العطش يا عماء ، أدركني بشربة من الماء ، فصبره الحسين وقال له : ما أسرع ما تلقي جديك رسول الله فيسقيك شربة لا تظماً بعدها أبداً ، ثم أعطاه خاتمه فمصه ، فصار له ماء منه ، فارتوى وانقلب إلى الميدان ، فلم يزل يقاتل وقد جعل همته على صاحب لواء عمر بن سعد ، فاحتاطوا به من كل جانب ومكان بالنبل ، فضربه شيبة بن سعد الشامي بالرمح في ظهره أخرجه من صدره ، فوقع القاسم يخور في دمه ونادى : يا عماء أدركني ، فجاء إليه الحسين وقتل قاتله وحمله إلى الخيمة ووضعه فيها ، ففتح القاسم عينيه فرأى عمه الحسين قد احتضنه وهو

يبكي ويقول :

قتل الله قاتلك يا بني وأصلاه نار جهنم ، يعز على عمك أن تدعوه وأنت مقتول .

ثم أن الحسين (ع) ألقاه على أهل بيته وبكى أهل البيت وابنة عمه تبكي بكاءً شديداً .

أما الحسن بن الحسن (ع) فإنه كان مع عمه الحسين بكر بلاء ، فجاهد معه جهاد الأسد الباسل ، وبالغ معه على احتمال الخطب النازل ، حتى أثنى بالجراح ، وبقي ملقى لم يكن به حراك إلى أن قتل عمه الحسين ، وأتى أعداء الله للتجهيز على الجرحى ، فوجدوا الحسن بن الحسن ملقى بين القتلى وبه نفس ، فأرادوا أن يجهزوا عليه ، فعرفه أسماء بن خارجة وكان بينه وبينه خولة ، فمنعهم عنه ، وقال : والله لا أدعكم تجهزون على ابن خولة أبداً .

وكانت أم الحسن بن الحسن خولة الفزارية أمها مليكة أخت أسماء بن خارجة ، فقال عمر بن سعد : اتركوه لأبي حسن ابن أخته ، فترك ، فأخذه أسماء بن خارجة وحمله إلى منزله ، فبقي يعالج جراحاته حتى برىء ورجع إلى المدينة .

وكان الحسن بن الحسن جليلاً ، فاضلاً ، ورعاً ، عالماً ، وكان يلي صدقات رسول الله (ص) بإجازة علي بن الحسين زين العابدين (ع) .

وله مع الحجاج خبر رواه الزبير بن بكار ، قال : وكان الحسن بن الحسن والي على صدقات رسول الله في عصره ، فسأير الحجاج يوماً وكان إذ ذاك أمير المدينة ، فقال له الحجاج : ادخل عمر بن علي في صدقات رسول الله ، فإنه عمك وبقيّة أهلك ، فقال الحسن : لا أفعل ولا أغير شرطاً علي ، ولا أدخل فيه من لا يدخله ، فانه جعل الولاية لنسل فاطمة خاصة ، فقال له الحجاج : إذا أنا أدخله ، فقال الحسن بن الحسن : تنكص عنه ، فصبر حتى غفل الحجاج عنه

ثم خرج من وقته ذلك ، وتوجه إلى عبد الملك بن مروان ، حتى قدم عليه في الشام ، فوقف ببابه يطلب الإذن ، فمر به يحيى ابن أم الحكم ، فلما رآه يحيى مال إليه وسلم عليه ، وسأله عن قدومه ، فأخبره وقال : إني سأنفكك عند عبد الملك ، فلما دخل على عبد الملك قال له : لقد أسرع إليك الشيب يا أبا محمد ، فقال يحيى بن أم الحكم ما يمنعه يا أمير شيبه أماني أهل العراق لقدوم الركب عليه يمنونه الخلافة ، فأقبل إليه الحسن بن الحسن وقال له : بشئ الرفد رفدك ، ليس الأمر كما قلت ، ولكننا أهل بيت يسرع إلينا الشيب وعبد الملك يسمع ، فأقبل إليه عبد الملك وقال : هلم لما جئت له ، فأخبره بقول - الحجاج ، فقال : ليس ذلك له ، أكتب إليه كتاباً لا يتجاوز ، فكتب إليه ، ووصل الحسن بصلة فأحسن صلته .

فلما خرج من عنده لحقه يحيى بن أم الحكم ، فعاتبه الحسن بن الحسن (ع) على سوء محضره ، فقال له : هذا الذي وعدتني من رفدك ؟ فقال له يحيى : أيها عليك والله لا يزال يهابك ، ولولا هيبتك ما قضى لك حاجة ، والله ما أراد بذلك رفدك .

وروي أن الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين إحدى ابنتيه ، فقال له الحسين : اختر أيهما شئت ، فاستحى الحسن ولم يرد جواباً ، فقال له الحسين : يا بني إني اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثر شبيهاً بأمي فاطمة بنت محمد ، فزوجه بها ، وقبض الحسن بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة ، ولما مات رحمه الله ضربت فاطمة بنت الحسين فسقاطاً تقرأ عنده القرآن ، وكانت تصوم النهار وتقوم الليل ، وكانت تشبه الحور العين لجمالها .

فلما كان رأس السنة ، قالت لمواليها : إذا أظلم الليل قوضوا هذا الفسقاط ، فلما أظلم الليل سمعت قاتلاً يقول : هل وجدوا من فقدوا ؟ فأجابه آخر : بل يشسوا فانقلبوا ، فمضى الحسن بن الحسن ولم يدع الإمامة ، ولا ادعاها له مدع .

وأما زيد بن الحسن ، فإنه كان مع عمه الحسين بكر بلاء ، وكان صغيراً لم يراهق ولم يقاتل ، وأخذ أسيراً مع الأسارى ، وسير به مع علي بن الحسين وباقي الحرم والأطفال إلى الشام ، وأدخلوا على يزيد في أسوأ حال ومقام .

روي أنه كان ذات يوم جالساً بين يدي يزيد بن معاوية ، وكان ولده خالداً جالساً معه ، فقال يزيد لزيد بن الحسن (ع) أتصارع ابني خالداً؟ فقال : لا ولكن اعطه سكيناً واعطني سكيناً وأقاتله ، فقال يزيد بن معاوية : شنشنة أعرفها من أخزم ، هل تلد الحية إلا حية؟ يريد أن يقتل ابني بمحضري .

ثم أن زيد رجع إلى المدينة مع علي بن الحسين وحرم الحسين وأقام بها ، وكان زيد جليل القدر ، كريم الطبع ، طلق النفس ، كثير البر ، وكان يتولى صدقات رسول الله (ص) ، ومدحه الشعراء وقصده الناس من الآفاق لطلب فضله ، وأسن زيد حتى بلغ تسعين سنة ، وذكر أرباب السير أنه لما ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله في المدينة :

أما بعد إذا جاءك كتابي فاعزل زيد بن الحسن عن صدقات رسول الله وادفعها إلى فلان رجل من قومه ، وأعنه على ما استعانك عليه . فعزله عامل سليمان .

فلما تخلف عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله بالمدينة :

أما بعد فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سنهم ، فإذا جاءك كتابي هذا فارده إلى عمله وأعنه على ما استعانك عليه ، وفي زيد يقول محمد بن بشر الخزرجي هذه الأبيات .

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة نفى جذبها واخضر بالنبت عودها
وزيد ربيع الناس في كل شتوة إذا اختلفت أبراقها ورعودها
حمولا لأشتات الديات كأنه سراج الدجى قد قارنته سعودها

ومات زيد بن الحسن (ع) وله تسعون سنة ، ورثاه جملة من الشعراء
وذكروا مآثره وفضله ، وكان ممن رثاه قدامة بن موسى الجهني حيث يقول :

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| فإن يك زيد غالت الأرض شخصه | فقد بان معروف هناك وجود |
| وإن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى | به وهو محمود الفعال رشيد |
| سريع إلى المعتز يعلم أنه | سيطلب بالمعروف ثم يعود |
| وليس بقوال وقد حظ رحله | لملتمس المعروف أين تريد |
| إذا قصر الوغد الدني بما به | إلى المجد آباء له وجدود |
| مباذيل للمولى محاشيد للقوى | وفي الروع عند النائبات اسود |
| إذا انتحل المجد الطريف نما به | له إرث مجد لا يرام تليد |
| إذا مات منهم سيد قام سيد | كريم يبتني مجدهم ويشيد |

ومات زيد بن الحسن ولم يدع الإمامة ولا ادعاها له مدع .

ففي أزواجه (ع)

وأما أزواج الحسن فقد تزوج نساءً كثيرة جداً .

قال أبو جعفر محمد بن حبيب الكوفي : لقد تزوج الحسن وطلق حتى خفت أن يشب عداوة ، وجلس يوماً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وقال :
أيها الناس إن ابني الحسن مطلق فلا تزوجوه .

فقال بعض : ما يمنعنا من تزويجه وهو ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين ، والله لو أراد كل يوم منا جارية ما عددنا ذلك إلا شرفاً .

فممن تزوج أم إسحاق بن طلحة بن عبد الله التيمي ، فولدت له الحسن بن الحسن (ع) الملقب بالأثرم ، وطلحة وأخته فاطمة ، وتزوج أم بشر بن أبي مسعود الأنصاري ، فولدت له زيد بن الحسن واخته أم الحسن وأم الحسين .

وتزوج امرأة من كلب ، وامرأة من بنات عمرو بن إبراهيم المنقري ، وامرأة من ثقيف ، فولدت له عمر ، وتزوج امرأة من بني علقمة بن زرارة وتزوج امرأة من شيبان بن الهمام ، فقال بعض الناس إنها ترى رأي الخوارج ، فقال (ع) : أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جمر جهنم ، وخطب (ع) من رجل ابنته ، فقال الرجل : إني مزوجك ابنتي وأعلم انك مطلق ، ولكن أنت

خير الناس نسباً وأرفعهم جداً وأباً .

وتزوج هند بنت سهيل بن عمر وكانت عند عبدالله بن عامر بن كريز فطلقها ، فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها إلى يزيد ابنه فلقبه الحسن وقال له : ما عندك ؟ فأخبره فقال (ع) له : اذكرني لها ، فأتاها أبو هريرة وأخبرها بالخبر ، فقالت : إني أختار الحسن بن علي ، فتزوجت الحسن ، فقدم عبدالله بن عامر زوجها الأول إلى المدينة ، فقال للحسن : ان لي عند هند وديعة ، فدخل إليها والحسن معه ، فخرجت حتى جلست بين يدي عبدالله بن عامر ، فرق لها رقة عظيمة ، فقال الحسن : الا أنزل لك عنها فأنكما لا تجدا محللاً خيراً مني ؟ قال : لا ، فقال عبدالله : هاتي وديعتي ، فأخرجت له هند سفتين فيهما جواهر ، ففتحهما وأخذ من أحدهما قبضة وترك الباقي .

وكانت قبل عند عبد الرحمن بن غياث بن أسد ، فكانت تقول : سيدهم جميعاً الحسن بن علي ، وأسخاهم ابن عامر ، وأحبهم إلى قلبي عبد الرحمن بن غياث .

قال المدائني : وتزوج الحسن بن علي حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكان المنذر بن الزبير يهواها ، فخطبها فلم تقبل ، فأبلغ الحسن عنها شيئاً فطلقها ؛ وخطبها المنذر فأبته وقالت شهرني ، فخطبها عاصم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب فتزوجها ، فبلغه عنها شيئاً فطلقها ، وخطبها المنذر بن الزبير فأبته أن تتزوجه ، فقبل لها تزوجيه ، فقالت : والله لا أفعل شهرني مرتين ، والله لا يراني في منزله .

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) إذا عزم على اطلاق امرأة جلس لها وقال لها : يسرك أن أهب لك كذا وكذا ؟ فتقول لا أو نعم ، فإذا قام عنها أرسل إليها بالطلاق .

وعن ابن غفلة قال : كانت عائشة الخثعمية عند الحسن بن علي ، فلما

أصيب علي وبوبع للحسن بالخلافة ، قالت : ليهنك الخلافة ، فقال لها : يقتل علي بن طالب وتظهرين الشماتة ، اذهبي فأنت طالق ثلاثاً ، فتلفعت بساحتها وخرجت إلى منزلها ، فلما انقضت عدتها بعث إليها بقية صداقها عشرة آلاف درهم ، فقالت : متاع قليل من حبيب مفارق ، فلما بلغه قولها رق لها ويكى وقال : لولا أنني سمعت من جدي رسول الله يقول : أيما رجل طلق امرأة قبل الإقرار وثلاث مبهمة لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، وتزوج جعدة بنت الأشعث لعنها الله التي سقته السم .

قال المدائني : ولقد أحصيت زوجات الحسن بن علي فكن سبعين غير ما نكح لأمهات الأولاد .

في صفات الحسن (ع)

وأما صفات الحسن في الجود والحلم الراسخ الذي يتعجب له كل موجود فهو بحر الكرم الذي لا يعرف قراره ، ونور العلم الذي أضاء مناره ، وغرة وجه الحكم الذي لا تدرس آثاره .

وقد روي أن فاطمة الزهراء (ع) [قدمت] بالحسن والحسين على أبيها رسول الله في مرضه وقالت : يا رسول الله هذان ابناي فورثهما فقال (ص) : أما الحسن فله جودي وحلمي ، وأما الحسين فله هييتي وسؤدي .

فلعمري لقد ظهرت آثار تلك الوراثة وجرى ماء النبوة في مغرسهما فما أكرم تلك الحراثة ، أما هيبة الحسين (ع) وشجاعته فهي التي تذلل لها الأبطال الشوس . وتقع لها خاضعة متى ذكرت النفوس ، فهو سيد أهل المروة والاباء ، ولا غرو فجده محمد المصطفى وعلي المرتضى كان له أباً وأماً .

وأما جود الحسن وعلمه فهما لا ينتهيان إلى حد ولا يحدان برسم ولا حد قد بلغ فيها النهاية وجاوز فيها الغاية ، ولقد قاسم ربّه ثلاث مرات حتى أنه كان يعطي من ماله نعلًا ويمسك نعلًا وما استأثر لنفسه دون فقراء المدينة أصلاً .

وروي أنه سمع رجلاً يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف إلى منزله وبعث بها إليه ، وأتاه رجل وسأله حاجة فقال له : حق سؤالك يعظم علي

ومعرفتي بما يجب لك يكبر لدي ، ويدي يعجز عن نيلك بما أنت أهله والكثير في جنب الله قليل ، فإن قبلت الميسور ورفعت عنا مؤنة الاحتفال والإهتمام بما أتكلفه من واجبك فعلت ؟ فقال : يا ابن رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية وأعذر على المنع ، فدعى الحسن بوكيله يحاسبه على نفقاته حتى استنقصاها فقال (ع) له : هات الفاضل ، فأحضر خمسين ألف درهم فقال له الحسن بن علي : فيما فعلت بالمائة دينار ؟ قال : ها هي عندي فقال : هاتها ، فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل وقال : هات من يحمله لك ، فأتى الرجل بحمالين فدفع الحسن رداه لكر الحمالين فقال له مواليه : والله ما بقي عندنا درهماً واحداً فقال (ع) : إني أرجو أن يكون لي عند الله الأجر العظيم .

وحكايات جوده (ع) تضيق بها الأرقام وتكل عن سطرها الأقلام ، وأما حلمه فكفاك ما نطقت به ألسن أعدائه المظهريين له الشنآن ، والمعلمين له بالبغض والعدوان ، فقال مروان بن الحكم لما حمل جنازته قال له الحسين : أتحمل اليوم سريره وبالأمس كنت تجرعه الغيظ ؟ فقال مروان بن الحكم : كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

وروي أنه دخل رجل من أهل الشام المدينة فرأى رجلاً راكباً على بغلة حسنة قال : فلم أر أحسن منه وجهاً ، فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل لي هذا الحسن بن علي بن أبي طالب ، فامتلاً قلبي عليه غيظاً وحنقاً وبغضاً وحسداً على أن يكون لعلي بن أبي طالب ابن مثل هذا الغلام ، فقامت إليه وقلت له : أنت ابن علي بن أبي طالب ؟ قال : نعم فقلت : ابن من ومن جعلت أشتمه وأنال منه ومن أبيه وهو ساكت لم يرد جواباً ، فاستحيت منه فلما انقضى كلامي ضحك وقال : أحسبك غريباً شامياً ؟ قلت : نعم قال : هلم معي إلى منزلي إن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال ردفناك أو إلى حاجة عاوناك ، فاستحيت منه وعجبت من كرم أخلاقه وانصرفت وقد كنت أحبه ما لا أحب أحداً غيره وبالجملة فكرم أخلاقه لطيب أصله وأعرافه ، فلعمري فهو ثمرة شجرة النبوة

والحائز قصبات السبق بين الأمم والأبوة ؛ والله در الشاعر حيث يقول :
فمما بلغت كف امرء متطاول بها المجد إلا والذي نلت أطول
ولا خبر المثنون في الحال مدحة ولا أطنبوا إلا وما فيك أفضل
فهيهات أن يلحق وصفه سوابق الإنكار وأنى يبلغ كنه مجده وقد كلت عن
إدراك فضله البصائر والأبصار .

أما حديث أصله فواصفه كواصف شمس النهار [أما] كرم أخلاقه وفضله
فقد بلغت الاشتهار ، وأما حلمه فتدل عنه الجبال الرواسي ، وأما علمه فترد
دونه الأبصار وهي خواسي ، فأنى يبلغ من وصفه الغاية ويطلب من تعداد مناقبه
النهاية والاقتصار فيما حصل إن شاء الله كفاية .

فصلوات الله عليه وعلى جده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة المعصومين من
ذرية أخيه وصلاة دائمة تدوم بدوام الأيام متعاقبة لا تنقضي حتى القيام .

وهذا آخر ما انتهى إلينا من كلام المؤلف على التمام والكمال ونستغفر الله
المنان عن الزيادة والنقصان والسهو والنسيان إنه غفور منان والحمد لله حمدته
وصلى الله على من لا نبي بعده محمد وآله الطيبين الطاهرين .

فِي زيارته (ع)

السلام عليك يا ابن رسول الله ، السلام عليك يا صفي الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا ابن صفي الله ، السلام عليكم يا حجج الله ، السلام عليك يا نور الله في أرضه وبلاده ، السلام عليك يا صراط الله في عباده ، السلام عليك أيها الطاهر الزكي ، السلام عليك أيها التقي النقي ، السلام عليك يا أبا محمد الزكي ورحمة الله وبركاته ، أشهد أنك من دعائم الدين وأركان المسلمين ومعقل المؤمنين ، وأشهد أنك حجة الله على الخلق أجمعين ، لعن الله أمة قتلتك ، ولعن الله أمة ظلمتك ، ولعن الله أمة دفعتك عن مقامك وأزالتك عن مراتبك التي رتبك الله بها ، ولعن الله أمة جحدتك وتركتك واستبدلت الجبت والطاغوت ، اللهم العنهم جميعاً وعذبهم عذاباً أليماً وأصلهم ناراً وقودها الناس والحجارة ، اللهم صل على الحسن والحسين ابني بنت نبيك صلاة زاكية نامية ، اللهم صل عليهما وآلهما فهما سبطي رسولك وسليته وحبيبه وريحاننا قلبه وثمرتا فؤاده وإماما أمته وحافظا شريعته وكهفا شيعته ولسانا حجته وهاديا خلقك وناصر دينك وخازنا وحيك وشريكا كتابك وسيدا شباب أهل الجنة وغصنا شجرة النبوة ، اللهم إنهما ولدا في حجر نبيك وحملهما على عاتقه وضمهما كفيه وساءهما موته وقد ناغاهما أمين وحيك وأنسهما وأشبع جوعهما ، اللهم هما ما تزفرا زفرة إلا توجع لهما نبيك المصطفى وأسرعت لهما سيده

النساء واحتضنهما صدر وصي نبيك ووليكَ المرتضى وقد ضمهما العبا وطهرهما الدعاء وقد بكت لهما السماء دماً ، أَللّهُم صل عليهما صلاة شريفة تملأ الأرض وأقطارها وابلغهما عني تحيةً وسلاماً ومغفرةً ورضواناً انك ذو الفضل والمن الجسيم ، والسلام عليك يا مولاي وابن مولاي ورحمة الله وبركاته ، السلام عليكم يا أهل التقى ، السلام عليكم يا حجاج الله على أهل الورى ، السلام عليكم أيها القوام في البرية بالقسط ، السلام عليكم يا أهل الصفوة ، السلام عليكم يا أهل النجوى ، أشهد انكم بلغت نصحتكم وصبرتم في ذات الله وكُذِّبتم وأسيء إليكم فعفوتكم ، وأشهد أنكم أئمة الهدى الراشدون طاعتكم مفترضة ، وأن أقوالكم الصدق وأنكم دعائم الدين وأركان الأرض ، لم تزالوا بعين الله أنجبكم من أصلاب طاهرة ونقلكم من أرحام المطهرات ، لم تدنسكم الجاهلية الجهلاء ولم تشرك فيكم الأهواء ، وطبتم وطاب حيكم وميتكم من بكم علينا ديان يوم الدين فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ومن علينا بموالاةكم معترفين تصديقنا إياكم ، وهذا مقام من أسرف وأخطأ واستكبان واعترف بما جنا ورجا بمقامه الخاص وأن يستنقذه بكم من منقذ الهلكى من الردى ، فكونوا إلي شفعاء فقد وفدت إليكم إذا زاغت عنكم أهل الدنيا واتخذوا آيات الله هزواً واستكبروا عنها ، يا من هو مذكور لا يسهو ، ودائم لا يلهو ، ومحيط بكل شيء لك المن علي فيما وفقنتي وعرفتني ما ثبتني عليه إذ صد عنه عبادك وجحدوا معرفتهم واستخفوا بحقهم ومالوا إلى سواهم ، فكانت المنة لك ومنك علي مع أقوام خصصتهم بما خصصتني به فلك الحمد إذا كنت عنك في مقامي هذا مذكوراً مكتوباً ، ولا تحرمني ما رجوت ، ولا تجبهني فيما دعوت ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأستودعكم الله ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

ثم تصلي ركعتين وتسبح تسبيح الزهراء ثم تقول :

السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله ، السلام عليك يا وارث نوح نبي

الله ، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله ، السلام عليك يا وارث موسى
كليم الله ، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله ، السلام عليك يا وارث
محمد حبيب الله ، السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ، السلام عليك يا ابن
محمد المصطفى ، السلام عليك يا ابن علي المرتضى ، السلام عليك يا ابن
فاطمة الزهراء ، السلام عليك يا ابن خديجة الكبرى ، السلام عليك يا أبا
الحسين الشهيد بطف كربلاء ، السلام عليك يا شبر ، السلام عليك يا شبير ،
السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور ، أشهد أنك قد أقمّت الصلاة
وآتيت الزكاة وأمّرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله حتى أتاك
اليقين ، فلعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة ظلمتك ، ولعن الله أمة سمعت بذلك
ورضيت به ، يا مولاي يا أبا محمد الحسن الزكي أشهد الله وأشهد ملائكته
وأنبياءه ورسله ، أني بكم مؤمن ، وبإيابكم موقن ، وبشرائع ديني وخواتيم
عملي ، صلوات الله عليكم وعلى أرواحكم وعلى أجسادكم وعلى شاهدكم
وغائبكم وظاهركم وباطنكم ، بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله يا أبا محمد
الحسن لقد عظمت رزيتك ومصيبتك علينا وعلى أهل السماوات والأرض فلعن
الله أمة أسرجت وألجمت وتهيات لقتالك يا مولاي وقتال أخيك الحسين ، ولعن
الله جعدة بنت الأشعث ولعن الله الأشعث ولعن الله معاوية وعبيدالله بن زياد
ولعن الله من قصدكم بأذيته وبلغ أمنيته فيكم لعناً وبيلاً . قصدتكم بقلبي زائراً
ووجهت إليكم سلامي ودعائي مذعجرت عن بلوغ مشاهدكم ولعلمي أنه
يبلغكم دعائي وسلامي ، فسلامه وأشرف تحياته توصلكم فأسأل الله تعالى
بالشأن الذي لكم عنده ، وبالمحل الذي لكم عنده أن يجعلني معكم في الدنيا
والآخرة . (ثم تقول) : اللهم العن معاوية وزياد ويزيد بن معاوية وعبيدالله بن
زياد وآل سفيان وآل مروان ، (ثم تقول) : اللهم العن الأشعث وجعدة بنت
الأشعث (مائة مرة) ، (ثم تقول) : اللهم صل على محمد وآل محمد (مائة
مرة) ، (ثم تسجد وتقول) : اللهم لك الحمد حمد الشاكرين على مصابهم

الحمد لله على عظيم رزيتي ، ألهم ارزقني شفاة نبيك وأولاد نبيك يوم الورد
المورود ، وثبت لي قدم صدق عندهم ، صلوات الله عليهم أجمعين : ثم ترفع
رأسك وتدعو بما أحببت والحمد لله رب العالمين .

وفاة الإمام الشَّجَّارِ
عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ
"عليهما السلام"

تأليف
العلامة الشيخ علي آل الشيخ سليمان البدوي البحراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد الحمد لله الذي خص محمداً وآله الكرام صفوته من الأنام عليهم أفضل الصلاة وأكمل السلام بالمصائب العظام والرزايا الجسام صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم القيام .

فيقول : فقير ربّه الغني السبحاني حسين بن العالم المقدس الشيخ علي آل المبرور الشيخ سليمان البلادي البحراني عفى الله تعالى عنهم وعن أرحامهم والمؤمنين والمؤمنات وحشرهم في زمرة ساداتهم الهداة عليهم أكمل الصلوات : إني عازم بعون الله تعالى على جمع نبذة جليلة في هذه الأوراق القليلة مما يتعلق بالإمام الهمام خدين العلل والأسقام وقرين المصائب العظام زين العابدين . وسيد الساجدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ملأ الخافقين ، وقد سميت هذا المنتصر (مثير الوجد والأنين على الإمام زين العابدين) فأقول : ومن الله الكريم أستمد التوفيق لبلوغ المأمول .

هو الإمام الزاهد العابد زين المنابر والمساجد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف السادة الأشراف - إلى آخر ذلك النسب الشريف الغني عن التعريف ، وأمه شاه زنان بنت يزدجرد ، وقيل شهربانو ، وقيل شهربانويه بنت كسرى وقيل : اسمها غزالة إلى

غير ذلك مما ورد من أسمائها .

وكان أمير المؤمنين (ع) ولي حريث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق ، فبعث إليه بيتهي يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، فنحل ابنه الحسين شاهزنان منها ، فأولدها زين العابدين ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر ، فولدت له القاسم فهما ابنا خالة .

روي عنه (ع) أنه كان يقول أنا ابن الخيرتين يعني جده محمداً (ص) وعلياً (ع) وكسرى فهو ابن خيرة العرب والعجم ، ولم يقل ذلك للبذخ والفخر ولكن بياناً للواقع وكأنه نظر إلى قول جده رسول الله (ص) : إن الله من عباده خيرتين فخيرته من العرب قريش ، ومن العجم فارس ، ولقد أحسن من قال من أهل الكمال :

وأن وليداً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمام

وكان مولده (ع) بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة فبقي مع جده أمير المؤمنين سنتين ، ومع عمه الحسن اثنتي عشر سنة ، ومع أبيه ثلاثاً وعشرين سنة ، وبعد أبيه أربعاً وثلاثين سنة وقيل أربعين سنة ، وفي هذه المدة ما تهنى (ع) بعد قتل أبيه وذريه وما جرى عليه بهنى منام ولا لذيذ شراب وطعام ، كان إذا وضع خادمه بين يديه الطعام وقال له : كل سيدي يقول : أكل أم أشرب وقد قتل ابن رسول الله جائعاً عطشاناً .

لا يذبح الكبش حتى يرو من ظمأً ويقتل ابن رسول الله ظمأنا

حدث مولى له (ع) أنه برز يوماً إلى الصحراء قال : فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة ، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكائه ، وأحصيت عليه ألف مرة وهو يقول : لا إله إلا الله حقاً ، لا إله إلا الله تعبدوا ورقاً ، لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً وصدقاً ، ثم رفع رأسه من سجوده وان وجهه ولحيته قد غمرا بالدموع ، فقلت له : يا سيدي ما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن

يقول ؟ فقال لي : ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبياً وابن نبي له
إثنا عشر ابناً ، فغيب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن ، واحدودب
ظهره من الغم ، وذهب بصره من البكاء ، وابنه حي في دار الدنيا ، وأنا رأيت
أبي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين ، فكيف ينقضي حزني ويقبل بكائي ؟ .
لقد تحمل من ارزائها محناً لم يحتملها نبي أو وصي نبي
وكنيته (ع) أبو محمد ، وأبو الحسن ، وأبو بكر والأول أشهرها ، وألقابه
كثيرة منها زين العابدين .

كان (ع) ليلة في محرابه قائماً يصلي فتمثل له الشيطان في صورة ثعبان
ليشغله عن عبادته فلم يلتفت إليه ، فجاء إلى ابهام رجله فالتقمها فلم يلتفت
إليه ، فألمه فلم يقطع صلاته ، فلما فرغ منها وقد كشف الله له أنه شيطان فسبه
ولطمه وقال : احسأ يا ملعون ، فذهب مولياً عنه وقام (ع) إلى تمام ورده فسمع
صوتاً لا يرى قائله : أنت زين العابدين ثلاثاً .

وقال ابن عباس : قال رسول الله : إذا كان يوم القيامة ينادي مناد : أين
زين العابدين ؟ فكأنني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين يخطو بين الصفوف ،
ومنها أنه سيد العابدين .

روي أيضاً أن إبليس تصور له (ع) وهو قائم يصلي في صورة أفعى له
عشرة رؤوس محدد الأنياب ، طلع عليه من جوف الأرض من محل سجوده ثم
تطاول في محرابه ، فلم يفزعه ذلك ولم يكسر طرفه إليه ، فانقض على رؤوس
أصابعه يكدمها بأنيابها وينفخ عليه من نار جوفه وهو لا يكسر طرفه إليه ولا يحول
قدميه ، لم يبرح إبليس حتى انقض عليه شهاب محرق من السماء ، فلما أحس
به صرخ وقام إلى جانب الإمام (ع) في صورته الأولى ثم قال : يا علي أنت سيد
العابدين كما سميت وأنا إبليس ، والله لقد رأيت عبادة النبيين من عهد أبيك آدم
إليك فما رأيت مثلك ولا مثل عبادتك ثم تركه وولى وهو في صلاته لا يشغله
كلامه .

ومنها السجود ، قال ابنه الباقر (ع) : ' إن أبي علي بن الحسين ما ذكر الله
نعمة عليه إلا سجد ، ولا دفع الله تعالى عنه سوءاً يخشاه أو كيد كائد إلا
سجد ، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ، ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا
سجد ، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمي السجاد لذلك .

ومنها ذو الثغفات . قال أيضاً ابنه الباقر : كان لأبي في موضع سجوده آثار ناتئة ،
أي مرتفعة ، وكان (ع) يقطعها في السنة مرتين في كل مرة خمس ثغفات فسمي
ذو الثغفات لذلك ، إلى غير ذلك من ألقابه الشريفة ، فهو سلام الله عليه كما
قال ابنه الباقر (ع) فيه : كان أبي يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكانت
الريح تميله كالسنبله وقد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد ، وقد اصفر لونه من
السهر ، ورمدت عيناه من البكاء ، ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود ،
وورمت ساقاه من القيام ، وفي هذا ما يدل على أنه (ع) أفضل الأنام بعد جده
وآبائه صفوة الله السلام عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

وأما مناقبه المنيفة فهي كثيرة لا قدرة لكاتب ولا لعد حاسب على ذكر
بعضها ، فلنأتي بنزر قليل منها وأحببت نقل كلام لإمام علماء أهل السنة
الفحول ، محمد بن طلحة الشامي الشافعي قاله في الباب المعقود لذكره (ع)
في كتابه مطالب السؤول وهذا لفظه :

هذا زين العابدين قدوة الزاهدين وسيد المتقين وإمام المؤمنين ، سمته
تشهد له أنه من سلالة رسول الله ، وسمته تثبت مقام قربه من الله زلفاً ، وثغفاته
تسجل بكثرة صلواته وتهجده ، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيما درت
له أخلاق التقوى فتفوقها وأشرفت له أنوار التأييد فاهتدى بها ، وألفته أوراد
العبادة فأنس بصحبته ، وحالفته وظائف الطاعة فتحلى بحليتها ، طالما اتخذ
الليل مطية ركبها لقطع طرق الآخرة وظمأ الهواجر دليلاً استرشد في مسافة
المسافة ، وله من الخوارق والكرامات ما شوهد بالأعين الباصرة وثبت بالآثار
المتواترة وشهد له بأنه من ملوك الآخرة . انتهى كلامه .

فمن مناقبه التي لا تعد ومعجزه التي لا تحد ما روي عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال : لما قتل الحسين بن علي أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين وخلا به ثم قال : يا ابن أخي قد علمت أن رسول الله كان جعل الوصية والإمامة من بعده لعلي بن أبي طالب ، ثم من بعده إلى الحسن ، ثم من بعده إلى الحسين ، وقد قتل أبوك صلى الله عليه ولم يوص وأنا عمك وصنو أبيك من في سني وقدمتي أحق بها منك في حداثتك ، فلا تنازعني الوصية والإمامة ولا تخالفني ، فقال له علي بن الحسين : اتق الله ولا تدعي ما ليس لك بحق ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين ، يا عم إن أبي صلوات الله عليه أوصى إلي . قبل أن يتوجه إلى العراق ، وعهد إلي في ذلك قبل أن يستشهد بساعة ، وهذا سلاح رسول الله (ص) عندي فلا تعرض لها فإني أخاف عليك تنقص العمر وتشتت الحال ، وإن الله تبارك وتعالى آلى أن لا يجعل الإمامة والوصية إلا في عقب الحسين (ع) ، فإن أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك . قال الباقر (ع) : وكان الكلام بينهما وهما يومئذ بمكة ، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود فقال علي بن الحسين لمحمد : ابدأ فابتهل إلى الله تعالى واسأله أن ينطق لك الحجر ثم سله ، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله تعالى ثم دعا الحجر فلم يجبه ، فقال علي بن الحسين : أما أنك يا عم لو كنت إماماً ووصياً لأجابك فقال له محمد (رض) : فادع أنت يا ابن أخي ، فدعا الله علي بن الحسين بما أراد ثم قال : أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا بلسان عربي مبين من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي ؟ قال : فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول من موضعه ، ثم انطقه الله بلسان عربي مبين فقال : اللهم إن الوصية والإمامة بعد الحسين بن علي إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهم أجمعين فانصرف محمد وهو يتولى علي بن الحسين وقيل : إن محمد بن الحنفية إنما فعل ذلك لإزالة الشكوك في ذلك .

يقول المؤلف : وهذا هو الحق الصحيح لأن محمد هذا رضي الله عنه من أجل العارفين بمراتب الإمامة وأنها لغيره لا له ، وأقوى شاهد على هذا حب أبيه أمير المؤمنين له وتوصية أخويه الحسين به ، وكذلك أخواه الحسنان (ع) ، فلو كان في علمهم المكتوم أنه يكون فيه ميل عن الحق وانحراف لأظهروا ذلك كما فعلوه مع من ظهر منه الخلاف .

ومن مناقبه الفاخرة الدالة على أنه من سادات الأوصياء وهم العترة الطاهرة أنوار الولاية وأعلام الهداية الذين من تمسك بهم فاز ونجا ، ومن تخلف عنهم غرق وهوى ما روي عن ثابت النبائي قال : كنت حاجباً وجماعة من عباد البصرة مثل أيوب السجستاني ، وصالح المروي ، وعتبة الغلام ، وحبيب الفارسي ، ومالك بن دينار فلما دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً وقد اشتد بالناس العطش لقلّة الغيث ، ففزع إلينا أهل مكة والحجاج يسألونا أن نستسقي لهم ، فأتينا الكعبة وطفنا بها ثم سألنا الله تعالى خاضعين متضرعين بها فمعنا الإجابة ، فبينما نحن كذلك إذ نحن بفتى قد أقبل قد أكرته أحزانه وأقلقته أشجانه فطاف بالكعبة أشواطاً [ثم] أقبل علينا فقال : يا مالك بن دينار ويا ثابت الغبائي ويا أيوب السجستاني ويا صالح المروي ويا عتبة الغلام ويا حبيب الفارسي ويا سعيد ويا عمر ويا صالح الأعمى ويا رابعة ويا سعدانة ويا جعفر بن سليمان ، فقلنا : لبيك وسعديك يا فتى ، فقال : أما فيكم أحد يجيبه الرحمن ؟ فقلنا يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة ، فقال : ابعدوا عن الكعبة ، فلو كان فيكم أحد يجيبه لأجابه ، ثم أتى الكعبة فخر ساجداً فسمعتة يقول في سجوده : سيدي بحبك لي إلا سقيتهم الغيث ، قال : فما استتم كلامه حتى آتاهم الغيث كأفواه القرب ، فقلت : يا فتى من أين علمت أنه يحبك قال : لو لم يحبني لم يستزرنني فلما استزرنني علمت أنه يحبني ، فسألته بحبه لي فأجابني ثم تولى عني وأنشأ يقول :

من عرف الرب فلم تغنه معرفة الرب فذاك الشقي

ما ضرر ذا الطاعة ما ناله في طاعة الله وما ذا لقي
ما يصنع العبد بغير التقى العز كل العز للمتقى
فقلت يا أهل مكة من هذا الفتى ؟ قالوا : هذا علي بن الحسين بن
علي بن أبي طالب .

ومنها أنه لما حج هشام بن الحكم في حياة أبيه دخل إلى الطواف وجهد
أن يستلم الحجر الأسود ، فلم يصل إليه لكثرة زحام الناس عليه ، فنصب له
منبر إلى جانب زمزم في الحطيم ، فجلس عليه ينظر إلى الناس وحوله جماعة
من أهل الشام ، فبينما هم كذلك إذ أقبل علي بن الحسين زين العابدين (ع)
يريد الطواف ، فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى عنه الناس حتى أتى الحجر
فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه
يميناً وشمالاً فقال هشام : لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، وكان
الفرزدق حاضراً فقال للشامي : أنا أعرفه فقال : من هو يا أبا فراس ؟ فقال :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقى النقي الطاهر العلم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم
إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياءً ويغضي من مهابته ولا يكلم إلا حين يبتسم
في كفه خيزران ريحه عبق في كف أروع في عرنيه شمم
ينشق نور الهدى من نور غرته كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم
مشتقة من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدراً وعظمه جرى بذلك له في لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم

كلتا يديه غياث عم نفعهما
سهل الخليفة لا تخشى بواده
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا
لا يخلف الوعد ميمون نقيته
عم البرية بالإحسان وانقشعت
من معشر حبههم دين وبغضهم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمتم
لا ينقص السربسطاً من أكفهم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
أي الخلائق ليست في رقابهم
من يعرف الله يعرف أولوية ذا

يستو كفان ولا يعدوهما العدم
يزينه اثنان حسن الخلق والكرم
حلو الشمائل يحلو عنده نعم
رحب الذراع أريب حين يعتزم
عنه الغباوة والإملاق والعدم
كفرز وقربهم أمن ومعتصم
أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم
ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
في كل بدء ومختوم به الكلم
لأولوية هذا أوله نعم
فالدین من بیت هذا ناله الأمم

قال : فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ثم أخذ الفرزدق وجبسه ما بين مكة والمدينة ، وبلغ علي بن الحسين امتداحه له فبعث إليه بعشرة آلاف درهم فردها وقال : والله ما مدحته إلا الله تعالى لا للطاء فقال : قد عرف الله لك ذلك ، ولكننا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها منه .

ومنها ما روي عن إبراهيم بن أدهم وفتح الموصلي قال كل واحد منهما : كنت أسبح في البادية مع القافلة ، فعرضت لي حاجة فتنحيت عن القافلة فإذا أنا بصبي يمشي فقلت : سبحان الله بادية بيداء وصبي يمشي ، فدنوت منه وسلمت عليه فرد عليّ السلام فقلت له : إلى أين ؟ قال : أريد بيت ربي ، فقلت : حبيبي إنك صغير السن ليس عليك فرض ولا سنة ، فقال : يا شيخ ما رأيت من هو أصغر مني مات فقلت : أين الزاد والراحلة ؟ فقال : نعم الزاد التقوى ، زادي تقواي وراحلتي رجلاي وقصدي مولاي ، فقلت : ما أرى شيئاً

من الطعام معك؟ قال: يا شيخ هل يستحسن أن يدعوك [إنسان] إلى دعوة فتحمل من بيتك الطعام؟ قلت: لا قال: الذي دعاني إلى بيته هو الذي يطعمني ويسقيني فقلت: ارفع رجلك حتى تدرك فقال: علي الجهاد وعليه الإبلاغ أما سمعت قوله: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾^(١). قال: فبيننا نحن كذلك إذ أقبل شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض فعانق الصبي وسلم عليه، فأقبلت على الشاب وقلت له: أسألك بالذي أحسن خلقك من هذا الصبي؟ فقال: أما تعرفه هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فتركت الشاب وأقبلت على الصبي وقلت له: أسألك بحق آبائك من هذا الشاب؟ فقال: أما تعرفه هذا أخي الخضر (ع) يأتينا كل يوم فيسلم علينا، فقلت له أسألك بحق آبائك لما أخبرني بما تجوز المفاوز بلا زاد؟ فقال: بلى أجوز بزاد وزادي فيها أربعة أشياء قلت: وما هي؟ قال: أرى الدنيا كلها بحذافيرها مملكة الله، وأرى الخلق كلهم عبيد الله وإمائه وعياله، وأرى الأرزاق والأسباب بيد الله، وأرى قضاء الله نافذاً في كل أمر فقلت: نعم الزاد زادك يا زين العابدين وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة فكيف مفاوز الدنيا.

ومنها ما روي عن الصادق (ع) أنه قال: التصقت يد رجل وامرأة على الحجر في الطواف، فجهد كل واحد أن ينزع يده فلم يقدر فقال الناس: اقطعوهما قال فينما هما كذلك إذ دخل علي بن الحسين فأفرجوا له فلما عرف أمرهما تقدم (ع) ووضع يده عليهما فأنحلا.

ومنها ما روي عن الباقر (ع) أنه قال: كان عبد الملك بن مروان يطوف بالبيت وعلي بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه فقال: من هذا الذي يطوف بين أيدينا ولا يلتفت إلينا؟ فقيل له؟

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

هذا علي بن الحسين فجلس مكانه فقال : ردوه إلي ، فردوه فقال : يا علي بن الحسين إنني لست قاتل أبيك فما يمنعك من المصير إلينا ؟ فقال : إن قاتل أبي أفسد على نفسه بما فعل دنياه وأفسد عليه أبي آخرته ، فإن أحببت أن تكون كهو فكن فقال : كلا ولكن صل إلينا لتنال من دنيانا فجلس زين العابدين (ع) وبسط رداءه وقال : اللهم أره حرمة أوليائك عندك ، فإذا رداه مملوئاً درأ يكاد شعاعها يخطف الأبصار فقال لهم : من ستكون هذه حرمة عند ربّه كيف يحتاج إلى دنياكم ثم قال : اللهم خذها فما لي فيها حاجة ، ومن هذا بعض مقاماته الكريمة ومناقبه الفاخرة المنبئة أنه من ملوك الدنيا وسلاطين الآخرة كيف تغل يداه إلى عنقه ، وتوضع جامعة الأسر على صدره ، ويطاف به وبعماته وأخواته على ظهور الجمال وهن حواسر بعد ذلك العز والجلال .

تصفح البلدان صورة سبيها أشكال بارزة بذل الممثل
تسود من ضرب السياط متونها ووجوهها بلظى الهواجز تصطلي

فكلما نظر سلام الله عليه إليهن وهن على ذلك الحال في غاية الأسر
والإذلال يزداد بكاءه ويعلو شجاءه .

ويصيح واذلاه أين عشيرتي وسرات قومي أين أهل ودادي
أين الكماة وأين جدي حيدر مردي القروم وصارع الأساد

فيا بنفسي كم كابد سلام الله عليه من مصائب عظيمة ، وتحمل من رزايا
جسيمة تندل لبعضها شامخات الجبال ، وتشيب لقليلها رؤوس الأطفال .

لقد تحمل من أرزائها محناً لم يحتملها نبي أو وصي نبي
بعينه رأى والده الحسين سيد الشهداء وإمام السعداء جثة بلا رأس ،
منخمد الأنفاس ، عار على وجه الرمضاء ، مقطوع الأعضاء ومن حوله أهل بيته
الأبرار وأصحابه الأخيار .

صرعى على التراب لا شيء يسترهم إلا السنايك أو سافي الأعاصير
ومن صنيع المواضي ألبسوا حللاً مثل العقيق على أجساد من نور

وأعظم المصائب التي قاساها والنوائب التي عاناها هجوم تلك العتاة
الأنذال عليه وعلى تلك الحرم والأطفال وسط الحجال وكأني به في تلك الحال
مغشي عليه لما لقيه من عظام الأهوال والمرض المبيد والسقم الشديد .

قال بعض من شهد تلك الأحوال العضال : رأيت امرأة جليلة واقفة بباب
الخيمة والنار تشتعل من جوانبها وهي تارة تنظر يمنة ويسرة ، وأخرى تنظر إلى
السماء وتصفق بيديها ، وتارة تدخل في تلك الخيمة وتخرج فأسرعت إليها
وقلت : يا هذه ما وقوفك ها هنا والنار تشتعل من جوانبك ، وهذه النسوة قد
فررن وتفرقن ، ولم لا تلحقي بهن وما شأنك ؟ فبكت وقالت : يا شيخ إن لنا
عليلاً في الخيمة وهو لا يتمكن من الجلوس والنهوض ، فكيف أفارقه وقد
أحاطت به النار فأحرقوا الخيم بعد أن نهبوا ما فيها ، وسلبوا الفاطميات بحيث
لم يبق لهن ما يستترن به .

إن أنس لا أنسى افتجاع نساها إذ هجمت خيولهم على الفسطاط
أخرجن منه والهات تشتكي بعد انتهاك الستر ضرب سياط
ما حال بنت محمد لو شاهدت بمتونهن علائم الأسواط

قال الشيخ حسن بن سليمان بن محمد بن الحسن الشويكي في مقتله
نقلًا من الجزء العاشر من كتاب المنن لعبد الوهاب الشعراني قال :
وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب قتل مع الحسين في الطف ، وابناه سعد
وعقيل كانا معه وماتا من شدة العطش ومن الدهشة والذعر بعد شهادة الحسين
لما هجم القوم على المخيم للسلب ، وأمهما خديجة ابنة علي بن أبي طالب
توفيت بالكوفة . وقال أيضاً في مقتله : ومن بنات علي رقية الكبرى ، وكانت
عند مسلم بن عقيل فولدت له عبدالله بن مسلم ومحمد بن مسلم الذين قتلا يوم

الطف مع الحسين ومسلم قتل بالكوفة وكان رسوله ، وولدت رقية على نكة من مسلم ولها من العمر سبع سنين وهي التي سحقت يوم الطف بعد شهادة الحسين . لما هجم القوم على المخيم للسلب . وفي بعض المقاتل أن أحمد بن الحسن المجتبي قتل مع الحسين وله من العمر ستة عشر سنة وله أختان من أمه أم الحسن وأم الحسين سحقتا يوم الطف بعد شهادة الحسين (ع) لما هجم القوم على المخيم لسلب أمهم أم بشر بنت مسعود الأنصاري وقيل الخزرجي .

وثواكل يشجي الغيور حينها لو كان ما بين العدا غيور
حرم لأحمد قد هتك ستورها فهتكن من حرم الإله ستور
كم حرة لما أحاط بها العدى هربت تخف العدو وهي وقور

ثم أمر ابن سعد لعنه الله بأن تحمل النساء على الأقتاب بلا وطأ وحجاب ، فقدمت النياق إلى حرم رسول الله (ص) وقد أحاط القوم بهن وقيل لهن : تعالين واركبن فقد أمر ابن سعد بالرحيل ، فلما نظرت زينب إلى ذلك نادت وقالت : سود الله وجهك يا ابن سعد في الدنيا والآخرة ، تأمر هؤلاء القوم بأن يركبونا ونحن ودائع رسول الله ، فقل لهم يتباعدون عنا يركب بعضنا بعضاً قال : فتنحوا عنهن فتقدمت زينب ومعها أم كلثوم وجعلت تنادي كل واحدة من النساء باسمها وتركها على المحمل حتى لم يبق أحد سوى زينب ، فنظرت يميناً وشمالاً فلم تر أحداً سوى زين العابدين (ع) وهو مريض ، فأنتت إليه وقالت : قم يا ابن أخي واركب الناقة فقال : يا عمته اركبي أنت ودعيني وهؤلاء القوم ، فرجعت إلى ناقته لأنها لم تقدر على مخالفة الإمام ، فالتفت يميناً وشمالاً فلم تر إلا أجساداً على الرمال ورؤوساً على الأسنة بأيدي الرجال ، فصرخت وقالت : واغربتاه وأخاه واحسيناه واعباساه وارجالاه واضيعتاه بعدك يا أبا عبدالله ، قال الراوي : فلما رأتهم على هذه الحالة ذكرت خروجهم من الحجاز وما كانوا عليه من العزة والرفعة والعظمة والجلالة ، فبكيت على حالهم وما جرى عليهم .

فبنفسي ربائب الخدر أضحت للعدى مكسباً عقيب حماها
قد أطمأ العداة عنها رداها وكستها سياطهم ما كساها
أين عنها حماتها ليروها باكيات وهل يفيد بكأها

قال الراوي : فلما نظر زين العابدين (ع) إلى ذلك لم يتمالك على نفسه دون أن قام وهو يرتعش من الضعف ، فأخذ عصاة يتوكأ عليها وأتى إلى عمته وثنى ركبته وقال : اركبي فلقد كسرت قلبي وزدت كرهي ، فأخذ ليركبها فارتعش من الضعف وسقط على الأرض ، فلما رآه الشمر لعنه الله أتى إليه وبيده سوط فضربه وهو ينادي : وا جداه وا محمداه وا علياه وا حسناه وا حسيناه ، فبكت زينب وقالت : ويلك يا شمر رفقاً ببيتيم النبوة وسليل الرسالة وحليف التقى وتاج الخلافة ، فلم تنزل تقول كذا حتى نحتته عنه قال : وإذا بجارية سوداء مسنة قد أقبلت إلى زينب فأركبتها فسألت عنها فقالوا : هذه فضة جارية فاطمة الزهراء (ع) .

لم أنس زينب بعد الخدر حاسرة تبدي النياحة ألحاناً فألحانا
مسجورة القلب إلا أن دمعها كالمعصرات تصب الدمع عقيانا

قال : ثم أركبوا الإمام (ع) على بعير أعجف فلم يتمالك الركوب من شدة الضعف ، فأخبروا ابن سعد فقال : قيدوا رجله من تحت بطن الناقة ، ففعلوا ذلك وساروا بهم على تلك الحالة ورؤوس الشهداء معلبات على أطراف الرماح ، وجسومهم عوار على البطاح ومن بين الرؤوس رأس سيد الشهداء وإمام السعداء .

وشيبته مخضوبة بدمائه يراوحها غادي النسيم ورائحه
فغز على محمد سيد المرسلين ، وعلى علي أمير المؤمنين ، وعلى فاطمة سيدة نساء العالمين ، وعلى الحسن الزكي الأمين ، وعلى الشهيد الغريب الحسين ، بل وعلى جميع النبيين والأوصياء المرضيين والملائكة المقربين

وجميع المؤمنين ، أن ينظروا لتلك الخفريات الهاشميات على تلك الحالات
المفضعات .

حسرات من بعد صون خباها حر قلبي لهن إذ صرن أسرى
السير ملوية لحامي حماها صاديات غرثي وأعناقها في
أوتنادين لا يجاب نداها إن تباكين ما لهن رحيم
لسباها وذلها وعناها والعليل السجاد في الأسريرا
فاق ضوء البدور لمع سناها ورؤوس الهدى على السمر لاحت

قال الراوي : ومروا بهن قصداً وعناداً على مصارع الشهداء فألقين
بأنفسهن من على ظهور المطا على تلك الجثث المرملة بالدماء ، وصاحت
العقيلة زينب ناذبة جدها محمد المصطفى يا جداه يا رسول الله صلى عليك
ملك السماء ، هذا حسينك بالعراء مذبوح من القفا مهشم الأعضاء .

حبيبك يا رسول الله أضحى تكفنه الشمائل والجنوب
يا لها مصيبة عظيمة وفادحة جسيمة تواقع تلك الحرم والأطفال على تلك
الأجساد المرملة بالدماء على حر الرمال ، صار لهن من الرنة والبكاء والحزن
والشجي ما أجرى الدموع من عيون الأعداء ، فبيننا هن متكابن على تلك
الأجساد الملقاة على الوهاد وإذا بمنادي ذوي الألحاد [ينادي] هل من واركبن
على ظهور النياق فليس إلا الفراق وهو يقول :

ذهب المانعون عنكم فقوموا واخلعوا العز والبسوا الاذلالا

فهمت زينب ببكاء وحنين : أخي حسين عمادي حسين كفيلي حسين .

أحمي الضائعات بعدك ضعنا في يد النائبات حسرى بوادي
أو ما تنظر الفواطم بالأسر وستر الوجوه منها الأيادي
ثكلا ما ترى لها من كفيل حسراً بين عصابة الإلحاد

أخي حسين لو خيرت بين المقام عندك أو الرحيل لا اخترت المقام ولو
تأكلني سباع البر .

أحمي الضائعات ضاع فؤادي بين أمرين رحلتي ونزولي
إن أردنا المقام عاجلنا الأقسام بالضرب حرصاً على التعجيل
أو سروا فالسرى يشئت شملي بين طفل وأيم وثكول
فلم يمهلهن بل أركبهن على تلك الحالة العظيمة ، فلما صارت
الحوراء زينب على ظهر ذلك البعير ونادى سائق الظعن بالمسير ، أشارت
لكافلها بدمع غزير وقلب كسير .

أحجاب صوني في أمان الله عز علي مسرانا وجسمك مودع
ودعتك الكافي وقد سدت عليّ مذاهب الآراء ما بك أصنع
وسروا بها والعين ترعاه وإن حجبت أقام فؤادها يتطلع

فلم يزالوا مجددين المسير بهن إلى الكوفة وهن بدموع مذروفة وقلوب
ملهوفة إلى أن وصلوا إليها .

روي مرسلًا عن مسلم الجصاص قال : دعاني ابن زياد (لع) لإصلاح دار
الإمارة بالكوفة فبينما أنا أجمص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات
الكوفة ، فأقبلت على خادم كان يعمل معنا فقلت : مالي أرى الكوفة تعج
بأهلها ؟ قال : الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد ، فقلت : من هذا
الخارجي ؟ فقال : الحسين بن علي قال : فتركت الخادم حتى خرج ولطمت
على وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهب ، وغسلت يدي من الجص
وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس ، فبينما أنا واقف والناس يتوقعون
وصول السبايا والرؤوس إذ قد أقبلت نحو أربعين بشقة تحمل على أربعين جملاً
فيها الحرم والأطفال ، وإذا بعلي بن الحسين على بعير بغير وطاء وأوداجه

تشخب دماً وهو مع ذلك يبكي ويقول :

يا أمة السوء لا سقياً لربكم
يا أمة لم تراعي جدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا
يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تسيرونا على الأقتاب عارية
كأننا لم نشيد فيكم ديننا
تصفقون علينا كفكم فرحاً
وأنتم في فجاج الأرض تسبوننا
أليس جدي رسول الله ويلكم
أهدى البرية من سبل المضلينا

قال : وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض الخبز والأوز والتمر ، فصاحت بهم أم كلثوم : يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام ، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض ، قال : كل ذلك والناس يبكون على ما أصابهم .

وأعظم ما يشجي ويودع في الحشا
حرارة وجد دونها لذعة الجمر
تصدق أعضاها عليها شماتة
بما نالها بالخبز والجوز والتمر

ثم أن أم كلثوم أطلعت رأسها من المحمل وقالت : صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم وتبكيها نساءكم فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء . فيينا هي تخاطبهن إذا بصيحة قد ارتفعت وإذا هم قد أتوا بالرووس يتقدمهم رأس الحسين ، وهو رأس أزهرى قمري أشبه الخلق برسول الله ، ولحيته كسواد السبج قد اتصل بها الخضاب ، ووجهه دائرة قمر طالع والريح تلعب بها يميناً وشمالاً ، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جيبيها بمقدم المحمل حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها ، وأومت إليه بحرقة قلب وهي تقول :

يا هلالا لما استتم كمالاً
يا هلالا لما استتم كمالاً
ما توهمت يا شقيق فؤادي
كان هذا مقدرأ مكتوباً
يا أخي فاطم الصغيرة كلمها
فقد كاد قلبها أن يذوبا
يا أخي قلبك الشفيق علينا
ماله قد قسى وصار صليبا
يا أخي لو ترى علياً لدى الأسر
مع اليتيم لا يطيق وجوبا

وكلما أوجعوه بالضرب نادا ك بوجود يفيض دمعاً سكوبيا
يا أخي ضمه إليك وقربه وسكن فؤاده المرعوبيا
ما أذل اليتيم حين ينادي بأبيه فلا يراه مجيبا

ثم بعد أن صار عليهن ما صار من المصائب العظيمة والأهوال التي تندك
لبعضها شامخات الجبال ، سيما ما وقع عليهن من الإهانة والإذلال في مجلس
ذلك الطاغي نسل الأزدال ، سيرهن ذلك الطاغي اللعين ابن زياد للشام هدية
للتاغي يزيد رأس الفجور والفساد ، فلم تنزل تلك الخفريات الطاهرات
وزين العابدين يسري بهن على تلك الحالة الفظيعة من قرية إلى قرية ، ومن
سوق إلى سوق ، ومن لعين إلى لعين .

سوافر بين الشامتين وجوهها تستر عن نظارها بالمعاصم
ومن بلدة تسبى إلى شر بلدة ومن ظالم تهدي إلى شر ظالم
حتى وصلوا بهن للشام ذات المصائب العظام .

قال شيخنا الكفعمي (رض) : في أول يوم من صفر أدخل رأس الحسين
إلى دمشق الشام ، وهو عيد عند بني أمية ، وهو يوم تتجدد فيه الأحزان والله در
القائل :

كانت مآتم بالعراق تعدها أمية بالشام من أعيادها

عن كامل البهائي : أوقفوا أهل البيت (ع) على باب الشام ثلاثة أيام حتى
يزينوا البلد ، فزينوها بكل حلي وزينة ومرآة كانت فيها ، فصارت بحيث لم تر
عين مثلها ، ثم استقبلهم من أهل الشام زهاء خمسمائة ألف من الرجال والنساء
مع الدفوف ، وخرج أمراء الناس مع الطبول والصنوج والبواقات ، وكان فيهم
ألف من الرجال والشبان والنسوان يرقصون ويضربون بالدفوف والصنج
والطنبور ، وقد تزين جميع أهل الشام بأنواع الثياب والكحل والخضاب ، وكان
خارج البلد من كثرة الخلائق كعرصة المحشر يموج بعضها في بعض ، فلما

ارتفع النهار أدخلوا الرؤوس البلد ومن ورائها الحرم والأسارى من أهل البيت .

قال سهل بن سعد : رأيت الرؤوس على الرماح يتقدمهم رأس العباس بن علي نظرت إليه كأنه يضحك ورأس الإمام (ع) كان وراء الرؤوس أمام المخدرات ، وللرأس الشريف مهابة عظيمة ويشرق منه النور بلحية مدورة قد خالطها الشيب وقد خضبت بالوسمة ، أدعج العينين ، أزج الحاجبين ، واضح الجبين ، أفنى الأنف ، متبسماً إلى السماء ، شاخصاً بصره إلى نحو الأفق والريح تلعب بلحيته .

قال الراوي : أدخلوا الرؤوس والسبايا من باب جيرون ، وكان يزيد لعنه الله في منظره على جيرون ، لما وقع طرفه على الرؤوس والسبايا أنشد :
لما بدت تلك الرؤوس وأشرفت تلك الشموس على ربي جيرون
لعب الغراب فقلت صح أو لا تصح فلقد قضيت من النبي ديوني

قال الباقر (ع) : سألت أبي علي بن الحسين (ع) عن كيفية دخولهم على يزيد لعنه الله ، فقال : أوقفونا أولاً على باب من أبواب القصر ثلاث ساعات في طلب الإذن من يزيد ، ثم أدخلونا عليه ونحن مربطون بحبل واحد مثل الأغنام ، وكان الحبل في عنقي وعنق عمتي زينب وأم كلثوم وباقي النساء والبنيات وكلما قصرنا عن المشي ضربونا حتى أدخلونا على يزيد لعنه الله .

فقل لسرايا شبيبة الحممد ما لكم قعدتم وقد ساروا بنسوتكم حسرى

وأعظم ما يشجي الغيور دخولها إلى مجلس ما بارح اللهو والخمرا
أقيمت لديه آه واذلة الهدى وكل عن النظار تنضم بالأخرى

ولنعرض عن ذكر بعض ما جرى على آل الرسول وأولاد علي والظاهر البتول في ذلك المجلس الخبيث من أولئك الفجرة النغول ، إذ المصاب عظيم والرزء جسيم ، ويعد أن فعل يزيد (لع) معهن ما فعل دعاهن وخيرهن بين المقام عنده أو الرجوع للمدينة فاختراروا الرجوع لها ، وقد كان عليه اللعنة أوعد

زين العابدين بقضاء ثلاث حاجات ، فلما عزموا على الرجوع قال عليه اللعنة للإمام (ع) : اذكر حاجاتك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن فقال (ع) :
الأولى : أن تريني وجه سيدي ومولاي وأبي الحسين فأترود منه .
والثانية : أن ترد علينا ما أخذ منا .

والثالثة : إن كنت عزمت على قتلي أن توجه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدهن .

فقال عليه اللعنة : أما وجه أهلك فلن تراه أبداً ، وأما قتلك فقد عفوت عنك ، وأما النساء فلا يردهن إلى المدينة أحد غيرك ، وأما ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته فقال (ع) : أما مالك فلا نريده وهو موفور عليك ، وإنما طلبت ما أخذت منا لأن فيه مغزل فاطمة (ع) ومقنعتها وقلادتها وقميصها ، فأمر برد ذلك فجهزوا وخرجوا من الشام فلما بلغوا العراق قالوا للدليل : مر بنا على طريق كربلاء ، فلما وصلوا إلى موضع المصرع وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه مع جماعة من بني هاشم وغيرهم قد وردوا إلى زيارة الحسين (ع) فتلاقوا في وقت واحد وأخذوا بالبكاء والنحيب واللطم ، وأقاموا العزاء واجتمع إليهم نساء أهل السواد ، فخرجت زينب في الجمع وأهوت إلى جيبها فشقتة ونادت بصوت حزين يقرح القلوب : وا أخاه وا حسينا وا حبيب رسول الله وا ابن مكة ومنى وا ابن فاطمة الزهراء وا ابن علي المرتضى آه آه ثم آه يا غريب الدير صبري غريب وقتيل الأعداء نومي قتيلا ووقعت مغشياً عليها فاجتمعن النساء إليها ورششن الماء عليها حتى أفاقت كأنني بها تنادي بلسان الحال :

يا نازلين بكربلا هل عندكم خبر بقتلانا وما أعلامها
ما حال جثة ميت في أرضكم بقيت ثلاثاً لا يزال مقامها
بالله هل واريموها في الثرى وهل استقرت في اللحد رمامها

فأقاموا هناك ثلاثة أيام ملازمين لإقامة المأتم وإجراء الدموع السواجم ،
ثم بعد ذلك أمر علي بن الحسين (ع) بشد الرحال فشدوها ، فصاحت سكينه
بالنساء لتوديع قبر أبيها فدرن حول القبر ، فحضنت سكينه قبر أبيها وبكت بكاءً
شديداً وحتت وأنشأت تقول :

ألا يا كربلا نودعك جسماً بلا كفن ولا غسل دفيناً
ألا يا كربلا نودعك روحاً لأحمد والوصي مع الأمينا
وانكبت أيضاً فاطمة ابنة الحسين على قبر أبيها وبكت بكاءً شديداً حتى
غشي عليها .

أحسين بعدكم لاهنا عيش ولا لذت مشارب
هانحن بعدك يا غريب الدار أمسينا غرايب
وعلى الشدائد يا شهيد الطف شدينا المصايب

فلما أرادوا الانفصال من كربلاء ذات المصائب والبلا وضع
زين العابدين (ع) يده المباركة على ذلك القبر الشريف ففاض منه دم عبيط ،
فأشار إلى تلك الحرم والأطفال وقال مخاطباً لهن بلسان الحال ودموع عينيه في
انهمال :

خذوا لكم من دم الأحباب تحفتكم وخاطبوا الجد هذي تحفة السفر
فأخذن من تلك الدماء الطاهرة وصبغن شعورهن الفاخرة ثم انفصلوا من
كربلاء طالبين المدينة بقلوب حزينة ومدامع هتونة .

قال بشر بن حذلم : فلما قربنا منها نزل علي بن الحسين (ع) فحط رحله
وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال : يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً فهل
تقدر على شيء منه ؟ فقلت : بلى يا ابن رسول الله إني لشاعر فقال (ع) :
أدخل المدينة وانع أبا عبد الله قال بشر : فركبت فرسي وركضت حتى دخلت
المدينة ، فلما بلغت مسجد النبي (ص) رفعت صوتي بالبكاء فأنشأت أقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

قال : ثم قلت : هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا
بساحتكم ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه قال : فما بقيت في
المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن ، مخمشة
وجوههن ، ضاربات خدودهن ، يدعون بالويل والثبور ، فلم أر باكياً أكثر من
ذلك اليوم ولا يوماً أمر على المسلمين منه .

الله أكبر مات الدين وانطمست أعلامه وهوى الإيمان والرشد
وقوضت خيم الأطهار من حرم الـ مختار لما هوى من بينها العمدة

قال : وسمعت جارية تنوح على الحسين (ع) وتقول :

نعى سيدي ناع نعاه فأوجعا وأمرضني ناع نعاه فأفجعا
أعيني جودا بالدموع واسكبا وجودا بدم بعد دمعكما معا
علي من دهى عرش الجليل فزعزعا فأصبح هذا الدين والمجد اجدعا
علي ابن نبي الله وابن وصيه وإن كان عنا شاحط الدار أشيعا

ثم قالت : أيها الناعي جددت حزننا بأبي عبدالله (ع) وخذشت منا قروحاً
لما تندمل فمن أنت يرحمك الله ؟ فقلت : أنا بشر بن حذلم ، وجهني مولاي
علي بن الحسين وهو نازل بموضع كذا وكذا مع عيال أبي عبدالله الحسين
ونسائه قال : فتركوني وبادروني ، فضربت فرسي حتى رجعت إليهم فوجدت
الناس قد أخذوا الطرق والمواضع ، فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس
حتى قربت من الفسطاط ، وكان علي بن الحسين داخلاً فخرج معه منديل
يمسح به دموعه وخلفه خادم معه كرسي فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك
[نفسه] من البكاء ، وارتفعت أصوات النساء بالبكاء وجئن النساء والجواري
والناس يعزونه من كل ناحية ، فضجت تلك البقعة ضجةً شديدةً وصار وكأنه

اليوم الذي مات فيه رسول الله (ص) .

ألا لا تزيّن الدار إلا بأهلها على الدار من بعد الحسين سلام

فلم يزل سلام الله عليه مدة بقاءه ملازماً لبكائه مصاحباً لحزنه وأشجانته ، ولم يكف أعداء الله وأعداء رسوله أولئك الطغاة اللثام ما صدر عليه وحل به من الفجائع العظام والرزايا الجسام والعلل والأسقام ، بل لا زالوا يرصدونه بالمخاوف ويقصدونه بالمكارة إلى أن آل الأمر إلى هشام بن عبد الملك ، وقيل الوليد بن عبد الملك عليهم اللعنة ، فدس إليه سماً في أشياء أعدها له فأكلها سلام الله عليه ، فلما سرى السم في بدنه الشريف وتيقن حلول أمر الله تعالى به وانقطاع أجله أقبل على ولده وخليفة الله من بعده أبي جعفر محمد الباقر (ع) وقال له : يا بني إن الوقت الذي وعدته قد قرب فأوصيك يا بني في نفسك خيراً ، واصبر على الحق وإن كان مرأً فإنه لتحدثني نفسي بسرعة الموت لقوله تعالى : ﴿أولم يروا إنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾^(١) ، يا بني لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق أبداً قال أبو جعفر (ع) : فقلت : يا أبة جعلت فداك من هؤلاء الخمسة ؟ فقال لي : لا تصحبن فاسقاً فإنه يعيبك ويبعك بأكلة فما فوقها ثم لا ينالها ، فقلت له : ومن الثاني ؟ فقال (ع) : لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك ماله أحوج ما كنت إليه ، فقلت له : ومن الثالث ؟ فقال لي : لا تصحبن كذاباً فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد ، فقلت له : ومن الرابع ؟ فقال لي : لا تصحبن أحمقاً فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، فقلت : يا أبة ومن الخامس ؟ فقال لي : لا تصحبن قاطع رحم فياني وجدته ملعوناً في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع ، ثم قال (ع) : يا بني إذا أنا مت فغسلني فإن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله ، واعلم أن أخاك عبدالله سيدعو الناس إلى نفسه ويدعي الإمامة بعدي ، فإذا دعاها فامنعه فإن أبي فدعه فإن عمره

(١) سورة الرعد ، الآية : ٤١ .

قصير ، واعلم يا بني أني مفارقك عن قريب فإن الموت قد قرب وقد بلغ الوليد مني مراده .

فيا لإمام محكم الذكر بعده تداعت له أركانه والجوانب
ويا لسقيم شقَّه السقم والبكا ويا لنحيل انحلت المصائب
ويا لفقيد قد أقامت مآتماً عليه المعالي فهي ثكلى نوادب
فلا عجب بيت النبوة أن دجى ومن أفقه بدر الإمامة غارب
وماد قوام للعلى ومقوم وجب سغام للبخار وغارب

قال محمد الباقر (ع) فضمني أبي إلى صدره ثم قال : يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ، وذكر (ع) أن من جملة ما أوصاه به أبوه أن قال : يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله ثم أغمي عليه ثلاثاً ، ثم فتح عينيه وقرأ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾^(١) ﴿وَإِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢) وقال : الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوء من الجنة حيث نشاء ، فنعلم أجر العاملين ، ثم أشرق من وجهه الشريف نور ساطع يكاد يخطف الأبصار ، ثم نادى : يا أبا جعفر عجل ، ففاضت نفسه الشريفة فلطم الباقر رأسه ورفع صوته بالبكاء وضح أهله وعياله وأهل المدينة ضجّةً واحدةً كادت منها الأرض أن تسيخ بأهلها ، وقام الصراخ وعلا النحيب من كل جانب ومكان ، ومادت السماوات وناحت الملائكة وهتفت الجن بالصراخ ، ولم يرفع حجر ولا مدر إلا وجد تحته دم عيبط ، وخرجت المخدرات من خدورها ناشرة لشعورها .

قضى ميتاً بالسم روحي فداءه وأهلي ومالي والبنون له فدا
قضى بنجيع السم من كيد ظالم تعدى على أهل النبوة والهدى
سأبكيه بالدمع الهتون صبابة وأهجر لذات الهنا مدة المدى
فيا لك من رزء عظيم وفادح أهد ذرى العلياء والمجد والندى

(١) سورة الواقعة ، الآية : ١ .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ١ .

ثم أخذ الباقر (ع) في تغسيله كما أمره وأدرجه في أكفانه ووضعته على سريره ، فحمل على الأعناق بالوجد والإحترق حتى أتى به إلى البقيع الأشرف ودفن هناك في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب والحسن الزكي المنتجب ، فيا له من مقام سمي الشهب .

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| قضى السجاد مظلوماً بسم | فما طيب الكرى لي من مباح |
| قضى السجاد فالصدقات سرأ | تقيم عليه مآدبة النياح |
| قضى كنز الأرامل واليتامى | وبحر الجود جف لدى الأجاج |
| قضى عين الحياة فأى عين | عقيب العين تبخل بالسفاح |
| قضى قطب الوجود فكيف تبقى | بنا الأفلاك دائمة السباح |
| بكته الجامدات فلا عجيب | بأن يبكي بالسنة الفصاح |
| وتبكيه الوقود وما عليها | وقد فقد المرجى من جناح |
| ويبكيه السماح وغير بدع | إذا يبكي السماح على السماح |

ولقد ورد أنه لما وضعه ابنه الباقر (ع) على المغتسل وجرده من ثيابه ، رأى على ظهره أثر فسئل الباقر (ع) عن ذلك فقال : هذا مما كان يحمله على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين . وقيل : قال الباقر (ع) : لما سئل عن ذلك وهو يبكي هذا أثر الجامعة التي وضعت على صدره ، والغل الذي في يديه ،

وكانت وفاته (ع) في يوم السبت الثامن عشر من شهر المحرم ، وقيل في الثاني والعشرين منه ، وقيل : في الخامس والعشرين منه وهو المشهور . وأما السنة فقيل : سنة اثنتين وتسعين ، وقيل : أربع وتسعين وقيل : خمس وتسعين ، وعمره الشريف سبع وخمسون سنة كأبيه (ع) ، وقيل : تسع وخمسون وأربعة أشهر وأيام ، وقيل : أربع وخمسون وقيل : ثمان وخمسون وكان في سني إمامته ملك يزيد وملك معاوية بن يزيد وملك مروان وابنه عبد الملك ، وتوفي في ملك الوليد بن عبد الملك وقيل : في ملك هشام بن عبد الملك وإنه هو الذي سمه

﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾^(١) ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾^(٢) .

وهذا ما رمت ذكره وأحبيت نشره والحمد لله رب العالمين ونسأله تعالى المغفرة والرحمة لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات إنه أرحم الراحمين وخير الغافرين ، وأنا العبد المسكين الجاني حسين ابن العالم المقدس الشيخ علي آل المرحوم الشيخ سليمان البلادي البحراني ثم القديحي القطيفي وحق أن أقول بما قاله بعض أولي العقول :

حجر على عيني يمر بها الكرى من بعد نازلة بعثرة أحمد
أقمار تمّ غالها خسف الردى واغتالها بصروفه الزمن الردي
شتى مصائبهم فبين مكابد سماً ومنحور وبين مصفد

ولقد أجاد آخر حيث يقول : عفى الله عن المؤمنين :

لا أضحك الله سن الدهر إن ضحكت وآل أحمد مظلومون قد قهروا
مشردون نفوا عن عقور دورهم كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر

فإنا لله وإنا إليه راجعون وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون . تمت هذه المختصرة على يد مؤلفها الأحقر باليوم الثامن من شهر عاشوراء سنة ١٣٥٩ هـ .

(١) سورة هود ، الآية : ١٨ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية : ٢٢٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين .

هذه القصيدة الغراء في رثاء الإمام زين العابدين (ع) للفاضل الذكي

الشيخ علي ابن المرحوم الحاج حسن الجشي دام تأييده :

أتجزع من وحشة الأربع وتبكي على طلل بلقع
وقاسى على جيرة بالحمى دعاها الحمام فلم ترجع
وقفت بأربعها لا ترى لسؤلك من أن تسله يعي
فرحت من الوجد مستنطقاً لعجم المنازل والأربع
وما العجم ناطقة أن تسل فإن شئت تصبر أو فاجزع
ودع عنك عتياً لدهر أسي فليس عتابك بالمنجع
وهل ذمة فيه ترعى وذا ذمام بني المصطفى ما رعي
وفوق أسهم بغى رمى بها أفضل السجد الركع
إذا درع الصبر في كربلا وقال لأم الخطوب اصنعي
فضاق الزمان بما أجلبت كما ضاق رجب الفضا الأوسع
وكادت من الغيظ تقضي وما أباحت حمى صبره الأمتع
وحق علاك الذي لم يحط بمعناه خيراً سوى المبدع
فهب أن ما نال منك العدى وإن عظم الخطب لم تدفع

وعزيمك أمضى من اللمع
أبادت سراتك في مصرع
ضحايماً على الترب لم ترفع
على فتية في الثرى صرع
وتمزج ماءك بالأدمع
وشمل النبوة لم يجمع
إلى أن قضيت ولم ترفع
وبالأسرفي الطف لم تقنع
ولكن أبت حكمة المبدع
لإزهاق نفسك في المضجع
وقبل هلاكك لم تهجع
مناها بتدبيرها الأشنع
عليما بسر القضا المودع
يقطع من سمها المنقع
تركت لذا الباس من مفرع
وسر الحقيقة أن يجزع
جروحاً من الأسر لم تنزع
وجامعة الأسر لم تنزع
له أسفاً كل شيء يعي
وخنت إلى قبره الأرفع
قنوطاً فسعيك لم ينجع
عراه الأفول فلم يطلع

تضيع تراث بني أحمد
وتغضي فديتك عن عصبه
وأنت تراها برمضى الطفوف
وتتخذ النوح طول الحياة
يخالط زادك ماء العيون
كستك المصائب ثوب الأسي
وهل كيف تخلع ثوب الأسي
وما صد عنك العدى ما أتوا
فأشخصت للشام من يشرب
وقد سهرت في تدابيرها
كأن بقاءك فذا عينها
وقد هجعت عندما أدركت
وما خلت تغتال بالسم يا
وما خلت قلبك قلب الوجود
فقل للردى من لنا بعده
عذرت إمام الهدى بعده
غداة رأى عند تغسيله
كأن القيود وغل اليدين
وحق الأسي لفقيد بكى
فلا عجباً إن بكته النياق
فيا وفد أفدية المكرمات
ويا طالبي الرشيد بدر الهدى

للخال المقدس الصالح الشيخ محمد صالح قدس سره في تخميس ثلاثة

آيات :

تكلب بي دهري وصار معاندي وأخلى ربوعي من طريف وتالد

وفاجعني في كل شهيم وماجد فلست أبالي بعد فقدان والدي
لما بي من فعل الزمان يكون

بقتلك لا كهف إذا الخطب نابني وبعذك لا أقوى على ما أصابني
ومن يرعني قدماً أراه أراعني أبي قد سطا دهري علي وخانني
وما كان عهدي بالزمان يخون

وددت بأي كنت من قبل مهلكا ويا ذل حالي أن أراك وقومكا
ضحايا ومن أملكه صار مملكاً أبي كنت قبل اليوم لا أعرف البكا
ولا سمحت لي بالدموع جفون

لبعضهم (رض) في التخسيس :

أنا ابن ولاة الأمر في كل موطن بنا أسس الإيمان والدين قد بني
أبعد استلام الناس كعبة مسكني أقاد ذليلاً في القيود كأنني
من الزنج عبد غاب عنه نصيره

يطوفون بي في فدغد اثر فدغد رهين قيود دامي العنق واليد
على ناقة عجفاء أهدى لملحد وجددي رسول الله في كل مشهد
وشيخي أمير المؤمنين وزيره

للفاضل الذكي الشيخ علي الجشي دام وجوده في رجوع السجاد (ع) من
الكوفة لدفن أبيه :

لم أنس لما عاد من أسر العدى سرّاً ليدفن جسم خير قتيل
وراه مطروحاً وقد حفت به قوم تنحوا خيفة التنكيل
ومذ استبانوا الحزن قالوا إننا جئنا لندفن سبط خير رسول
لكن لرفع الجسم والتحريك لم نر كلنا من قدرة وسبيل
فدعا ببارية هناك ولفه فيها بلا كفن ولا تغسيل
رفع الجنازة والملائك من أسى أموه بالتكبير والتهليل

ولحملة جاء النبي وحيدر والمجتبى في عبرة وعويل

وله عن لسان السجاد (ع) مخاطباً لأبيه بعد دفنه :

يا راحلاً ترك الدنيا برحلته ظلماً كالليل والأخرى اغتدت نورا
فأنت كالشمس أفق فيه قد طلعت يضيء وما عنه غابت عاد ديجورا
شهداً لم أزل ليلي عليك ولن أرى من الحزن مهما عشت مسرورا

وفاة الأمام
محمد الباقر^٧
"عليه السلام"

تأليف
العلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عصفور
الدارزي الجوافي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختار لأوليائه دار بقاءه ، وامتنحهم في دار دنياهم ببلائه ، وحبب إليهم كمال لقائه ، فسكنت أجسادهم في هذه الدار ، وعلق أرواحهم بدوح فئائه ، فصبروا على مضمضها بل أعدوها من عظيم نعمائه ، والصلاة والسلام على أول مبتلى في نفسه وعترته وأوليائه محمد وعترته المقابلين لهذه الرزايا بالحمد وكمال ثنائه .

وبعد : فيقول أضعف الخلق علماً وعملاً في آخرته ودنيائه سوى تمسكه بذيل محبته وولائه ، الراجي لفيض إحسانه السبحاني حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدارازي البحراني إني لما رأيت الناس من الشيعة والمؤمنين غير عارفين بوفيات أئمتهم المعصومين (ع) لعدم اشتهاها بين آبائهم المتقدمين مع ، ندبهم إلى إقامة العزاء والمراثي مدة الأعمار والسنين ، وقد ألفت فيما سبق بعض وفياتهم على الترتيب الواضح المبين ، وأحببت أن أستدرك وفيات الباقيين [منهم] محمد بن علي باقر علوم الأولين والآخرين فألفت هذا الكتاب الموجز اللطيف وجعلته مشتملاً على ثلاثة فصول حاوية للتنصيص عليه من آبائه الطاهرين ، وعلى معجزاته الشاهدة بإمامته على اليقين ، وعلى ذكر وفاته وما أصيب به من الكفرة الملاعين ، فيكون الفصل الأول للأول والثاني للثاني

والثالث للثالث وبالله أستعين وسميته بالمصاب الفاجر في وفاة محمد بن علي
الباقر .

الفصل الأول

في التنصيص عليه من النبي (ص) وآبائه الميامين سيما والده علي بن الحسين (ع) وقد ولد يوم الجمعة غرة رجب سنة سبع وخمسين .

كما في كتاب مصباح الشيخ (ره) برواية جابر الجعفي ، وروي أنه اليوم الثالث من شهر ذي الحجة وعليه الأكثر ، واسمه محمد وكنيته أبو جعفر (ع) ولقبه باقر العلم ، وأمه أم عبد الله بنت الحسين بن علي (ع) وهو أول علوي تولد من الحسنين (ع) ، وقد جاء في حديث اللوح الذي رآه جابر (ره) عند فاطمة الزهراء (ع) المنصوص فيه عليهم وعلى آبائهم وأمهاتهم ومدتهم .

وفي المناقب أن الباقر (ع) هاشمي من هاشميين ، وعلوي من علويين ، [و] فاطمي من فاطميين ، لأنه أول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين (ع) ، وكانت أمه أصدق الناس لهجة ، وأحسنهم بهجة وأبدلهم مهجة

وفي دعوات الراوندي (ره) عن أبي جعفر (ع) قال : كانت أمي قاعدة عند جدار فتصدع الجدار وسمعنا هدة شديدة ، فقالت بيدها : لا وحق المصطفى ما أذن الله تعالى لك أن تسقط ، فبقي معلقاً حتى جازته فتصدق أبي (ع) عنها بمائة دينار . وذكرها الصادق (ع) يوماً ، فقال : كانت صديقة لم

يدرك في آل الحسن (ع) مثلها ، وعمره (ع) سبع وخمسون سنة عمر أبيه (ع) وجده (ع) ، وأقام مع جده الحسين (ع) ثلاث سنين أو أربع سنين ، ومع أبيه علي بن الحسين (ع) أربعاً وثلاثين وعشرة أشهر ، وبعد أبيه تسعة عشرة سنة .

وروي ثمانية عشر سنة وذلك أيام إمامته (ع) ، وكان في سنين إمامته الملك للوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد ابن عبد الملك وهشام أخيه وإبراهيم بن الوليد ، وقبض (ع) في أول ملك إبراهيم ، وسيأتي يوم وفاته المختار منها في الفصل الثالث لأنه (ع) قتل مسموماً ، وإنما اختلف في سمه .

وروي جابر بن يزيد الجعفي (ره) كما في العلل لما سأله عمر بن شمر لم سمي الباقر باقراً ؟ قال : لأنه بقر العلم بقرأ ، أي شقه شقاً وأظهره إظهاراً . ولقد حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري (رض) أنه سمع رسول الله (ص) يقول : يا جابر إنك ستبقى حتى تلقى ولدي محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب (ع) المعروف بالباقر (ع) ، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام ، فلقية جابر بن عبد الله الأنصاري في بعض سكك المدينة ، فقال : يا غلام من أنت ؟ فقال : أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ، فقال له جابر : يا بني أقبل ، فأقبل ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، فقال (رض) : شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ورب الكعبة ، ثم قال : يا بني إن رسول الله (ص) يقرؤك السلام ، فقال (ع) : على رسول الله (ص) السلام ، فقال له جابر : يا باقر يا باقر أنت الباقر ، أنت الذي تبقر العلم بقرأ . ثم كان يأتي إليه فيجلس بين يديه فيعلمه وربما غلط جابر فيما يحدث به عن رسول الله (ص) فيرد عليه الباقر (ع) ويذكره فيقبل ذلك منه ويرجع إلى قوله ، وكان يقول : يا باقر يا باقر أشهد أنك أتيت الحكم صبياً .

وفي الاختصاص عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله (ع) قال : إن جابر ابن عبد الله قال : آخر من بقي من أصحاب رسول الله (ص) وكان رجلاً منقطعاً

إلينا أهل البيت (ع) ، فكان يقعد في مجلس رسول الله (ص) متعجراً بعمامته وكان يقول : يا باقر يا باقر ، وكان أهل المدينة يقولون : جابر هجر ، فكان يقول : لا والله ما أهجر ولكني سمعت رسول الله (ص) يقول : إنك ستدرك رجلاً مني اسمه اسمي وشمائله شمائلي يقرر العلم بقرأ ، فذلك الذي دعاني إلى ما أقول . فبينما جابر ذات يوم يتردد في طرق المدينة إذ مر محمد بن علي (ع) فنظر إليه ، فقال : يا غلام أقبل ، فأقبل ثم قال : أدبر ، فأدبر ، فقال : شمائل رسول الله (ص) ، والذي نفس جابر بيده ما اسمك يا غلام ؟ قال : محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ، فقبل رأسه ثم قال : بأبي أنت وأمي إن رسول الله (ص) يقرؤك السلام ، فقال (ع) : وعلى رسول الله (ص) السلام ، فرجع محمد بن علي (ع) إلى أبيه وهو ذعر فأخبره ، فقال : يا بني قد فعلها جابر ، قال : نعم قال يا بني الزم بيتك ، فكان يأتيه طرفي النهار وهو آخر من بقي من أصحاب رسول الله ، فلم يلبث أن مضى علي ابن الحسين (ع) فكان محمد بن علي (ع) يأتيه على الكرامة لصحبة رسول الله (ص) قال : فجلس الباقر (ع) يحدثهم عن رسول الله (ص) ، فقال أهل المدينة : ما رأينا قط أحداً أكذب من هذا يحدث عن من لم يره ، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بل عبد الله فصدقوه وكان والله جابر يأتيه فيتعلم منه .

وفي البشارة عن الصادق (ع) عن أبيه (ع) قال : دخلت على جابر بن عبد الله فسلمت عليه فرد علي السلام وقال لي : من أنت ؟ وذلك بعد ما كف بصره فقلت : محمد بن علي الباقر (ع) ، فقال (ره) يا بني ادن مني ، فدنوت منه فقبل يدي ثم أهوى إلى رجلي فقبلهما فتنحيت عنه ، ثم قال : يا بني ادن مني فإن رسول الله (ص) يقرؤك السلام فقلت : وعلى رسول الله (ص) السلام ورحمة الله وبركاته ، وكيف ذلك يا جابر ؟ ثم ذكر بقية الحديث الأول

وهذا الحديث مخالفاً لكثير من الأخبار الشاهدة بشهادة جابر له بقول رسول الله (ص) وياقرائه السلام وهو مبصر ، ولهذا شاهد علاماته وشمائله التي

أودعها إياه وهي لا تكون إلا مع الإبصار ، فلعله قد لقيه مرتين ويشهد لهذا ما في كشف الغمة عن أبي الزبير محمد بن مسلم المكي أنه قال : كنا عند جابر ابن عبد الله فأتاه علي بن الحسين (ع) ومعه ابنه محمد (ع) وهو صبي ، فقال علي (ع) : قبل رأس عمك فدنا محمد (ع) من جابر فقبل رأسه ، فقال جابر : من هذا ؟ وكان قد كف بصره ، فقال علي (ع) : هذا ابني محمد فضمه جابر إليه ، فقال : يا محمد يا محمد إن رسول الله (ص) يقرؤك السلام ، فقالوا لجابر : كيف ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : كنت عند رسول الله (ص) والحسين (ع) في حجره يلاعبه ، فقال : يا جابر يولد لابني هذا ابن يقال له علي (ع) إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين (ع) ويولد لعلي بن الحسين (ع) ابن يقال له محمد ، يا جابر إن رأيته فاقرأه مني السلام واعلم أن بقاءك بعد رؤيته يسيراً فلم يعيش بعد ذلك جابر إلا يسيراً :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| أبا علماً قد ذل للخلق كلهم | على دين من انهي إليه الرسالة |
| وأبرز حكم الله بعد خفائه | وأوضح برهاناً له والدلالة |
| وبشر أصحاب النبي ببقائه | علوماً أجت لم تحل المقالة |
| حوى من صفات المصطفى بعد اسمه | شمائله قد أورثته الجلالة |
| وقد حسدته أمة السوء يا لها | أمية إذ نالت هناك السفالة |
| فأردوه مسموماً على غير جرمة | فأذوا رسول الله أهل الضلالة |
| برئت إلى الله المهيمن منهم | فقد قابلوا علم النبي بالجهالة |
| فكيف لنفسه لا تموت صبابة | وقد لقيت آل النبي النكالة |
| وقتلأ بسم مع قيود بسجنها | وهتك احترام اتبعوه نزالة |

وفي التنصص عليه من أبيه (ع) بالإمامة حين لقي حمامه فهي كثيرة جداً ، فمنها خبر عثمان بن خالد كما في كتاب النصوص والمعجزات قال : مرض علي بن الحسين (ع) مرضه الذي توفي فيه ، فجمع أولاده محمد والحسن وعبد الله وعمر وزيداً والحسين وأوصى إلى ابنه محمد (ع) وكناه الباقر وجعل أمرهم

إليه ، وكان فيما أوعظ أن قال : يا بني إن العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والعقل ترجمان العلم ، واعلم أن العلم أبقى واللسان أكثر هذراً ، واعلم يا بني أن صلاح الدنيا بحدافيرها في كلمتين : اصلاح شأن المعاش ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء عرفه فافطن له ، واعلم أن الساعات تذهب عمرك وأنت لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى ، فإياك والأمل الطويل فكم من مؤمل أماً لا يبلغه ، وجامع مالم لا يأكله ، ومانع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه أو من حق منعه أصابه حراماً وورثه عدواً فاحتمل اصره وباء بوزره وورد على ربه خسراً ، أسفاً ذلك هو الخسران المبين .

وفيه عن مالك بن أعين الجهني قال : أوصى علي بن الحسين (ع) ابنه محمد بن علي (ع) ، فقال : يا بني إني جعلتك خليفتي من بعدي لا يدعي أحد فيما بيني وبينك إلا قلده الله يوم القيامة طوقاً من نار ، فأحمد الله تعالى على ذلك واشكره ، يا بني اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكره فإنها لا تنزول نعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت ، فكل من أنعم الله عليه بنعمة وجب عليه بها الشكر وتلا ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ (١) .

وفي خبر عبد الله بن عمر كما في البصائر عن أبي جعفر (ع) قال لما حضرت علي بن الحسين (ع) الوفاة قبل ذلك أخرج الصندوق فحمل بين أربعة ، فلما توفي جاء أخوته يدعون في الصندوق قالوا : اعطنا نصيبنا من الصندوق ، فقال : والله ما لكم فيه شيء إنما دفعه إلي ، وكان في الصندوق سلاح رسول الله (ص) وكتبه .

وفي خبر الزهري كما في النصوص والمعجزات قال : دخلت على علي ابن الحسين (ع) في المرض الذي توفي فيه إذ قدم إليه طبق فيه الخبز والهندباء

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٧ .

قلت : وما فضل الهندباء ؟ ما من ورقة من الهندباء إلا وعليها قطرة من الجنة فيها شفاء من كل داء ، ثم رفع الطعام وأتى بالدهن ، فقال : ادهن يا أبا عبد الله قالت : قد أدهنت قال : إنه هو البنفسج ، قلت : وما فضل البنفسج على سائر الأدهان قال : فضله على سائر الأدهان كفضل الإسلام على سائر الأديان ، ثم دخل عليه محمد ابنه فحدثه بالسر فسمعتة يقول : عليك بحسن الخلق فقلت : يابن رسول الله (ص) إن كان أمر الله مما لا بد منه ووقع في نفسي أنه (ع) قد نعى نفسه فألى من نختلف بعدك ؟ فقال : يا أبا عبد الله إلى ابني هذا ، وأشار إلى ابنه محمد الباقر (ع) ، فإنه وصيي ووارثي وعيبة علمي ومعدن الحكم وباقر العلم ، ثم قال (ع) : سوف يختلف إليه خلاص شيعتي ويقر العلم عليهم بقرأ قال : ثم أرسل ابنه محمد (ع) في حاجة له إلى السوق فلما جاء قلت : يابن رسول الله هلا أوصيت أكبر أولادك قال : يا أبا عبد الله ليست الإمامة بالكبير والصغر هكذا عهد إلينا رسول الله (ص) وهكذا وجدناه في اللوح والصحيفة ، قلت : يابن رسول الله فكم عهد إليكم نبيكم أن يكون الأوصياء من بعده ؟ قال : ووجدناه في الصحيفة واللوح إثنا عشر أسامي مكتوبة بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم ، ثم قال : يخرج من صلب ابني محمد (ع) سبعة من الأولياء فيهم المهدي عجل الله فرجه .

وكم مثل هذه الأخبار الدالة على النص على إمامته (ع) مما يضيق بها الاملاء ، فلله دره من معدن علم وعمل ومحل عصمة من الخطايا والزلل ، ولهذا فوض الله إليه أحكامه وأوعز إليه حلاله وحرامه ، فضاعت نفوس الحاسدين وأرادت إطفاء نوره ، فسمت إليه وأهبطت مقامه وقصدت هدم تلك الدعامة للعداوة القديمة وما فيهم من القباحة والدمامة ، فكأن رسول الله (ص) ما أولدهم ولم ينص عليهم بالولاية والإمامة طلبوا بذلك فبذلوا فيه حطامه وأمکنهم الله من ذلك ليحبوهم الله بالشهادة ودار المقامة ، فليت نفسي الفداء لهم قبل أن يلقوا من المنون حمامه .

شعر للمؤلف رحمه الله تعالى :
سأقضي حياتي بالكآبة والشجا
له شبه في العالمين وقد حوى
فلولاه ما قامت لأحد راية
فيا قاتل الله الغوي الذي سعى
أيقتل نفس المصطفى ووصيه
ذراري للزهراء وتيتيم شيعة
فذاك كتاب الله يبكي لفقدهم
وتلك محاريب المساجد قد خلت
وتلك دروس العلم أمست دوارس

على باقر العلم الذي ليس يوجد
فنون علوم الله فهو الموحد
ولا كان من بعد الوصيين مرشد
له بسموم فهو باغ ومخلد
ونجل حسين وابنه ويشردوا
توالوا بهم حتى أبعدوا وبددوا
وهذا رسول الله حزناً يعدد
فلا عابد فيها ولا متهجّد
فلا حكم فيها ولا حكم يمهد

الفصل الثاني

في معاجزه التي بهرت العقول ، ومكارم أخلاقه التي ورثها من الرسول وعلي فحل الفحول ومن آبائه الكرام حملة علم المعقول والمنقول ، وبها أظهرت تلك الأحقاد والذحول للغل الكامن في صدور أولئك النغول ، وقد جرت مع خلفاء عصره عجائب لا تدركها العقول لأنه (ع) قد بقر علم الرسول (ص) بقرأ ، فمنها ما وقع له في حياة أبيه (ع) حيث قد شكت الشيعة لآبيه (ع) من الظلم والقهر والتشريد والأمر المهول على ما رواه في عيون المعجزات مرفوعاً إلى جابر قال : أفضيت الخلافة إلى بني أمية فسفكوا في أيامهم الدم الحرام ، ولعنوا أمير المؤمنين (ع) على منابهم ألف شهر ، واغتالوا شيعته في البلدان وقتلوهم واستأصلوا شأفتهم ، ومالهم على ذلك علماء السوء رغبة بحطام الدنيا ، وصارت محتتهم على الشيعة لعن أمير المؤمنين (ع) فمن لم يلعه قتلوه ، فلما فشا ذلك في الشيعة وكثر وطال واشتكت إلى زين العابدين (ع) وقالوا: يا بن رسول الله حلّونا عن البلدان بالقتل الذريع ، وقد اعلنوا بلعن أمير المؤمنين (ع) في البلدان وفي مسجد رسول الله (ص) وعلى منبره ولا ينكر عليهم منكر ولا يعيرهم معير فإن أنكر واحد منا لعنوه وقالوا: هذا ترابي ، ورفع إلى سلطانهم وكتب إليه أن هذا ترابي أو ذكر أبي تراب (ع) بخير فضرب وحبس وقتل ، فلما سمع (ع) ذلك نظر إلى السماء وقال : سبحانك ما أعظم شأنك إنك أمهلت عبادك حتى ظنوا أنك

أهملتهم وهذا كله بعينك إذ لا يغلب قضاؤك ولا يرد محتوم أمرك فهو كيف شئت وأنى شئت لما أنت أعلم به منا ، ثم دعا بابنه محمد بن علي الباقر (ع) ، فقال يا محمد ، فقال البيك ، فقال (ع) : إذا كان غداً فاغداً إلى مسجد رسول الله (ص) وحط الخيط الذي نزل به جبرائيل (ع) على رسول الله (ص) وحركه تحريكاً ليناً ولا تحركه تحريكاً شديداً فيهلكوا جميعاً .

قال : جابر : فبقيت متعجباً من قوله لا أدري ما أقول ، فلما كان من الغد جئته وكان قد طال علي ليلي حرصاً لأنظر ما يكون من أمر الخيط ، فبينما أنا في الباب إذ خرج (ع) فسلمت عليه فرد علي السلام وقال لي : ما غدا بك يا جابر عنا ولم تكن تأتينا في هذا الوقت ؟ فقلت لقول الإمام (ع) بالأمس خذ الخيط الذي أتى به جبرائيل (ع) وسر به إلى مسجد رسول الله (ص) وحركه تحريكاً ليناً ولا تحركه تحريكاً شديداً فيهلك الناس جميعاً ، فقال الباقر (ع) : والله لولا الوقت المعلوم والأجل المحتوم والقدر المقدور لخسفت بهذا الخلق المنكوس في طرفه عين بل في لحظة ، ولكننا عباد مكرمون لا نسبقه بالقول ونحن بأمره عاملون .

قال جابر : فقلت : يا سيدي ومولاي ولم تفعل هذا بهم ؟ قال : ما حضرت بالأمس والشيعه تشكو إلى والدي (ع) ما يلقون من هؤلاء الأندال ؟ فقلت : يا سيدي ومولاي نعم ، فقال (ع) : إنه (ع) أمرني أن أرفعهم لعلهم ينتهون ، وكنت أحب أن تهلك طائفة منهم ليظهر الله البلاد ويريح العباد منهم . قال جابر : فقلت : سيدي كيف ترعبهم وهم أكثر من أن يحصى ، فقال الباقر (ع) : امض بنا إلى مسجد رسول الله (ص) لأريك قدرة من قدرة الله تعالى التي خصنا الله بها وما منَّ به علينا من دون الناس ، فقال جابر : فمضيت معه إلى المسجد فصلى ركعتين ثم وضع خده في التراب وتكلم بكلام ثم رفع رأسه وأخرج من كفه خيطاً دقيقاً فاحت منه رائحة المسك ، فكان في المنظر أدق من سم الخياط ثم قال لي : يا جابر خذ إليك طرف الخيط وامض وريداً ،

فمضيت ، فقال (ع) : قف يا جابر ، فوقفت ثم حرك الخيط تحريكاً خفيفاً ما ظننت أنه حركه من لينه ثم قال (ع) : ناولني طرف الخيط ، فناولته إياه وقلت ما فعلت يا سيدي ؟ فقال (ع) ويحك اخرج وانظر ما حال الناس .

قال جابر رضي الله عنه : فخرجت من المسجد فإذا الناس في صيحة واحدة والصيحة من كل جانب ، فإذا المدينة قد زلزلت زلزلة شديدة وأخذتهم الرجفة والهدمة ، وقد خرجت أكثر دور المدينة وهلك منها خلق كثير تزيد على ألف رجل وامرأة دون الولدان والناس في صياح وعويل وبكاء وهم يقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، خربت دار فلان وهلك أهلها ورأيت الناس فرعين إلى مسجد رسول الله (ص) وهم يقولون : هذه هدمة عظيمة وبعضهم يقول : قد كانت زلزلة وبعضهم يقول : كيف لا نخسف وقد تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظهر فينا الفسق والفجور وظلم آل محمد (ص) ، والله لينزل بنا أشد من هذا أو نصلح من أنفسنا ما أفسدنا قال جابر (رض) : فبقيت متحيراً أنظر إلى الناس حيارى يبكون ، فأبكاني بكاءهم وهم لا يدرون من أين أتوا ، فانصرفت إلى الباقر (ع) وقد حف به الناس في مسجد رسول الله (ص) وهم يقولون : يا بن رسول الله ألا ترى إلى ما نزل بنا ؟ فادع الله تعالى لنا ، فقال (ع) : افزعوا إلى الصلاة والدعاء والصدقة ، ثم أخذ بيدي وسار بي (ع) ، فقال : ما حال الناس فقلت : لا تسأل يا بن رسول الله ، خربت الدور والمسكن وهلك الناس ، ورأيتهم بحال رحمتهم فيه ، فقال (ع) لا رحمهم الله تعالى أما أنه قد بقيت عليك بقية ولولا ذلك لم ترحم أعداءنا وأعداءنا أوليائنا ثم قال (ع) : سحقاً سحقاً وبعداً بعداً للقوم الظالمين ، والله لولا مخالفة والدي (ع) لزدت في التحريك وأهلكتهم عن آخرهم وجعلت أعلاها أسفلها ، فكان لا يبقى فيها دار ولا جدار فما أنزلنا وأوليائنا من أعدائنا هذه المنزلة غيرهم ، ولكن أمرني مولاي (ع) أن أحركه تحريكاً ساكناً ثم صعد (ع) المنارة فزلزلت المدينة زلزلة خفيفة وتهدمت دور ، ثم تلا الباقر (ع) ﴿ ذلك جزيناهم

بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ﴿^(١)﴾ وتلا أيضاً ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ﴾ ﴿^(٢)﴾ فخرّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴿^(٣)﴾ .

قال جابر (رض) : فخرجت العواتق من خدورهن في الزلزلة الثانية يبكين ويتضرعن مكشفات لا يلتفت إليهن أحد ، فلما نظر الباقر (ع) إلى تحير العواتق رق لهن فوضع الخيط بكمه فسكنت الزلزلة ، ثم نزل (ع) عن المنارة والناس لا يرونه وأخذ بيدي حتى خرجنا من المسجد فمررنا بحداد اجتمع الناس عند حانوته والحداد يقول : أما سمعتم الهمهمة في الهدم ؟ فقال بعضهم : بل كانت همهمة كثيرة وقال قوم آخرون : والله كلام كثير إلا إننا لم نطلع على الكلام قال جابر (رض) : فنظر إلى الباقر (ع) وتبسم وقال : يا جابر هذا لما طغوا وبغوا فقلت : يا بن رسول الله ما هذا الخيط الذي فيه العجب ، فقال (ع) : بقية ما ترك آل موسى وآل عمران تحمله الملائكة ونزل به جبرائيل (ع) ، ويحك يا جابر إنا من الله تعالى بمنزلة ربيعة فلولا نحن لم يخلق الله سماء ولا أرضاً ولا جنة ولا ناراً ولا شمساً ولا قمراً ولا أنساً ولا جنأ ، ويحك يا جابر لا يقاس بنا أحدٌ يا جابر بنا والله أنقذكم ، وبنا والله أنعشكم ، وبنا والله هداكم ، ونحن والله دللناكم على ربكم فقفوا عند نهينا وأمرنا ولا تردوا علينا ما وردناه عليكم منا ، فما فهتموه فاحمدوا الله عليه ، وما جهلتموه فردوه إلينا وقولوا : أئمتنا أعلم بما قالوا .

قال جابر (رض) : ثم استقبله أمير المدينة القيم بها من بني أمية وقد نكب ونكبت حوله حريمه وهو ينادي معاشر الناس احضروا ابن رسول الله (ص) وتقربوا به إلى الله تعالى وتضرعوا إليه وأظهروا التوبة والإنابة لعل الله يصرف

(١) سورة سبأ ، الآية : ١٧ .

(٢) سورة هود ، الآية : ٨٢ .

(٣) سورة النمل ، الآية : ١٦ .

عنكم العذاب ، قال جابر (رض) : فلما بصر الأمير بمحمد الباقر (ع) سارع نحوه وقال : يا بن رسول الله أما ترى ما نزل بأمة محمد (ص) وقد هلكوا وفنوا ؟ ثم قال له : أين أبوك حتى نسأله أن يخرج إلى المسجد فنتقرب به إلى الله تعالى فيرجع عن أمة محمد (ص) البلاء ؟ فقال الباقر (ع) : يفعل إن شاء الله تعالى ، ولكن أصلحوا ما فسد من أنفسكم ، وعليكم بالتوبة والتورع عما أنتم عليه فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

قال جابر : فأتينا زين العابدين (ع) بأجمعنا وهو يصلي فانتظرناه حتى انتقل من الصلاة فأقبل علينا ثم قال لابنه سرأ : يا محمد كدت تهلك الناس جميعاً ، قال (ره) : فقلت : والله يا سيدي ما شعرت بتحريكه حين حركه ، فقال (ع) : لو شعرت بتحريكه ما بقي نافخ نار ، فما خبر الناس ؟ فأخبرناه ، فقال (ع) : ذلك مما استحلوا منا محارم الله تعالى وانتهكوا من حرمتنا ، فقلت : يا بن رسول الله إن سلطانهم بالباب قد سألنا أن نسألك أن تحضر المسجد حتى تحضر الناس إليك فيدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويسألونه الإقالة ، فتبسم (ع) ثم قال : ﴿ أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾^(١) قلت : يا سيدي ومولاي العجب أنهم لا يدرون من أين أتوا ، فقال : أجل وتلا ﴿ فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا وما كانوا بآيتنا يجحدون ﴾^(٢) هي والله يا جابر آياتنا ، وهذه والله إحداها وهي مما وصف الله تعالى في كتابه ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ﴾^(٣) .

ثم قال (ع) : يا جابر ما ظنك بقوم أماتوا سنتنا وضيعوا عهدنا ووالوا

(١) سورة غافر ، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٥١ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨ .

أعدائنا وانتهكوا حرمتنا وظلموا حقنا وغيصبوا إرثنا وأعانوا الظالمين علينا وأحيوا سنتهم وساروا بسيرة الفاسقين الكافرين في فساد الدين وإطفاء نور الحق؟ قال جابر: فقلت: الحمد لله الذي من علينا بمعرفتكم وعرفني فضلكم وألهمني طاعتكم ووفقني لموالات أوليائكم ومعاداة أعدائكم، فقال (ع): أتدري ما المعرفة؟ فأورد عليه الخبر بطوله.

ولله در من قال:

| | |
|------------------------|-------------------------|
| لقد أظهر الله آياتهم | كما أظهر النور من شمسها |
| وأحيا معالم دين الآله | وشيدها بعدما أسسها |
| وقوم أعلامهم في السورى | جهاراً وقد كان في نكسها |
| فوالهفتاه لإمام مضى | وأبقى مرائر في نفسها |
| أيققل خير السورى جهرة | ويصبح ذي الدين في نكسها |
| أباقر علم النبي الذي | توالى الخلائق من أنسها |
| ومن جنها في قفار لها | كذاك الملائك في قدسها |
| فيا دمعتي فاسكتي دمها | ويا فرحتي فاذهبي امسها |
| وعيد الأنام فما مربى | ولا مالت النفس في عرسها |
| ودمعي مراق ونومي جفا | جفوني ولا ذاق من نعسها |

وفي كتاب دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري رحمه الله تعالى بإسناده عن الصادق (ع) قال: حج هشام بن عبد الملك سنة من السنين، وكان قد حج في تلك السنة محمد بن علي الباقر وابنه جعفر صلوات الله عليهما، فقال جعفر ابن محمد (ع): الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً وأكرمنا به فنحن صفوة الله تعالى من على خلقه وخيرته من عباده وخلفائه، فالسعيد من اتبعنا والشقي من عادانا وخالفنا قال: فأخبره مسلمة أخوه بما سمع فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة، فأنفذ بريداً إلى المدينة لإشخاصي

وإشخاص أبي (ع) ، فأشخصنا فلما وردنا مدينة دمشق حجبتنا ثلاثة أيام ثم أذن لنا في اليوم الرابع ، فأدخلنا عليه وإذا هو قد قعد على سرير الملك وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم متسلحون وقد نصب الغرض وأشياخ قومه يرمون ، فلما دخلنا وأبي (ع) أمامي وأنا خلفه فنادى أبي وقال : ارم مع أشياخ قومك الغرض ، فقال له أبي (ع) : قد كبرت عن الرمي فهل رأيت أن تعفيني ؟ فقال : وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد (ص) لا أعفيك ، ثم أومى إلى شيخ من بني أمية وقال : أعطه قوسك ، فتناول أبي (ع) عند ذلك قوس الشيخ ثم تناول منه سهماً فوضعه في كبد القوس ، ثم انتزع السهم ورمى الغرض فنصبه فيه ، ثم رمى الثانية فشق فوافق سهمه إلى نصله ، ثم تابع الرمي حتى شق تسعة أسهم بعضاً في جوف بعض وهشام يضطرب في مجلسه فلم يتمالك أن قال : أجدت يا أبا جعفر وأنت أرمى العرب والعجم ، زعمت أنك كبرت عن الرمي ثم أدركته ندامة على ما قال ، وكان هشام لم يكن أجمل قبل أبي (ع) ولا بعده في خلافته فهمم به وأطرق إلى الأرض إطراقة يتروى فيه ، وأنا وأبي (ع) واقفان حذاه موجهان نحوه ، فلما طال وقوفنا غضب أبي (ع) وهم به وكان أبي (ع) إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب في وجهه .

فلما نظر هشام من أبي ذلك قال له : إلي إلي يا محمد فصعد أبي السرير وأنا اتبعه ، فلما دنا من هشام قام إليه واعتنقه وأقعدته عن يمينه ، واعتنقني وأقعدني عن يمين أبي (ع) ، ثم أقبل على أبي بوجهه ، فقال له : يا محمد لا تزال العرب تسودها قريش ما دام فيها مثلك ، فله درك من علمك هذا الرمي وفي كم تعلمته ؟ فقال أبي : قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيام حدائتي ، فلما أراد أمير المؤمنين ذلك مني عدت إليه ، فقال : ما رأيت مثل هذا الرمي منذ عقلت ، وظننت أن احداً في الأرض يرمي هذا الرمي أيرمي ابنك جعفر (ع) مثل هذا الرمي ؟ فقال (ع) : نحن نتوارث في تمام الدين كما قال الله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم

الإسلام ديناً ﴿١﴾ والأرض لا تخلو ممن يكمل هذه الأمور التي يقصر عنها
غيرنا .

فلما سمع هشام ذلك من أبي (ع) انقلبت عينه اليمنى واحولت واحمر
وجهه ، وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب ، ثم أطرق هنية ، ثم رفع رأسه ،
فقال لأبي (ع) : ألسنا بني عبد مناف نسبنا ونسبكم واحد ؟ فقال أبي : نحن
كذلك ، ولكن الله جل ثناؤه اختصنا من مكنون سره وخالص علمه بما لا يخص
به أحداً غيرنا ، فقال : أليس الله جل ثناؤه بعث محمداً (ص) من شجرة
عبد مناف إلى الناس كافة أبيضها وأسودها وأحمرها ؟ من أين ورثتم ما ليس
لغيركم ورسول الله (ص) مبعوث إلى الناس كافة وذلك قول الله تعالى ﴿ والله
ميراث السموات والأرض ﴾ (٢) الآية ، فمن أين ورثتم هذا العلم وليس بعد
محمد (ص) نبي ولا أنتم أنبياء ؟ فقال (ع) : عن قوله تعالى لنبية : ﴿ لا تحرك
به لسانك لتعجل به ﴾ (٣) لم يحرك به لسانه لغيرنا ، أمره الله أن يخصنا به من
دون غيرنا ، فلذلك كان يناجي أخاه علياً (ع) من دون أصحابه ، فأنزل الله
تعالى بذلك قرآناً في قوله تعالى ﴿ وتعيها اذن واعية ﴾ (٤) ، فقال
رسول الله (ص) لعلي (ع) من دون أصحابه : سألت الله عز وجل أن يجعلها
أذنك يا علي ، فلذلك قال علي (ع) بالكوفة : علمني رسول الله (ص) ألف
باب من العلم ففتح لي من كل باب ألف باب خصه رسول الله (ص) من مكنون
سره بما لم يخص به أحداً من قومه حتى صار إلينا فورثناه من دون أهلنا .

فقال هشام : إن علياً (ع) كان يدعي علم الغيب والله تعالى لم يطلع على

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ١٠ .

(٣) سورة القيامة ، الآية : ١٦ .

(٤) سورة الحاقة ، الآية : ١٢ .

غيبه أحداً ، فكيف ادعى ذلك ؟ فقال أبي (ع) : إن الله جل ذكره أنزل على نبيه كتاباً بين فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾^(١) وفي قوله تعالى ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾^(٢) وأوحى الله تعالى إلى نبيه (ص) أن لا يبقي في غيبه وعلمه وسره ويمكنون علمه شيئاً إلا يناجي به علياً (ع) ، فأمره أن يؤلف^(٣) القرآن من بعده ويتولى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه وقال لأصحابه : حرام على أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي (ع) فإنه مني وأنا منه ، له مالي وعليه ما علي ، وهو قاضي ديني ومنجز عداوتي ووعدتي . ثم قال لأصحابه : إن علي بن أبي طالب (ع) يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله ، ولم يكن عند أحد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلا عند علي (ع) ولذلك قال رسول الله : أقضاكم علي (ع) ، أي هو قاضيكم ، وقال عمر : لولا علي (ع) لهلك عمر ، يشهد له عمر ويحجد غيره .

فأطرق هشام طويلاً ثم رفع رأسه فقال : سل حاجتك فقال : خلفت عيالي وأهلي مستوحشين لخروجي ، فقال قد أنس الله وحشتهم برجعك إليهم ولا تقم ، سر من يومك إليهم ، فاعتنقه أبي (ع) ودعا له ، وفعلت أنا كفعل أبي (ع) ، ثم نهض ونهضت معه وخرجنا إلى بابه ، وإذا ميدان ببابه وفي آخر الميدان أناس قعود وعدد كثير فقال أبي : من هؤلاء ؟ فقيل : هؤلاء القسيسون والرهبان وهذا عالم لهم يقعد لهم في كل سنة مرة يوماً واحداً يستفتونه فيفتيهم ، فلف أبي (ع) عند ذلك نفسه بفاضل رداثة ففعلت أنا كفعل أبي ، فأقبل نحوه وقعد وقعدت وراءه ورفع الخبر إلى هشام ، فأمر بعض غلمانته أن يحضر الموضع فينظر ما يصنع أبي (ع) ، فأقبل وأقبل عدد من المسلمين فأحاطوا بنا

(١) سورة النحل ، الآية : ٨٩ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٣٨ .

(٣) يؤلف : يجمع .

وأقبل عالم النصارى قد شد حاجبيه بخرقه صفراء حتى توسطنا ، فقام إليه جمع من القسيسين والرهبان مسلمين عليه فجاؤوا به إلى صدر المجلس فقعده فيه وأحاط به أصحابه وأبي (ع) وأنا بينهم ، فأدار نظره فقال لأبي : أمنا أم من هذه الأمة المرحومة ؟ فقال (ع) : من هذه الأمة المرحومة فقال : من اين أنت أمن علمائها أم من جهالها ؟ فقال أبي (ع) : لست من جهالها ، فاضطرب اضطراباً شديداً فقال لأبي : أسألك ؟ فقال أبي : اسأل فقال : من أين ادعيتم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون ؟ وما الدليل على ذلك من شاهد لا يجهل ؟ فقال أبي (ع) : الجنين في بطن أمه يأكل ولا يحدث . قال : فاضطرب النصراني اضطراباً شديداً ، فقال : هلا زعمت أنك لست من علمائها ؟ فقال أبي (ع) : ولست من جهالها وأصحاب هشام يسمعون ذلك ، فقال لأبي : أسألك مسألة أخرى فقال أبي (ع) : اسأل فقال لأبي : من أين ادعيتم أن فاكهة الجنة غضة طرية موجودة غير معدومة عند أهل الجنة ؟ وما الدليل عليه من شاهد لا يجهل ؟ .

فقال أبي (ع) : دليل ما ندعيه أن السراج أبداً يكون غضاً طرياً موجوداً غير معدوم عند أهل الدنيا لا ينقطع أبداً ، فاضطرب اضطراباً شديداً ثم قال ؛ هلا زعمت أنك لست من علمائها ؟ فقال أبي ولست من جهالها .

فقال اسألك مسألة فقال : اسأل فقال : أخبرني عن ساعة لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار فقال له أبي (ع) : هي الساعة التي من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، يهدأ فيها المبتلى ويرقد فيها الساهر ويفيق المغمى عليه ، جعلها الله في الدنيا دليلاً للراغبين وفي الآخرة دليلاً للعالمين ، لها دلائل واضحة وحجة بالغة على الجاحدين المتكبرين الناكرين لها ، قال : فصاح النصراني صيحة عظيمة ثم قال : بقيت مسألة واحدة والله لأسألك مسألة لا تهتدي إلي ردها أبداً فقال له : سل ما شئت ، فإنك حانث في يمينك فقال أخبرني عن مولودين ولدا في يوم واحد وماتا في يوم واحد عمر أحدهما خمسين

سنة والآخر عمره مائة وخمسين سنة .

فقال له أبي (ع) : ذلك عزيز وعزيرة ولدا في يوم واحد فلما بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين سنة مر عزيز على حمارة وهو راكبه على بلد اسمها انطاكية وهي خاوية على عروشها فقال : أتى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه على حمارة بعينه وطعامه وشرابه لم يتغير ، وعاد إلى داره وأخوه عزيرة وولده قد شاخوا وعزير شاب في سن خمسة وعشرين سنة ، فلم يزل يذكر أخاه وولده وهم يذكرون ما يذكره ويقولون : ما أعلمك بأمر قد مضت عليه السنين والشهور ، وعزيرة يقول له وهو شيخ كبير ابن مائة وخمسة وعشرين سنة : ما رأيت شاباً أعلم بما كان بيني وبين أخي عزيز أيام شبابي منك ، فمن أهل السماء أنت أم من أهل الأرض ؟ فقال : يا عزيرة أنا عزيز أخوك ، قد سخط الله علي بقول قلته بعد أن اصطفاني الله وهداني ، فأماتني مائة سنة ثم بعثني بعد ذلك لتزدادوا بذلك يقيناً أن الله تعالى على كل شيء قدير ، وهذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجت به من عندكم أعاده الله تعالى كما كان ، فعند ذلك أيقنوا فأعاشه الله بينهم خمسة وعشرين سنة ثم قبضه الله تعالى وأخاه في يوم واحد .

فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً ، وقام النصارى على أرجلهم فقال لهم عالمهم : جئتموني بأعلم مني واقعدتموه معكم حتى هتكني وفضحني وأعلم المسلمين بأنه احاط بعلومنا وأن عنده ما ليس عندنا ، والله لا كلمتكم من كلمة واحدة ولا قعدت لكم إن عشت بعد هذه ففرقوا وأبي (ع) قاعد مكانه وأنا معه ، ورفع ذلك إلى هشام فبعث إلينا بالجائزة وأمرنا أن ننصرف إلى المدينة من ساعتنا ولا نجلس لأن الناس ماجوا وخاضوا فيما دار بين أبي (ع) وعالم النصارى ، فركبنا دوابنا منصرفين وقد سبقنا بريد إلى عامل مدينة مدين أن ابني أبي تراب (ع) الساحرين محمد بن علي وجعفر بن محمد (ع) الكذابين بل هو الكذاب ، فيما يظهر أن من الإسلام وردا علي فلما صرفتهما إلى المدينة مالا

على القسيسين والرهبان من كفار النصارى وتقربا إليهم بالنصرانية ، فكرهت أن أنكل بهما لقرايتهما فإذا قرأت كتابي هذا فناد في الناس برثت الذمة ممن يشاريهما أو يبإيعهما أو يصفأفهما أو يسلم عليهما فإنهما قد ارتدا عن الإسلام ، ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ودوابهما وغلمايهما ومن معهما أشر قتلة فورد البريد إلى مدينة مدين .

فلما شارفنا مدين قدم أبي (ع) غلمايه ليرتادوا لنا منزلاً ويشترؤوا لنا ولدوابنا طعاماً وعلفأ ، فلما قرب غلماينا من باب المدينة أغلقوا الباب في وجوههم وشتموهم وذكرؤوا علي بن أبي طالب (ع) ونالوا منه ، وقالوا لا نزول لكم عندنا ولا بيع ولا شراء يا كفار يا مشركين يا مرتدين يا كذابين يا أشر الخلق أجمعين .

فوقف غلماينا على الباب حتى انتهينا إليهم ، فكلمهم أبي (ع) ولين لهم القول وقال لهم : اتقؤوا الله ولا تغلطؤوا فلسنا كما بلغكم ولا نحن كما يقولون فاسمعؤنا ، وقال لهم : إن كنا كما قلتهم فافتحؤا لنا الباب وشارؤنا وبإيعؤنا كما تشارؤن وتبإيعؤن اليهود والنصارى فقالؤا : إن هؤلاء يؤدون الجزية وانتم ما تؤدون الجزية فقال لهم أبي (ع) : افتحؤا لنا الباب وانزلؤنا وخذؤا منا الجزية كما تأخذؤن منهم ، فقالؤا : لا نفتح لكم الباب ولا كرامة لكم حتى تموتؤا على ظهور دوابكم جياعأ أو تموت دوابكم تحتكم . فوعظهم أبي فازدادؤا عتؤأ ونفورأ فثنى أبي (ع) رجليه عن سرجه ثم قال لي : مكانك يا جعفر لا تبرح ، ثم صعد (ع) الجبل المطل على مدينة مدين وهم ينظرون إليه ما يصنع ، فلما صار في أعلاه استقبل بوجهه المدينة ثم وضع اصبعه في أذنيه ثم نادى بأعلى صوته ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبأ - إلى قوله - بقية الله خير لكم ﴾ (١) فأمر الله ريحأ سوداء مظلمة فهبت واحتملت صوت أبي (ع) وطرحته إلى اسماع الرجال

(١) سورة هود ، الآيات : ٨٤ - ٨٦ .

والنساء والصبيان ، فما بقي أحد منهم إلا صعدوا السطوح وأبي (ع) : مشرف عليهم .

فكان فيمن صعد شيخ من أهل مدين كبير السن ، فنظر إلى أبي (ع) على الجبل فنادى بأعلى صوته : اتقوا الله يا أهل مدين ، فإنه قد وقف الموقف الذي وقف فيه شعيب (ع) حين دعا على قومه ، فإن أنتم لم تفتحوا له الباب ولم تنزلوه جاءكم من الله العذاب وإني أخاف عليكم وقد أعذر من أنذر ، ففزعوا وفتحوا الباب وأنزلونا . وكتب بجميع ذلك إلى هشام ، فارتحلنا في اليوم الثاني فكتب هشام إلى عامل مدين أن يحتال في سم أبي (ع) في طعام أو شراب فلم يتهياً من ذلك له شيء :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| بما جنيتم على أبناء يآسين | بني أمية لا قرت عيونكم |
| بسنص قرآنه في أي تبسين | جحدتم لحقوق أوجبت لهم |
| إلهم من ولاة الأمر والدين | حسدتموهم على ما خصهم ودعا |
| في دمهم عنوة بتر الملاعين | اسقيتموهم سموماً بعدما نهلت |
| دياجي الكفر عمت كل مسكين | أطفيتم لمصاييح الهدى فغدت |
| دم الرسالة يا نسل الملاعين | يا نسل مروان ماذا قد أباح لكم |
| وقد غدوا بين مأسور ومسجون | أمليتم الأرض من جاري دمائهم |
| يمينه عنهم من بعد تمكين | فما هشامكم قد عف مذ ملكت |
| عن البسيط بتنكيل وتوهين | سعى لقتلهم حتى أبادهم |
| على القلوب فما دمعي بمخزون | يا باقر العلم قد جلت رزيتكم |
| دكت معالم دين الله في حين | وقد تنسى لهاتيك الخطوب وقد |
| بالقائم المرتجى بالنصر والعون | الله يجبر كسراً قد أصابكم |

وفي كتاب كامل الزيارات عن أبي بصير (رض) عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : بعث هشام إلى أبي فأشخصه إلى الشام فلما دخل عليه قال له : يا أبا جعفر (ع) أنا بعثت إليك لأسألك عن مسألة لم يصلح أن يسألك عنها

غيري ، ولا ينبغي أن يعرف هذه المسألة إلا رجل واحد فقال أبي (ع) : يسألني أمير المؤمنين عما أحب فإن علمت أحبته وإن لم أعلم قلت لا أدري ، وكان الصدق أولى بي فقال له هشام : أخبرني عن الليلة التي قتل فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بما استدل الغائب عن المصر الذي قتل فيه علي بن أبي طالب (ع) ؟ وما كانت العلامة فيه للناس ؟ وأخبرني هل كانت لغيره في قتله علامة ؟ فقال له أبي (ع) : إنه لما كانت الليلة التي قتل فيها علي (ع) لم يرفع فيها حجر عن وجه الأرض إلا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر ، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون (ع) ، وكذلك الليلة التي رفع فيها عيسى ابن مريم (ع) ، وكذلك الليلة التي قتل الحسين بن علي (ع) ، فتردد وجه هشام وامتعض لونه وهم أن يبسطش بأبي (ع) فقال أبي : الواجب على الناس الطاعة لإمامهم والصدق له بالنصيحة ، وإن الذي دعاني إلى ما أحببت به أمير المؤمنين فيما سألتني عنه معرفتي بما يجب له من الطاعة فليحسن ظن أمير المؤمنين ، فقال هشام : أعطني عهد الله وميثاقه أن لا ترفع هذا الحديث ما حييت ، فأعطاه أبي من ذلك ما أرضاه فقال هشام : انصرف إلى أهلك إذا شئت فخرج أبي متوجهاً من الشام إلى الحجاز .

فأركب هشام بريداً وكتب معه إلى جميع عماله ما بين دمشق إلى يثرب فأمرهم أن لا يأذنوا لأبي في شيء من مدائنهم ولا يبايعوه في أسواقهم ولا يأذنوا له في مخالطة أهل الشام حتى ينفذ إلى الحجاز ، فلما انتهى إلى مدينة مدين ومعه حشمه وأتاه بعضهم فأخبره أن زادهم قد نفذ وانهم قد منعوا من السوق ، وأن باب المدينة أغلق عليهم فقال (ع) : فعلوها ، آتوني بماء للوضوء ، فجيء بماء فتوضأ منه ثم توكأ على غلام له ثم صعد الجبل حتى إذا صار في ثنية الجبل استقبل القبلة فصلى ركعتين ثم قام وأشرف على المدينة ثم نادى بأعلى صوته وقال : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً - إلى قوله تعالى - بقية الله خير لكم ﴾ (١) ثم

(١) سورة هود ، الآية : ٨٤ - ٨٦ .

وضع يده على صدره ثم نادى بأعلى صوته أنا بقية الله أنا والله بقيته .

قال : وكان في أهل مدين كبير وقد بلغ السن به وأدبته التجارب ، وقد قرأ الكتب وعرفه أهل مدين بالصلاح ، فلما سمع النداء نادى وقال : اطرحوني ، فحمل ووضع في وسط المدينة فاجتمعوا إليه فقال لهم : ما هذا الذي سمعته من فوق الجبل ؟ قالوا : هذا رجل يطلب متاعاً فمنعه السلطان من ذلك فحال بينه وبين منافعه ، فقال الشيخ : أنطيعوني ؟ فقالوا : نعم فقال : إن قوم صالح إنما ولي عقر الناقة منهم رجل واحد وعذبوا جميعاً على الرضى بفعله وهذا رجل قد قام مقام شعيب (ع) ونادى نداء شعيب فارفضوا السلطان وأطيعوني واخرجوا إليه بالسوق واقضوا حاجته وإلا والله لم آمن لكم الهلكة ، قال : ففتحو الباب وأخرجوا السوق إلى ابي (ع) ، فأخذنا حاجتنا ودخلوا مدينتهم . وكتب عامل هشام إليه بما فعلوه وبخبر الشيخ ، فكتب هشام إلى عامله بحمل الشيخ إليه فحمل فمات في الطريق رحمه الله تعالى .

| | |
|------------------------------|--------------------------|
| والله ما عادُ أنت بفعالهم | كلا ولا فرعونها وثمرود |
| لم يجرموا مثل اجترام هشامهم | ويزيدهم قد زادوهو جحدود |
| ما جاء في دين الآله فويله | قد هان عنه ما جنى نمرود |
| يا ويلهم حسداً تمكن فيهم | لريائه ما قدماه حسود |
| قد أظهروا ساداتنا ما قد رأوا | من منكر وعفت بذاك حدود |
| موسى الكلیم يفر من فرعونها | لبلاد مدين فالتقاه سعود |
| وهشام باقر علمهم ما لم ينج | من طفيانه وبها عراه صعود |
| فعلیهم وعليه لعن دائم | وعلى يزيد والطفغة يزيد |

وفي كتاب المناقب بإسناده قال : لما أشخص أبي (ع) إلى دمشق سمع الناس يقولون : هذا من أولاد أبي تراب (ع) ، فأسند ظهره إلى جدار مستقبلاً القبلة ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (ص) ثم قال اجتنبوا أهل الشقاق وذرية النفاق وحشو النار وحطب جهنم ، عن البدر الزاهر والبحر الزاخر

والشهاب الثاقب علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (ع) ، والصراط المستقيم ﴿ من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً ﴾^(١) ثم قال بكلامه : أبصنورسول الله (ص) تستهزؤون؟ أم بيعسوب الدين تلمزون ؟ وأي سبيل بعده تسلكون وأي حزب تدفعون ؟ هيهات هيهات برز والله بالسبق ، وفاز بالخصل ، واستولى على الغاية ، وأحرز الخطاب فانحسرت عنه الأبصار ، وخضعت دونه الرقاب ، وقرع ذروة العلياء ، فكذب من رام من نفسه السعي وقد أعياه الطلب ، فأتى لهم التناوش من مكان بعيد وقال : أقلوا أقلوا لا أبأ لكم من اللومة أو سدوا مكان الذي سدوا ، أولئك قوم إن بنوا أحسنوا ، وإن عاهدوا وفوا ، وإن عقدوا شدوا ، فأنى يسد ثلثة أخ رسول الله (ص) إذ شفعا ، وشقيقه إذ نسبوا ، ونديده إذ قبلوا ، وذوي قريبي كبيرها إذ فتحوا ، ومصلبي القبليتين إذ انحرفوا ، والمشهود له بالإيمان إذ كفروا ، والمدعو بمبيد المشركين إذ نكلوا ، والخليفة على المهاد ليلة الحصار إذ جزعوا ، ومستودع الأسرار ساعة الوداع ، إلى آخر كلامه (ع) .

عن الخليل بن أحمد العروضي قال : حضرت مجلس الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وقد اسحنفر في سبِّ علي واثخنجر في ثلبه إذ خرج عليه أعرابي على ناقة له وذفراها يسيلان لشدة السير دماً ، فما رآه الوليد في منظرته قال : إذذنوا لهذا الأعرابي فيأني أراه قد قصدنا ، فجاء الأعرابي فعقل ناقته بطرف زمامها ثم أذن له فدخل فأورده قصيدة لم يسمع مثلها قط جودة فلما انتهى إلى قوله :

ولما أن رأيت الدهر آلا علي ولح في إضعاف حالي
وفدت إليك أبغي حسن عقبي أعييل بها خصاصات العيال
وقائلة إلى من قد أراه يؤم ومن يرجى للمعالي

(١) سورة النساء ، الآية : ٧٤ .

فقلت إلى الوليد أؤم قصداً وقاه الله من غير الليالي
هو الليث الهصور شديد باس هو السيف المجرد للقتال
خليفة ربنا الداعي علينا وذي المجد التليد أخ الكمال

قال : فقبل مدحته وأجزل عطيته وقال : اخا العرب قد قبلنا مدحتك
وأجزلنا صلتك فاهج لنا أبي تراب (ع) ، فوثب الأعرابي يتهافت قطعاً ويزأر
حنقاً ويستمد شفقا وقال : والله إن الذي عنيته بالهجاء هو أحق بالمدح منك
وأنت أولى بالهجاء منه ، فقال له الجلساء : ترحك الله فقال : علام تترحوني
ولا تبشروني فما أبديت سلقاً ولا قلت شططاً ولا ذهبت غطاً ، علام إنكم
فضلتم عليه من هو أولى بالفضل منه وهو علي بن أبي طالب (ع) الذي تجلبب
بالوقار ، ونبد الشنار ، وعاف العمار ، وقصد الإنصاف ، وأبدا الأوصاف ،
وحصن الأطراف ، وتألف الأشراف ، وزال الشكوك في الله بشرح ما استودعه
الرسول (ص) من مكنون العلم الذي شرفه وسلفه في الجاهلية أكرم من سلفه لا
تعرف المائدات في الجاهلية إلا عندهم ، ولا الفضل إلا فيهم صفة ، اصطفاها
الله تعالى واختارها فلا يغتر الجاهل بأنه قعد عن الخلافة بمثائرة من ثار عليها
وجالد بها السلالة المارقة والأعوان الظالمين ، قلت ذلك كذلك إنما استحقها
بالسوء ، تالله ألكم حجة في ذلك فهل سبق صاحبكم إلى المواضع الصعبة
والمنازل الشعبة والمعارك المرّة كما سبق إليها علي (ع) الذي لم يكن بالعقبة
ولا الهبة ولا مضطغناً آل الله ولا منافقاً كان يدرأ عن الإسلام كل أصبوحه ،
ويذب عنه كل أمسية ، ويلج بنفسه في الليل الديجور المظلم المحلوك . مرصداً
للعدو تارة ومذلاً له تارة ، ويتضكضك أخرى ويأرب لزبة آتية قيسية وان اور نار
قذف نفسه في لهوات وشيحة وعليه وزعقة ابن عمه الفضفاضة ، وبيده خطية
عليها سنان لهزم فبرز عمرو بن عبد ود القرم الأود والخصم الألد والفارس الأشد
على فرس عنجوج كأنه يجرنه بالخيلاج فضرب بها قوسه وقنع بها نفسه أو
نسيتم عمر بن معدي كرب الزبيدي إذ أقبل يجرد دلدال درعه مدلا بنفسه قد

زحزح الناس عن أماكنهم ونهضهم عن مواضعهم ينادي ابن المبارزون يميناً وشمالاً فانقض عليه كاسود ونيق وكصيخورة منجنيق فوقصه وقض القطام بحجر الحمام واتى به إلى رسول الله (ص) كالبعير الشارد يقاد كرهاً وعينه تدمع وأنفه يرمع وقلبه يجزع وكم له من يوم عصيب برز فيه إلى المشركين بنية صادقة وبرز غيره وقد كشف أميل أجم أعزل .

وقال رسول الله (ص) : ألا أني أخبركم بخبر علي (ع) : إنه مني بأوباش كالمراطة بين الغموص أو حجابة وفقامة ومقدم ومهدم حملت به شوهاً شوهاً أقصى مميلها فاتت به محصناً وكلهم اهون على علي (ع) من سعدانة بغل افبهذا يستحق من سلبه إليه واخذ الخلافة وازالها عن الوراثة وصاحبها ينظر إلى فيئه وكأن الشبا مرعى تلبسه حتى إذا لعب بها فريق بعد فريق وخريق بعد خريق اقتصروا على ضراعة الوهز وكثرة الالبز ولوردوه إلى سمت الطريق والمرت البسيط والتامور العزيز الفوه قائماً واضعاً الأشياء في مواضعها لكنهم انتهزوا الفرصة واقتحموا الغصّة وباؤا بالحسرة قال : فأريد وجه الوليد وغصن بريقه وشرق بعبرته كأنما فقىء في عينيه المص الحاذق .

فأشار عليه بعض جلسائه بالانصراف وهو يشك أنه مقتول فوجد بعض الأعراب الداخلين فقال له : هل لك أن تاخذ خلعتي الصفراء وآخذ خلعتك السوداء واجعل لك بعض الجائزة ؟ فقبل الرجل ، فخرج الأعرابي فاستوى على راحلته وغاص في بیدائه وتوغل في صحرائه واعتقل الرجل الآخر فضربت عنقه ، فجيء به إلى الوليد فقال : ما هذا بصاحبنا وانفذ الخيل السراع في طلبه فالحقوه بعد لاي .

فلما أحس بهم أدخل يده في كنانته يخرج سهماً فسهماً يقتل به فارساً فارساً إلى أن قتل أربعين فارساً وانهزم الباقون ، فجاءوا إلى الوليد فأخبروه بذلك فأغمي عليه يوماً وليلة ، فقالوا : ما تجد ؟ فقال ؛ أجد على قلبي غمة من فوت هذا الأعرابي والله دره من أعرابي وناهيك به من مادح وممدوح ، وقد بلغ

الغاية القصوى وتسبب أوج الفصاحة التي تقصر عنها فصاحة المخلوقين ، وهي دون فصاحة الخالق في القرآن المبين ولو بلغت شموستها من أفتى ألسنتهم الناطقة وظهرت كواكب بلاغتهم من بروج أفتدتهم الصادقة ، ولقد أظهر مسحة من مسحات والده الممدوح جلا بها ظلماته والشبهات من غير أن يحتاج ذلك الكلام من تبين أو شروح وأبرز نبيل كنانته محجبات شجاعته فما ترى غير مقتول ومطروح :

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| ورثوا الشجاعة صاغراً عن كابر | حتى انتهت للسيد الممدوح |
| وإلى الرسول أجل خلق الله في | علم وآداب وكشف فدوح |
| حسدتهم الأيام حتى أمكنت | منهم طغاة اراذل وجموع |
| فغدت دماؤهم تسيل بمنصل | قد سله جد لهم بفتح |
| يا ويلهم لم يعرفوا لمقامهم | عند الاله أليس بالمشروح |
| في كتبه التوراة والإنجيل | والفرقان قد بانت بآي وضوح |
| نفسى الفداء لهم وما أحويه من | مال وولد والجدود وروحي |
| فلاء جعلن الدهر مدة مدتي | حزناً وأجعل مهجتي في روحي |

وحيث أن في معاجزه عجزى عن ذكر ما فيها لقصوري عن تبوئي أدنى مراتبها فلنشرع في الفصل الثالث :

الفصل الثالث

المتضمن لوفاته (ع) وبيان الوقت الذي سلب فيه كمال حياته وهو الغاية والقصود في تأليف هذا الكتاب والسبب الذي أوجب لإخماد أنفاسه وإلحاده تحت التراب ، وأقوى سبب أجج عليه نيران العداوة ذات الإلتهاب عداوة ابن عمه زيد بن الحسن ومخاصمته معه في ميراث رسول الله (ص) عند أولئك النصاب ، حتى هتك منه الحجاب وصار لقتله أعظم الأسباب .

كما رواه أبو بصير (رض) عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال : كان زيد بن الحسن يخاصم أبي (ع) في ميراث رسول الله (ص) ويقول : أنا من ولد الحسن (ع) وأولى بذلك منك لأنني من ولد الأكبر فقا سمني ميراث رسول الله (ص) وادفعه إلي ، فأبى أبي (ع) ، فخاصمه إلى القاضي ، وكان زيد يختلف معه إلى القاضي فبينما هم كذلك ذات يوم في خصومتهم إذ قال زيد بن الحسن لزيد بن علي بن الحسين (ع) : اسكت يا بن السندية فقال زيد بن علي (ع) : أفٍ لخصومة تذكر فيها الأمهات والله ما كلمتك الفصيح من رأسي أبداً حتى أموت وأنصرف إلى أبي (ع) ، وقال أخي : إني حلفت بيمين ثقة وعلمت أنك لا تكرهني ولا تخينني ، حلفت أن لا أكلم زيد بن الحسن ولا أخاصمه ، وذكر ما صار بينهما فأعفاه أبي (ع) واغتمها زيد بن الحسن وقال : يلي خصومتي محمد بن علي (ع) فأعتبه وأؤذيه فيعتدي علي فعدا علي أبي (ع)

فقال: بيني وبينك القاضي، فقال: انطلق بنا.

فلما أخرجته قال أبي (ع) لزيد: يا زيد إن معك سكين قد أخفيتها، أرايتك إن نطقت هذه السكينة التي تسترها مني فشهدت أنني أولى بالحق منك فتكف عني؟ قال: نعم وحلف له بذلك فقال أبي: أيتها السكين انطقي بأذن الله تعالى، فوثبت السكين من يد زيد بن الحسن على الأرض فقالت: يا زيد أنت ظالم لمحمد ومحمد أحق بالإرث منك وأولى، وإن لم تكف لألين قتلك، فخر زيد مغشياً عليه وأخذ أبي (ع) بيده وأقامه ثم قال: يا زيد إن أنطقت الصخرة التي نحن عليها تقبل؟ قال: نعم، قال: فارتفعت الصخرة التي قاما عليها على زيد حتى كادت أن تغلق عليه، ولم تزحف مما يلي أبي (ع)، ثم قالت: أنت ظالم لمحمد ومحمد (ع) مظلوم منك وهو أولى بالأمر منك فكف عنه وإلا توليت قتلك، فخر زيد مغشياً عليه، فأخذ أبي (ع) بيده وأقامه ثم قال: يا زيد أرايت إن نطقت هذه الشجرة تكف؟ قال: نعم فدعا أبي (ع) الشجرة فأقبلت تخذ الأرض خدماً حتى أظلتهم ثم قالت: يا زيد أنت ظالم لمحمد ومحمد (ع) أولى بالأمر منك، فكف عنه وإلا قتلتك، فخر مغشياً عليه فأخذ أبي (ع) بيده وانصرفت الشجرة إلى مكانها، فحلف زيد أن لا يتعرض لأبي (ع) ولا يخاصمه.

فانصرف وخرج زيد من يومه إلى عبد الملك بن مروان فدخل عليه وقال؛ أتيتك من عند ساحر كذاب لا يحل لك تركه، وقص عليه ما رأى، فكتب عبد الملك إلى عامل المدينة أن ابعث إلي محمد بن علي (ع) مقيداً وقال لزيد أرايتك إن وليتك قتله تقتله؟ قال: نعم. فلما انتهى الكتاب إلى عامل المدينة أجاب عبد الملك بما هو حاصله: ليبر كتابي خلافاً لك يا أمير المؤمنين ولا راداً أمرك، ولكن رأيت أن أراجعك في الكتاب نصيحة مني إليك وشفقة عليك، وأن الرجل الذي أردته ليس اليوم على وجه الأرض اعف منه، ولا أزهده، ولا أروع منه وإنه في محرابه فتجمع إليه الطير والسباع تعجباً من

صوته ، وإن قراءته كشيء مزامير داود (ع) وإنه من أعلم الناس وأرقهم وأشدهم اجتهاداً وعبادة ، وكرهت لأمر المؤمنين التعرض له فإن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

فلما ورد الكتاب على عبد الملك سر بما انتهى إليه من الوالي وعلم أنه قد نصحه ، فدعا يزيد بن الحسن فأقرأه الكتاب فقال : أعطاه وارضاه فقال عبد الملك : فهل تعرف أمراً غير هذا ؟ قال : نعم عنده سلاح رسول الله (ص) وسيفه ودرعه وخاتمه وعصاه ، وتركته ، فاكتب إليه فيه فإن هولم يبعث به وجدت إلى قتله سبيلاً ، فكتب عبد الملك إلى عامل المدينة أن أحمل إلى أبي جعفر (ع) ألف ألف درهم وليعطك ما عنده من ميراث رسول الله (ص) .

فأتى العامل منزل أبي جعفر (ع) فأقرأه الكتاب فقال : أجلني أياماً قال : نعم فهياً أبي متاعاً ثم حملة ودفعه إلى العامل ، فبعث به إلى عبد الملك فسر سروراً عظيماً ، وأرسل إلى زيد بن الحسن فعرض عليه ذلك فقال : والله ما بعث إليك من متاع رسول الله (ص) قليلاً ولا كثيراً فكتب عبد الملك إلى أبي (ع) إنك أخذت مالنا ولم ترسل إلينا بما طلبنا ، فبعث أبي (ع) إليه : إني قد بعثت إليك بما قد رأيت فإن شئت كان ما طلبت وإن شئت لم يكن ، فصدقه عبد الملك وجميع أهل الشام وقال : هذا متاع رسول الله (ص) قد أتيت به ثم أخذ زيداً وقيده وبعث به وقال له : لولا أنني أريد أن لا أبتلي بدم أحد منكم لقتلتك ، وكتب إلى أبي (ع) : بعثت إليك بآبن عمك فأحسن أدبه ، واوصلك سرج هدية مني إليك ، فلما أتني به قال أبي (ع) : ويحك يا زيد ما أعظم ما تأتي وما يجري على يديك ، والله اني لأعرف الشجرة التي نحت منها ولكن هذا قدر ، فويل لمن أجرى الله على يديه الشر .

فأسرج له فركب أبي (ع) السرج فنزل أبي متوراً وأمر بأكفان له وكان فيه ثوب أحرم فيه وقال اجعلوه في أكفاني وعاش (ع) ثلاثاً ثم مضى لسبيله ، وذلك السرج عند آل محمد (ص) معلق ثم أن زيد بن الحسن بقي بعد ذلك أياماً .

فعرض له داء فما زال يتخبطه ويهذي ويترك الصلاة حتى مات . فهذه الرواية تدل على أن القاتل له عبد الملك بن مروان أنه سمه في السرج الذي بعث به " معه فاظهره (ع) علمه بذلك حيث قال : إني أعرف الشجرة التي منها السرج فكيف يخفى علي ما جعل فيه من السم ولكن قد تحتم القدر بشهادتي علي هذا ، ولهذا قال (ع) : السرج معلق عندهم لثلا يقربه أحد وليكن حاضراً يوم ينتقم من الكافر عند الرجعة علي يد قائمنا عجل الله فرجه وسهل مخرجه ، ومع ذلك فهو لا ينطبق علي باقي الأخبار لتأخر وفاته عن عبد الملك بكثير فلعل الحديث كان في لفظه هشام بن عبد الملك بأنه ممن بالغ في قتله فلم يمكنه ذلك . فيا قاتل الله من سعى هذا المسعى وكان من العلويين فما أجرأهم علي ارتكاب ما قصر عنه طغاة الامويين من هذا الداء الدفين ، أيقتل باقر علوم الأولين والآخرين في العلن علي يد مثل زيد بن الحسن ويهتك به حجاب الله والسنن وتنتهك به حرمة الله إلى آخر الزمن فإننا لله وإننا إليه راجعون فعلي الدار السلام .

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| دار خلت من آل بيت محمد | سحقاً لها سحقاً لها من دار |
| أغرى الزمان بني عمومتهم وقد | زادوا علي الفجار والكفار |
| قد أمكنوا منهم طغاة أمية | وتائج العباس في الأدوار |
| ما مات منهم سيد حتفأ به | إلا بسم أو حداد شفار |
| حسدوهم حسداً يزيد علي الأذى | أبداه إبليس الرجيم الناري |
| يا عين سحي للدموع عليهم | سحاً وصبي الدم بالتزفار |
| فلقد قضى قطب الشريعة من له | فصل الخطاب ومعدن الأسرار |
| الباقر العلم الرفيع وكاشف | الأستار عن دين النبي المختار |
| السيد السنن الإمام الفاضل | الليث الهمام نتيجة الكرار |
| بالسم كف من اللئام عداوة | فابكوه بالدمع الغزير الجاري |
| فعليه صلى الله ماسح الحيا | أوحن قمري علي الأشجار |

وفي رواية عنهم (ع) : أن الباقر (ع) دخل على بعض بني أمية فأراد قتله حيث أمر بذلك من طاغية زمانه ، فقال له (ع) : يا عبد الله لا تقتلني فأكون مع الله عليك ، يريد بذلك أنه ممن يشفع له عند الله تعالى فيشفعه فلم يقبل ذلك منه ، فقال له الأموي : لست افعل هناك فسقاه سمأ فقتله .

وفي رواية أخرى أن هشام بن عبد الملك ما زال يكتب ابني جعفر (ع) محمد الباقر (ع) ويحتال في قتله إلى أن سقاه السم .

وفي رواية ابن أبي يعفور قال : سمعت أبي عبد الله (ع) يقول إن أبي (ع) قال ذات يوم : ما بقي من أجلي إلا خمس سنين ، فحسبت فما زاد ولا نقص .

ولله در بعض القائلين في رثاءه :

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| هلم بنا نبكي على باقر العلم | سليل النبي المصطفى الصادق الأمي |
| على لذة العيش العفا بعد ما قضى | شهيداً بلا ذنب أتاه ولا جرم |
| له طول حزني ما حيت وحرقتي | ونوحى ولو أن البكا قد برى عظمي |
| إماماً قضى ظلماً غريباً مبعداً | عن الأهل والأوطان والولد بالسم |
| لئن هجرت عيني له لذة الكرى | فلا عجباً مني ولو همت في همي |
| سقاه على رغم الوفي السم خفية | هشام ردي الأب والسجد والأم |
| عليه من الرحمن لعن مؤيد | بما سر من بغي وما سن من ظلم |

وفي الروايات المشهورة بين علمائنا أن الذي سمه إبراهيم بن يزيد وهي في رواية ابنه (ع) : أنه لما حان حينه ، وتيقن وفاته ، وعزم إلى أن يصير إلى روح الله وريحانه ، ويعرج إلى معارج فوزه وجنانه ، واشتاق إلى اللقاء في دار البقاء وعزم على مفارقة دار الفناء والشقاء ، ودعاه داعي الحق من الأبوة والأجداد إلى ما هو خير وأبقى ، وأوصى إلى ابنه أبي عبد الله جعفر الصادق (ع) بجميع ما يحتاج إليه الناس ، وسلم إليه ما كان عنده من موارث الأنبياء وسلاح رسول الله (ص) قال الصادق (ع) : كنت عند أبي (ع)

في اليوم الذي قبض فيه ، فأوصاني بأشياء في غسله وكفنه وفي إدخاله قبره ، قلت جعلت فداك والله يا أبتاه ما رأيتك منذ اشتكيت أحسن هيئة من اليوم ، وما رأيت عليك من أثر الموت شيئاً فقال (ع) : يا بني أما سمعت أبي علي بن الحسين (ع) ينادي من وراء الجدار يا محمد تعال عجل .

وفي رواية الحلبي كما في الكافي عن أبي عبد الله (ع) قال ؛ كتب أبي (ع) في وصيته أن أكفنه في ثلاثة أثواب أحداها حبرة كان يصلي فيها يوم الجمعة وثوب آخر وقميص ، فقلت : يا أبي لم تكتب هذا في وصيتك ؟ فقال : أخاف أن يغلبك الناس فإن قالوا كفنه في أربعة أو خمسة فلا تفعل ، وعممني بعمامة وليس تعد من الكفن إنما بعد ما يلف من الجسد .

وفي رواية أخرى عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله (ع) قال : إن أبي (ع) قال لي ذات يوم في مرضه : يا بني ادخل أناساً من قريش من أهل المدينة حتى أشهدهم ، قال : فأدخلت عليه أناساً منهم فقال : إذا أنا مت فغسلني وكفني وارفع قبري أربع أصابع ورشه بماء ، فلما خرجوا قلت : يا أبتاه لو أمرتني بهذا صنعت من غير أن أدخل عليك يوماً تشهدهم فقال : يا بني أردت أن لا تنازع في الإمامة ، بمعنى لا تختلف فيك الشيعة ولا تنازع لأن من أوصي إليه السابق في أموره الظاهرة فهو خليفته في الإمامة ، ثم قضى نحبه ولقي ربه وكانت وفاته يوم الاثنين فقامت الواعية في داره ، وعلا البكاء والنحيب من بيوت الهاشميين ومن الهاشميات والعلويين والعلويات وهن مشققات الجيوب ناشرات الشعور خامشات الوجوه ، وماجت الدنيا بأهلها وصار كالיום الذي مات فيه رسول الله (ص) ، وأقبل أبو عبد الله الصادق (ع) وخرج لابساً ثياب الحداد شاقاً جيبه مقدماً ومؤخراً ، وعلى مثله تشق الجيوب وتقطع القلوب ، ثم قام (ع) في تهيئته فغسله كما أمره وحنطه بحنوطه . وأدرجه في أكفانه وصلى عليه مع شيعته بعد أن صلى عليه الله تعالى ورسوله وأمير المؤمنين (ع) في أوصيائه وأوصياء الأنبياء ، وكان يوماً هائلاً على آل الرسول لانطماس المعقول

والمنقول . فما أحراه بإنشاده بما قاله القائم في المقيد (ره) حيث وجد على قبره مكتوباً وإن كان مقامه أجل من ذلك مما يناسب هذه المسالك :

لا صوت الناعي بفقدك إنه يوم على آل النبي مشوم
إن كنت قد غيبت في جدث الثرى فالعدل والتوحيد فيك مقيم

وقد أحببت أن أزيد عليه فقلت :

إن كان قد وارك ترب بسيطها فمقامك العالي هناك عظيم
قد كنت مدفوناً بعالم قدسها لكنما أمر القضا محتوم
ليثقل الأرض البسيط بمضجع قد صرت فيه ومثل ذي معلوم
لولا ضرائحك لشاخت أرضنا وتزلزلت آصالها وتخوم

وفي كتاب الكافي عن أبي بصير (رض) قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : إن رجلاً كان على ميل من المدينة فرأى في منامه قائلاً يقول له : انطلق فصل على أبي جعفر (ع) فقد توفي .

وفي رواية عن زرارة عن أبي جعفر (ع) قال : رأيت كأني على رأس جبل والناس يصعدون إلي من كل جانب حتى إذا كثروا علي تطاولت بهم إلى السماء ، وجعل الناس يتساقطون عني من كل جانب حتى لم يبق منهم أحد إلا عصابة يسيرة ، ففعلت ذلك خمس مرات في كل مرة تتساقط عني الناس من كل جانب ومكان وتبقى تلك العصابة ، فما مكث بعد ذلك إلا خمس ليال حتى مضى (ع) إلى رضوان الله تعالى .

واختلفت الأخبار في يوم وفاته (ع) وكذلك المؤرخون فالمشهور بين علمائنا أنه في السابع من ذي الحجة سنة ستة عشر ومائة من الهجرة ،

وفي رواية أنها في سابع ربيع الأول .

وفي رواية أنها في سابع ربيع الثاني .

ففي البصائر والخرائج والجرائح عن أبي عقبة عن جده عن هشام بن

سالم عن أبي عبد الله (ع) أنه قال : أتيت أبي (ع) في الليلة التي قبض فيها وهو يناجي ربه ، فأومى إلي بيده أن تأخر حتى فرغ من المناجاة ثم أتيت فقال ؛ يا بني إن هذه الليلة التي وعدت أن أقبض فيها ، فمات فيها صلوات الله عليه .

وفي رواية هشام بن سالم قال : لما كانت الليلة التي قبض فيها أبو جعفر (ع) قال : يا بني هذه الليلة التي وعدتها وقد كان وضوءه (ع) قريباً ، فقال : أرى قوه ، فظننا أنه يقول ذلك من الحمى فأرقناه ، فإذا فيه فأرة ميتة وقال (ع) لابنه (ع) كما جاء عن الرضا (ع) : إذا أنا مت فاحضروا لي وشقوا إلي شقاً ، فإن قيل لكم إن رسول الله (ص) لحد له فقد صدقوا فإنما فعل ذلك لأنه كان بادئاً .

وهذا آخر ما وجدناه مسطوراً من وفاة سيدنا وإمامنا العلم الزاهر والبحر الزاخر محمد بن علي الباقر عليه وعلى آبائه الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم مدة الدهور والأعصار على التمام والكمال ، ونستغفر الله العظيم المنان عن الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان إنه غفور منان والحمد لله حق حمده آمين .

وما من كاتب إلا سيلقى
غداة الحشر ما كتبت يده
فلا تكتب بكفك غير شيء
يسرك في القيامة أن تراه
الخط يبقى ويبقى الحبر والقلم
وكاتب الخط تحت التراب منعدم

وَفَاةُ الْإِمَامِ
جَعْفَرِ الصَّادِقِ
"عَلَيْهِ السَّلَامُ"

تأليف
الملاية الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عصفور
الدارزي البجائي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ابتلى الصادق من أوليائه حيث أمر بالكون معهم إذ هم خيرة أصفياه فكرههم دار الغرور وحبهم دار لقائه فاشتاقوا إلى لقائه وقرعوا أبواب رجائه وكرعوا مرارة أعدائه والصلاة والسلام على أفضل رسله وأنبيائه المبتلى في نفسه .

وبعد : فيقول أفقر خلق الله الراجي لطف ربه المجازي حسين بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم البحراني الدارزي (ره) : إني لما رأيت تقاعد الناس عن إقامة أعمدة التعزية ونشر مصائب الال ، وما أصيبوا به من خلفاء بني أمية وبني العباس لعدم تأليف وفياتهم في هذه الأعصار ، وعدم معلومية تلك الأوقات لخفائها وبعدها عن الإشتهار ، وأحببت أن أولف لكل إمام وفاة على حسبما أتى في الأخبار ، وقد ألفتنا بحمد الله بعضاً منها في سالف الأعصار ، وكان مما هو خفي منها وفاة الإمام بحر الحقائق ولسان الله الناطق في الخلائق جعفر بن محمد الصادق (ع) لنحظى بجزيل الثواب من الملك الخالق ، وتوصل بها إلى مجاورتهم في تلك القصور والحدائق وسميته (مفيض الدمع الرافق في وفاة جعفر بن محمد الصادق (ع)) لنحظى بجزيل العطاء من المطعم الرازق ، وبه أستعين إنه خير موفق ومعين ولنشرع في المقصود الأول وبيان نسبه الشريف فنقول :

أما نسبه أباً وأماً: فإن أباه محمد الباقر (ع) ، وأمه فروة بنت القاسم (ع) ابن محمد بن أبي بكر (رض) ، وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وثمانين ، وقد نص عليه من أبيه كما جاء في الأخبار على فنون شتى .

فروى أبو خالد أنه قال : قلت لعلي بن الحسين (ع) : من الإمام بعدك ؟ قال محمد : ابني ييقر العلم بقرأً ومن بعده ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق (ع) ، قلت : وكيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون ؟ فقال : حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله (ص) قال : إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين (ع) فسموه الصادق ، فإن الخامس الذي من ولده اسمه جعفر يدعي الإمامة اجترأ على الله وكذباً عليه ، فهو عند الله جعفر الكذاب المفترى على الله ، ثم بكى علي بن الحسين (ع) وقال : كآني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمرولي الله والمغيب في حفظ الله فكان كما ذكره (ع) وما أحرأه بما قال الحميري رحمه الله تعالى :

| | |
|---------------------|-----------------------|
| يا حجة الله الجليل | وعينه وزعيم آل |
| وابن الوصي المجتبي | وشبيه أحمد في كماله |
| أنت بن بنت محمد | حذواً خلقت على مثاله |
| فضياء نورك نوره | وظلال روحك في ظلاله |
| فيك الخلاص من الردى | وبك الهداية من ظلاله |
| أثني ولست ببالغ | عشر الفريدة من خصاله |
| تباً لقوم عاندوا | وصلوا بنار من وباله |
| ويحاً لهم ما عظموك | وأنت مدجك في مقاله |
| سحقاً لآل أمية | وسقوا حميماً من نكاله |
| ولآل عباس الأولى | سفكوا دم الهادي وآله |
| صلى الآله عليك ما | بزرغت شمس من جلاله |

وفي الإكمال عن حيان السراج قال : قال السيد اسماعيل بن محمد

الحميري (ه) : كنت أقول بالغلو وأعتقد غيبة محمد بن الحنفية رضي الله عنه ، وقد ضللت في ذلك زماناً ، فمن الله عليّ بالصادق (ع) جعفر بن محمد (ع) وأنقذني به من النار ، وهداني به إلى سواء الصراط ، فسألت بعدما صح عندي بالدلائل التي شاهدتها منه أنه حجة الله على خلقه وجميع أهل زمانه ، وأنه الإمام الذي فرض الله طاعته وأوجب الإقتداء به ، فقلت له : يا ابن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك في الغيبة وصحة كونها ، فأخبرني بمن تقع ؟ قال (ع) : ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله (ص) ، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، وآخرهم محمد بن الحسن المهدي القائم عجل الله فرجه بالحق ، وهو بقية الله في أرضه وصاحب الزمان ، والله ليبقى غيبته ما بقي نوح (ع) في قومه ، ولم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً قال السيد : فلما سمعت ذلك من مولاي الصادق (ع) ثبت إلى الله تعالى على يده :

| | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| فلما رأيت الناس في الدين قد غووا | تجعفرت باسم الله والله أكبر |
| تجعفرت باسم الله والله أكبر | وأيقنت أن الله يعفو ويغفر |
| ودنت بدين غير ما كنت ديناً | به ونهاني سيد الناس جعفر |
| فقلت فهبني قد تهودت برهة | وإلا فديني دين من يتنصر |
| وإني إلى الرحمن من ذاك تائب | وإني قد أسلمت والله أكبر |
| فلست بغالٍ ما حييت وراجع | إلى ما عليه كنت أخفي وأظهر |
| ولا قائل حي برضوى محمد | وإن عاب جهال مقامي فأكثروا |

وساق أبياتاً كثيرة إلى أن قال :

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| أيأراكباً نحو المدينة حسرة | عذا فرة يطوي بها كل سبب |
| إذا ما هداك الله شاهدت جعفرأ | فقل لولي الله وابن المهذب |
| ألا يا أمين الله وابن أمينة | أتوب إلى الرحمن ثم تأوبي |
| إليك من الذنب الذي كنت مبطنأ | معاندة مني لنسل المطيب |

ولكن رويناه عن وصي محمد ولم يك فيما قاله بالمكذب
بأن ولي الله يفقد لا يرى سنياً كفعل الخائف المترقب
له غيبة لا بد أن سيغيبها فصلى عليه الله من متغيب
فيمكث حيناً ثم يظهر أمره فيملاً عدلاً كل شرق ومغرب
بذاك أدين الله سرّاً وجهرة ولست وإن عوتبت فيه بمعتب

وفي الخرائج أن الباقر (ع) دعا الكميت (رض) لما أراد أعداء الله أخذه
وهلاكه ، وكان الكميت متوارياً فخرج في ظلمة الليل هارباً وقد قعد له على كل
طريق جماعة ليأخذوه إذا ما خرج خفية ، فلما خرج الكميت إلى الفضاء وأراد
أن يسلك طريقاً جاء له أسد فمنعه أن يسلك منها فسلك جانباً آخر فمنعه منه
أيضاً وكان أشار إلى الكميت أن يسلك خلفه ومضى الأسد في جانب الكميت
إلى أن آمن وتخلص من الأعداء ، وكذلك كان حال السيد إسماعيل
الحميري (ره) دعا له الصادق (ع) لما هرب من أبويه وقد حرشا السلطان عليه
لنصبهما فذله سبع على طريق فنجا منهما .

وفي المناقب عن داوود الرقي قال : لما بلغ السيد إسماعيل الحميري أنه
ذكر عند الصادق (ع) فقال الصادق (ع) إنه كافر فأتاه السيد إسماعيل فقال : يا
سيدي أنا كافر مع شدة حبي لكم ومعاداتي الناس فيكم ؟ قال : وما ينفعك ذلك
وأنت كافر بحجة الدهر والزمان ، ثم أخذ بيده وادخله بيتاً فإذا في البيت قبر ،
فصلى ركعتين وضرب بيده القبر فصار القبر قطعاً فخرج شخص من القبر ينفذ
التراب عن رأسه ولحيته ، فقال له الصادق (ع) : من أنت ؟ فقال أنا محمد بن
علي المسمى بابن الحنفية فقال له : ومن أنا ؟ فقال : أنت جعفر بن محمد
حجة الدهر والزمان فخرج السيد يقول :

تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا

وروي عن معتب مولى للصادق (ع) كما في المناقب قال : كنت عند

مولاي أبي عبد الله (ع) إذ قرع الباب رجل ، فإذا هو زيد بن علي (ع) بن الحسين (ع) فقال الصادق (ع) لجلسائه : ادخلوا هذا الرجل وردوا الباب ، ولا تكلم أحد فلما دخل قام إليه (ع) واعتنقه طويلاً يتساران ثم علا الكلام بينهما ، فقال زيد (رض) : دع عنك هذا يا جعفر ، فوالله لئن لم تمد يدك أبايعك هذه يدي لتبايعني لأتعبنك أو لأكلفنك ما لا تطيق ، فقد تركت الجهاد وأخلدت إلى الخفض ، وأرخت الستر واحتويت على مال المشرق والمغرب ، فقال الصادق : يرحمك الله يا عم ويغفر الله لك يا عم ، وزيد يسمعه وهو يقول : إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ، ومضى وتكلم الناس في ذلك فقال الصادق (ع) : لا تقولوا في عمي زيد إلا خيراً ، رحم الله عمي زيدا فوالله لو ظفر لعفا ووفى .

قال : فلما كان السحر قرع زيد الباب ففتح له الباب فدخل رضي الله عنه يشهق ويبكي ويقول : إرحمني يا جعفر يرحمك الله ، وارض عني يا جعفر يرضى الله عنك ، اغفر لي يا جعفر الله يغفر لك فقال الصادق (ع) : غفر الله لك ورحمك ورضي عنك ، فما الخبر يا عم ؟ فقال : إني لما نمت رأيت رسول الله (ص) قد دخل علي وعن يمينه الحسن (ع) ، وعن شماله الحسين (ع) ، وفاطمة (ع) خلفه ، وعلي (ع) امامه ، ويده حربة تلتهب كأنها نار مضرمة ، وهو يقول : يا زيد أذيت رسول الله في جعفر والله لئن لم يترحم ويستغفر الله لك ويرضى عنك لأرمينك بهذه الحربة ولأضعنها بين كتفيك ثم لأخرجنها من صدرك ، فانتبهت فزعاً مرعوباً فصرت إليك فارحمني يرحمك الله ، فقال : رضي الله عنك وغفر لك ، أوصيني فإنك مقتول مصلوب محرق بالنار ، فوصى زيد بعياله وأولاده وقضاء الدين عنه .

وفي الكافي عن جابر عن الباقر (ع) قال : سئل عن القائم بالأمر بعده فضرب بيده على أبي عبد الله (ع) فقال : هذا والله قائم آل محمد (ص) بعدي قال عنيسة فلما قبض أبو جعفر (ع) دخلت على أبي عبد الله (ع) فأخبرته بذلك

فقال صدق جابر ثم قال : لعلكم ترون أن ليس كل إمام هو القائم بعد الإمام الذي كان من قبله .

وفي خبر عبد الأعلى عن أبي عبد الله (ع) قال : إن أبي استودعني ما هناك فلما حضرته الوفاة قال : ادع لي شهوداً فدعوت له أربعة من قریش فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر ، فقال : أكتب هذا ما أوصى به يعقوب بنيه : يا بني ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾^(١) وأوصى محمد ابن علي (ع) إلى جعفر بن محمد (ع) وأمره أن يكفنه في بردته التي كان يصلي فيها الجمعة ، وأن يعممه بعمامة ، وأن يربح قبره ويرفعه أربع أصابع ، وأن يحل عنه أطماره عند دفنه ثم قال للشهود : انصرفوا يرحمكم الله ، فقلت له : يا أبتاه ما كان في هذا بأن تشهد عليه فقال : يا بني كرهت أن تغلب وأن يقال أنه لم يوص إليه فأردت أن تكون لك الحجة .

وفي رواية الكافي قال : نظر أبو جعفر إلى أبي عبد الله (ع) يمشي فقال : ترى هذا من الذين قال الله فيهم ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾^(٢) :

| | |
|--------------------|--------------------|
| يا صادق الوعد الذي | صدق الآله بما قضا |
| فلك المقام العافي | السر المقدر والقضا |
| قابلت مقدر الآله | على المضاضة والقضا |
| مما دهتك به أمية | والعبابسة القضا |
| بل أنت باب للعلوم | وسيف ربي المنتضا |
| وحجة الباري ومع | تكف التصبر والرضا |
| ليت النفوس فدتك من | سوء المكاره إذ قضا |

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٣٢ .

(٢) سورة القصص ، الآية : ٥ .

وعليك صلى خالقي ما لاح نجم أو اضا
ولما قبض الله أباه إلى روح الجنان ، وظهر وصيه بين الخاص والعام
وبين الإنس والجان ، أظهرت عداوته بنو أمية والعدوان ، وقابلوه بالتكذيب
وضيقوا عليه الواسع الرحيب حيث كانت إمامته (ع) أربع وثلاثين سنة ، وكان
في أيام إمامته بقية خلافة هشام وملك الوليد ويزيد بن الوليد بن عبد الملك
الملقب بالناقص ، وملك ابراهيم بن الوليد ، وملك مروان بن محمد الحمار ثم
صارت المسودة من أهل خراسان مع أبي مسلم سنة اثنين وثلاثين ومات فملك
أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي عبد الله بن العباس الملقب بالسفاح أربع
سنين وثمانية أشهر ، ثم ملك أخوه عدو الله أبو جعفر المنصور إحدى وعشرين
سنة وأحد عشر شهراً ، وتوفي الصادق (ع) بعد عشر سنين من ملكه وهو ابن
خمسة وسبعين سنة ، فلا زالت هذه الأمور من الأمراء من بني العمومة والأخوة
ممن نازع أباه أمره حتى أنه لما احتضر أبو جعفر الباقر (ع) عند الوفاة دعا ابنه
الصادق (ع) ليعهد إليه عهداً فقال أخوه زيد بن علي : لو أمثلت فيّ بمثالة
الحسن والحسين (ع) لرَجوت أن لا تكون أتيت منكراً فقال : يا أبا الحسن إن
الآيات ليست بالمثال ولا العهود بالرسوم ، وإنما هي أمور سابقة من حجة الله
عز وجل .

وفي كتاب النصوص عن محمد بن مسلم قال : كنت عند أبي جعفر (ع)
محمد بن علي الباقر (ع) إذ دخل ابنه جعفر وعلى رأسه ذؤابة وفي يده
عصا يلعب بها ، فأخذه الباقر (ع) وضمه إليه ضمّاً شديداً ثم قال : بأبي وأمي لا
تلهو ولا تلعب ، ثم قال لي : يا محمد هذا إمامك بعدي فاقتد به واقتبس من
عمله ، والله إنه لهو الصادق الذي وصفه لنا رسول الله (ص) ، وإن شيعته
منصورون في الدنيا والآخرة ، وأعداءه ملعونون على لسان كل نبي ، فضحك
واحمر وجهه والتفت إلي وقال : سله ، قلت : يا ابن رسول الله من أين
الضحك ؟ فقال : يا أبا محمد العقل من القلب ، والحزن من الكبد ، والنفس

من الرية ، والضحك من الطحال ، فقامت وقبلت رأسه .

وفي كتاب النصوص والمعجزات عن داوود بن كثير الرقي رضي الله عنه قال : كنا في منزل أبي عبد الله الصادق (ع) ونحن نتذاكر فضائل الأنبياء (ع) ، فقال مجيباً لنا : والله ما خلق الله نبياً إلا وعلي (ع) أفضل منه ، ثم خلع خاتمه ووضعها في الأرض وتكلم بشيء فانصدعت الأرض وانفجرت بقدرة الله تعالى ، فإذا نحن ببحر عجاج في وسط سفينة خضراء من زبرجدة خضراء مكتوب عليها لا إله إلا الله محمداً رسول الله علياً أمير المؤمنين (ع) ولي الله عليه سلام الله ، بشر القائم فإنه القاتل لأعداء الله ، يغيث المؤمنين وينصره الله عز وجل بالملائكة في عدد نجوم السماء ، ثم تكلم بكلام فصار ماء البحر وارتفع من السفينة فقال (ع) ادخلوها ، فدخلنا القبة التي في السفينة فإذا فيها أربعة كراسي من الجواهر ، فجلس (ع) على واحد ، وأجلسني على واحد ، وأجلس ابنه موسى (ع) وإسماعيل (رض) كل واحد منهما على كرسي ، ثم قال للسفينة : سيري بقدرة الله تعالى ، فسارت في بحر عجاج بين جبل الدر واليواقيت ثم ادخل يده في البحر وأخرج دراً وياقوتاً وقال : يا داوود إن كنت تريد الدنيا فخذ حاجتك فقلت : يا مولاي لا حاجة لي في الدنيا ، فرمى به في البحر ، وأخرج (ع) مسكاً وعنبراً فشمه وأشمني وأشم موسى (ع) وإسماعيل (رض) ، ثم رمى به في البحر ، وسارت السفينة حتى انتهينا إلى جزيرة عظيمة فيما بين ذلك البحر فإذا فيها قباب من الدر الأبيض مفروشة بالسندس والإستبرق عليها ستور الأرجوان محفوفة بالملائكة ، فلما نظر إلينا مدعنين له بالطاعة مقرين له بالولاية فقلت : يا مولاي لمن هذه القباب ؟ فقال (ع) : للأئمة من ذرية محمد (ص) ، كلما قبض ، إمام صار إلى هذا الموضع إلى الوقت المعلوم الذي ذكره الله تعالى .

ثم قال (ع) : قوموا بنا حتى نسلم على أمير المؤمنين (ع) ، فقام وقمنا ، فوقفنا بباب إحدى القباب المزينة وهي أجلها وأعظمها وسلمنا على أمير

المؤمنين (ع) وهو قاعد فيها ، ثم عدل إلى قبة أخرى وعدلنا معه فسلم وسلمنا على الحسن بن علي (ع) ، وعدلنا إلى قبة أخرى بأزائها فسلمنا على الحسين ابن علي (ع) ، ثم على علي بن الحسين (ع) ، ثم على محمد بن علي (ع) ، وكل واحد في قبة مزينة مرفرفة ، ثم عدل بنا إلى بيت في الجزيرة وعدلنا معه ، وإذا فيه قبة عظيمة من درة بيضاء مزينة بفنون الفرش والستور ، وإذا فيها سرير من ذهب مرصع بأنواع الجواهر فقلت : يا مولاي لمن هذه القبة ؟ فقال : للقائم منا أهل البيت (ع) صاحب الزمان ، ثم أومى بيده وتكلم بشيء وإذا نحن فوق الأرض بالمدينة في منزل الصادق (ع) ، وأخرج خاتمه وختم الأرض بيده فلم أرى فيها صدعاً ولا فرجة ، وحيث جرت على يده هذه العجائب ، وأناخت دون بابه الركائب ، وسدد إليه أبو جعفر المنصور سهام بلائه وبالغ في قتله وإخماد نور علاقته ورصد اليه المراصد والعيون من أعدائه وأوليائه .

فمنها ما روي في العيون عن الرضا (ع) عن أبيه قال أرسل الدوانيقي إلى جعفر الصادق (ع) فلما دخل جعفر بن محمد (ع) ونظر إليه من بعيد تحرك أبو جعفر من فراشه وقال : مرحباً بك يا أبا عبد الله ما أرسلنا إليك إلا رجاء أن نقضي دينك وننفي ذمامك ، ثم سأله مسألة لطيفة عن بيته وقال : قد قضى الله حاجتك ودينك وأجزل لك عطيتك يا ربيع لا تمضين ثلاثة حتى يرجع جعفر إلى أهله ، فلما خرج (ع) قال له الربيع : يا أبا عبد الله أرايت السيف والنطع ، إنما وضع ذلك إليك ، فأى شيء رأيتك تحرك به شفيتك قال جعفر بن محمد (ع) : نعم يا ربيع لما رأيت الشر في وجهه قرأت حسبي الله الرب من المربوبيين ، حسبي الخالق من المخلوقين ، حسبي الرازق من المرزوقين ، حسبي الله رب العالمين ، حسبي من هو حسبي ، حسبي من لم يزل حسبي ، حسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

وفي رواية الأمالي قام أبو جعفر المنصور إلى أبي عبد الله (ع) وأمر بفرش ، فطرحته له إلى جانبه فأجلسه عليها ثم قال : عليّ بمحمد ، علي

بالمهدي ، يقول ذلك مراراً قيل له : الساعة الساعة يأتي يا أمير المؤمنين ما يعجسه إلا أنه يتبخر ، فما لبث أن وافاه وقد سبقت رائحته فأقبل المنصور على جعفر (ع) وقال يا أبا عبد الله (ع) حديث حدثني في صلة الرحم اذكره لنا حتى يسمعه المهدي قال : نعم ، حدثني أبي (ع) عن أبيه (ع) عن جده (ع) عن علي (ع) قال : قال رسول الله (ص) إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين سنة ، وأن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثين سنة فيصيرها الله ثلاث سنين ثم تلا قوله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ (١) فقال : هذا حسن يا أبا عبد الله وليس آياه أردت .

قال أبو عبد الله : نعم حدثني أبي عن أبيه (ع) عن جده عن علي (ع) قال : قال رسول الله (ص) : صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار وإن كان أهلها كفار غير أخيار قال : هذا حسن يا أبا عبد الله ولست إياه أردت .

قال أبو عبد الله (ع) : نعم حدثني أبي عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال : قال رسول الله (ص) : صلة الرحم تهون الحساب وتنفي ميتة السوء ، قال المنصور : نعم هذا أردت .

وفي رواية أخرى في الأمالي عن الحسن بن المفضل بن الربيع صاحب المنصور قال : لقيته بمكة قال : حدثني أبي عن جدي الربيع قال : دعاني المنصور يوماً فقال : يا ربيع أحضر جعفر بن محمد (ع) والله لأقتلنه ، فوجهت إليه (ع) ، فلما وافى قلت له : يا بن رسول الله إن كان لك وصية أو عهد تعهده فافعل ، فقال : استأذن لي عليه ، فدخلت إلى المنصور فاعلمته موضعه فقال : أدخله فلما وقعت عين جعفر (ع) على المنصور رأيت يحرك شفثيه بشيء لم أفهمه ، ومضى فلما سلم على المنصور نهض إليه فاعتنقه وأجلسه إلى جانبه وقال له : ارفع حوائجك إلى نفسك ، فأخرج له جعفر (ع) رقاعاً لأقوام وسأله

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٩ .

في آخرين ففضيت حوائجه ، فقال المنصور : ارفع حوائجك لنفسك خاصة فقال له جعفر (ع) : أن لا تدعني حتى أجيئك فقال المنصور : مالي إلى ذلك من سبيل وأنت تزعم للناس أنك تعلم الغيب فقال جعفر (ع) : من أنبأك بهذا ؟ فأومى المنصور إلى شيخ جالس بين يديه فقال جعفر (ع) للشيخ أنت سمعتني أقول هذا ، قال : نعم فقال جعفر (ع) للمنصور : أيحلف هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال المنصور : احلف فلما بدأ الشيخ يحلف في اليمين قال جعفر (ع) للمنصور :

حدثني أبي (ع) عن أبيه (ع) عن جده عن علي بن أبي طالب (ع) : أن العبد إذا حلف باليمين التي ينزه الله تعالى فيها وهو كاذب امتنع الله من عقوبته عليها في عاجلته لما نزه الله عز وجل ، ولكني أنا أستحلفه فقال المنصور : ذلك لك فقال جعفر (ع) للشيخ : قل أبرأ إلى الله من حوله وقوته ، وألجأ إلى حولي وقوتي إن لم يكن سمعتك تقول هذا فتلكأ الشيخ ، فرفع المنصور عموداً في يده وقال : والله لئن لم تحلف لأعلنك بهذا العمود فحلف الشيخ فما أتم اليمين حتى دلع لسانه كما يدلع الكلب لسانه ومات لوقته لا رحمه الله ، ونهض جعفر (ع) قال الربيع فقال لي المنصور : وملك أكتمه عن الناس لا يفتنون به قال الربيع فأتيت جعفر (ع) فقلت له : يابن رسول الله إن المنصور كان هم بك بأمر عظيم ، فلما وقعت عينك عليه زال ذلك عنه .

قال (ع) : يا ربيع إني رأيت البارحة رسول الله (ص) في المنام فقال لي : يا جعفر خفته ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، فقال لي : إذا وقعت عينك عليه فقل : بسم الله أستفتح ، وبسم الله أستنجح وبمحمد (ص) أتوجه ، اللهم ذلل لي صعوبته ، وافلل لي عزمه ، وسهل لي حزنوته ، واكفني كل خزي ، واكفني أمره بلا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير .

وفي الأمالي أيضاً عن عبد الله بن سليمان التميمي قال : لما قتل محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن (ع) سار إلى المدينة رجل يقال له شيبه بن

غفال وقد ولاه المنصور على أهلها ، فلما قدمها وحضرت الجمعة صار إلى مسجد رسول الله (ص) فرقى المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد : فإن علي بن أبي طالب (ع) شق عصا المسلمين وحارب المؤمنين وأراد الأمر لنفسه ومنعه من أهله ، فحرمه الله عليه وأماته بغصته ، وهؤلاء ولده يتبعون أثره في الفساد وطلب الأمر من غير استحقاق منهم له ، فهم في نواحي الأرض مقتولون وبالدماء مخرجون ، قال : فعظم هذا الكلام على الناس ولم يجسر منهم أحد أن ينطق بحرف ، فقام إليه رجل عليه ازار قومي ثخين ، فقال : ونحن نحمد الله ونصلي على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى رسل الله وأنبيائه أجمعين ، أما ما قلت من خير فنحن أهله ، وما قلت من سوء فأنت وصاحبك أولى به ، فاحسأ يا بن من ركب غير راحلته وأكل غير زاده فارجع مأزوراً مذموماً مدحوراً .

ثم أنه (ع) أقبل على الناس وقال : ألا أنبئكم بأخف الناس يوم القيامة ميزاناً وأبينهم خسراناً : هو من باع آخرته بدنياه غيره وهو هذا الفاسق ، فأسكت الناس وخرج الوالي من المسجد لم ينطق بحرف كأنما ألجم حجراً ، فسألت عن الرجل المتكلم فقبل لي : هذا جعفر بن محمد الصادق (ع) .

وفي الخرائج عن الرضا (ع) قال : جاء رجل إلى جعفر بن محمد (ع) : فقال انج بنفسك فهذا فلان بن فلان قد وشا عليك عند المنصور وذكر أنك تأخذ البيعة لنفسك على الناس لتخرج عليه ، فتبسم (ع) وقال : يا عبد الله لا ترع فإن الله تعالى إذا أراد إظهار فضيلة كتمت أو حجة جحدت أثار عليها حاسداً باغياً حتى تشاهد فيحركها حتى يبينها ، اقعد معي حتى يأتيني الطلب فتمضي معي الى هناك حتى تشاهد ما يمضي من قدرة الله تعالى التي لا معزل عنها لمؤمن ، فجأؤوا وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فخرج الصادق ودخل على المنصور وقد امتلأ المنصور عليه غيظاً وحنقاً ، فقال له : أنت الذي تأخذ البيعة لنفسك على المسلمين تريد أن تفرق بين جماعتهم وتسعى في هلاكهم وتفسد

ذات بينهم ؟ فقال الصادق (ع) : ما فعلت شيئاً من هذا فقال المنصور : فهذا فلان يزعم أنك فعلت فقال (ع) : إنه كاذب قال المنصور : إنني أحلفه فإن حلف كفيت بنفسك فقال الصادق (ع) : إنه إذا حلف كاذباً بآئمي وإثمه ، فقال المنصور : حلف هذا الرجل على ما حكاه فقال الحاجب للرجل : قل والله الذي لا إله إلا هو وجعل يغلظ عليه اليمين .

فقال الصادق (ع) : لا تحلفه هكذا فإنني سمعت أبي (ع) يذكر عن آبائه (ع) عن جدي رسول الله (ص) أنه قال : إن من الناس من يحلف كاذباً فيعظم الله تعالى في يمينه ويصفه بصفاته الحسنى فيأتي تعظيمه الله تعالى على إثم كذبه ويمينه فيتأخر عنه البلاء ، ولكن دعني أحلفه باليمين الذي حدثني أبي (ع) عن آبائي (ع) عن رسول الله (ص) : أنه لا يحلف بها حالف إلا بآء بإثمه في ساعته فقال المنصور : حلفه يا أبا عبد الله فقال الصادق للرجل : قل إن كنت كاذباً عليك فقد برئت من حول الله وقوته ولجأت إلى حولي وقوتي فقالها الرجل فقال الصادق (ع) : اللهم إن كان كاذباً فأتمته الساعة ، فما استتم كلامه حتى سقط الرجل ميتاً واحتمل ومضى إلى النار ، وأقبل المنصور على الصادق وسأله عن حوائجه فقال (ع) : ما لي إلا حاجة وهي أن أسرع إلى أهلي فإن قلوبهم متعلقة بي فقال : ذلك إليك فافعل ما بدا لك ، فخرج من عنده مكرماً قد تحير منه المنصور .

فقال بعض منهم : هذا رجل فاجأه الموت وجعل الناس يخوضون أمر ذلك الميت وينظرون إليه ، وإذا هو قد استوى جالساً على السرير والناس يخوضون في أمره فمن ذام له وحامد إذ قعد على سريرته وكشف الغطاء عن وجهه وقال : أيها الناس إنني لقيت ربي فتلقاني بالسخط واللعنة وأشد غضب زبائنه علي علي الذي كان مني إلى جعفر بن محمد الصادق (ع) ، فاتقوا الله ولا تهلكوا فيه كما هلكت أنا ، ثم أعاد كفته على وجهه وعاد في موته فأرأه لا حراك به وهو ميت فدفنوه .

فيا لك يا منصور لا فزت بالولا لجعفر قد آبت عليك الفوادح
تسربت سربالاً من النار ضافياً فويلك قد طاحت عليك الطوائح
وعما قليل تلق ما أنت قادم عليه وقد قامت عليك النوائح
أتقتل من قد عظم الله قدره وجلله إذ يمتمته المدايح
من النص والقرآن نصاً منزلاً من الله هاد للبرايا وواضح
فوالهف نفسي إذ تغيب شخصه وقد مات مسموماً فدته الجوانح

وفي كتاب طب الأئمة عن الرضا (ع) عن موسى بن جعفر (ع) قال : لما طلب أبو الدوائق أبي عبد الله (ع) وهمّ بقتله فأخذه صاحب المدينة ووجه به إليه ، وكان أبو الدوائق استعجله واستبطأ قدومه حرصاً منه على قتله ، فلما مثل بين يديه ضحك في وجهه ثم رحب به وأجلسه عنده ، وقال : يا ابن رسول الله والله قد وجهت إليك وأنا عازم على قتلك ، ولقد نظرت إليك فالقي إليّ محبة عليك ، فوالله ما أجد أحداً من أهل بيتي أعز منك ولا أثر عندي ، ولكن يا أبا عبد الله كلام بلغنا تهجنا فيه وتذكرنا بسوء فقال : يا أمير المؤمنين ما ذكرتك بسوء قط ، فتبسم أيضاً فقال : والله أنت عندي أصدق من جميع من سعى بك إليّ ، وهذا مجلسي بين يديك وخاتمي فانبط ولا تخشني في جليل أمرك وصغيره فلست أردك عن شيء ، ثم أمره بالانصراف وحباه وأعطاه ، فأبى أن يقبل شيئاً وقال : يا أمير المؤمنين أنا في عناية وخير وغناء كثير ، فإذا هممت ببري فعليك بالمتخلفين من أهل بيتي فارفع عنهم القتل قال : قبلت يا أبا عبد الله فقد أمرت لهم بمائة ألف درهم تفرقها بينهم فقال : وصلت الرحم يا أمير المؤمنين .

فلما خرج من عنده مشى بين يديه مشائخ من قریش وشبابهم من كل قبيلة وهو يمشي بينهم كسريان القمر ليلة تمامه وكماله ، فقال عين أبو الدوائق : يا ابن رسول الله لقد نظرت نظراً شافياً حين دخلت على أمير المؤمنين فما أنكرت منك شيئاً غير أنني نظرتك وقد حركت شفيتك بشيء فما كان ذلك ؟ قال : إني

لما نظرت إليه قلت : يا من لا يضام ولا يرام وبه تواصل الأرحام صلّ على محمد وآله واكفني أمره بحولك وقوتك ، والله ما زدت على ما سمعت مني قال : فرجع ذلك اللعين إلى أبي الدوانيق فأخبره بقوله فقال : والله ما استتم ما قاله حتى ذهب ما بصدري .

وفي كتاب المهج عن علي بن يقطين عن محمد بن الربيع الحاجب قال : قعد المنصور يوماً في قصره في القبة الخضراء وكانت قبل قتل محمد وإبراهيم تسمى الحمراء ، وكان له يوماً يقعد فيه ويسمى ذلك اليوم يوم الذبح ، وكان قد أشخص جعفر (ع) بن محمد من المدينة ، فلم يزل في الحمراء نهاره كله حتى جاء الليل ومضى أكثره قال : ثم دعا أبي ، فقال : يا ربيع أنت تعرف موضعك مني وإني يكون لي الخبر ولا تظهر عليه أمهات الأولاد وتكون أنت المعالج له ، فقال : قلت : يا أمير المؤمنين ذلك من فضل الله علي وفضل أمير المؤمنين وما فوقني في النصح غاية ، قال : كذلك أنت سر الساعة إلى جعفر بن محمد الصادق (ع) واثني به على الحالة التي تجده عليها لا يغير شيئاً منها ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إن هذا والله هو العطب إن أتيت به على ما أراد من غضبه قتله وذهبت مني الآخرة ، وإن لم آت به وداهنت في قتله قتلتني وقتل نسلي وأخذ أموالي ، فأنا أخير نفسي بين الدنيا والآخرة فمالت نفسي إلى الدنيا .

قال محمد بن الربيع : فدعاني أبي وكنت أفض ولده وأغلظهم قلباً فقال لي : امض إلى جعفر بن محمد الصادق بن علي (ع) ، فتسلل عليه حائطه ولا تفتح له باباً فيغير ما هو عليه ، ولكن انزل عليه نزولاً واثت به على الحال التي هو فيها فأتيته وقد ذهب الليل إلا أقله ، فأمرت بنصب السلالم وتسللت عليه الحائط فنزلت عليه في داره فوجدته قائماً يصلي وعليه قميص ومنديل قد انزر به ، فلما سلم من الصلاة قلت له : أجب الأمير فقال : دعني أدعو وألبس ثيابي قلت : ما لي إلى ذلك من سبيل قال : دعني أدخل المغتسل فأنظهر قلت :

وليس إلى ذلك من سبيل فلا تشغل نفسك ، فإنني لا أدعك تغير شيئاً فأخرجته حافياً في قميص ومنديل وكان قد تجاوز الستين .

فلما مضى بعض الطريق ضعف عن المشي فرحمته فقلت له : اركب فركب (ع) بغلاً شاكراً كان معنا ثم سرنا إلى الربيع فسمعتة وهو يقول : ويلك يا ربيع قد ابطأ الرجل ، وجعل يحثه استحاثاً شديداً ، فلما وقعت عين الربيع على جعفر (ع) وهو على تلك الحالة بكى وكان الربيع يتشيع فقال له جعفر بن محمد (ع) : يا ربيع أنا أعلم بميلك إلينا فدعني أصلي ركعتين وأدعو قال : شأنك وما تريد ، فصلى ركعتين خففهما ثم دعا بدعاء لم أفهمه لأنه دعاء طويل والمنصور في ذلك كله يستحث الربيع .

فلما فرغ من دعائه بطوله أخذ الربيع بذراعيه فأدخله على المنصور ، فلما سار في صحن الإيوان وقف ثم حرك شفثيه بشيء لم أدر ما هو ، ثم أدخلته بين يديه فلما نظر إليه قال : وأنت يا جعفر ما تدع حسدك وبغيتك وإفسادك على أهل هذا البيت من بني العباس وما يزيدك الله تعالى بذلك إلا شدة حسد ونكد ما تبلغ ما تقدره فقال له والله يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئاً من هذا ، ولقد كنت في ولاية بني أمية وأنت تعلم أنهم أعداؤنا وأعدى الخلق علينا وعليكم ، وأنهم لا حق لهم في هذا الأمر فوالله ما بغيت عليهم ولا بلغهم عني سوء مع جفائهم الذي كان بي ، وكيف يا أمير المؤمنين أصنع الآن هذا وأنت ابن عمي وأمس الخلق رحماً بي وأكثرهم عطاء وبراً فكيف أفعل هذا ؟

فأطرق المنصور رأسه ساعة وكان على يساره رقعة جرمقانية ، وتحت لبدته سيف ذو فقار ، وكان لا يفارقه إذا قعد في القبة قال أبطلت واثمت ، ثم رفع الوسادة فأخرج صرة كتب فرمى بها إليه وقال : هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتي وأن يبايعوك دوني فقال (ع) : يا أمير المؤمنين ما فعلت ولا استحل ذلك ولا هو من مذهبي ، وإنني لمن يعتقد طاعتك على كل حال ، وقد بلغت من السن ما قد أضعفني عن ذلك ، ولو أردته فصيرني في بعض

سجونك حتى تأتيني منيتي وهي مني قريب . فقال : لا ولا كرامة ، ثم أطرق وضرب يده على السيف ، فسل منه مقدار شبر وأخذ بمقبضه فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذهب والله الرجل ثم رد السيف ثم قال : يا جعفر أما تستحي مع هذه الشبية ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل ، وتشق عصي المسلمين ، وتريد أن تريق الدماء ، وتطرح الفتنة بين الأمة والأولياء .

فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما فعلت ولا هذه كتبتي ولا خطي ولا خاتمي فانتضى من السيف ذراعاً ، فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون مضى الرجل ، وقلت في نفسي : إن أمرني فيه بأمر لأعصينه وما ظننت أنه يأمرني أن أخذ السيف فأضرب به جعفرأ فقلت : إن أمرني ضربت عنق المنصور وإن أتى ذلك علي وعلى ولدي وتبت إلى الله عز وجل مما كنت نويت أولاً ، فأقبل يعاتبه وهو يعتذر ثم انتضى السيف وأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وقال : أظنك صادقاً يا ربيع هات العيبة من موضع كذا ، فأتيته بها فقال : ادخل يدك فيها وأخرجها مملوءة غالية ووضعها في لحيته ، ففعلت ذلك وكانت لحيته (ع) بيضاء فاسودت ، وقال لي : أركبه دابتي التي كنت أركبها ، وأعطه عشرة آلاف درهم وشيعة إلى منزله مكرماً ، وخيَّره إذا أتيت به المنزل بين المقام عندنا فنكرمه أو الإنصراف إلى مدينة جده رسول الله (ص) .

فخرجنا من عنده وأنا مسرور فرح بسلامة جعفر (ع) وهو متعجب مما أراد المنصور وما صار إليه من أمره ، فلما صرنا في الصحن قلت له : يا بن رسول الله إني لأعجب مما عهد إلي هذا اللعين من شأنك وما جعلك الله إليه من كفايته ودفاعه ، ولا عجب من أمر الله عز وجل وقد سمعتك تدعو عقيب الركعتين بدعاء لم أدر ما هو ، فقال لي : أما الأول فدعاء الكرب والشدائد ، لم أدع به على أحد قبل ، يومئذ جعلته عوضاً عن دعاء كثير أدعوه إذا قضيت صلاتي ، وهذه الليلة لم أترك أن أدعوا بما كنت أدعوه ، وأما الذي حركت به شفتاي هو دعاء رسول الله (ص) يوم الأحزاب ثم ذكر الدعاء ثم قال : ولولا

الخوف من أمير المؤمنين لدفعت هذا المال ، ولكنك طلبت مني أرضاً بالمدينة وأعطيتني بها عشرة آلاف درهم أو دينار فلم أبعك إياها وقد وهبتها لك .

قلت : يا بن رسول الله إنما رغبتني في الدعاء الأول والثاني فإذا فعلت هذا فهو البر ، ولا حاجة الآن في الأرض فقال (ع) : إنا أهل البيت لا نرجع في معروفنا ، نحن ننسخك الدعاء ونسلم إليك الأرض فقال : سر معي إلى المنزل ، فسرت معه ، وكتب لي بعهدة الأرض وأملى علي دعاء رسول الله (ص) والدعاء الذي هو بعد الركعتين ، فقلت : يا بن رسول الله لقد أكثر المنصور استحثاته واستعجاله إياي ، وأنت تدعو بهذا الدعاء الطويل متمهلاً كأن لم تخشه قال : فقال لي : نعم ، قد كنت أدعوه بعد الفجر ولا بد منه ، وأما الركعتان فهما صلاة الغداة خففتها ودعوت بذلك الدعاء بعدهما ، فقلت له : أما خفت المنصور وقد أعد لك ما أعد ؟ قال : خيفة الله أعظم من خيفته ، وكان الله في صدري أعظم .

قال الربيع : كان فيما قد رأيت من المنصور ومن غضبه وحنقه على جعفر (ع) ومن الجلالة له في ساعة ما لم أظنه يكون في بشر ، فلما وجدت منه خلوة وطابت نفسه قلت : يا أمير المؤمنين رأيت منك عجباً قال : ما هو ؟ قلت : يا أمير المؤمنين رأيت غضبك على جعفر (ع) غضباً شديداً لم أرك غضبته على أحد قط ، ولا على عبد الله بن الحسن (رض) ولا غيره من كل الناس ، حتى بلغ منك الأمر أن تقتله بالسيف وحتى أنك أخرجت من سيفك شبراً ثم أغمدته ثم عاتبته ، ثم أخرجت منه ذراعاً ثم أغمدته ثم عاتبته ، ثم أخرجته كله إلا شيئاً يسيراً فلم أشك في قتلك إياه ، ثم انجلى ذلك كله حتى أمرتني فسودت لحيتي بالغالية التي لا يتغلف منها إلا أ ولا يتغلف منها ولدك ذلك المهدي ، ولا من وليته عهدك ولا عمومتك ، وأجزته وحملته وأمرتني بتشيعه مكرماً .

فقال : ويحك يا ربيع ليس هو مما ينبغي أن تحدث به وستره أولى ، ولا

أحب أن يبلغ أولاد فاطمة فيفتخرون ويتباهون بذلك علينا ، لكن لا أكتمك شيئاً انظر من في الدار فأخرجهم قال : فنحيت كل من في الدار ، ثم قال لي : ارجع ولا تبق أحداً ثم قال : ليس إلا أنت وأنا ، والله لئن سمعت ما ألقىته عليك من أحد لأقتلنك وولدك وأهلهم أجمعين ولأخذن مالك قال : قلت : يا أمير المؤمنين أعيدك بالله .

قال : يا ربيع قد كنت مصراً على قتل جعفر (ع) ولا اسمع له قولاً ولا أقبل له عذراً ، وكان أمره ممن لا يخرج علي بسيف أغلظ عندي وأهم علي من أمر عبد الله بن الحسن (رض) ، وقد كنت أعلم هذا منه ومن آبائه (ع) على عهد بني أمية ، فلما هممت به في المرة الأولى تمثل لي رسول الله (ص) حائل بيني وبينه باسط ، كفيه حاسر عن ذراعيه ، قد عبس وقطب في وجهي فأمسكت ، ثم هممت به في المرة الثانية وانتضيت من السيف أكثر من المرة الأولى وإذا برسول الله (ص) قد قرب مني ودنا دنواً شديداً وهم لي أن فعلت لفعل (ص) فأمسكت ، ثم تجاسرت وقلت هذا بعض أفعال الرؤيا ثم انتضيت السيف ثالثة فمثل لي رسول الله (ص) باسط ذراعيه مشمر عنهما واحمر وجهه وعبس وقطب حتى كاد أن يضع يده عليّ ، فخفت والله لو فعلت لفعل (ص) ، وكان من أمري ما رأيت وهؤلاء من بني فاطمة (ع) لا يجهل حقهم إلا جاهل لا حظ له في الشريعة فإياك أن يسمع منك أحد .

قال محمد بن الربيع فما حدثني به أبي حتى مات المنصور ، وما حدثت به أنا حتى مات المهدي وموسى وهارون .

ولله در الشاعر حيث يقول :

| | |
|---------------------------|--------------------------------|
| فله خطب قبل وقع حلولة | بكته السماء دماً وغار به البحر |
| وزلزلت الأرض حزناً وأعولت | ملائكة التسيح وامتنع القطر |
| وكيف لا تبكي العيون لوقعه | وقد هدم الدين الحنفي والأمر |
| وعطلت الأحكام بعد عميدها | ولم يك للإسلام من بعده نصر |

ألا لعن الله الرجيم ومن سعى لمنصور عباس ومن دأبه الغدر
 فنفسه تفديه وأهلي وجيرتي وما أستطيع الآن والمال والذخر
 رزيته أحيت رزية كربلا وقد شابه اليوم المشوم له العشر
 ألا لعن الله المهيمن عصبه لقد جن في أرواحها الغدر والكفر

وفي كتاب الدلائل للحميري (ره) عن زرارة بن مسلم (ره) مولى خالد بن عبد الله القسري ، قال : إن المنصور قال لحاجبه : إذا دخل علي جعفر بن محمد (ع) فاقتله قبل أن يصل إلي ، فدخل أبو عبد الله (ع) وجلس ، فأرسل إلي الحاجب فنظر إليه فوجده قاعداً . قال : ثم قال : عد مكانك . قال : فأقبل يضرب يداً على يد فلما قام أبو عبد الله (ع) وخرج دعا حاجبه وقال : بأي شيء أمرتك ؟ فقال : والله ما رأيته حين دخل ولا حين خرج إلا عندك وهو قاعد .

وعن عبد الله بن أبي ليلي قال : كنت بالربذة مع المنصور وقد كان وجهه إلى أبي عبد الله (ع) فأتي به وبعث إلي المنصور فدعاني ، فلما انتهيت إلى الباب قال : عجلوا به إلي قتلني الله إن لم أقتله ، سقا الله الأرض من دمي إن لم أسقي الأرض من دمه ، فسألت الحاجب من يعني قال : يعني جعفر بن محمد الصادق (ع) ، فإذا قد أتني به ومعه عدة جلاوزة ، فلما انتهى إلى الباب قبل أن يرفع الستر رأيته (ع) قد حرك شفثيه عند رفع الستر ، فلما بصربه المنصور قال : مرحباً يا بن رسول الله ، مرحباً بك يا بن العم ، فما زال يرفعه حتى أجلسه على وسادته ودعا بالطعام فرفعت رأسي وأقبلت أنظر إليه فقال : يا داوود اقض حوائجه وأمره بالإنصراف ، فلما خرج قال : قد عرفت موالاتي لك وما قد بليت به في دخولي عليهم ، وسمعت كلام الرجل وما كان يقول ، فلما صرت إلى الباب رأيته قد تملمت شفثاك وما أشك إلا أنه شيء قلته فعلمنيته أقوله إذا دخلت عليه قال : نعم قال : ما شاء الله لا يأتي الخير إلا من عند الله ، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ، ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي كتاب مشارق الأنوار روي أن المنصور لما أراد قتل الصادق (ع) دعا قوماً من الأعاجم لا يعرفون الإسلام ولا يفهمون ولا يعقلون ، فخلع عليهم الديباج والشوشى وحمل إليهم الأموال ثم استدعاهم وكانوا مائة رجل ، فقال للترجمان : قل لهم : إن للملك عدواً يدخل عليه الليلة فاقتلوه إذا دخل عليه ، قال : فأخذوا أسلحتهم ممثلين لأمره فاستدعى جعفرأ (ع) وأمره أن يدخل عليه وحده ، ثم قال للترجمان : قل لهم هذا عدوي فقطعوه ، فلما دخل (ع) ونظروا إليه تعاووا كعوي الكلاب ورموا أسلحتهم وكتفوا أيديهم إلى ظهورهم وخرروا له سجداً ومرغوا وجوههم على التراب ، فلما رأى المنصور ذلك خاف على نفسه وقال : ما جاء بك ؟ قال (ع) أرسلت إلي فأجبتك وما جئتك إلا مغتسلاً متحنطاً فقال المنصور : معاذ الله أن يكون ما تزعم ارجع راشداً ، فرجع جعفر (ع) والقوم على وجوههم سجداً فقال المنصور للترجمان : قل لهم لم لا قتلتم عدو الملك فقالوا : نقتل ولينا والذي يلقانا كل يوم ويدبر أمورنا كما يدبر الرجل ولده ولا نعرف لنا ولياً سواه ، فخاف المنصور من قولهم وسرحهم تحت الليل ثم قتله بعد ذلك بالسم .

وفي رواية عن عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال ؛ حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال للربيع : ابعث إلي جعفر بن محمد (ع) واتنا به متعباً قتلي الله إن لم أقتله ، فتغافل الربيع عنه لينساه فأعاد ذكره الربيع وقال : ابعث من يأتيني به قتلي الله إن لم أقتله ، فتغافل الربيع عنه فأرسل إلى الربيع رسالة قبيحة أغلظ فيها عليه بما لا دافع له إلا الله تعالى من القتل ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ثم أن الربيع أحضر جعفرأ (ع) فلما دخل جعفر (ع) أوعده وتهدهه بالقتل وقال : أي عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يبعثون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتبتغي لي الغوائل ، فوالله لأقتلنك ولا مانع لي من ذلك ، فقال (ع) : يا أمير المؤمنين إن سليمان (ع) أعطي فشكر ، وإن أيوب (ع) ابتلي فصبر ، وإن يوسف (ع) ظلم فغفر ، وأنت من

ذلك السنخ ، فلما سمع المنصور ذلك قال : وأنت يا أبا عبد الله عندي أبر
للسماحة وأسلم للنجاحة القابل للغاية ، جزاك الله من ذي رحم أفضل ما جرى
ذوي الأرحام عن أرحامهم ، ثم تناوله بيده فأجلسه على فراشه ثم أمر بطيب
فطّيب به لحية جعفر (ع) وقال له : قم في حفظ الله تعالى وكفايته ، فخرج (ع)
فقال المنصور للربيع : الحق جعفر (ع) بالكسوة والجائزة ، فلحقه بهما وقال
له : يا جعفر ما قلت حين دخلت وما قلت حين خرجت .

قال (ع) قلت : ألهم احرسني بعينك التي لا تنام ، واكنفني بركنك
الذي لا يرام ، ففعل الله تعالى بي ما رأيت وهكذا دأبه صلوات الله عليه مع
المنصور في جميع الأوقات والشهور لا زال يغتنم فيه الفرص ويسوقه في
المحذور والغصص ، وقد طلبه مراراً وعزم على قتله سراً وجهاراً ، وحيث لم
يحتم المقدور صرف الله تعالى عنه ذلك البلاء والشروع فلما أحب الله تعالى
شهادته وحضر وقته وأحب لقائه أغار عليه المنصور ، فدس إليه سمّاً نقيعاً في
عنب ورمان فأكله سلام الله عليه فجعل وجود بنفسه وقد اخضر لونه وصار يتقياً
كبده قطعاً قطعاً حتى قضى نحبه ولقي ربه شهيداً مظلوماً ، فلما مات (ع)
ترزعزت المدينة بسكانها ، وخرجت المخدرات من خدورها وأوطانها ناشرات
للشعور هاتكات للستور شاقات للجيوب خامشات للوجوه لاطمات للخدود
خادشات للنواصي والعيون ، كل تنادي : وا إماماه ، وا جعفراه ، وا سيداه ،
وخرج المساكين والأيتام ينادون : وا ضيعتاه وا محتناه وا قلة ناصراه .

وبكاه ابنه موسى الكاظم (ع) قائلاً يا أبتاه من [لنا] بعدك وا طول حزنه
وا حسرتاه من بعدك يا أبتاه وا انقطاع ظهره ، وقد نص على ابنه موسى بن
جعفر وأسر إليه تلك الوصاية وأظهرها وأشهد عليها جملة من الأوصياء
والأعداء ، وقد مرّ ذكرها سابقاً فقام موسى (ع) في جهاز أبيه (ع) فغسّله وحطّطه
كما أمره وكفنه وعيناه تهملان دموعاً وحمل جنازته (ع) إلى البقيع ودفنه جوار أبيه
وعمه (ع) .

وقد روي أنه لما حملت جنازته ورفع سريره رثاه ابن هريرة الشاعر في تلك الحال فانشأ يقول :

أقول وقد راحوا به يحملونه
أتدرون من ذا تحملون على الثرى
غداة حثا الحاثون فوق ظريحه
فيا صادق بن الصادقين أليّة
فحق بكم ذو العرش أقسم في الورى
نجوم هي اثنا عشر قد كن سُبُحاً
ولا عجباً لو أنزلوك إلى الثرى
وساخت بأهلها ولم تك ساعة
سأبكيك ما دامت عيوني في الثرى
ألا لعن الله الذين تبوأوا
أتقتل يا شر البرية جعفرأ
وتترك هذا الدين من غير والياً
سألبس أثواب الضنا مدة البقا
وكيف تلذ العين غمضاً وقد جرى
فيا نكبة ما مثلها قط نكبة
صلاة إله العرش مثل سلامه

وهذا آخر ما أردنا رسمه من الأخبار في وفاته ، وإلا فما ورد فيه من المعاجز والفضائل والبراهين والدلائل ما لا يأتي عليها أقلام الأنام ، ولو كانت الأنام كلها كتاباً والبحار مداداً والأشجار كلها أقلاماً وساعدتها العوالم إسعاداً لما بلغوا مقدار قطرة من تلك السجال ، ونسأل الله المتعال أن يجعله في محل القبول فنذكر به المقصود والمأمول والمجاورة معهم في تلك المحال والشرب من كأس أميرهم في وقت ذلك الزلزال ، وصلى الله على محمد وآله خير نبي وأكرم آل وسلم تسليماً كثيراً مباركاً .

وفاة
الإمام موسى الكاظم
"عليه السلام"

تأليف
العلاء الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عصفور
الدارزي البجائي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ابتلى أوليائه بأرجاس الناس من حيث أذهب عنهم
الرجس وطهرهم من إلباس فحسدوهم على مراتبهم التي رتبهم الله فيها حتى
أحمدوا منهم تلك الأنفاس ، والصلاة والسلام من الله ومن ملائكته المطهرين
وأنبياؤه المرسلين إلى يوم حشر الناس من الأرماس وبعد : فيقول فقير الله
الكريم المجازي حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرزي (ره) إني لما
رأيت إعراض الناس عن إقامة المآتم والمراثي على من سوى الحسين (ع) من
الأئمة ، مع مشاركتهم له في المصائب الجمة ونيل مراتب الشهادة والانتقال إلى
منازل [الآخرة] ، سيما مولانا مجمع المكارم وحجة العالم على جميع المعالم
موسى بن جعفر الكاظم (ع) ، فإنه ممن ابتلي بأهل زمانه وقد أوقدوا نار
الحروب وأداروا رحى المصائب والكروب على أهل البيت (ع) ، فدارت عليه
أقداح سمومها وألجموه في سجون همومها وغمومها ، حيث قد ابتلي بطواغيت
بني العباس فصادفت أيامه من ملوكهم أربعة قد أذهبوا بدين الله وجعلوا أعلامه
في غاية الانتكاس ، فلا زال مسجوناً كأثقال الأغلال وقابلوه بالتكذيب ونسبوه
إلى الكفر والضلال فاشتدت البلية وتراكت سحب الثقة فانتزعت الأرواح
وأثخنوهم بالقتل والجراح ، فأحببت أن أؤلف كتاباً صغيراً أجمع فيه ما وصل
إلي من أخباره المتضمنة ما جرى عليه من أعدائه الطغاة من الولادة إلى حين
الوفاة ، وأقدم في ذلك بعض أحواله والنص عليه من آياته (ع) وبعض من

فضائله الدالة على كرمه وإجلاله فاصلاً لبعض الروايات ببعض المراثي من الأبيات ، راجياً من الله الاستعانة على هذه الخدمة مدة الحياة لينفعني الله بذلك يوم الجزاء بعد الممات وسميته : لهيب الأحزان الضارم في وفاة موسى بن جعفر الكاظم ، وهذا أوان الشروع في المقصود ونسأل الكريم أن ينفعنا به إنه أهل الكرم والجود .

روي في العيون بإسناده عن زيد بن سليط الزيدي قال : لقينا أبا عبد الله جعفر الصادق (ع) في الطريق قاصداً إلى مكة ونحن جماعة ، فقلت له : بأبي أنت وأمي أنتم الأئمة المطهرون والموت لا يتعري منه أحد فأحدث إلي شيئاً ألقى به إلى ما يخلفني فقال لي : نعم هؤلاء ولدي وهذا سيدهم - وأشار إلى ابنه موسى الكاظم - ففيه العلم والحكمة والفهم والسخاء والمعرفة فيما يحتاج إليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم ، وفيه حسن الخلق وحسن الجوار وهو باب من أبواب الله عز وجل ، وفيه أخرى وهي خير من هذا كله فقلت له : ما هي بأبي أنت وأمي ؟ فقال : يخرج الله تعالى منه غوث هذه الأمة وغيائها وعلمها ونورها وفهمها وحكمها وخير مولود وخير ناشيء ، يحقن الله تعالى به الدماء ، ويصلح به ذات البين ، ويلم به الشعث ، ويشعب به الصدع ، ويكسو به العاري ، ويشبع به الجائع ، ويؤمن به الخائف ، وينزل به القطر ، ويأتم به العباد ، خير كهل وخير ناشيء ، يبشر به عشيرته قبل أوان حلمه ، قوله حكم وصمته علم يبين للناس ما يختلفون فيه ، قال : فقال : بأبي أنت أيكون له ولد بعده ؟ قال : نعم ثم قطع الكلام .

قال زيد : ثم لقيت أبا الحسن موسى بن جعفر (ع) بعد فقلت له : بأبي أنت وأمي إنني أريد أن تخبرني بمثلما أخبرني به أبوك قال ؛ فقال : كان أبي في زمان ليس هذا مثله ، قال زيد : فقلت : من لا يرضى منك بهذا فعليه لعنة الله فضحك (ع) ثم قال : يا أبا عمارة إنني خرجت من منزلي إلى أولادي ، ثم أشركتهم مع علي الرضا ابني وأفردته بوصيتي في الباطن ، ولقد رأيت رسول الله

في المنام وأمير المؤمنين (ع) ومعه خاتم وسيف وعصا وكتاب وعمامة فقلت له : ما هذا ؟ فقال : أما العمامة فسلطان الله ، وأما السيف فعزة الله تعالى ، وأما الكتاب فنور الله عز وجل ، وأما العصا فقوة الله عز وجل ، وأما الخاتم فجامع هذه الأمور . ثم قال رسول الله (ص) : والأمر يخرج إلى علي (ع) قال : ثم قال : يا زيد إنها وديعة الله عندك ، فلا تخبر بها إلا عاقلاً أو عبداً امتحن الله قلبه للإيمان ، أو صادقاً فلا تكفر نعم الله تعالى ، وإن سئلت عن الشهادة فأدها ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾^(١) وقال عز وجل ﴿ ومن أظلم ممن كنتم شهادة عنده من الله ﴾^(٢) فقلت : والله لا أفعل هذا أبداً ، قال ؛ ثم قال (ع) : ثم وضعه لي رسول الله (ص) فقال : علي ابنك الذي ينظر بنور الله ويسمع ويفهم وينطق بحكمته ويصيب فلا يخطيء ويعلم ولا يجهل ملىء حكماً وعلماً ، وما أقل مقامك معه إنما هو شيء كان ولم تكن ، فإذا رجعت من سفرك فاصلح أمرك وأفرغ مما أردت فإنك منتقل عنه ومجاور غيره ، فاجمع ولدك وأشهد الله عليهم جميعاً وكفى بالله شهيداً ، ثم قال يا زيد : إني أؤخذ في هذه السنة ، وعلي ابني سمي علي بن أبي طالب (ع) ، وسمي علي بن الحسين (ع) ، أعطي فهم الأول وعلمه ونصره وورده ، وليس له أن يتكلم إلا بعد هارون بأربع سنين ، فإذا مضت أربع سنين فاسأله عما شئت يجيبك إن شاء الله .

وروى الصدوق (ره) في الإكمال بإسناده إلى إبراهيم الكرخي قال : دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) وجلست عنده إذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم (ع) وهو غلام ، فقامت إليه فقبلته وجلست فقال لي أبو عبد الله : يا إبراهيم أما أنه صاحبك من بعدي ، أما ليهلكن فيه قوم ويسعد آخرون ، فلعن الله قاتله وضاعف اللعن على روحه والعذاب ، أما

(١) سورة النساء ، الآية : ٥٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٠ .

ليخرجن من صلبه خير أهل الأرض في زمانه ، سمي جسده ووارث علمه وأحكامه وفضائله ، معدن الامامة ورأس الحكمة ، يقتله جبار بني العباس بعده بعد عجائب طريفة حسداً له ، ولكن الله بالغ أمره ولو كره المشركون ، يخرج الله تعالى من صلبه تمام اثني عشر مهدياً اختصهم الله تعالى بكراماته وأحلهم دار قدسه ، المقر بالثاني عشر منهم كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله يذب عنه ، فدخل رجل من موالي بني أمية فانقطع الكلام فعدت إلى أبي عبد الله (ع) أحد عشر مرة أريد أن يستتم الكلام فلم أقدر على ذلك فلما كان قابل السنة الثانية دخلت عليه وهو جالس فقال : يا إبراهيم المفرج للكرب عن شيعته بعد ضنك شديد وبلاء طويل وجزع وخوف فطوبى لمن أدرك ذلك الزمان حسبك يا إبراهيم فما رجعت بشيء أسر من هذا قلبي ولا أقر لعيني .

وفي رواية زرارة بن أعين قال : دخلت على أبي عبد الله (ع) وقدامه مرقد مغطى فقال لي : يا زرارة آتني بداد الرقي وحرمان وأبي بصير ، ودخل عليه المفضل بن عمر فخرجت فأحضرت ما أمرني بإحضاره ، ولم يزل الناس يدخلون واحداً إثر واحد حتى حضرنا في البيت ثلاثون نفرأ فلما حشد المجلس قال : يا داود اكشف لي عن وجه إسماعيل (رض) فكشف عن وجهه فقال أبو عبد الله (ع) : حي هو أم ميت ؟ فقال : يا مولاي هو ميت ، فجعل يعرض ذلك على رجل رجل حتى أتى على آخر من بالمجلس وكل يقول : هو ميت يا مولاي فقال (ع) : اللهم اشهد ، ثم أمر (ع) بغسله وحنوطه وأدرجه في أثوابه فلما فرغ قال للمفضل : احسر عن وجهه فحسر عن وجهه وقال للجماعة أحي هو أم ميت ؟ فقالوا له : ميت فقال : اللهم اشهد فإنه سيرتاب المبطلون يريدون اطفاء نور الله بأفواههم ، ثم أومي لى موسى (ع) والله متم نوره ولو كره المشركون ثم حثوا عليه التراب ، ثم أعاد علينا القول وقال : الميت المكفن المحنط المدفون في هذا اللحد من هو ؟ فقلنا : ابنك اسماعيل فقال (ع) : اللهم اشهد ، ثم أخذ بيد موسى (ع) وقال : هذا هو الحق والحق معه ومنه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها الحديث

ولله در من قال :

فلله خطب هائل ما أجله
مصاب دهمى الإسلام إذا وقع البلا
لقد هدموا دين الآله بما جرى
لقد غاب عن ذا الخلق أشم غيبة
وظل الهدى والرشد في الخلق منكرا
فيا قاتل الله الرشيد ومن مضى
لقد أزهقوا روح النبي وعطلوا
يؤمهم لعن من الله دائم

على السدين من بعد النبي محمد
بموسى حليف المجد خير موسى
عليه فيا الله من شر معتدي
عقيب أبيه الصادق المتهمجد
وأصبح دين الله في بطن ملحد
إلى جعفر المنصور أخبث ملحد
لقلب علي مع بتولة أحمد
وأوقعهم في حر نار موقد

ولما استتم النص عليه من أبيه (ع) وأكده غاية التأكيد سعت به الوشاة إلى ذلك الرجيم العنيد أبي جعفر المنصور ، وأضمر له العداوة والشروع ، وبالغ في إطفاء ذلك النور ، ثم من بعده ولده المهدي إلى أن مضت عشر سنين وعشرة أشهر وأيام ، ثم من بعده ولده الهادي سنة وخمسة عشر يوماً ، ثم هارون الرشيد ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين وسبعة عشر يوماً ، لكنه (ع) لم يكن في أيام خلافة الرشيد إلا خمسة عشر سنة ، ولقد حبسه الرشيد مراراً وأغرى بقتله سراً وجهاراً ، فلم يزل يلقيه في سجونته مرة بعد أخرى ويغري به من لا دين له لقتله سراً .

وفي كتاب الإختصاص مسنداً إلى محمد بن الزبرقان الدامغاني قال أبو الحسن موسى بن جعفر (ع) : لما أمر هارون الرشيد بحملي ، دخلت فسلمت عليه فلم يرد علي السلام ، فرأيتته مغضباً فرمى إليّ بطومار وقال لي : اقرأه فإذا فيه كلام قد علم الله عز وجل براءتي منه ، وفيه أن موسى بن جعفر (ع) يجيء إليه الخراج من الأفاق من غلاة الشيعة ممن يقول بإمامته يدينون الله تعالى بذلك ، ويزعمون أنه فرض عليهم أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ويزعمون أنه من لم يذهب إليه بال عشر ، ولم يصل بإمامتهم ويحج بإذنهم ويجاهد بأمرهم

ويحمل الغنيمة إليهم ويفضلهم على جميع الخلق ويفرض طاعتهم مثل طاعة الله تعالى ورسوله (ص) فهو كافر ، حلل الله ماله ودمه وفيه كلام شناعة مثل استحلال الفروج بأمره (ع) ولو بدرهم ، والبراءة من السلف ويلعنونهم في صلاتهم ويزعمون أنه من لم يتبرأ منهم فقد بانت منه امرأته ، ومن آخر الوقت للوقت فلا صلاة له لقول الله عز وجل فقد ﴿أضاعوا الصلاة﴾^(١) الآية ، ويزعمون أن غياً واد في جهنم والكتاب طويل وأنا قائم بين يديه اقرأه وهو ساكت فرفع رأسه وقال : إنك اكتفيت بما قرأت فتكلم بحجتك فقلت : يا أمير المؤمنين والذي بعث محمداً (ص) بالنبوة ما حمل إلي أحد درهماً ولا ديناراً من طريق الخراج ، لكننا معاشر آل أبي طالب نقبل الهدية التي أحلها الله تعالى لنبيه (ص) لقوله : لو أهدي إلي كراع لقبلت ، ولو دعيت على ذراع لأجبت ، وقد علم أمير المؤمنين ضيق ما نحن فيه وكثرة عدونا وما منعنا السلف من الخمس الذي نطق لنا به الكتاب فضاق بنا الأمر ، وقد حرمت علينا الصدقة وعضنا الله تعالى عنها الخمس ، فاضطررنا إلى قبول الهدية وكل ذلك مما علمته يا أمير ، فلما تم كلامي سكت ثم قلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لابن عمه في حديث عن آبائه (ع) عن رسول الله (ص) فكانه اغتتمها فقال : مأذون لك هاته فقلت :

حدثني أبي (ع) عن آبائي (ع) يرفعونه إلى رسول الله أن يد الرحيم إذا مست رحماً تحركت واضطربت ، فإن تناولني يدك فأشار بيده إلي ثم قال ؛ ادن مني ، فدنوت منه فصافحني وجذبني إلى نفسه ملياً ثم فارقني ، فدمعت عيناه وقال : اجلس يا موسى فليس عليك بأس ، صدقت وصدق آبائك وصدق جدك النبي (ص) ، لقد تحرك دمي واضطربت عروقي واعلم أنك لحمي ودمي ، وأن الذي حدثني به صحيح ، وإني أريد أن أسألك عن مسألة فإن أجبتني علمت

(١) سورة مريم ، الآية : ٥٩ .

أنك صدقتني وخليت عنك ووصلتك ولم أصدق ما قيل فيك ؟ فقلت : ما كان علمه عندي أجبتك فيه ، فقال : لم لا تنهون شيعتكم عن قولهم لكم : يا ابن رسول الله وأنتم ولد علي وفاطمة إنما هي وعاء والولد ينسب إلى الأب لا إلى الأم ؟ فقلت : إن رأي أمير المؤمنين أن يعفيني من هذه المسألة ، فقال : لست أفعل أو تجيب فقلت : أنا في أمانك أن لا يصيبني من آفة السلطان شيء فقال : لك الأمان فقلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وهبنا له اسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وذكرياً ويحيى وعيسى ﴾^(١) (ع) فمن أبو عيسى ؟ فقال : ليس له أب ، إنما خلق من كلام الله وروح القدس ، فقلت : إنما الحق عيسى بذراري الأنبياء بمريم (ع) ، ونحن ألحقنا بذراري الأنبياء بفاطمة (ع) لا من قبل علي (ع) فقال : أحسنت يا موسى زدني من مثله فقلت :

اجتمعت الأمة برها وفاجرها أن حديث النجراني حين دعاه النبي للمباهلة لم يكن في الكساء إلا هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ع) ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل ﴾^(٢) فكان تأويل ابنائنا الحسن والحسين ونسائنا فاطمة ، وأنفسنا علي بن أبي طالب ، ثم قال : أحسنت ثم قال : أخبرني عن قولك ليس لابن العم مع ولد الصلب ميراث ، فقلت : أسألك بحق الله وحق رسوله يا أمير المؤمنين أن تعفيني من هذه المسألة وكشفها وهي عند العلماء مستورة ، فقال : إنك ضمنت لي أن تجيب فيما أسألك ولست أعفيك فقلت له : جدد لي الأمان ثانية ، فقال : قد آمنتك .

(١) سورة الأنعام ، الآيتين : ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ .

فقلت : ان النبي (ص) لم يورث من قدر على الهجرة ولم يهاجر ، وأن عمي العباس قد قدر على الهجرة ولم يهاجر ، وإنما كان في الأسارى مع النبي (ص) ووجد أن يكون له الفداء فأنزل الله على النبي (ص) يخبره بدفين له من ذهب ، فبعث علياً (ع) فأخرجه من عند أم الفضل وأخبر العباس بما أخبر به جبرائيل عن الله تعالى ، فأذن لعلي فأعطاه علامة الذي دفن فيه ، فقال العباس عند ذلك : يا ابن أخي ما فاتني منك أكثر فأشهد أنك رسول رب العالمين ، فلما أحضر علي الذهب ، قال العباس : أفقرتني يا ابن أخي ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴾ (٢) ثم قال تعالى : ﴿ وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر ﴾ (٣) ، فرأيته قد اغتم .

ثم قال : أخبرني من أين قلتم أن الإنسان يدخله الفساد من قبل الإمام حال الخمس الذي لا يدفع إلى أهله ، فقلت : أخبرك يا أمير المؤمنين بشرط أن لا تكشف هذا الباب لأحد ما دمت حياً ، وعن قريب يفرق الله بيننا وبين من ظلمنا وهذه مسألة لم يسأل بها أحد من السلاطين غير أمير المؤمنين ، قال : ولا تيم ولا عدي ولا احد من بني أمية ولا أحد من آبائنا ؟ قلت : ما سئلت ولا سئل جدي أبو جعفر (ع) عنها قال ؛ فإن بلغني منك أو من أحد أهل بيتك كشف ما أخبرتني به رجعت عما آمنتك منه ، فقلت : لك علي ذلك ، فقال : أحببت أن تكتب لي كلاماً موجزاً له أصول وفروع يفهم تفسيره ، ويكون عن سماعتك من أبي عبد الله (ع) ، فقلت : نعم وعلى عيني يا أمير المؤمنين قال : فإذا فرغت فأرفع حوائجك ، فقام ووكل بي من يحفظني وبعث إلي في كل يوم بمائة فكتبت :

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٧٠ .

(٢ ، ٣) سورة الأنفال ، الآية : ٧٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم : أمور الدنيا أمران أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها والأخبار المجتمع عليها المعروف عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حاجة وحادثة ، وأمر يحمل الشك فيه والإنكار وسبيل استيضاح أهل الحجة عليه ، فما ثبت لمنتحليه من كتاب مجمع على تأويله أو سنة عن النبي (ص) لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله ضاق على من استوضح تلك الحجة ردها ووجب عليه قبولها والإقرار والديانة بها ، وما لم يثبت لمنتحليه به حجة من كتاب مجمع على تأويله وسنة عن النبي لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله وسع الأمة خاصها وعامها الشك فيه والإنكار له في ذلك فهذان الأمران من أمر التوحيد فما دونه إلى ارش الخدش فما دونه ، فهذا الذي يعرض عليه أمر الدين فما ثبت لك برهانه اصطفيته وما غمض عنك ضوؤه نفيته ، ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وأخبرت الموكل بي أنني قد فرغت من حاجته ، فأخبره فخرج وعرضت عليه الكتاب ، فقال : أحسنت يا موسى هو كلام جامع موجز ، فارفع حوائجك يا موسى فقلت : يا أمير المؤمنين أول حاجتي أن تأذن لي بالانصراف إلى أهلي فإنني تركتهم باكين آيسين مني ومن أن يروني ابداً فقال : مأذون لك اردد ، فقلت : عليّ عيال كثيرة وأعيننا بعد الله ممدودة إلى فضل أمير المؤمنين ودعائه ، فأمر لي بمائة ألف درهم وكسوة وحملني ورددني إلى أهلي مكرماً .

ولله در من قال :

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| تبدأً لدنيا غدرت ساداتها | ورمتهم لبلائها وشتاتها |
| ووفت لأبناء اللئام بما رأوا | من حادثات بلائها بهداتها |
| حجبوا جهاراً عن تراثهم وقد | نالوا العناء بها وخلف عداتها |
| صبراً على مضض الزمان وما بدا | من جوره إذ حل في ساحاتها |
| أيقاد موسى خاضعاً متذلاً | لرشيدها ويكف عن نحلاتها |

ويرى بأنواع القيود مكبلاً
فكأنه من كابل أهدي إلى
ويصد عن حكم الإله ولم يكن
والهف نفسي والتلهف لم يزد
فلا ألبسن عليهم ثوب الضنا
ولا يحتظي بصلاتها وصلاتها
شر الطغاة وشر نسل بغاتها
من ناصر يحميه بين عداتها
نفسى شفاء غليلها وهنائها
ولأخلعن لباس طيب حياتها

وفي العيون بإسناده إلى موسى بن جعفر (ع) قال : لما دخلت على
الرشيد سلمت عليه فردّ عليّ السلام ثم قال : يا موسى بن جعفر خليفتين يجبي
اليهما الخراج ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن تبوأ بأثمي واثمك
وتقبل الباطل من أعدائنا . فقد علمت أنه كذب علينا منذ قبض
رسول الله (ص) ، وإني أسألك بقرابتك من رسول الله (ص) أن تأذن إلي
أحدثك بحديث أخبرني به عن آبائه (ع) عن جدي رسول الله (ص) . قال :
هات فقلت : إن رسول الله قال : إن يد الرحيم إذا مست رحماً تحرك دمه
واضطربت عروقه ، فناولني يدك فقال : ادن مني فدنوت منه فأخذ بيدي ثم
جذبني إلى نفسه وعانقني طويلاً ثم تركني وقال : اجلس فليس عليك بأس ،
ف نظرت إليه وإذا هو قد دمعت عيناه فرجعت إلى نفسي فقال : صدقت يا موسى
وصدق جدك رسول الله (ص) لقد تحرك دمي واضطربت عروقي حتى غلبت
عليّ الرقة وفاضت عيناى ، وأنا أسألك عن مسألة تختلج في صدري منذ حين
لم أسأل عنها أحداً ، فإن أنت أجبتني عنها خلّيت عنك ، ثم ذكر مثل الحديث
السابق مع اختلاف يسير .

وفي العيون أيضاً بإسناده عن سفيان بن بزّال قال : كنت يوماً على رأس
المأمون فقال : أتدرون من علمني التشيع ؟ فقال القوم جميعاً : لا والله ما
نعلم ، فقال : علمني الرشيد ، فقليل له : وكيف ذلك وان الرشيد كان يقتل
أهل هذا البيت (ع) ؟ فقال : كان يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم ، ولقد
حججت معه سنة فلما صار إلى المدينة تقدم إلى حجابيه وقال : لا يدخل علي

أحد من أهل المدينة ومكة وسائر المهاجرين والأنصار وبنو هاشم وسائر بطون قريش إلا نسب نفسه ، فكان الرجل إذا دخل عليه قال : أنا فلان ابن فلان حتى ينتهي إلى جده من هاشم قريش أو مهاجري أو أنصاري ، فيصله من المال بخمسة آلاف درهم وما فوقها وما دونها إلى ما فوق مقامه على قدر شرفه وهجرة آبائه فبينما أنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع فقال : يا أمير المؤمنين إن بالبواب رجل يزعم أنه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه والأمين والمؤمن ، وسائر القواد فقال : احفظوا على أنفسكم ثم قال لصاحب الإذن ائذن له ولا ينزل إلا على بساطي ، فبينما أنا كذلك إذ دخل علينا شيخ قد أنهكته العبادة كأنه شن بالٍ وقد أكل السجود وجهه وأنفه ، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه فصاح الرشيد : لا تنزل إلا على بساطي ، فمنعه الحجاب عن التراجع فنظرنا إليه بأجمعنا بالإجلال والإعظام فما زال يسير على حماره حتى صار على البساط والحجاب محذوقون به ، فلما نزل قام الرشيد فاستقبله إلى آخر البساط فقبل وجهه وعينيه وأخذ بيده وصيره إلى صدر المجلس وجلس معه وجعل يقبل بوجهه عليه ويسأله عن أحواله ، ثم قال : يا أبا الحسن كم عليك من العيال ؟ قال (ع) : يزيدون على الخمسمائة قال : أولاد كلهم ؟ فقال : لا أكثرهم موالي وحشم ، وأما الولد فلي نيف وثلاثون الذكران كذا والنسوان كذا ، قال : فلم لا تزوج النسوان من بني عمومتهم وأكفائهم ؟ فقال اليد تقصر عن ذلك قال : فما حال الضيعة ؟ قال : تعطي في وقت وتمنع في آخر ، قال : فهل عليك دين ؟ قال : نعم قال : نحوكم ؟ قال (ع) : نحو من عشرة آلاف دينار فقال الرشيد : يا ابن العم أنا أعطيك من المال ما تزوج به الذكران والإناث وتقضي الدين وتعمر الضياع ، فقال (ع) : وصلت يا ابن العم وشكر الله لك هذه النية الجميلة والرحم ماسة والقراة راسخة والنسب واحد ، والعباس عم النبي وصنو أبيه وعم علي بن أبي طالب وصنو أبيه ، وما أبعدك الله من أن تفعل ذلك وقد بسط يدك وأكرم عنصرك وأعلا مجدك ، فقال : أفعل ذلك إن شاء الله تعالى يا أبا الحسن

كرامة لك فقال : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قد فرض على ولاة أمره أن يفتشوا عن فقراء الأمة ، فيقضون عن الغارمين ، ويؤدّون عن المعيل ، ويكسون العاري ويحسنون إلى العاني ، وأنت أولى من يفعل ذلك قال : أفعل يا أبا الحسن ، ثم قام فقام الرشيد لقيامه وقَبَل عينيه ووجهه ثم أقبل علي وعلى الأمين فقال : يا عبد الله ويا محمد ويا إبراهيم امشوا بين يدي ابن عمكم موسى وسيدكم خذوا بركابه وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله . فأقبل علي أبو الحسن (ع) سرّاً بيني وبينه وبشّرني بالخلافة فقال لي : إذا ملكت فأحسن إلي في ابني ، ثم انصرف وكنت أجراً ولد أبي عليه فلما خلا المجلس قلت : يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي عظمته وأكرمته وأجللته وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له ؟ فقال هذا إمام الناس وحجة الله على جميع خلقه وخليفته في عباده ، فقلت : يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات لك وفيك كلها ؟ فقال : أنا إمام الجماعة في الظاهر وفي الغلبة والقهر ، وموسى بن جعفر إمام حق ، والله إنه لأحق بمقام رسول الله (ص) مني ومن جميع الخلق ، والله لو نازعتني أنت في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عينك فإن الملك عقيم .

فلما أراد الرحيل من المدينة أمر بصره فيها مائتا دينار ثم أقبل على الفضل ابن الربيع وقال له : إذهب بهذه الصرة إلى موسى بن جعفر وقل له : يقول لك أمير المؤمنين : نحن في ضيقة وسيأتيك الغنى بعد هذا الوقت ، فقامت في صدره وقلت : يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبنو هاشم ومن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار وما دونها ، وتعطي موسى بن جعفر وقد عظمته وجللته مائتي دينار أخس عطية أعطيتها أحداً من الناس ؟ فقال لي : اسكت لا أم لك ، فإنني لو أعطيته الذي ظمنه له ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعة ومواليه ، الفقر لهذا ولأهل بيته أحسن لي ولكم من أبسط أيديهم وأعينهم لنا ، فلما نظر ذلك مخارق المغني دخله من ذلك غيظ فقال للرشيد : يا أمير المؤمنين قد دخلت المدينة وأكثر أهلها يطلبون مني وإن خرجت ولم أقسم فيهم شيئاً لم يتبين لهم فضل

أمير المؤمنين علي ومنزلي عنده فأمر له بعشرة آلاف دينار فقال : يا أمير المؤمنين إن لأهل المدينة علي دين وأحتاج أن أقضيه ، فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى فقال : يا أمير المؤمنين بناتي أريد أن أزوجهن وأنا محتاج لزواجهن ، فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى فقال : لا بد من غلة تعطينها ترد علي وعلى عيالي وأزواجهن ، فأمر له بأقطاع ما تبلغ غلته في السنة عشرة آلاف دينار وأن يعجل له ذلك كله ، ثم قام مخارق من فوره وقصد موسى بن جعفر (ع) وقال له : إني وقفت على ما عاملك به هذا الملعون وما أمر لك به فاحتلت عليه وأخذت منه صلة ثلاثون ألف دينار واقطاع وهبها إلي ، وما أخذتها إلا لك وأشهد لك بهذه الأقطاع وقد حملت المال إليك يا سيدي . فقال (ع) : بارك الله لك في مالك وأحسن جزاك ، وما كنت لأخذ منها درهماً واحداً ولا من هذه الأقطاع وقد قبلت صلتك ، فأنصرف راشداً ولا تراجعني في ذلك فقبّل يده وأنصرف .

ولله در من قال :

| | |
|------------------------------|---------------------------------|
| فيا عجباً من دهر سوء أباد من | له الأمر في العليا فأحمد ناراها |
| وطالت بها أعناق كل مرئم | وشب عليهم نارها وشنارها |
| وأبعد عن مالهم وتراثهم | ومكن منها بعد ذاك شرارها |
| فوالهف نفسي مثل موسى يقوده | دعي بغني قد تسنم عارها |
| فيا قاتل الله الرشيد ونسله | وأسكنه في ذي الجحيم قرارها |

وفي العيون عن إبراهيم بن هاشم قال : سمعت رجلاً من أصحابنا يقول : لما حبس الرشيد موسى بن جعفر (ع) أجن عليه الليل فخاف ناحية هارون أن يقتله فجدد موسى (ع) ظهوره واستقبل القبلة وصلى لله عز وجل أربع ركعات ، ثم دعا بهذه الدعوات قائلاً : يا سيدي نجني من حبس هارون وخلصني من يده يا مخلص الشجر من بين رمل وطين وماء ، ومخلص اللبن من بين فرث ودم ، ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم ، ويا مخلص النار من

بين الحديد والحجر ، ويا مخلص الروح من بين الأحشاء والأمعاء خلصني من هذا الرجل . قال : فلما دعا موسى بهذا الدعاء أتى هارون رجل أسود ويده سيف مسلول وهو نائم فوقف عليه وهو يقول : يا عدو الله أطلق موسى بن جعفر (ع) من الحبس والحديد وإلا ضربت عليك بهذا السيف ، فخاف هارون من هيئته ثم دعا الحاجب وقال له : إذهب إلى السجن واطلق موسى ، فخرج الحاجب وطرق باب دار السجن فأجابته السجنان وقال : من ؟ فقال : رسول الخليفة يقول لك اطلق موسى بن جعفر (ع) ، فصاح السجنان : يا موسى إن الخليفة يدعوك ، فقام موسى فزعاً وهو يقول : ما يدعوني في هذا الليل إلا لشر في نفسه ، فقام حزيناً مغموماً آيساً من الحياة فجاء إلى هارون وهو (ع) ترتعد فرائضه ، فسلم على هارون فرد عليه السلام ثم قال له هارون : يا موسى هل دعوت الله تعالى في هذه الليلة ؟ فقال : نعم قال : وما هو ؟ فقال (ع) : جددت ظهوري وصليت لله أربع ركعات ورفعت طرفي إلى السماء وقلت : يا سيدي خلصني من يد هارون وشره ، وذكر له ما كان من دعائه ، فقال هارون : قد استجاب الله تعالى دعائك ، يا حاجب اطلق عنه ، ثم دعا بخلعة وخلع عليه ثياباً وحمله على فرس وأكرمه وصيره نديماً لنفسه ، ثم قال هارون : هات الكلمات فعلمه وأطلق عنه وسلمه إلى الحاجب ليسلمه (ع) ويكون معه إلى الدار ، وصار موسى بن جعفر كريماً شريفاً عند هارون الرشيد وكان يدخل عليه في كل خميس إلى أن حبسه الثالثة فلم يطلقه حتى سلمه إلى السندي لعنه الله فقتله بالسم .

ولله در الشاعر حيث يقول :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| لحي الله هارون الرشيد وزاده | نكالا وأصلاه شواظ جهنم |
| يرى المعجزات الواضحات فلم | يدع مكائده يوماً لموسى المعظم |
| وما زال يسقيه مرارة كيده | إلى أن سقاه كأس سم بمطعم |
| فراح إلى دار الجنان منعماً | فوالهف نفسي للإمام المكرم |
| أمن بعد موسى يستلذ ذوا الحجا | ويلهو بطيب العيش من كل منعم |

وفي العيون عن ابن عياش قال : حدثنا الثوباني قال : كانت لأبي الحسن موسى بن جعفر (ع) بضع عشر سنة في كل يوم منها سجدة بعد بياض الشمس إلى وقت الزوال ، وكان هارون يصعد سطحاً يشرف منه على الحبس الذي فيه موسى بن جعفر ، وكان يرى موسى بن جعفر ساجداً فقال للربيع : مالك يا ربيع أما ترى الثوب الذي أراه في ذلك الموضع ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما هو ثوب بل هو موسى بن جعفر له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال ، فقال هارون : هذا من رهبان بني هاشم فقلت : فما لك ضيقت عليه في الحبس فقال : هيهات لا بد من ذلك .

وفي الكتاب المذكور أيضاً عن عبد الله القزويني قال : دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على السطح ، فقال لي : ادن مني فدنوت منه حتى حاذيته فقال لي : أشرف إلى البيت في الدار فأشرفت من على السطح فقال لي : ما ترى في البيت ؟ فقلت : أرى ثوباً مطروحاً فقال لي : انظر حسناً فتأملت فقلت رجلاً ساجداً فقال لي : تعرفه ؟ قلت : لا فقال لي : هذا مولاك فقلت : ومن هو مولاي ؟ فقال : تتجهل علي ؟ فقلت : لا اتجهل عليك ، ولكن لا اعرف لي مولى إلا أبا الحسن موسى بن جعفر واني افتقدته الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات ، فقال : ها هو في الحبس عندي ولا أراه إلا على الحال الذي تراه فيه يصلي الفجر فيعقب ساعة في دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس ، ثم يسجد سجدة فلم يزل ساجداً حتى تزول الشمس ، وقد جعل من يترصد له الزوال فلا يدري متى يقول له الغلام قد زالت الشمس فيبتدىء في الصلاة من قبل أن يحدث ، فاعلم أنه لم ينم في سجوده فلم يزل ساجداً إلى أن تغيب الشمس ، فإذا غابت الشمس صلى المغرب من غير أن يحدث حدثاً فلم يزل في صلاته وتعقيبه إلى أن يصلي العتمة ، فيفطر على شوي يؤتى به إليه ثم يجدد الوضوء ويقوم فلم يزل يصلي في جوف الليل إلى أن يطلع الفجر ، فلست أدري متى يقول الغلام أن الفجر قد طلع إذ وثب (ع)

لصلاة الفجر فهذا دأبه مذ حوّل إلي ، فقلت : اتق الله لا تحدث في أمره حديثاً يكون فيه زوال النعم وقد تعلم أنه لم يفعل أحد بهم سوءاً إلا تكون نعمته زائلة ، فقال : قد أرسلوا إلي غير مرة يأمروني بقتله فلم أجبهم إلى ما سألوني . فلما كان بعد ذلك حوّل إلى الفضل بن يحيى البرمكي فحبس عنده أياماً ، فكان الفضل بن الربيع يبعث إليه في كل يوم مائدة حتى مضى ثلاثة أيام بلياليها ، فلما كانت الليلة الرابعة قدمت إليه مائدة الفضل بن يحيى فرفع يده إلى السماء وقال : يا رب إنك تعلم لو أكلت قبل هذا اليوم كنت قد أعنت على نفسي ، فأكل فمرض (ع) ، فلما كان من الغد جاءه الطبيب فعرض عليه فرأى خضرة في بطنه وفي راحتيه ، وكان السم الذي سم به قد اجتمع في ذلك الموضع فانصرف الطبيب إليهم وقال : والله هو أعلم بما فعلتم به ، فلما كان بعد يوم قبض (ع) .

هكذا جاء في هذه الرواية والمشهور أنه قد سم في حبس السندي بن شاهك ، وأن هارون الرشيد قد عرض قبل ذلك قتله على جميع أرباب دولته وسعى به إلى من جاهد للصانع فلم يتمكن من ذلك ، فاغتم لذلك غمّاً شديداً إلى أن دنا منه أجله وانقضت أيامه وأحكم الرشيد تدبيره وحيله وقد بلغ به العناد إلى أن يخجله في المجلس كما روي عن علي بن يقطين (رض) قال : إن الرشيد استدعى رجلاً ليبتل به ما أمر أبي الحسن موسى بن جعفر ، فلما حضرت المائدة وجعلوا يأكلون تناول موسى (ع) رغيفاً من الخبز فطيره ذلك اللعاب من بين يديه واستفز هارون الفرح والضحك لذلك ، فغضب أبو الحسن موسى ورفع رأسه إلى صورة أسد موضوعة على بعض الستور فقال : يا أسد الله كل عدو الله ، قال : فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فافترت ذلك المغرم اللعاب ، فخر هارون مع ندمائه على وجوههم مغشياً عليهم وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوا ، فلما أفاقوا من غشوتهم قال هارون لأبي الحسن (ع) : سألتك بحقي عليك إلا ما سألت الصورة أن ترد الرجل فقال (ع) : إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعت من حبال القوم وعصبيهم فإن

هذه الصورة ترد ما ابتلعتة من هذا الرجل ، فكان ذلك أعمل الأشياء في إفادته نفسه (ع) .

وفي خبر عن عمر بن واقد ، قال : إن هارون لما ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر (ع) ، وما كان يبلغه من قول الشيعة بإمامته واختلافهم بالليل والنهار خشية منه على نفسه وملكه ، ففكر في نفسه أن يقتله بالسم ، ثم دعا برطب فأكل منه ثم أحضر صينية فوضع فيها عشرين رطبة وأخذ سلكاً ففركه بالسم وأدخله في سم الخياط وأخذ رطبة من ذلك الرطب وأقبل يردد ذلك السم فيها واستكثر منه ثم ردها في ذلك الرطب ، وقال للخادم : احمل هذه الصينية إلى موسى بن جعفر وقل له إن أمير المؤمنين قد أكل من هذا الرطب وتنغص لك وهو يقسم عليك إلا ما أكلتها عن آخرها لأنني اخترتها بيدي ، فلا تتركه يبقي منه شيئاً ولا تطعم منه أحداً ، فاتاه به الخادم وأبلغه الرسالة وقال : آتني بخلال ، فناوله خلالاً وقام بازائه وهو يأكل (ع) من ذلك الرطب وكان للرشيد كلبة تعز عليه فجذبت نفسها وخرجت وكان فيها سلاسل من ذهب وجوهر ، فجاءت عند موسى بن جعفر (ع) فبادر بالخلال إلى الرطبة المسمومة فرمى بها إلى الكلبة فأكلتها فلم تلبث أن ضربت برجلها الأرض وتقطعت قطعة قطعة ، واستوفى (ع) باقي الرطب وحمل الغلام الصينية وأتى بها الرشيد فقال الرشيد : قد أكل الرطب عن آخره ؟ قال : نعم فقال : كيف رأيت حين أكله ؟ قال : ما أنكرت منه شيئاً يا أمير المؤمنين ، ثم أورد عليه خبر الكلبة وأنها قد تهرأت وماتت ، فقلق الرشيد قلقاً شديداً ثم وقف على الكلبة فوجدها متهرتة بالسم ، فأحضر الخادم ودعا له بسيف ونطع وقال له تصدقني عن خبر الرطب والكلبة وإلا قتلتك فقال : يا أمير المؤمنين إني حملت الرطب إليه وبلغته رسالتك وقلت بازائه فطلب مني خلالاً فدفعته إليه فأقبل يغرز رطبة بعد رطبة ويأكلها حتى جاءت الكلبة فغرز الخلال في رطبة من ذلك الرطب ورمى بها للكلبة فأكلتها فما لبثت أن تهرأت وأكل هو باقي الرطب فكان الأمر كما كان ، فما ترى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ما ربحنا من موسى إلا أنه أطعمناه جيد

الربط وضيعنا سمننا وقتلنا كلبتنا فما في موسى حيلة .

قال : ثم ان سيدنا موسى بن جعفر (ع) دعا بالمسيب وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكلاً به فقال : يا مسيب فقال : لبيك يا سيدي ، قال : إني ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة مدينة جدي رسول الله لأعهد إلى ابني علي بن موسى الرضا بما عهد إلي أبي جعفر واجعله وصي وخليفتي وأمره بأمرى ، فقال المسيب : كيف تأمرني يا مولاي أن افتح لك الأبواب وأقفلها مغلقة والحرس على الأبواب ؟ فقال (ع) : يا مسيب أضعف يقينك في الله تعالى وفيما ؟ قلت : لا يا سيدي قال : قم ، قلت يا سيدي ادع الله أن يثبتني فقال (ع) : اللهم ثبته ، ثم قال : أعوذ بالله عز وجل وباسمه العظيم الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا (ع) حتى جاء بسرير بلقيس فوضعه بين يدي سليمان قبل ارتداد طرفه إليه اجمع بيني وبين ابني في المدينة . قال المسيب (ره) : سمعته يدعو ففقدته من مصلاه فلم أزل قائماً على قدمي حتى رأته قد عاد إلى مكانه وأعاد الحديد إلى رجله فخررت ساجداً لله شكراً على ما أنعم الله به علي من معرفته ، فقال لي : ارفع رأسك يا مسيب واعلم أني راحل إلى الله تعالى في ثالث هذا اليوم قال : فبكيت فقال (ع) تبكي فإن علياً ابني إمامك من بعدي فاستمسك بولايته فإنك لن تضل ما لزمته فقلت : الحمد لله .

ثم ان سيدي دعاني ليلة اليوم الثالث فقال لي : إني على ما عرفتك من الرحيل إلى الله تعالى فإذا دعوت بشربة من الماء ، فشربتها ورأيتني قد انتفخت وارتفع بطني واخضر لوني واحمر وتلون ألواناً فخبّر الطاغية بوفاتي ، وإذا رأيت هذا الحدث فإياك أن تظهر عليه أحداً إلا بعد وفاتي ، قال المسيب بن زهير : فلم أزل أرقب وعده (ع) حتى دعا بالشربة فشربها ثم دعاني فقال : يا مسيب إن هذا الرجل اللعين السندي بن شاهك لعنه الله سيزعم أنه تولى غسلني ودفني ، هيهات هيهات لا يكون ذلك أبداً ، فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فألحدني فيها ولا ترفعوا قبوري فوق أربع أصابع مفرجات ، ولا تأخذوا من

تربتي شيئاً فتبركوا به ، فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين (ع) فإن الله عز وجل جعلها شفاءً لشيئتنا وأوليائنا ، ثم رأيت شخصاً أشبه الخلق به جالساً إلى جانبه وكان عهدي بسيدي الرضا (ع) وهو قائم ، فأردت سؤاله فصاح بي سيدي موسى (ع) ، أليس نهيتك يا مسيب ؟ فلم أزل صابراً حتى مضى وغابت الشمس ثم إنني أتيت بالخبر إلى الرشيد فوفاني السندي بن شاهك ، فوالله لقد رأيتهم وهم يظنون بأنهم يغسلونه ولا تصل أيديهم إليه ويظنون أنهم يحنطونه ويكفنونونه وأراهم لا يصنعون به شيئاً ، ورأيت ذلك الشخص يتولى غسله وتحنيطه وتكفينه وهو يظهر المعاونة لهم وهم لا يعرفونه ، فلما فرغ من تجهيزه قال ذلك الشخص : يا مسيب مهما شككت فيه فلا تشك فيّ فيإني إمامك ومولاك وحجة الله تعالى عليك بعد أبي ، يا مسيب مثلي مثل يوسف الصديق (ع) ، ومثلهم مثل اخوته حين دخلوا فعرفهم وهم له منكرون ، ثم حمل حتى دفن في مقابر قريش وأمر برفع قبره أكثر مما أمر به (ع) ثم رفعوا بعد ذلك قبره وبنوا عليه .

ولله در من قال :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| وقيم دين الله موسى بن جعفر . | فيا ضيعة الإسلام بعد وليه |
| ويرمى به سجن رجس ومفتري | أيقتل مسموماً بحبس بن شاهك |
| ويعزل عن أعلى مكان ومنبر | ويحجب عن تنفيذ أحكام جده |
| وطلق لذيد النوم يا طرف محجري | فيا قلب ذب وجداً لعظم مصابه |
| حسين سليل المرتضى الطر حيدر | فما رزؤه إلا كرز ابن فاطم |
| يثبت بها في العالمين بمصدر | فمن لعلوم الله من بعد فقده |
| ومن لمحارِب الصلاة بمحضر | ومن للدعا والورد في سحر الدجا |
| لتفسيره آه له من مفسر | ومن لكتاب الله تال وموضح |
| بدينياكم من أن تقر بمحشر | علوج بني العباس إن قر طرفكم |
| فأطفئتموه ويلكم شر معشر | عمدتم إلى بدر لكم متألق |

ستجزون في يوم الجزاء جهنماً تذيب الحشا منكم غداة التسعر

وفي رواية كما في العيون عن يقبل قوله من الثقة قال : قال لي رأيت بعض من يقرون بفضل موسى بن جعفر (ع) من أهل هذا البيت : فما رأيت مثله قط في نسكه وفضله قال : قلت : ومن هو وكيف رأيتك ؟ قال : تجمعنا أيام السندي بن شاهك ونحن ثمانون رجلاً فأدخلنا على موسى بن جعفر (ع) فقال لنا السندي : يا هؤلاء انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث ؟ فإن الناس يزعمون أنه فعل به مكروه ويكثرون في ذلك وهذا منزله وفراشه موسع عليه غير مضيق ، ولم يرد به أمير المؤمنين سوءاً وإنما ينتظره فيناظره وها هو ذا صحيح فأسألوه ؟ فسألناه فقال (ع) : أما ما ذكر من التوسعة فهو على ما ذكر ، غير أنني أخبركم أيها النفر أنني سممت في تسع تمرات وألقيت دماً من كبدي ، واني أخضرتُ غداً ويعد غد أموت ، فنظرنا فإذا السندي ترتعد فرائصه ويضطرب مثل السعفة .

وفي خبر عمر بن واقد قال : أرسل إلي السندي بن شاهك بعض الليالي وأنا في بغداد ليستحضرني ، فخشيت أن يكون ذلك لشر يريد فأوصيت عيالي بما احتجت إليه وقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فلما ركبت إليه ورأني مقبلاً قال : يا أبا جعفر لعلنا أزعجناك وأفزعناك ؟ قلت : نعم ، فقال : ما هنا إلا خيراً ، قلت : ابعث رسولاً إلى أهلي ليخبرهم بخبري فقال : نعم ثم قال : يا أبا جعفر أتدري لم أرسلت إليك ؟ فقال : لا أدري قال : أتعرف موسى بن جعفر ؟ فقلت : أعرفه وبينني وبينه صداقة منذ كان ببغداد ويعرفه من يقبل قوله ، ثم سميت له أقواماً ووقع بقلبي أنه قد مات (ع) ، فبعث إليهم فجاء بهم كما جاء بي وقال ؛ هل تعرفون قوماً يعرفون موسى بن جعفر ؟ فسموا له أقواماً فجاء بهم ، فأصبحنا ونحن في الدار نيفاً وخمسون رجلاً ممن يعرف موسى بن جعفر (ع) وقد صاحبه قال ثم قال : ودخل وصلينا وخرج كاتبه بطومار فكتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وخلصنا ثم دخل إلى السندي وخرج السندي فضرب

بيده إلي وقال لي : قم يا أبا جعفر اكشف الثوب عن موسى بن جعفر ، فكشفت عنه فرأيته ميتاً فبكيت واسترجعت ثم قال للقوم : انظروا إليه فدنوا واحداً بعد واحد فنظروا إليه ثم قال : تشهدون كلكم أن هذا موسى بن جعفر؟ قالوا : نعم فقال : يا غلام اطرح على عورته منديلاً واكشف عن جسده قال : ففعل فقال : أترون به أثراً تنكرونه؟ فقلنا : ما نرى به شيئاً وما نراه إلا هو ميتاً فقال : لا تبرحوا حتى تغسلوه وتكفونوه قالوا : فلم نبرح حتى غُسل وكفَّن (ع) وحمل إلى المصلى فصلى عليه السندي بن شاهك ثم دفناه ورجعنا .

ولله در الشاعر حيث يقول :

| | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| فوالهف نفسي والتلهف لا يجدي | على من مضى بالسم من كافر وغدي |
| سقاها سموم الموت من بعد حبسه | سنيماً بلا جرم فروحي له تفدي |
| فواطول حزني بعده وصبابتي | فلا مدمعي يرقى وقلبي في وقد |
| وكيف الكرى يأوي جفوني وإنني | حرمت له طيب المضاجع والسهد |
| سأبكي عليه ما بقيت تأسفاً | وأندبه حتى أوسد في لحد |
| مضى فمضى الإسلام والدين والتقى | وعظّل أحكام المكارم والمجد |
| فيا قاتل الله الرشيد وما جنى | وأبعده الله المهيمن من سندي |
| عجبت لأفلاك السماوات لم تخر | وللنيرات الشهب لم تمس في الوهد |
| ألا لعن الله المهيمن كل من | تعاضد في إطفاء نور سما الرشيد |
| وصلى إليه العرش ما هبت الصبا | على روحه ذاك المخلد في الخلد |

وفي العيون : بإسناده عن عتاب بن أمثل عن جماعة من مشايخ أهل الكوفة قالوا : توفي موسى بن جعفر (ع) على يد السندي بن شاهك لعنه الله ، فحمله على نعش ونادى عليه هذا إمام (الرافضة) فاعرفوه ، فلما أوتي به إلى مجلس الشط قام أربعة نفر ونادوا : ألا من أراد أن ينظر إلى الخبيث بن الخبيث موسى بن جعفر فليخرج ، فخرج المنافقين من كل جانب ومكان ، وصارت الضوضاء عليه وهو ملقى على جسر بغداد في وسط الطريق والداخل والخارج

يرفسه برجله ، فخرج سليمان بن جعفر الجعفري من قصره إلى الشط فسمع الصباح والضوضاء فقال لولده وغلماؤه : ما هذا ؟ فقالوا : إن السندي بن شاهك أمر أن ينادى على موسى (ع) بهذا النداء وهو على نعشه ، فقال لولده وغلماؤه : يوشك أن يفعل هذا به من الجانب الغربي ، فإذا عبروا به فانزلوا مع غلمانكم وخذوه من أيديهم ، فإن مانعوكم فاضربوهم وخرقوا ما عليهم من السواد ، فلما عبروا به نزلوا إليهم وأخذوه من أيديهم وخرقوا سوادهم فوضعوه في مفرق طرق وقام المنادي ينادي : ألا من أراد أن ينظر إلى الطيب ابن الطيب موسى بن جعفر فليخرج ، فحضر الخلق فغسل وكفن في حبرة له استعملت بألفي دينار قد كتب القرآن كله عليها ، واحتفى سليمان ومشى وراء جنازته مشقوق الجيب متسلباً حتى انتهوا به إلى مقابر قريش فدفنه هناك ، وكتب بأمره إلى الرشيد فكتب إليه الرشيد : وصلت رحمك يا عم فأحسن الله لك الجزاء والله ما فعل السندي هذا عن أمرنا .

وفي خبر رواه في العيون عن محمد بن سليمان النوفلي قال : سمعت أبي يقول : لما قبض الرشيد على موسى بن جعفر (ع) قبض عليه وهو عند رأس رسول الله (ص) قائماً يصلي فقطع عليه صلاته ، وحمل (ع) وهو يبكي ويقول : إليك أشكوا رسول الله ما ألقى ، وأقبل الناس من كل جانب وهم يبكون ويضعجون ، فلما أوتي به الرشيد شتمه وجفاه ، فلما جن عليه الليل أمر بقبطين فهيتا له فحمل موسى بن جعفر (ع) في إحداهما في خفاء ودفعه إلى حسان السروري وأمره أن يسير به في قبة إلى البصرة فيسلمه إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر وهو أميرها ، ووجه قبة أخرى إلى الكوفة علانية ومعها جماعة ليعمي على الناس أمر موسى بن جعفر (ع) ، فقدم حسان البصرة قبل التروية بيوم واحد ودفعه إلى عيسى بن جعفر نهاراً علانية حتى عرف ذلك وشاع خبره ، فحبسه عيسى في بيت من بيوت المجلس الذي كان يجلس فيه وأفضل عليه وشغله العيد عنه ، فكان لا يفتح عنه الباب إلا في حالتين حالة يخرج فيها للظهور وحالة يدخل فيها إليه بالطعام ، قال أبي : فقلت للفيض بن صالح وكان

نصرانياً فأظهر الإسلام ، وكان زنديقاً وكان يكتب لعيسى بن جعفر وكان لي خاصاً فقال : يا أبا عبد الله لقد سمعت هذا الرجل الصالح في أيامه هذه في هذه الدار التي هو فيها من ضروب الفواحش والمناكر ما أعلم ولا أشك أنه يخطر بباله ، قال أبي : وسعى بي في تلك الأيام إلى عيسى بن جعفر بن علي ابن يعقوب بن عون بن العباس من مشائخ بني هاشم وكان أكبرهم سنأ ، وكان مع سنه يشرب الشراب ويدعو أحمد بن أسيد إلى منزله فيحتفل معه ، ويأتي بالمغنين والمغنيات يطعم أن يذكره لعيسى وكان في رقعة التي دفعها إليه تقدم علينا سليمان ابنك في إكرامك وتخصه بالمسك وفينا من هو أسن منه وهو يدين بطاعة موسى بن جعفر المحبوس عندك ، قال أبي : واني لقائل في يوم قيظ إذ حركت حلقة الباب علي فقلت : ما هذا ؟ فقال لي الغلام : قعنب بن يحيى يقول : يريد لقاءك الساعة ، فقلت : ما جاء إلا لأمر ائذنوا له ، فدخل وأخبرني عن الفيض بن أبي صالح بهذه القصة والرقعة . قال وقد كان قال لي الفيض بعدما أخبرني لا تخبر أبا عبد الله فيحزنه فإن الرافع عند الأمير لم يجد فيه مساعاً ، وقد قلت للأمير : في نفسي من هذا شيء حتى أخبر أبا عبد الله فيأتيك فيحلف على الكذب فقال : لا تخبره فتغمه ، فإن ابن عمه إنما حملة على هذا الحسد له فقلت له : أيها الأمير أنت أعلم أنك لا تخلو بأحد كخلوتك به ، فهل تحمل على احد ؟ فقال : معاذ الله فلو كان له مذهب يخالف فيه الناس لأحب أن يحملك عليه ، قال : أجل ومعرفتي له أكثر قال أبي : فدعوت بدابتي فركبت إلى الفيض من ساعتى فصرت إليه ومعى قعنب ، فأرسل إلي جعلت فذاك إنك جلست مجلساً أرفع قدرك فإذا هو جالس على شراب فأرسلت إليه لا بد من لقائك فخرج إلي في قميص رقيق وأزار مورد فأخبرته بما يغلني فقال :

لاجزيت خيراً لم أتقدم إليك أن لا تخبر أبا عبد الله فتغمه ، ثم قال : لا بأس فليس في قلب الأمير من ذلك شيء قال : فما مضت بعد ذلك إلا أياماً يسيرة حتى حمل موسى بن جعفر (ع) إلى بغداد سرأً وحبس ثم أطلق ثم حبس ثم سلم إلى السندي بن شاهك فضيق عليه ، ثم بعث إليه الرشيد بسم في

رطب ، وأمره أن يقدمه إليه ويحتم عليه في تناوله منه ففعل فمات وقد أحضر جماعة وأشهدهم على وصيته كما رواه الصدوق (ره) في العيون وهذه صورتها :

(أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الموت حق والبعث بعد الموت حق ، وأن الحساب والقصاص حق ، وأن الوقوف بين يدي الله عز وجل حق ، وكل ما جاء به محمد بن عبد الله فهو حق ، وأن الذي نزل به الروح الأمين حق على ذلك أحياء وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله تعالى ، أشهدهم أن هذه وصيتي بخطي وقد نسخت وصية جدي رسول الله ، وأمير المؤمنين ، ووصية الحسن والحسين عليهما السلام ، ووصية علي بن الحسين ، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد (ع) قبل ذلك حرفاً بحرف ، ووصيت بها إلى علي ابني وبني بعده فإن شاء وأنس منهم رشداً وأحب إقرارهم فذلك له ، وإن كرههم وأحب أن يخرجهم ، فذلك له ولا أمر لهم معه ، ووصيت له بصدقاتي وأموالي وعيالي الذين خلفت وولدي وإلى إبراهيم والعباس ، وإسماعيل وأحمد ، وإلى علي (ع) أمر نسائي دونهم وثلاث صدقة أبي وأهل بيتي يضعه حيث يرى ويجعل منه ما يجعل ذو المال في ماله ، إن أحب أن يجيز ما ذكرت في عيالي فذلك له وإن كره فذلك له ، وإن أحب أن يبيع أو يوهب أو ينحل أو يتصدق على غير ما وصيته فذاك إليه وهو أنا في وصيتي في مالي وفي أهلي وولدي ، وإن أقر إخوته الذين سميتهم في صدر كتابي هذا أقرهم وإن كره فله أن يخرجهم غير مردود عليه ، وإن أراد رجلاً منهم أن يزوج أخته فليس له أن يزوجه إلا بأذنه وأمره وسلطانه فمن رده من شيء أو حال بينه وبين شيء فيما ذكرت من كتابي فقد برىء من الله ومن رسوله والله ورسوله بريئان منه وعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين أجمعين وجماعة المؤمنين ، وليس لأحد من السلاطين أن يكشفه عن شيء لي عنده من بضاعة ولا لأحد من ولدي ولي عنده مال وهو مصدق فيما ذكر من مبلغه إن أقل أو أكثر فهو صادق ، وإنما أردت بادخال الذين أدخلت معه من ولدي

التنويه بأسمائهم وأولادهم أولادي الصغار وأمهات أولادي ، ومن أقام منهن في منزلي أو في حجابها فلها ما كان يجري عليها في حياتي إن أراد ذلك ومن خرج منهن إلى زوج ، فليس لها أن ترجع إلى حزانتي إلا أن يرى عليّ ذلك وبناتي مثل ذلك ، ولا يزوج بناتي أحد من إخوانهن ولا من أمهاتهن ولا من سلطان ولا عمل لهن إلا برأيه ومشورته ، فإن فعلوا ذلك فقد خالفوا الله تعالى ورسوله وحاربه في ملكه وهو عارف بمناكح قومه إن أراد أن يزوج زوج وإن أراد أن يترك ترك ، وقد أوصيتهن بمثلما ذكرت في كتابي وأشهدت الله عليهنّ وليس لأحد أن يكشف وصيتي ولا ينشرها وهي على ما ذكرت وسميت ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ، وليس لأحد من سلطان ولا غيره أن يفض كتابي الذي ختمت عليه في أسفله فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه والملائكة بعد ذلك وجماعة المسلمين والمؤمنين) .

وفي العيون عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن صالح بن عطية قال : كان السبب في رفع موسى بن جعفر (ع) إلى بغداد أن هارون الرشيد أراد أن يعقد الأمر لابنه محمد بن زبيدة ، وكان له من البنين أربعة عشر ابناً ، فاختار منهم ثلاثة محمد بن زبيدة وجعله ولي عهده ، وعبد الله فجعل له الأمر بعد محمد بن زبيدة ، والقاسم المؤتمن وجعل له الأمر من بعد المؤمن ، فأراد أن يحكم الأمر في ذلك ويشهر شهرة يقف عليها الخاص والعام ، فحج في سنة تسع وسبعين ومائة وكتب إلى جميع الآفاق يأمر الفقهاء والعلماء والقراء والأمراء أن يحضروا مكة يوم الموسم وأخذ هو طريق المدينة .

قال علي بن محمد النوفلي : حدثني أبي أنه كان سبب سعاية يحيى بن خالد أن الرشيد وضع ابنه ابن زبيدة في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث فساء ذلك يحيى وقال : إذا مات الرشيد وكان الأمر لمحمد انقضت دولتي ودولة ولدي وتحول الأمر إلى جعفر وولده ، وكان عرف مذهب جعفر في التشيع فأظهر له أنه على مذهبه فسربه جعفر وأفضى إليه جميع أموره ، وذكر له ما هو عليه في

موسى بن جعفر (ع) ، فلما وقف على مذهبه سعى به إلى الرشيد وكان الرشيد يرمى له موضعه وموضع أبيه من نصرة الخلافة ، وكان يقدم ويؤخر وكان يحيى لا يألوا أن يخطب عليه إلى أن دخل يوماً إلى الرشيد فأظهر له إكراماً وجرى بينهما كلام متّ به جعفر بحرمته وحرمة أبيه ، فأمر له الرشيد في ذلك اليوم بعشرين ألف دينار فأمسك يحيى أن يقول فيه شيئاً حتى أمسى ، ثم قال للرشيد: يا أمير المؤمنين قد كنت أخبرتك عن جعفر وعن مذهبه فتكذب عنه وهاهنا أمر فيه الفيصل قال : وما هو؟ قال: إنه لا يصل إليه مال من جهة من الجهات إلا أخرجته خمسه فوجّه به إلى موسى بن جعفر ، ولست أشك إلا أنه قد فعل ذلك بالعشرين ألف دينار التي أمرت بها له فقال هارون: إن في هذا لفيصلاً ، فأرسل إلى جعفر ليلاً وكان قد عرف سعاية يحيى به فتباينا وأظهر كل واحد لصاحبه العداوة ، فلما طرقت رسول الرشيد على جعفر بالليل خشي أن يكون قد سمع فيه قول يحيى وأنه إنما دعاه ليقتله ، فأفاض عليه ماءً ودعا بمسك وكافور فتحنط بهما ولبس بردة فوق ثيابه فأقبل إلى الرشيد ، فلما وقعت عينه عليه وشم رائحة الكافور ورأى البردة قال: يا جعفر ما هذا؟ فقال: يا أمير علمت أنه قد سعي به عندك ، فلما جاءني رسولك في هذه الساعة لم آمن أن يكون قد قدح في قلبك ما يقال علي ، فأرسلت إلي لتقتلني ، فقال: كلا ولكن قد خبرت أنك تبعث إلى موسى بن جعفر في كل ما يصير إليه بخمسه وأنت قد فعلت ذلك في العشرين الف دينار فأحببت أن أعلم ذلك فقال جعفر: الله أكبر يا أمير المؤمنين تأمر بعض خدمك يذهب ليأتيك بها بخواتمها فقال الرشيد لخدمته: خذ خاتم جعفر وانطلق به إلى منزله حتى تأتيني بالمال ، وسمى له جعفر الجارية التي عندها المال فأقبل الخادم للجارية فدفعته إليه البدره بخواتمها ، فأتى بها الرشيد فقال جعفر: هذا أول ما تعرف كيد من سعى بي إليك فقال: صدقت يا جعفر انصرف آمناً فإنني لا أقبل فيك قول أحد قال: وجعل يحيى يحتال في إسقاط جعفر .

قال النوفلي: حدّثني علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي عن

بعض مشائخه وذلك في حجة الرشيد قبل هذه الحجة قال: لقيني علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال لي: مالك حملت نفسك ولم تدبر أمر الوزير؟ وقد أرسل إلي فعادته وطلبت الحوائج منه وكان سبب ذلك ان يحيى ابن خالد قال ليحيى بن ابي مريم ألا تدلني على رجل من آل أبي طالب له رغبة في الدنيا فأوسع عليه فيها؟ فقال: بلى أدلك على رجل بهذه الصفة وهو علي ابن اسماعيل بن جعفر، فأرسل إليه يحيى فقال: أخبرني عن عمك موسى وشيعته وعن المال الذي يحمل إليه قال له: عندي الخبر وسعى بعمه (ع)، وكان من سعائته أن قال: من كثرة المال الذي عنده أنه اشترى ضيعة تسمى البشرية بثلاثين ألف دينار فلما أحضر المال قال البائع: لا أريد هذا النقد أريد نقداً كذا وكذا، فأمر (ع) بها فقبضت من بيت ماله وأخرج منه ثلاثين ألف دينار غير ذلك النقد فوزنه في ثمن الضيعة، قال: وكان موسى بن جعفر (ع) يأمر لعلي بن إسماعيل بالمال ويثق به حتى ربما يخرج الكتاب منه إلى بعض شيعته بخط علي بن اسماعيل ثم استوحش منه، فلما أراد الرشيد الرحلة إلى العراق بلغ موسى أن ابن أخيه علي بن إسماعيل يريد الخروج إلى السلطان للعراق فأرسل إليه مالك والسلطان للخروج معه، فقال: إن علي ديناً فقال (ع): دينك علي، قال: فتدبر عيالي؟ قال: أنا أكفيهم، فأبى الخروج فأرسل إليه مع أخيه محمد بن اسماعيل بن جعفر (ع) ثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم، فقال: اجعل هذا في جهادك ولا تيتم ولدي.

وفي رواية إبراهيم بن البلادي قال: كان يعقوب بن داوود يخبرني أنه كان قال بالإمامة فدخلت عليه بالمدينة في الليلة التي أخذ فيها موسى بن جعفر (ع) في صبيحتها فقال لي: كنت عند الوزير الساعة يعني يحيى بن خالد فحدثني أنه سمع الرشيد يقول عند قبر رسول الله كالمخاطب له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني أعتذر إليك من أمر قد عزمت عليه، فإني أريد أن أخذ موسى ابن جعفر (ع) فأحبسه لأنني خشيت أن يلقي بين أمتك حرباً يسفك فيه دماؤها، وإني أحببت أن آخذه غداً. فلما كان غداً أرسل إليه الفضل بن الربيع وكان

يصلي في مقام رسول الله (ص) ، فأمر بالقبض عليه فحبسه ، والأخبار الواردة فيما جرى عليه قبل الوفاة من هذا الرشيد العنيد من الحبس والوعد والوعيد والجفاء والتهديد ما تضيق به الكتب والأقلام ، فلنقتصر على ما أوردناه حذراً من الإطالة والإكثار .

وكان مولده (ع) بالأبواء موضع بين مكة والمدينة يوم الأحد لسبع من شهر صفر سنة ثمان وعشرين ومائة ، وكانت سنين إمامته (ع) بقية ملك المنصور عشر سنين ثم ملك المهدي خمسة عشر سنة ، واستشهد مسموماً بحبس الرشيد على يد السندي بن شاهك يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رجب ، وأمه حميدة المصفاة وكانت مدة إمامته (ع) خمسة وثلاثون سنة ، وكان يكنى أبا إبراهيم وأبا الحسن وأبا علي ، ويعرف بالعبد الصالح والعالم وبالكاظم والنفس الزكية وزين المجتهدين والوفى والصابر والزاهد والممتلي والمبتلي وما أحسن ما قال المصنف رحمه الله حيث يقول :

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| جلت مصيبة أحمد في آله | فرمتهم الأعدا بسهم نكال |
| تبا لها من أمة قد جردت | سيف البغات بهم وقوس نبال |
| كم جرعتهم من قدام سموها | حتى غدوا صرعى بكل مجال |
| ما مات منهم سيد بفراشه | بل مات مقتولاً بشر قتال |
| أما بسيف أو بسهم ناقع | والهفتاه لهم وعظم وبال |
| لا زال من بعد النبي عدوهم | يسعى لهم بالقهر والإذلال |
| فلقد أصيبوا من بني العباس ما | زادوا على سفهاء كل ضلال |
| سفهاً أمية سيما ما قد جرى | بالطهر موسى مجمع الأفضال |
| من عجلها ذاك العنيد رشيدها | قد زاد فعل يزيد لها بفعال |
| خرت لمصدرها سماوات العلا | والأرض في رجف وفي زلزال |
| والعرش منحرف كذا كرسيتها | والعالم العلوي في أغوال |
| لا غرو إن كسفت له شمس الضحى | والنجم خر وكل ما هو عالي |

فلألْبسن عليه ثوب كآبة ما دمت حياً لا نقضى الأجال
لهفي لدين محمد من بعده أضحى ولا حامٍ إليه ووالي
لعنت بنو العباس أشأم لعنة من ربها وغدت بشروبال
وغدت صلاة الله مع تسليمه تهدي لأحمد دائماً والآل

وهذا آخر ما وجدناه من الأخبار في ذكر وفاته وسببها وصلى الله على
محمد وآله الطاهرين .

وفاة

الإمام علي الرضا
"عليه السلام"

تأليف

العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن طهمان لقرني
القطيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختص محمداً (صلى الله عليه وآله) في القدم ، وهدم بوجودهم سور العدم ، وفضلهم على جميع الأمم ، وكل مرسل ونبي وخصمهم بعد أن جعلهم أولياء النعم ، بالابتلاء تقدم بفضائع المصائب وفجائع الأزم ، التي لم يصبر عليها من لدن آدم ، والصلاة والسلام عليهم ما أضاء النهار وما الليل ادلهم .

أما بعد : فيقول المفتقر لعفوره المنان ، أحمد بن صالح بن طعان ، لما جرت عادة أهل الإيمان ، بإظهار شعائر الأحران ، في أيام وفاة الأئمة والأعيان ، واتفق وقت وفاة الإمام الهمام ، والأسد الضرغام ، المظلوم المسموم ، العاوي لجميع العلوم ، علي بن موسى الرضا (ع) غريب خراسان في مكان كنت غريباً فيه عن الأوطان ، بعد انقضاء حج الإسلام ، وزيارة جده (ص) سيد ولد عدنان ، وكنت صفر الكف من الكتب المؤلفة في هذا العنوان ، انتهزت فرصة من الزمان ، واختلست برهة قليلة من أوقات الدهر الخوان المعاند لأهل الإيمان ، جمعت فيها ما يتعلق بنبد من فضائله ، ومناقبه ، ورزاياه ومصائبه ، وسميتها (قبسة العجلان ، في وفاة غريب خراسان) .

فأقول وبالله المستعان ، وعليه التكلان ، قد دل صحيح البرهان ، وصريح السنة والقرآن ، على أن محمداً وآله الأعيان ، علّة الامكان والأكوان ،

وأنتهم أول بارز من حمى خزانة الرحمن ، وأن الوجود بهم فتح بابهم ، وبهم
يختتم كتابه ، فكانوا صلوات الله عليهم في هذه الدار الفانية في علو الشأن ،
بعد بروزهم من عالم الغيب إلى عالم العيان ، نجوماً زاهرة ، وأنواراً ظاهرة ،
كلما خفي نجم بدا نجم ، وكلما انطمس علم بدا علم ، وأعدائهم الذين هم
قائمون على سرق الجد والاجتهاد في إطفاء تلك الأشعة الظاهرة كالنار على
العلم ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره
الكافرون ﴾^(١) فكم كابدت تلك الفرقة المحمدية ، والسلالة العلوية ، والستره
الفاطمية ، من أجلاف التيمية والعدوية وأسلاف الأموية الغوية ، والعجب كل
العجب مما ارتكبه فيهم العباسية الغيبية ، حيث لم يألوا فيهم إلا ولا ذمة ولا
قراية نسبية ، ولا حمية إسلامية ولا جاهلية ، ولم يكفهم غضبهم حق الإمامة
التي هي الرئاسة الكلية ، بل تركوهم في هذه الدنيا الدنية ، بين مسموم ومذبح
ومفقود بين البرية ومسجون ومطرود في البرية ، حتى انتهت النبوة إلى الإمام
الثامن ، الذي هو لمن زاره على بعد مداه بالجنان ضامن ، فيانه لما قام بأعباء
الخلافة الحقية ، وعمر أقطار الأرض بولايته العدلية ، وسيرته المعصومية ،
وشريعته المحمدية ، وشجاعته العلوية ، وسخاوته الحسينية ، وصلابته
الحسينية ، وعبادته السجادية ، وعلومه الباقرية ، وسياسته الصادقية ، وحلومه
الكاظمية ، وأخلاقه الرضوية ، هم به طاغية زمانه الهموم وعزم على تقطيع كبده
الشريفة بدعاف السموم ، حتى قضى بالسم نجبه ولقي بالكرب ربه الحجي
القيوم .

شعر للمؤلف رحمه الله تعالى :

| | |
|-----------------------------|---------------------------------|
| يا حبذا عترة بدأ الوجود بهم | وهكذا بهم ينها ويختتم |
| من مثلهم ورسول الله فاتحهم | وسبسطه العقيد والمهدي ختمهم |
| فمن تولي سواهم إنهم ندموا | إذ في الممات على ما قدموا قدموا |

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣٢ .

أهل لها قدم في المجد أو قدموا
تعد من خلفاء الله ويحكم
يدعى خليف أبيها بشما حكموا
ولا نحت سوحها من رحمة ديم
من الإله لها الأملاك تحترم
ما ليس تبلغها حقاً سهامهم
فأصبح الحق فيهم وهو مهتمهم
وشب حرباً له شابت به اللمم
يزد بها منه غير النقص بل عدم
لم يقض من حقه ذي العالم الجسم
أريق للمصطفى في كربلاء دم
قصيرة الحزن لم تقصر لها نهم
والشمس لا خدم عنها ولا خيم
تبلى الجبال ولا تبلى له لحم
من الوليد عليه اللعن يرتكم
ذكي بكاه الذي تحيا به الأمم
أغراض جور بها أعراضهم هدموا
بهم سجون بها الإسلام ينرغم
إلاً ولا ذمة بل رحمهم جذموا
رعوا ولا من رسول الله قريهم
به ثقات لهم عن جورهم كرموا
على طنابيرهم زادت لهم نغم
سم الرضا غيلة مأمونه الأثم

فما لتيمهم تمت شقاوتها
وهل عدي عدتها كل منجية
أمسقط البضعة الزهرا وغاصبها
وهل أمية لا امت بمغفرة
تنوش هذب ذيول للهدى سدلتم
فيها لها إمرة رام الطغاة بها
حتى امتطا واسع الاعفاج كاهلها
وسن سب إمام الحق معتدياً
ونصها وهو لص في يزيد فلم
فجلل الكون من قتل الحسين بما
فكم بطيبة فض المحصنات وكم
وكم قصيرة خدر للرسول غدت
أزفها ترقب الانضاء خدمتها
وألبس السيد السجاد ثوب أسي
إلى أن اغتصبت بالسسم مهجته
وبأقر العلم من سم ابنه كسفت
وهكذا لم تنزل آل النبي لهم
كم أوحشوا مسجداً منهم وكم أنست
ولا كمثل بني العباس لا رقبوا
ولا حمية إسلام ولا عرب
لم يكفهم غضبهم حقاً به شهدت
جنوا بمثل الذي تجني أمية بل
سم الرشيد لموسى في السجون كما

قال: لما انتقل الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) إلى دار السلام ،

وجوار الملك العلام ، بعد أن قاسى مرارات السموم مرة بعد مرة ، وتجرع كاسات الهموم مرة بعد مرة ، ومض حرارات السجون كرة بعد كرة ، جاءت إليه حيازة الوالفة (رض) تطلب منه دلالة الإمامة ، كما طلبت من آباءه أهل العصمة عليهم السلام والكرامة ، فأشار إليها بأن تأتيه بتلك الحصاة التي طبع فيها أمير المؤمنين (ع) ، وأمرها بأن تأتي بها أولاده المعصومين لتميز لها الفرق ممن يدعي الإمامة بين المحققين والمبطلين ، فطبع لها فيها بخاتمه الشريف حيث كانت تحت يده كالعجين ، وعاشت بعد ذلك تسعة أشهر ثم انتقلت إلى رحمة رب العالمين .

وفي خبر آخر: أنها لما صارت إلى الرضا (ع) ورأت شخصه الكريم ضحكت فقالوا: قد خرفت يا حيازة ونقص عقلك ، فقال (ع): ما خرفت حيازة ولا نقص عقلها ، ولكن جدي أمير المؤمنين (ع) أخبرها بأنها عند لقائي تكون منيتها وأنها تكون من المكرورات مع المهدي (ع) عجل الله فرجه من ولدي ، فضحكت شوقاً لذلك وسروراً به وفرحاً بقربها منه ، فقالوا: نستغفر الله يا سيدنا ما علمنا هذا فقال: يا حيازة ما قال لك جدي أمير المؤمنين (ع) إنك ترين ؟ قالت: قال لي إنك ترين برهاناً عظيماً فقال لها: يا حيازة أما ترين بياض شعرك ؟ قالت: بلى يا مولاي قال: فتحيين أن تريه أسوداً حالكاً في عنفوان شبابك ؟ قالت: نعم، قال (ع) يجزيك ذلك أو أزيدك ؟ قالت: زدني من فضل الله عليك قال: أفتحيين أن تكوني مع سواد الشعر شابة ؟ قالت: نعم ، فدعا بدعوات خفية حرك بها شفثيه فعادت شابة غضة سواد الشعر ، ثم قامت فتشت نفسها فرأتها بكرة ثم قالت: النقلة إلى الله تعالى فلا حاجة لي في الدنيا ، فقال (ع): ادخلي إلى امهات الأولاد فجهازك هناك مفرد ، فلم تلبث إلا مقدار ما عاينت جهازها حتى تشهدت وتوفيت رحمها الله تعالى . فقال (ع) رحمك الله يا حيازة ، ثم أمر (ع) بتجهيزها فجهزت وصلى عليها مع شيعته وحملت إلى حفرتها وأمر (ع) بزيارتها وتلاوة القرآن والتبرك بالدعاء عندها .

وفي غيبة الشيخ الطوسي : والتصريح بأن الرضا (ع) كنفها في قميصه والترجيح لما دل على بقاءها بعد ذلك تسعة أشهر لقوته بالاشتهار في المعتمد عليه من كتب الأخبار ، هذا ولم يزل الرشيد أيام حياته يتربص به الدوائر العظام ويقصده بالسجن ويجرعه الآلام حتى ألقاه في بركة السباع كما فعل بأبيه الكاظم (ع) إلا أن الرضا لعلمه بأن الذي يجسر بإهلاكه إنما هو المأمون بما يكيد به هارون .

وفي مهج الدعوات: قال الفضل بن الربيع اصطبح الرشيد يوماً ثم استدعى حاجبه فقال له : امض إلى علي بن موسى العلوي وأخرجه من الحبس والقه في بركة السباع ، قال الربيع : فما زلت ألطف به وأرفق وهو لا يزداد إلا غضباً وقال : والله لئن لم تلقه إلى السباع لألقينك عوضه ، قال : فمضيت إلى علي بن موسى الرضا فدخلت عليه وقلت : إن أمير المؤمنين أمرني بكذا وكذا فقال (ع) : إفعل ما أمرت به فإنني مستعين بالله عليه ، وهو يمشي معي إلى أن انتهيت إلى البركة ، ففتحت أبوابها وأدخلته فيها وفيها أربعون سبعاً ، وعندني من الغم والقلق أن يكون قتل مثله علي يدي ثم عدت إلى موضعي ، فلما انتصف الليل أتاني خادمه وقال : إن أمير المؤمنين يدعوك فصرت إليه فقال : لعلي أخطأت البارحة بخطيئة وأتيت منكراً ، فإنني رأيت البارحة مناماً هالني ، وذلك أنني رأيت جماعة من الرجال دخلوا عليّ وبأيديهم سائر السلاح وفي وسطهم رجل كأنه القمر فدخل إلى قلبي منه هيبة فقال لي منهم قائل : هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فتقدمت إليه لأقبل يديه فصرمني عنه وقال : ﴿أفهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾^(١) ثم حول وجهه عني ودخل باباً ، فانتبهت فزعا مذعورا لذلك . فقلت : يا أمير المؤمنين أمرتني أن ألقى علي بن موسى الرضا للسباع فقال لي : يا ويلك ألقيته ؟ فقلت :

(١) سورة محمد ، الآية : ٢٢ .

إي والله فقال : امض وانظر ما حاله ، فأخذت الشمع بين يدي وطلعته فإذا هو قائم يصلي والسباع حوله ، فعدت إليه فأخبرته فلم يصدقني ، فنهض وأطلع عليه فشاهده في تلك الحال فقال : السلام عليك يا بن عم ، فلم يجبه حتى فرغ ثم قال و عليك السلام يا بن عم قد كنت أرجو أن لا تسلم علي في مثل هذا الموضع فقال : أقلني فإني معتذر إليك فقال له : قد نجانا الله تعالى بلطفه فله الحمد ، ثم أمر بإخراجه فأخرج فلا والله ما تبعه سبع أبداً فلما حضر بين يدي الرشيد عانقه ثم حمله إلى مجلسه ورفعته إلى سريره فقال يا بن عم إن أردت المقام عندنا ففي الرحب والسعة وقد أمرنا لك ولأهلك بمال و ثياب فقال له : لا حاجة لي في المال ولا في الثياب ، ولكن في قریش نفر يفرق ذلك عليهم ، وذكر له قوماً فأمر له بصلة وكسوة ثم أمره أن يركب على بغال البريد إلى الموضع الذي يحب ، فأجابه إلى ذلك ، وقال لي شيعه ، فشيعة إلى بعض الطريق .

وهكذا كان حاله (ع) في ولاية الرشيد المهيمن حتى تولى بعده ابنه محمد الأمين فأخرج الرضا وأنعم عليه ، قيل إنه قال بإمامته وأمر باتباعه أهل مملكته فقتله أخوه المأمون واستقل بالإمارة ، وانتقدت له أهل الإشارة ، فعامل الإمام الرضا (ع) بخشوع الملاق وخضوع النفاق حتى أنه أظهر التشيع وأفشى بين حاشيته وجنده علامات حبه ووده ، وأبطن ضغائن حقه حتى أنه أظهر التشيع وأكثر لما جرى على أهل البيت (ع) التوجع والتفجع ، وأفشى ذلك بين جميع جنده وأمر الناس باتباعه في حله وعقده بعد مراسلات كثيرة ومعاهدات ومعاهدات شهيرة أعرضنا عن ذكرها وطوبيناها على غيرها حتى أنه زوجه بأب حبيب وهي ابنته - وقيل أخته رغبة في محبته له وطمعاً في إذاعة فضله ، إلا أن ذلك لم يكن عن إيمان حقيقي ولا إذعان تحقيقي وقرار تصديقي ، بل عن نفاق كامن في الفؤاد وناشيء من احتشاء أسلاف الأسلاف الأجلاف أولي العناد ، وليظهر للناس أنه غير زاهد في الدنيا وإنما هو عاجز عن طلب العلياء كما اعترف به غير مقام عند أوليائه الطغام .

فإنه لما أراد أن يجعله ولي عهده قال له الرضا (ع) : والله لقد حدثني أبي عن آبائه (ع) عن أمير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص) قال : إني أخرج من الدنيا مقتولاً بالسم مظلوماً تبكي علي ملائكة السماء وملائكة الأرض ، وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد ، فبكي المأمون وقال : من ذا الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حي ؟ فقال الرضا (ع) : أما أني لو أشاء أقول لقلت من ذا الذي يقتلني ، فقال المأمون : يابن رسول الله (ص) إنما تريد لهذا التخفيف عن نفسك ورفع هذا الأمر عنك ليقول الناس أنك زاهد في الدنيا فقال الرضا (ع) : والله ما كذبت منذ خلقتني ربي عز وجل وما زهدت في الدنيا للدنيا وإنني لأعلم ما تريد ، فقال المأمون : وما أريد ؟ فقال عليه السلام : أعطني الأمان على الصدق فقال : لك الأمان قال : تريد بذلك أن يقول الناس إن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه ، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة ؟ فغضب المأمون وقال له : إنك تلقاني أبداً بما أكرهه وقد آمنت سطوتي ، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك فإن فعلت وإلا ضربت عنقك ، فقال الرضا (ع) : قد نهاني الله أن ألقى بنفسي إلى التهلكة فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك .

وفي خبر السحائب : أنه إنما جعله ولي عهده ليكون دعاءه إليه وليعترف بالملك والخلافة له وانه ليس له فيه قليل ولا كثير ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾^(١) فلم يزل الرضا (ع) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر ولا يؤمر وفي كل يوم يظهر له من المعاجز والكرامات ما لا يحصى ولا يحصر فمنها : أن المأمون لما جعله ولي عهده وخليفته من بعده ، كان من حاشية المأمون أناس كرهوا خروج الخلافة من بني العباس وخافوا عودها إلى بني فاطمة (ع) المعصومين ، فنفسروا من الرضا نفوراً وكرهوه بغياً منهم ، فقد جاؤوا ظلماً وزوراً ، لقد استكبروا في

(١) سورة فاطر ، الآية : ١٤ .

أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ، وكانت عادة الرضا إذا أراد الدخول على المأمون [أن] يبادر من بالدهليز من الحاشية والحجاب بالسلام عليه ورفع الستر بين يديه ، فلما نفروا منه تواصلوا بينهم وقالوا : إذا جاء الرضا ليدخل على الخليفة أعرضوا عنه ولا ترفعوا الستر له ، فلما جاء الرضا على عادته لم يملكوا أنفسهم إلا أن سلموا عليه ورفعوا له الستر على عادتهم ، فلما دخل (ع) أقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقالوا : النوبة الآتية إذا جاء لا نرفع له الستر ، فلما جاء في ذلك اليوم قاموا وسلموا عليه ووقفوا ولم يتقدموا إلى رفع الستر ، فأرسل الله ريحاً شديداً ودخلت في الستر فرفعته أكثر مما كانوا يرفعونه فدخل ، فسكنت الريح فعاد [الستر] إلى ما كان عليه ، فلما خرج (ع) عادت الريح ودخلت في الستر فرفعته حتى خرج (ع) ثم سكنت فعاد الستر ، فلما ذهب (ع) أقبل بعضهم على بعض وقالوا : هل رأيتم ؟ قالوا : نعم فقالوا : يا قوم هذا رجل له عند الله منزلة عظيمة والله به عناية ، ألم تروا أنكم لما لم ترفعوا الستر أرسل الله له الريح وسخرها له كما سخرها لسليمان بن داوود (ع) فارجعوا إلى خدمته فهو خير لكم . فعادوا على ما كانوا عليه وزادت عقيدتهم فيه .

شعر للمؤلف رحمه الله تعالى :

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| قد روتها الأصحاب والأعداء | للإمام (الرضا) مناقب شتى |
| ومحال لكلها الإحصاء | يعجز الحاسبون عن نشر بعض |
| فيجيء الرضا منها الرخاء | كم أتاح العدى له مهلكات |
| معجز للولي فيه الشفاء | سل بها بركة السباع ففيها |
| لرضا روحنا إليه الفداء | رام منها الرشيد فيها افتراسا |
| إذ بدا من بهائه الكبرياء | فأنته لعزه خاضعات |
| الله يؤتيه من عباده من يشاء | وانثنى الرجس خائباً ذاك فضل |
| إنه للهدى إمام سواء | ويطبع الحصاة أجلى دليل |
| كفه سبح الآله الحصاء | مظهر إنه خليفة من في |

ويرفع الستور رفع ستور عن مزايا لهن منه اعتناء
كشفت أن في ابن داود سر منه إذ سخرت إليه الرخاء
فعلية السلام باق متى ما أضحك الأرض من سماء بكاء
فما عذر الفئة العباسية عند رب البرية ، إذ لم يعتبروا بالعنايات الإلهية ،
ولم يرعوا الرحم النسبية ، ولا الحمية الجاهلية ولا الغيرة الإسلامية .

وعن الإمام العسكري (ع) : أن المأمون لما جعل الرضا ولي عهده
احتبس المطر ، فجعل بعض حاشية المأمون والمبغضون للرضا (ع) يقولون :
انظروا لما جاء علي بن موسى الرضا وصار ولي عهدنا احتبس المطر عنا ،
واتصل ذلك بالمأمون فاشتد عليه فقال المأمون للرضا : قد احتبس المطر فلو
دعوت الله أن ينزل المطر على الناس فقال الرضا (ع) : نعم ، قال : فمتى تفعل
ذلك ؟ قال يوم الإثنين ، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة ، فلما كان يوم الإثنين
خرج إلى الصحراء وخرج الناس ينظرون ، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه
ثم قال :

اللهم يا رب قد عظمت حقنا أهل البيت ، فتوسلوا بنا كما أمرت ، وأملوا
فضلك ورحمتك ، وتوقعوا إحسانك ونعمتك ، فاسقهم سقياً نافعاً غير راث ولا
ضائر ، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ،
فوالله الذي بعث محمداً بالحق نبياً لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم وأرعدت
وأبرقت ، وتحرك الناس كأنهم يريدون التنحي عن المطر فقال الرضا (ع) :
على رسلكم أيها الناس إنما هي لأهل بلد كذا وكذا ، ثم جاءت سحابة أخرى
فتحركوا فقال (ع) : على رسلكم إنما هي لأهل بلد كذا وكذا حتى جاءت عشر
سحاب وعبرت وهو يقول : إنما هي لأهل بلد كذا وكذا ، فأقبلت سحابة حادية
عشر فقال (ع) : أيها الناس هذه بعثها الله لكم فاشكروه على ما تفضل به
عليكم وقوموا إلى منازلكم ومقاركم ، ثم يأتاكم من الخير ما يليق بكرم الله
تعالى .

ونزل عن المنبر وخرج الناس فما زالت السحابة ممسكة إلى أن قربوا من منازلهم ثم جاءت بوابل المطر فملاأت الأودية والحياض والغدران والفلوات فجعل الناس يقولون : هنيئاً لابن رسول الله (ص) بكرامات الله تعالى فقال بعض الحساد ارضاءً للمأمون : يا أمير المؤمنين أعيذك أن يكون تاريخ الخلفاء في إخراجك هذا الشرف العميم والفضل العظيم من ولد العباس إلى بيت ولد علي (ع) ، ولقد أعنت علي نفسك جئت بهذا الساحر ولد السحرة وقد كان خاملاً فأظهرته ، ومستخفياً فأظهرته ورفعته ، ومنسياً فذكرت به ، ومخفياً فنوّهت به بل ما أخوفني إلى أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك والتوثب على مملكتك ، هل جنى أحد على نفسه وملكه مثل جنائتك أنت ؟ فقال المأمون : وقد كان هذا الرجل مستتراً عنا يدعو إلى نفسه ، فأردنا إن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه لنا وليعترف بالملكة والخلافة لنا ، وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس مما ادعى في قليل ولا كثير وأن هذا الأمر لنا من دونه وقد خشينا أن تركناه على تلك الحال أن يفتق علينا ما لا نسده ويأتي علينا منه ما لا نطيقه ، والآن إذ قد فعلنا به ما فعلنا وأخطأنا في أمره ما أخطأنا وأشرفنا على الهلاك منه ما أشرفنا فليس يجوز التهاون في أمره ، ولكن نحتاج إلى أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصيره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الأمر ثم ندبر فيه ما يحسم عنا مواد بلائه ، فقال الرجل : ولّني مجادلته فإني أفحمه وأصحابه وأضع من قدره ، ولولا هيبتك في صدري لأريتك قصوره وأنزلته منزلته ، فقال المأمون : لك ذلك . ثم أمر المأمون باجتماع الناس فاجتمعوا فقال ذلك الحاسد للإمام (ع) : إن الناس قد أكثروا عنك الحكايات لدعوتك في المطر المعتاد ، لقد عدوت طورك وتجاوزت محللك أن بعث الله تعالى بمطر مقدر لوقته يتقدم ولا يتأخر فجعلته آية تستطيل بها وصوله بها كأني كأنك جئت بآية الخليل إبراهيم (ع) لما أخذ برؤوس الطيور ودعا بأعضائها التي فرقها على رؤوس الجبال فأتينه سعيّاً وركبن على الرؤوس ، وكلمته بأذن الله تعالى ، فإن كنت صادقاً فاحيي هاتين الصورتين اللتين على مسند المأمون وسلطهما علي فإن ذلك يكون لك آية

ومعجزة فغضب عليه (ع) وصاح بالصورتين : دونكما الفاجر الكافر فافترساه ولا تبقيا له عيناً ولا أثراً ، فوثبت الصورتان وقد صارتا أسدين فتناولوا الحاجب ورضضاه وهشماه وأكلا لحمه ولحسا دمه والقوم ينظرون متحيرين ، فلما فرغا منه أقبل على الرضا (ع) وقال : يا ولي الله مرنا نفعل بالمأمون كما فعلنا بهذا الفاجر فقال (ع) : عودا إلى مقركما كما كنتما فإن الله تعالى فيه تدبير ، فلما سمع المأمون ذلك وقع مغشياً عليه فقال الرضا (ع) : صبوا عليه ماء الورد وطيبوه ، ففعلوا فأفاق من غشوته وعاد الأسدان إلى مكانهما فقال المأمون : الحمد لله الذي كفانا شر حميد بن مهران ثم قال للرضا : يا بن رسول الله (ص) هذا الأمر لجدكم رسول الله ثم لكم .

ولم يزل المأمون ضئيلاً إلى أن قضى في علي بن موسى الرضا ما قضى فيا ويل أولئك الأرجاس من بني العباس كيف حملهم حب الدنيا الدنية على قطع رحمهم مع اعترافهم بأنهم سادات الناس وكيف لا يستخفون من الله ويستخفون من الناس .

شعر للمؤلف رحمه الله :

أولى فأولى لهم ما ذنب حيدرة فيهم ليغشاه في أولاده الألم
أليس لم يأل في العباس جدهم جداً يجلب الذي فيه له الغم
فدونكم سبة شنت اغارتهم افعالكم إنها أفعالكم تصم

وعن سليمان الجعفري قال : كنت مع الرضا في حائط له وأنا أحدثه إذ جاء عصفور فوق بين يديه وهو يكثر الصياح ويضطرب ، فقال (ع) : أتدري ما يقول ؟ فقلت : الله ورسوله وابن رسوله أعلم فقال (ع) : يقول لي : إن حية تريد أن تأكل أفرأخي في البيت فقم وخذ تلك النسعة واقتلها ، قال : فأخذت النسعة ودخلت البيت وإذا أنا بحية تجول في البيت فقتلتها .

وعن عمار بن زيد قال : خرجت مع سيدي علي بن موسى الرضا (ع) إلى

بيت الله الحرام ، وكان معي مولى لي فاعتلّ بعلّة في الطريق واشتهى عنباً فقلت له: ويحك ليس في هذا المكان عنب ، فبينما أنا معه في الكلام وكنت بعيداً من الإمام إذ جاءني خادمه وقال لي : يقول لك سيدي علي بن موسى الرضا ان مولاك اشتهى عنباً فانظر قدامك ترى العجب العجاب ، قال: فنظرت فإذا أنا بحديقة عظيمة وفيها عنب ورمان فدخلت وأخذت من ذلك العنب والرمان وأتيت به إلى غلامي وأكلنا معه ، فلما رجعنا إلى بغداد دخلت على الليث بن سعيد وإبراهيم بن سعيد الجوهري ، وقصصت عليهما القصة فتعجبا من ذلك وقاما ودخلا على علي بن موسى الرضا وأخبراه بما أخبرهما به عمار بن زيد عنه فقال (ع) : وليس ذلك عليكما ببعيد انظرا هاهنا ، فنظرا وإذا بحديقة فيها من الفواكه ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين فسراً بذلك سروراً عظيماً وقالوا : نشهد أنك ابن رسول الله (ص) ووصيه حقاً وحجة في أرضه وسمائه ، وأنت باب الدين وعماده ، وحجة الله على عباده بعد آباءك الطاهرين .

وعن علي بن محمد القاشاني قال : أخبرني بعض أصحابنا أنه قال حملت إلى علي بن موسى الرضا (ع) مالاً خطيراً فلم أره سر به فاغتمت لذلك وقلت في نفسي : قد حملت هذا المال وما سر به فقال : يا غلام علي بالطشت والماء ، ثم قعد (ع) على كرسي وقال للغلام : صب علي الماء ، فصبه فجعل يسيل من بين أصابعه في الطشت ذهباً أحمرأ ثم التفت إلي وقال : من كان يفعل هكذا لا يبالي بما حمل إليه فهذا قليل من كثير ونقطة من غدیر .

فبالله عليكم يا أولي الألباب الصافية والأفكار الصاحية أمن العدل والإنصاف أن يستحق هذا الإمام الذي هو من سادات الأشراف وأهل الأعراف أن تقطع أمعائه بالسموم القاتلة ويقصد بالهموم الهائلة والغموم الغائلة ، ويجرع بالالام الشديدة والمضار المييدة بعد ظهور فضائله الساطعة وأنوار مناقبه اللامعة ؟ وهل يجوز أن يسم في الرمان والعنب من كان يظهرهما ويطعمهما الناس في غير أوانهما المرتقب ؟ فلما تمت للإمام (ع) ولاية العهد التي كانت

له أهلاً ومحلاً إذ كانت الإمامة له حقاً وأصلاً قد ارتضع أخلاقها طفلاً وتربية
 وناشئاً وكهلاً ، فقصدته الشعراء وأذعنت لطاقته القواد والحجاب والامراء
 والعلماء والوزراء ، وكانت الشعراء تقصد المأمون أيضاً وتصوب رأيه في جعله
 الإمام الرضا للشيعه آية ورواية إلا أبو نؤاس فإنه لم يفعل كما فعل غيره من
 الناس فقال له المأمون : قد علمت مكان علي بن موسى مني وما أكرمته به
 فلماذا ادخرت مدحه ورأيتك شاعر زمانك وقريع دهرك ؟ فأنشد يقول :

قيل لي أنت أعرف الناس طراً بالمعاني وبالكلام البديه
 لك من جوهر الكلام بديع يثمر الدر في يدي مجتنيه
 فلماذا تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
 قلت لا استطيع مدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه

ولعمري لقد أصاب وأجاد بإقراره بالمعجز عن الجري في شأوى هذا
 الجواد ، فإن شأن هذا الإمام وآبائه الكرام لا يعرفه إلا الملك العلام فقصارى
 البلغاء الإقرار بالقصور عن الخوض في لجج ذلك البحر الطمطم ، وغاية
 الشجعان الاحترام لحرم ذلك الأسد الضرغام .

وفي العيون وغيره أنه لما كان في مرو دخل عليه دعبل الخزاعي رحمه الله
 تعالى وأنشد هذه القصيدة :

ومنزل وحي مقفر العرصات ومدارس آيات خلت من تلاوة
 وبالركن والتعريف والجمرات لآل رسول الله بالخيف من منى
 وحمزة والسجاد ذي الشفونات ديار علي والحسين وجعفر
 على أحمد المذكور في السورات منازل وحي الله ينزل بينها
 فتؤمن منهم زلة العشرات منازل قوم يهتدى بهداهم
 وللصوم والتطهير والجسنيات منازل كانت للصلاة وللتقى
 ولم تعفُ بالأيام والسنوات ديار عفاها جور كل معاند
 متى عهدا بالصوم والصلوات قفا نسأل الدار التي خف أهلها

وأين الأولى شطت بهم غربة النوى
أفاطم لوخلت الحسين مجدلاً
إذا للطمت الخد فاطم عنده
أفاطم قومي يا ابنة الخير وانديبي
قبورُ بكوفان وأخرى بطيئة
وقبر بأرض الجوزجان محلها
وقبر ببغداد لنفس زكية
أفانين في الأطراف مفترقات
وقدمات عطشاناً بشط فرات
وأجريت دمع العين على الوجنات
نجوم سماوات بأرض فلاة
وأخرى بفتح نالها صلوات
وقبر بباخمرا لدى الغربيات
تضمنها الرحمن في الغرفات

وفي بعض تأليفات أصحابنا قال دعبل (ره) : فعلت زفرات الرضا (ع)
وتأججت حسرته وتحدرت ، وقال : واقتيلاه واغريباه وا حسيناه وا عظم
مصيبتاه ، ليت الموت أعدمني الحياة بنفسي أفدي جدي أسير الكريات وساكب
العبرات وقتيل الطغاة ، يا لها من مصيبة ما أعظمها ورزية ما أكبرها ، يا دعبل
هيّجت علي أحزاناً ساكنة وقد كانت في فؤادي كامنة لقد حل بهم الرزء العظيم
والخطب الجسيم والمصيبة العظمى التي تزلزلت لها الجبال الرواسي وبكت لها
السماء دماً .

أقول إن أرض (الجوزجان) في خراسان والمقتول فيها يحيى بن زيد بن
علي بن الحسين (ع) قتل في أيام الوليد بن عبد الملك ، قتله عامله سالم بن
أحور المازني (لع) واحتز رأسه وأنفذه إلى الوليد وصلب جسده ومثل به ، وقيل :
إنهم لما كتبوا إلى الوليد بخبره كتب إليهم : أحرقوا عجل العراق وانسفوه في
اليوم نسفاً ، فأنزلوا جسده (ع) وأحرقوه ثم ذروه في الريح والهواء ، (و) باخمرا
موضع على ستة عشر فرسخ من الكوفة والمقتول فيها إبراهيم بن عبد الله بن
الحسن (ع) في أيام الدوانيقي وما يوجد في النسخ المتداولة في هذه الأزمان من
تبديلها بـ (سامراء) فهو غلط واضح وخط فاضح ، وأما (فح) فهو بئر على
فرسخ من مكة المقتول فيها أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن ابن عم
الكاظم (ع) ، وإنما خرجنا عن نمط هذا العنوان للاشتباه في (باخمر) أو أرض

(الجوزجان) فمست الحاجة للبيان .

وفي رواية الصدوق (ره) أنه لما وصل دعبل الخزاعي (ره) إلى قوله (وقبر
بغدادٍ لنفس زكية) قال له الرضا (ع): أفلا ألحق لك بيتين يكون بهما تمام
قصيدتك ؟ فقال: بلى يا ابن رسول الله فقال (ع):

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ألحت على الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الغم والكربات

فقال دعبل: يا بن رسول الله هذا القبر الذي تذكره بطوس قبر من ؟ فقال
الرضا: هو قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي
وزواري ، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة
مغفوراً ذنبه ثم أنشأ دعبل:

فأما الممضات التي لست بالغأ مبالغها مني بكنهه صفات
نفوس لدى النهرين من أرض كربلا معرسهم فيها بشط فرات
توفوا عطاشاً بالفرات فليتي توفيت فيهم قبل حين وفاتي
إلى الله اشكولوعة عند ذكرهم سقتني بكأس الثكل والفضعات
لهم كل حين نومة بمضاجع ثوت في نواحي الأرض مختلفات
بنفسي أنتم من كهول وفتية لفك عناء أول حمل ديات
ألم تر إني مذ ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيتهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيتهم صفرات
وكيف أداوى من جوى لي والجوى أمية أهل الفسق والتبعات
وبنات زياد في القصور مصونة وآل رسول الله في الفلوات
ديار رسول الله أصبحن بلقعا وآل زياد تسكن الحجرات
وآل رسول الله تدمى نحورهم وآل زياد آمنوا السربات
وآل رسول الله تسبى حريمهم وآل زياد ربوة الحجاجلات
وآل رسول الله نحف جسومهم وآل زياد غلظوا القصرات

رزايا أرتنا خضرة الأفق حمرة وردت أجاجاً طعم كل فرات
سأبكيهم ما ذر في الأرض شارق ونادي منادي الخير للصلوات
وما طلعت شمس وحن غروبها وبالليل أبكيهم وبالغدوات^(١)

وفي رواية الصدوق (ره) أنه لما وصل دعبل (رض) إلى قوله :

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزى على النعماء والنقمات

بكى الرضا بكاءً شديداً ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : يا خزاعي نطق
روح القدس على لسانك بهذين البيتين ، فهل تدري من هذا الإمام ومتى
يقوم ؟ فقال : لا يا مولاي إلا أني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من
الفساد ويملاها قسطاً وعدلاً كما ملئت من قبل مخرجه ظلماً وجوراً ،
فقال (ع) : يا دعبل الإمام بعدي ابني محمد (ع) ، وبعد محمد ابنه
علي (ع) ، وبعد علي ابنه الحسن (ع) ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم
المنتظر في غيبته ، المطاع في ظهوره ، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول
الله تعالى ذلك اليوم حتى يخرج فيملاها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ،
وأما متى فاخبر عن الوقت ولقد حدثني أبي (ع) عن آبائه (ع) عن عليّ (ع) عن
النبي (ص) قيل له : يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك ؟ فقال (ص) :
مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم
إلا بغتة .

فلما فرغ دعبل من إنشاد القصيدة أنفذ إليه الرضا (ع) بمائة دينار رضوية
وقال اجعلها في نفقتك فقال دعبل (رض) : والله ما لهذا جئت ولا قلت هذه
القصيدة طمعاً في شيء ، فرد الصرة وسأله ثوباً من ثيابه ليتبرك به فأنفذ إليه جبة
خز مع الصرة وقال للخادم : قل له خذ هذه الصرة فإنك ستحتاج إليها ولا

(١) القصيدة مؤلفة من ١١٥ بيت موجودة في ديوان دعبل بن علي الخزاعي ص ١٢٤ .

تراجعني فيها ، فحصل له بركة هذه الدنانير والحببة السنية كرامات كثيرة ومنافع غير يسيرة ترد عنها عيون الأعداء وهي حسيرة .

ولما جاء يوم العيد بعد قبول الإمام ولاية العهد بالعيد الأکید بعث المأمون للرضا يسأله أن يركب ويحضر العيد ويخطب فقال (ع) : قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخولي في هذا الأمر فقال المأمون : إنما أريد بهذا الأمر أن يرسخ في قلوب العامة ، فلما أُلح عليه قال : إن اعفيتني من ذلك فهو أحب إلي وإن لم تعفني خرجت كما يخرج رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) فقال : اخرج كما تحب ، وأمر المأمون القواد أن ييكرروا إلى باب أبي الحسن (ع) فقعد الناس في السطوح والطرق من الرجال والنساء والصبيان ، واجتمع القواد على باب الرضا (ع) فلما طلعت الشمس اغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن وألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه ثم قال لجميع مواليه : افعلوا مثلما فعلت ثم أخذ بيده عكازاً وخرج وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة ، ثم رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات فخيّل للناس أن الهواء والحيطان تجاوبه ، ثم وقف على الباب وقفه وقال : الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا ، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والحمد لله على ما بلانا ورفع بذلك صوته وكذا أصحابه فترعزعت مرو من البكاء والصياح فقالها ثلاث مرات فتساقط القواد ورموا بخفافهم ، فلما نظروه بكوا وصارت مرو في ضجة واحدة ولم يتمالك الناس من البكاء والصيحة وكان (ع) يمشي ويقف في كل عشر خطوات وقفه ويكبر الله تعالى أربع تكبيرات ، فخيّل للناس أن السماء والأرض والحيطان تجاوبه فبلغ المأمون ذلك فقال للفضل بن سهل : إن بلغ الرضا المصلى وهو على هذا السبيل افتتن به الناس ، فالرأي أن تسأله يرجع فبعث المأمون إليه يسأله الرجوع فدعا أبو الحسن (ع) بخفه فلبسه ورجع فلم ينتظم أمر الناس فويل للمأمون الحسود ، في اليوم الموعود ، من مخالفة العهد ، وما ارتكبه من إمام زمانه المفضل ، ومن نصب حبائل الاغتيال ، وجد الحد في الاحتيال في خفض شأنه العال ،

ولم يرقب وصية الرسول في الآل التي لا يزال يظهرها بين الناس ويحوطها بالجدال ، فيا لله من تلك الأفعال ، التي تنهد منها الجبال ، فتبت يدها كما تبت يدا أبي لهب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى ناراً ذات لهب ، إذ ارتكب من إمامه ما ارتكب .

شعر للمؤلف (ره) :

| | |
|---|---|
| عظيمة لم تنل في جملة الحقب من بعد غضب قضت بالضغظ والنصب ولم ينل في بيان الحق من أرب ما لم ينله نبي أو وصي نبي والبحر صادقهم مع كاظم الكرب سم وسجن وفي صلب ومغترب قاسى من الحزن ما يقضي إلى العطب عزت على المصطفى مع آله النجب لأنه سم في الرمان والعنب سما ابن موسى بدمع يخجل السحب نفس الرضا من أذى المؤمن ذي الكذب ما سنه الله بعد الحث والطلب إلا ما ارتقاه عالي الرتب | لله ما ناله المختار من كرب وصية زيد عن حق وبضعته وسبطه حسن قد سم في لبن أما الحسين فقد قاسى بمقتله فسم سجادهم والجبر باقرهم ولم تزل آله رهن النوائب في وإن نسيت فلا أنس الرضا فلقد حتى تقياً بسم ناقع كبداً فلا استلذوا برمان ولا عنب فيا بني المجد جودوا بالبكاء على ولا تهنوا بعيداً إذا به خرجت يصده عن صلاة العيد فيه على لكي يخجله بين الأنام ويأبى الله |
|---|---|

وكلما شاعت فضائل الإمام (ع) وذاعت فضائله بين الأنام حسده المأمون الخؤون ، وأضمر له الحقد والضغون حتى ضاق صدره بما لا تحمله البطون إلى أن بلغ به الحال إلى طرد الناس عن مجلسه والاستخفاف بشأنه العال ، فلما صدر ذلك الاستخفاف في مجلسه من ذلك المناق الجاف بالإمام (ع) قدوة الأشراف خرج أبو الحسن (ع) من مجلسه مغضباً وهو يدمدم ويحرك شفثيه ويقول : بحق المصطفى وعلي المرتضى وسيدة النساء (ع) لاستنزلن من حول

الله تعالى وقوته بدعائي عليه ما يكون سبباً لطرده كلاب هذه الكورة إياه واستخفافهم به وبخاصته وعامته .

ثم انه (ع) انصرف إلى مركزه واستحضر الميضاة وصلى ركعتين ودعا في قنوته الثانية بدعاء طويل قال في آخره: يا قوي يا منيع يا علي يا رفيع صل على من شرفت الصلاة بالصلاة عليه ، وانتقم لي ممن ظلمني واستخف بي وطرده الشيعة عن بابي ، وأذقه مرارة الذل والهوان كما أذاقنيها واجعله طريد الأرجاس وشريد الأنجاس . فما استتم دعاءه حتى وقعت الرجفة في البلدة وارتفعت الزعقة والصيحة والضجة وثار الغبرة فقال (ع): يا أبا الصلت اصعد السطح فإنك ستري امرأة غبية رثة الأطمار مهيجة الأشرار ويسميتها أهل هذه الكورة سمانة لعبادتها وتنسكها ، وفي نسخة لغباوتها وتهتكها قد شدت مكان الرمح إلى نحرها قصباً ، وقد شدت لها وقاية حمراء إلى طرفه مكان اللوى وهي تقود الجيش وتسوق عساكر الطغام إلى قصر المأمون ومنازل القواد ، قال أبو الصلت: فلم أر إلا رؤوساً تفرع بالعصا وهامات ترضح بالأحجار ، ولقد رأيت المأمون متدرباً قد برز من قصر شاهجان متوجهاً للهرب ، فما شعرت إلا بشاجره الحجام قد رمى من أعالي السطوح لبنة ثقيلة فضرب بها رأس المأمون فأسقطت بيضته بعد أن شقت جلدة هامته ، فقال بعضهم: ويملك هذا أمير المؤمنين فقالت سمانة : لا أم لك أسكت فليس هذا يوم التمييز والمحابة ، ولا يوم إنزال الناس على طبقاتهم ، فلو كان هذا أمير المؤمنين لما سلط ذكور الفجار على فروج الأبيكار ، وطرده المأمون وجنوده أسوأ طرد وإذلال واستخفاف شديد ولم يرجع إلى مكة واستقراره إلا بعد محنة شديدة وتعب وتنكيد ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وخاب كل جبار عنيد .

ومن مكره السيء الذي أحاط به ثم تمزق غيظاً بسببه حيث لم يتمكن من الفتك به ما رواه صبيح الديلمي قال: إن المأمون دعاني أنا وثلاثين غلاماً من ثقاته على سره وعلايته في الثلث الأول من الليل ، فدخلت عليه وقد صار ليله

نهاراً من كثرة الشموع ، وبين يديه سيوف مسلولة مشحودة مسمومة فدعا بنا غلاماً غلاماً وأخذ علينا العهد والميثاق بلسانه وليس بحضرتنا أحد من خلق الله غيرنا فقال : هذا العهد لازم لكم إنكم تفعلون ما أمركم به ولا تخالفوا منه شيئاً ، قال : فحلفنا له كلنا فقال : ليأخذ كل واحد منكم سيفاً بيده وامضوا حتى تدخلوا على علي بن موسى الرضا في حجرته ، فإن وجدتموه قائماً أو قاعداً أو نائماً فلا تكلموه وضعوا أسيافكم عليه وأخلطوا لحمه ودمه وشعره وعظمه ومخه ، ثم اقبلوا عليه بساطه وامسحوا أسيافكم به وصيروا إلي ، وقد جعلت لكل واحد منكم على هذا الفعل وكتمانه عشر بدر دراهم وعشر ضياع منتخبة والحظوظ عندي ما حييت وبقيت قال : فأخذنا الأسياف بأيدينا ودخلنا عليه في حجرته فوجدناه مضطجعاً يقلب طرفه ويديه ويتكلم بكلام لا نعرفه ، فبادر إليه الغلمان بالسيوف ووضعوا سيوفهم وأنا قائم أنظر إليه فليس على بدنه ما لا تعمل فيه السيوف فطووا بساطه وخرجوا حتى دخلوا على المأمون فقال : ما صنعتم ؟ قالوا فعلنا ما أمرتنا به فقال : لا تبدو منه شيئاً مما كان .

فلما تبلى فجر خرج المأمون فجلس في مجلسه مكشوف الرأس محلل الأزرار ، وأظهر وفاته وقعد للتعزية ، ثم قام حاسراً حافياً فمشى لينظر إليه وأنا بين يديه ، فلما دخل حجرته سمع همهمة فارتعد ثم قال : من عنده ؟ قلت : لا علم لنا . فقال : اسرعوا وانظروا قال صبيح : فأسرعنا إلى البيت فإذا بسيدي (ع) جالس في محرابه يصلي ويسبح ، فانتفض المأمون وارتعد ثم قال : غررتموني لعنكم الله ، ثم التفت إلي من بين الجماعة فقال : يا صبيح أنت تعرفه فانظر من بالمصلى عنده قال : فدخلت عليه وتولى المأمون راجعاً وصرت عند عتبته فقال لي : يا صبيح قلت لبيك يا مولاي وقد سقطت لوجهي فقال لي : قم يرحمك الله ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (١) قال : فرجعت الى المأمون فوجدت وجهه كقطع الليل

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣٢ .

المظلم فقال : يا صبيح ما وراءك ؟ قلت له : هو والله جالس في حجرته وقد ناداني وقال لي كيت وكيت ، قال : فشد أزاره وأمر برد أثوابه وقال : قولوا انه كان قد غشي عليه وأنه قد أفاق .

فيا ويل المأمون الخؤون الملعون الغدور من العقاب الوييل الجزيل يوم النشور ، حيث لم تعمل بما لم يعلم من فضائل إمامه (ع) النبيل الجليل التي هي كالشمس في الظهور ، ولكنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

شعر للمؤلف (ره) :

| | |
|------------------------------------|------------------------------|
| قل في ابن موسى الرضا ما شئت من مدح | فمنتهى المدح في علياه تقصره |
| فكلما ستر الأعدا مناقبه | فاجاهم من نكال الله تخسير |
| كم حاول الغادر المأمون غائلة | فآب وهو قريح القلب مثبور |
| قد ذاد شيعته عنه وأحصره | بمجلس هو مشهود ومشهور |
| فجد في زبره ثم استخف به | فقام وهو سخين الدمع مقهور |
| يدعو الآله بأسماء معظمة | وصوته فيه للجلمود تفجير |
| ففاجأته من الله العقوبة إذ | دعا عليه الرضا والحق منصور |
| فنال ما نال من ذل ومسخرة | وما نعا من الجبار تحذير |
| فدس قوماً له في الليل يقدمهم | صبيح الدلمي والكل مأمور |
| أن قطعوه ولا تبقوا له رمقاً | واطوا البساط به والأمر مستور |
| فقطعوه ولفوا بالبساط كما | شاء اللعين فأخطته المقادير |
| يريد إطفاء نور الله جل وأبى | الله أن يتوارى ذلك النور |
| فجرحي يا دما اعضا الجلال فذي | أعضا الرضا جرحتهن المباتير |

قال : وكان المأمون الخؤون الملعون يتقرب للإمام الرضا (ع) الأمين بجميع المخالفين ومجادلتهم في إثبات إمامة أمير المؤمنين علي (ع) وتفضيله على الصحابة أجمعين ، وكان الإمام الرضا (ع) يقول لأصحابه : لا تغتروا منه

بهذا الكلام فما يقتلني والله غيره من الأنام ، ولكن لا بد لي من الصبر حتى يبلغ الكتاب أجله وأصل إلى دار السلام .

وقال للحسن بن الجهم : يا بن الجهم لا يغرنك ما لقيته من إكرامي والاستماع مني ، فإنه سيقتلني بالسم وهو ظالم لي إني أعرف ذلك بعهد معهود من آبائي (ع) عن رسول الله (ص) . قال : والله ما منا إلا مقتول شهيد ، فقيل : ومن يقتلك يا بن رسول الله ؟ فقال (ع) : أشر خلق الله في زمانى يقتلني بالسم ثم يدفني في دار مضيعة وبلاد غربة ، ولما لم يتم للمأمون ذي الأشر والبطر ، ما تخيله ودبر ، من انتقاص الإمام الأطهر ، بولاية العهد التي جعلها مسلماً لارتقاء هذا الكيد بل لم يظهر منه في ذلك للناس إلا ما لم يزد به فضلاً عندهم ومحلاً في نفوسهم لما رأوه عليه من الإنغماس في بحار العبادة والانزواء في زوايا الزهادة ، ولم تغره زخارف مطمورة الرياسة الدنيوية عن عمارة الدار الأخروية ، جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعاً في أن يقطعه أحد منهم فيسقط محله عند الفقهاء وأهل الأديان ، ويشتهر نقصه في كل مقام فكان (ع) لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والدهرية والبراهمة والملحدين ولا خصم من فرق المسلمين المخالفين إلا قطع حجته وأبطل كلمته وألزمه بواضح البيان والبراهين ، وكان الناس كلهم يقولون : والله إنه أولى الناس بالخلافة من المأمون ، وكانت أصحاب الأخبار يرفعون ذلك إليه فيغتاز من ذلك ويشدد حسده وحقده عليه ، وكان الرضا (ع) لا يحابي المأمون بل يقتفي أثر جده النبي (ص) المفضل ، في كل وقت وحال ، وكان يجيبه في أكثر الأحوال ، بما يكره فيغيظه ذلك ويحقد عليه ولا يظهره لديه في المقال ، ولم يزل المأمون مستصحباً لهذا الحال ناسجاً على هذا المنوال ، حتى دنى الأجل المحتوم ، فظهر له ذلك الغل المكتوم ، واجتهد في إزهاق روحه الشريفة وتبضيع كبده المنيفة بدعاف السموم .

شعر نصفه الاخير للمؤلف (ره) :

ستعلم في الحساب إذا التقينا غداً عند الإله من الظلوم
إلى ديان يوم الدين تمضي وعند الله تجتمع الخصوم
فويل الغادر المأمون مما جناه على الرضا ويل عظيم
أيقطع كبد مولاه بسم سرت منه على الدين السموم

قال هرثمة: لما مضى من الليل نصفه قرع الباب علي قارع فأجابه بعض غلماني فقال له: قل لهرثمة أجب سيدك ، قال: فقمتم مسرعاً وأخذت علي أثوابي وأسرعت إلى سيدي الرضا (ع) ، فدخل الغلام بين يدي ودخلت وراءه فإذا أنا بسيدي جالس في صحن داره ، فقال لي: يا هرثمة فقلت: لبيك يا سيدي ومولاي فقال لي: اجلس ، فجلست فقال لي: اسمع وعي يا هرثمة ، هذا أوان أجلي ولحوقي بجدي (ص) وأبائي (ع) ، وقد بلغ الكتاب أجله وقد عزم هذا الطاغبي على سمي في عنب ورمان مفروك ، فأما العنب فإنه يغمس السلك في السم ويجذبه بالخيط في العنب ، وأما الرمان فإنه يطرح السم في كف بعض غلمانه ويفرك الرمان بيده ليلطخ حبه بذلك السم ، وإنه سيدعوني اليوم المقبل ويقرب إلي الرمان والعنب ويسألني أكله فأكله ثم ينفذ الحكم ويحضر القضاء ، فإذا أنا مت فسيقول: أنا أغسله بيدي فإذا قال ذلك فقل له عني بينك وبينه أنه قال لي: لا تعرض لغسلي ولا لكفني ولا لدفني ، فإنك إن فعلت ذلك عاجلك من العذاب ما أخرج عنك وحل بك اليوم ما تحذر فإنه سينتهي ، قال: فقلت: نعم يا سيدي قال (ع): فإذا خلا بينك وبين غسلني فيجلس في علو من أبنيته مشرفاً على موضع غسلني لينظر ، فلا تعرض يا هرثمة لشيء من غسلني حتى ترى فسطاطاً أبيض قد ضرب في جانب الدار ، فإذا رأيت ذلك فاحملني في أثوابي التي أنا فيها فضعني من وراء الفسطاط وقف من ورائه ويكون من معك دونك ، ولا تكشف عن الفسطاط لثلاث تراني فتهلك فإنه سيشرف عليك ويقول لك: يا هرثمة أليس زعمتم أن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله فمن يغسل أبا الحسن وابنه محمد بالمدينة من بلاد الحجاز ونحن بطوس ؟ فإذا قال ذلك فأجبه وقل له: إنا نقول أن الإمام لا يغسله إلا إمام فإن تعدى متعد

فغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدي الغاسل ، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غلب على غسل أبيه ، ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى (ع) لغسله ابنه ظاهراً مكشوفاً ولا يغسله الآن أيضاً إلا هو من حيث يخفي ، فإذا ارتفع الفسطاط فسوف تراني مدرجاً في أكفاني فضعني على نعشي واحملي ، فإذا أراد أن يحفر قبوري فإنه سيجعل قبر أبيه هارون قبلة قبوري ولن يكن ذلك فإذا ضربت المعاول تثبت عن الأرض ولم ينحفر لهم ولا مثل قلامة ظفر ، فإذا اجتهدوا في ذلك صعب عليهم فقل لهم عني : إني أمرتك أن تضرب معولاً واحداً في قبلة قبر أبيه هارون فإذا ضربت به في الأرض فينفذ إلى قبر محفور وضريح قائم ، فإذا انفرج القبر فلا تنزل إليه حتى يفور من الضريح ماء أبيض فيملاً القبر حتى يصير ذلك الماء مع وجه الأرض ثم يضطرب فيه حوت بطوله ، فإذا اضطرب فلا تنزل حتى إذا غاب الحوت وغار الماء فأنزلي في ذلك القبر وألحدني في ذلك الضريح ولا تتركهم يأتون بتراب يلقونه علي فإن القبر ينطبق من نفسه ويمتلي ، قال : فقلت : نعم يا سيدي ثم قال لي : احفظ ما عهدت إليك واعمل به ولا تخالف قلت : أعوذ بالله أن أخالف لك أمراً يا سيدي ثم خرجت باكياً حزيناً فلم أزل كالحبة على المقلاة لا يعلم ما في نفسي إلا الله تعالى .

أقول وحق لهرثمة وجميع من سواه ممن يتوالى الإمام (ع) ويهواه أن تسيل بالدموع عيناه ، وأن تنقطع بجراحات الحزن أمعاه ، وتحرق بنيران الوجد أحشاه ، تأسياً بإمامه (ع) ومولاه ، فإن من شروط الموالاتة المواساة وفقنا الله لما يحبه ويرضاه .

فلما كان ذلك اليوم المشؤوم على الإسلام ، والوقت الذي شب في قلوب المؤمنين الضرم ، استدعى المأمون الإمام عليه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصلاة والسلام كما هي العادة بينه وبين ذلك الإمام في أكثر الأيام .

وفي خبر أبي الصلت الهروي استدعاه فقال (ع) : إني ماض إلى هذا

الفاجر فإن خرجت وأنا مكشوف الرأس فكلمني ، وإن خرجت وأنا مغطى الرأس فلا تكلمني ، فلما دخل على المأمون عائقه وحياه بخشوع النفاق وخضوع الملاق تلقاه ، وفي مجلسه المختص به قربه وأذناه ، فلما قضى من محادثة المطلب واستكمل من الكلام معه المأرب قدم إليه ما سمه فيه من ذلك الرمان والعنب وأمره بالأكل بالحثم الموجب .

وفي خبر هرثمة لما سمعت الأمر بالعنب والرمان لم أستطع الصبر ، ورأيت النفضة قد عرضت في بدني فكرهت أن يتبين ذلك في وجهي فتراجعت القهقري حتى خرجت فرميت نفسي في موضع من الدار ، فلما قرب زوال الشمس أحسست بسيدي (ع) قد خرج من عنده ورجع إلى داره ، ثم رأيت الأمر قد خرج من عند المأمون فأمر بإحضار الأطباء فقلت : ما هذا ؟ فقيل لي : علة عرضت لأبي الحسن علي بن موسى ، وكان الناس في شك وكنت على يقين .

وفي خبر أبي الصلت أنه استعفاه فقال (لع) : لا بد من ذلك وما يمنعك أو لعلك تتهمنا بشيء فتناول العنقود فأكل منه ثلاث حبات ورمى به ، فقام (ع) فقال المأمون : إني أين يا أبا الحسن ؟ فقال : إلى حيث وجهتني ، فقام وخرج (ع) وهو مغطى الرأس ، فيا ليتني كنت الفداء له من جميع الناس مما يكابده من ذلك الباس والسم الذي أخذ منه الأنفاس ، وأوجب لقضايا الشريعة المحمدية الانتكاس ، ولأعلام الهداية الانطماس وللدروس العلية الاندراست فلما وصل إلى منزله ألقى بنفسه على فراش السقام ولم يزل يكابد مضاضة الآلام والشدائد العظام حتى تقياً كبده الشريفة قطعة بعد قطعة ، وألقى بمهجته اللطيفة بضعة بعد بضعة ، فيا لها من مصيبة أرغمت معاطس أهل الايمان ورزية أذكت ضرام الأحزان في قلوب السادات من مضر وعدنان ، وأصبحت لها رؤوس أهل الحق خاضعة إلى الأذقان ، وأبكت الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين بالدمع الهتان .

وقال: ثم أن الإمام (ع) جعلني الله وقاه من الآلام لما تحقق من وقت أجله ، وانقطع من الحياة سبب أمله ، أشار إلى خليفته الإمام الجواد (ع) المنصوص عليه من رب العباد الذي لم يقض لعمره الشريف بالامتداد أن يأتي إليه من المدينة لأنه لا يلي أمر المعصوم إلا مثله ، ولا يجهز الإمام إلا شكله ، وقد كان (ع) عند خروجه من المدينة بإشخاص المأمون إياه دفع إليه كتبه وسلاحه ومواريث الأنبياء وآثار الأوصياء ووصيته (ع) ووصية آبائه الطاهرين (ع) ، ودل على إمامته . وشيعته الميامين لعلمه (ع) أنه لا يرجع لجوار جده الأمين (ص): فلما قضى معه مأربه واستوفى من وصاياه مطلبه توجه إلى مولاه بعد أن أطبق فاه ، وغمض عينيه ومد يديه ، فلما خرجت نفسه الشريفة تلتقتها الحور والولدان ، وزخرفت الجنان ، وفتحت أبواب السماء ، وأعلنت هي ومن فيها بفنون البكاء ، وارتجت أرجاء الأرض وضائق رحباً بأهلها في الطول والعرض ، وفشت فيها الظلمة ولا غرو فقد طفئ عنها سراج الأمة وسدت عنها بفقده أبواب الرحمة ، فلم ير في ذلك اليوم إلا باك وباكية وناع وناعية ونائح ونائحة وصارخ وصارخة ، وصار على المؤمنين كالיום الذي مات فيه رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) ، فسرت قلوب الحاسدين وأرغمت أنوف الموحدنين ، واشتد الكرب بالكروبيين وعلا الصراخ من الفقراء والأرامل والمساكين ، فواضبعة الإيمان والمؤمنين والإسلام والمسلمين ، ولقد أصبح كتاب الله بفقده مهجوراً ورسول الله (ص) فيه موتوراً .

ولله در من قال :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| الله أكبر ما أدهاك قارعة | أضحى لها معطس الإسلام مرغوما |
| أعالم أي دهما معظل طرقت | فعاد منها ثبير المجد مهدوما |
| وأصبحت زاخرات العلم ناضبة | وآب أمل سقياهن محروما |
| والحق أصبح مذكوس اللوى وغدا | كف المكارم المعروف مجذوما |
| قضى الرضا ويرغم الدين يوم قضى | كما أراد الغوك والكفر مسموما |
| ثوى الثرى يشتكي كبداً مضرمة | وضامراً بحسام الوجد محسوما |

يعزز على عين خير الرسل تلحظه
وليت مولى الورى موسى تلاحظه
فأين عيناه ترنوه غداة قضا
بعداً وسحقاً لقلب لا يروح له
فهاك يا عين سحي ما حييت دماً
وكيف لم يألّف الشجو المتبر من
لأجعلن البكاء والنوح ما طرفت
أمهجة المصطفى تسمي مضرمة
وطرف فاطمة الزهراء يكلمه الـ

وقد قضى بنقيع السم مكظوما
حلف البلايا بعيد الدار مهضوما
مجرعاً لذعاف السم مظلوما
ويغتدي أبد الأيام مغموما
لما أصاب الرضا كالغيث مسجوما
غدا بحب الرضا في الناس موسوما
عيني لما نال مولى الخلق محتوما
وضامري لا يراه الله مضروما
بكاء وطرفي لا ألفاه مكلوما

فيا لها قارعة نازلة ، ورزية هائلة ، تركت مدارس علوم الدين عاطلة ،
ومجالس عز الموحدين خاملة ، فخذدوا خدودكم بأخايد الدموع الهاطلة ،
وفجروا من عيونكم عيون العبرات الهائلة ، وأسيلوا في أودية ابدانكم شؤون
الأشجان السائلة ، وشاركوا الإمام الجواد في تجرعه كؤوس هذه المعضلة
القاتلة ، وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد في مساعدة النبي والأئمة الأمجاد
لتعرجوا في معارج السعادة الكاملة .

وفي خبر ياسر الخادم قال: فلما كان في آخريوم الذي قبض فيه كان
ضعيفاً في ذلك اليوم ، فقال لي بعدما صلى الظهر: يا ياسر (أكل الناس)
فقلت يا سيدي ومن يأكل هاهنا مع ما أنت فيه ؟ فانتصب (ع) ثم قال : هاتوا
المائدة فلم يدع من حشمه أحداً إلا أقعده معه على المائدة يتفقدهم واحداً بعد
واحد ، فلما أكلوا قال : ابعثوا إلى النساء بالطعام فحمل الطعام إلى النساء فلما
فرغوا من الأكل أغمي عليه وضعف ، فوقعت الصيحة فجاءت جوارى المأمون
ونساء حافيات حاسرات فوقعت الوجبة بطوس ، فجاء المأمون حافياً يضرب
على رأسه ويقبض على لحيته ويتأسف ويبكي وتسيل الدموع على خديه ،
فوقف على الرضا وقد أفاق فقال: يا سيدي والله ما أدري أي المصيبتين علي

أعظم فقدي لك أو فراقي إياك أو تهمة الناس لي أني اغتلتك وقتلتك ، قال :
فرغ (ع) طرفه ثم قال : أحسن معاشرة أبي جعفر فإن عمرك وعمره هكذا
وجمع بين سبائيه .

قال : فلما كان في تلك الليلة قضى نجه (ع) بعدما قضى من الليل
بعضه ، فلما أصبح الصباح اجتمع الخلق وقالوا : هذا قتله واغتاله - يعني
المأمون - وقالوا : قتل ابن رسول الله (ص) فأكثروا القول والتهمة .

وفي أعلام الوري : أنه لما توفي الرضا (ع) أنفذ المأمون إلى محمد بن
جعفر الصادق (ع) وجماعة آل أبي طالب الذين كانوا عنده ، فلما حضروه نعاه
إليهم وأظهر حزناً شديداً وتوجعاً ، وأراهم إياه صحيح الجسد وقال : يعز علي
أن أراك بهذا الحال وقد كنت أمل أن أقدم قبلك ولكن أبي الله إلا ما أراد . فيا
له من مرید مرد على النفاق من تجرع الغسلين والغساق إذ زاد بقتل إمامه على
جميع الفساق ، وعلى فرق الكفار فاق فأبي حجة يحتج بها عند مولاه ويخشى
الناس والله أحق أن يخشاه .

وفي خبر هرثمة قال : فلما كان الثلث الثاني من الليل علا الصباح
وسمعت الوجبة من الدار ، فأسرعت فيمن أسرع فإذا بالمأمون مكشوف الرأس
محلل الأزرار قائماً على قدميه ينتحب ويبكي قال : فوقفت فيمن وقف وأنا
أتنفس الصعداء ، ثم أصبحنا وجلس المأمون للتعزية ثم قام فمشى إلى
الموضع الذي فيه سيدنا فقال : اصلحوا لنا موضعاً فانا نريد أن نغسله ، فدنوت
منه وقلت له ما قاله سيدي في سبب الغسل والتكفين والدفن ، فقال لي : لست
أعرض لذلك ثم قال : شأنك يا هرثمة ، قال : فلم أزل قائماً حتى رأيت
الفسطاط قد ضرب ، فوقفت من ظاهره وكل من في الدار دوني وأنا أسمع
التكبير والتهليل والتسييح وتردد الأواني وصب الماء وتضوع الطيب الذي لم
أشم أطيب منه ، فإذا أنا بالمأمون قد أشرف علي من بعض علالتي داره فصاح
بي : يا هرثمة أليس زعمت أن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله فأين محمد ابنه وهو

بمدينة الرسول وهذا بطوس بأرض خراسان ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين إنا نقول إن الإمام لا يجب أن يغسله إلا إمام مثله فإن تعدى متعد فغسل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدي غاسله ، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غلب علي غسل أبيه ، ولو ترك أبو الحسن (ع) علي بن موسى لغسله ابنه محمد ظاهراً مكشوفاً ولا يغسله الآن أيضاً إلا هو من حيث يخفى ، فسكت عني .

ثم ارتفع الفسطاط فإذا أنا بسيدي مدرجاً بأكفانه ، فوضعت على نعشه ثم حملناه فصلى عليه المأمون وجميع من حضر ، ثم جئنا إلى موضع القبر فوجدتهم يضربون بالمعاول دون قبر هارون الرشيد ليجعلوه قبلة لقبره (ع) ، والمعاول تنبوعه حتى ما تحفر ذرة من تراب الأرض ولا مثل قلامة ظفر ، فقال لي : ويحك يا هرثمة أما ترى الأرض كيف تمتنع من حفر قبر له ، فقلت له : إنه قد أمرني أن أضرب معولاً واحداً في قبلة قبر أبيك لا أضرب غيره قال فإذا ضربت يا هرثمة ماذا يكون ؟ قلت : إنه (ع) أخبرني أنه لا يجوز أن يكون قبر أبيك قبلة لقبره (ع) فإن أنا ضربت هذا المعول الواحد نفذ إلى قبر محفور من غير يد تحفره وبان ضريح في وسطه ، قال المأمون : سبحان الله ما أعجب هذا الكلام ولا عجب من أمر أبي الحسن (ع) فاضرب يا هرثمة حتى نرى ، قال : فأخذت المعول بيدي فضربت به في قبلة هارون قال : فنفذ المعول إلى قبر محفور وبان في وسطه ضريح مشقوق والناس ينظرون إليه فقال : انزل إليه يا هرثمة فقلت : إن سيدي أمرني أن لا انزل إليه حتى ينفجر من أرض هذا القبر ماء أبيض فيمتلي منه القبر حتى يكون الماء على وجه الأرض ، ثم يضطرب فيه حوت بطول القبر فإذا غاب الحوت وغار الماء أنزلني فظهر الماء والحوت يضطرب فيه والناس ينظرون إليه ، ثم جعلت النعش إلى جانب قبره وغطيت قبره بثوب أبيض لم أبسطه أنا ولا غيري ، ثم انزل (ع) إلى قبره بغير يدي ولا يد أحد ممن حضر ، فأشار المأمون إلى الناس أن أهيلوا التراب بأيديكم فاطرحوه فيه ، فقلت : لا تفعل يا أمير المؤمنين فقال لي : ويحك فمن يملأه فقلت : إنه قد أمرني أن لا أطرح عليه التراب ، وأخبرني أن قبره يمتلىء من ذات نفسه ثم

ينطبق ويتربع على وجه الأرض ، فأشار المأمون إلى الناس أن كفوا قال: فرموا ما في أيديهم من التراب ثم امتلأ القبر وانطبق وتربع على وجه الأرض ، فانصرف المأمون وانصرفنا .

وفي خبر أبي الصلت الهروي : فلما رأى ما ظهر من النداة والحيتان وغير ذلك قال المأمون : لم يزل الرضا (ع) يرينا عجائبه في حياته حتى أراناه بعد وفاته أيضاً ، فقال له وزير كان معه : أتدري بما أراك إياه الرضا (ع) ؟ قال : لا قال : إنه أخبرك أن ملككم يا بني العباس مع كسرتكم وطول مدتكم مثل هذه الحيتان حتى إذا فنيت آجالكم وانقطعت آثاركم وذهبت دولتكم سلط الله تبارك وتعالى عليكم رجلاً منا فأفناكم عن آخركم ، قال : صدقت ثم قال : يا أبا الصلت علمني الكلام الذي تكلمت به ، فقلت : والله لقد نسيت الكلام من ساعتى ، وقد كنت صدقت فحبست سنة كاملة ، فضاقت علي الحبس فسهرت ليلة ودعوت الله تعالى بدعاء ذكرت فيه محمداً وآل محمد (ص) ، وسألت الله عز وجل بحقهم أن يفرج عني ، فما استتم الدعاء حتى دخل علي محمد بن علي (ع) فقال لي : يا أبا الصلت ضاقت صدرك فقلت : أي والله قال : قم فاخرج ، ثم ضرب بيده إلى القيود التي كانت علي ففكها وأخذ بيدي وأخرجني من الدار والحرس والغلمة يروني فلم يستطيعوا أن يكلموني ، فخرجت من باب الدار ثم قال : امض في ودائع الله تعالى فإنك لن تصل إليه ولن يصل إليك أبداً فما التقيت بالمأمون .

وفي خبر هرثمة : بعد الانصراف من دفن الإمام (ع) قال : فدعاني المأمون وخلاني ثم قال : أسألك بالله يا هرثمة لما صدقتني عن أبي الحسن (ع) بما سمعته منه ، قال : فقلت : قد أخبرت أمير المؤمنين بما قال لي فقال : بالله إلا ما صدقتني عما أخبرك به غير الذي قلت لي قال : نعم تسألني فقال لي : يا هرثمة هل أسر إليك شيء غير هذا ؟ قلت : نعم قال : ما هو ؟ قلت : خبر الرمان والعنب فأقبل المأمون يتلون ألواناً يصفر مرة ويحمر أخرى ويسود

أخرى ، ثم تمدد مغشى عليه فسمعتة في غشوته يهجر ويقول : ويل للمأمون من رسول الله (ص) ، ويل للمأمون من علي (ع) ، ويل للمأمون من فاطمة (ع) ، ويل للمأمون من الحسن (ع) والحسين (ع) ، ويل للمأمون من علي بن الحسين (ع) ، ويل للمأمون من محمد بن علي (ع) ، ويل للمأمون من جعفر بن محمد (ع) ، ويل للمأمون من موسى بن جعفر (ع) ، ويل للمأمون من علي بن موسى الرضا هذا والله هو الخسران المبين ، يقول هذا القول ويكرره فلما رأته قد أطال ذلك وليت عنه وجلست في بعض نواحي الدار فجلس ودعاني فدخلت إليه وهو جالس كالسكران ، وقال : والله ما أنت أعز علي منه ولا جميع من في الأرض والسماء ، وقال والله لئن بلغني أنك أعدت مما سمعت مني ورأيت شيئاً ليكون في هلاكك ، فقلت : إن ظهرت على شيء من ذلك مني فأنت في حل من دمي قال : لا والله أو تعطيني عهداً وميثاقاً على كتمان هذا الأمر وترك إعادته ، فأخذ علي العهد والميثاق وأكده علي فلما وليت عنه صفق بيده وقال : ﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً ﴾^(١) ، فأحيطوا رحمكم الله أيها المؤمنون الأعاظم بأطراف المنائح والمغانم بإدامة أعمال المنائح وإقامة أعلام المآتم ، واطفئوا نيران المآتم بتفجير أنهار الدموع السواجم ، واشحذوا عزار العزائم بجواهر الأخبار المضامنة على ذلك بالشواب الدائم ، وتقربوا لله تعالى باللعن لهذا الظالم ومن أسس قبله أساس المظالم ، لأهل البيت (ع) سراج العوالم وما حل بهم بعد جدهم من الخطب المتفاقم ، والرزة المتعاطم الذي أبكى كل مؤمن من حادث وقادم ، خصوصاً ما جرى على غريب كربلا من الكرب والبلاء والمصائب والخطوب الصيالم ، وسحاب الرزايا المتراكم ، الذي ينسى ما جرى على غريب خراسان وغيره من الأرزاء العظائم ، وفقني الله وإياكم لارتقاء سلم هذه المكارم ، ثم أقيمت على الإمام

(١) سورة النساء ، الآية : ١٠٨ .

الرضا (ع) المناثح والمنادب العالية ، ورثته الشعراء من كل جانب وناحية .

فلما وصل نعيه إلى قم رثاه دعبل الخزاعي (ره) بقصيدته الرائية التي منها

هذه الأبيات العلية يقول :

لولا تشاغل عيني بالأولى سلفوا
كم أذرع لهم بالطف بائنة
أنسى الحسين ومسراهم لمقتله
يا أمة السوء ما جازيت أحمد عن
خلفتموه عن الأبناء حين مضى
لم يبق حي من الأحياء نعلمه
إلا وهم شركاء في دمائهم
قتلاً وأسراً وتحريقاً ومنهبة
أرى أمية معذورين إن قتلوا
قوم قتلتم على الإسلام أولهم
أبناء حرب ومروان وأسرتهم
أربع بطوس على قبر الوصي بها
قبران في طوس خير الخلق كلهم
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا
هيهات كل امرء رهن بما كسبت

من أهل بيت رسول الله لم أقر
وعارض بصعيد الترب منعفر
وهم يقولون هذا سيد البشر
حسن البلاء عن التنزيل والسور
خلافه الذئب في أبقار ذي بقر
من ذي يمان ولا بكر ولا مضر
كما تشارك إيسار على جُزُر
فعل الغزاة بأهل الروم والخزر
ولا أرى لبني العباس من عُذُر
حتى إذا استمكنوا جاؤوا على الأثر
بني معيط ولاة الحقد والوغر
إن كنت تربع من دين على قطر
وقبر شرهم هذا من العِبَر
على الزكي بقرب الرجس من ضرر
له يدها فخذ ما شئت أو فذر

قال : فسمع المأمون بذلك فأرسل إليه فأتاه وآمنه على نفسه ، فلما مثل بين يدي المأمون قال له : أنشدني قصيدتك فوجدتها وأنكر معرفتها ، فقال له : لك الأمان عليها كما آمنتك على نفسك ، فأنشده إياها فلما وصل إلى قوله (هيهات كل امرء رهن بما كسبت له يدها) البيت ، ضرب المأمون بعمامته إلى الأرض وقال : صدقت والله يا دعبل ، ثم بكى ولم يزل ينوح حتى غشي عليه ، وصار الناس في اضطراب عظيم وهو يقول : صدقت والله يا دعبل ﴿ كل امرء

بما كسب رهين ﴿١﴾ هذا قول الله تعالى في كتابه المبين ثم أجاز دعبل (ره) وصرفه فاصرفوا يا اخواني عنان جواد البال ، نحو ميدان الإقبال ، وأعمال عوامل الأفكار أحسن الأعمال ، فيما اجتري به أولئك الأندال ، على أولئك الأئمة الأبدال ، وشيعتهم التابعين لهم في الأقوال والأفعال من تجريع غصص النكال ، وحبسهم في طوامير الوبال والاستيصال بالسموم وضروب الاغتيال ، مع علمهم بما خصهم به ذو الجلال ، والنبي المفضل ، من الفضائل الظاهرة لهم بالعشي والأصال ، وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال .

(١) سورة الطور ، الآية : ٢١ .

والدته (ع)

وكان مولده (ع) يوم الخميس حادي عشر ذي القعدة الحرام سنة (١٤٨) ثمان وأربعين بعد المائة من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة والسلام ، وقبض (ع) من دار البوار إلى دار القرار والدوام وهو ابن تسع وأربعين سنة وأشهر كما في الكافي ثقة الإسلام وهو الذي عليه عمل الشيعة الأبرار في شهر صفر سنة ثلاثة ومائتين في اليوم السابع عشر كما اعتمده ثقة الإسلام ، وهو الذي تعمل به الشيعة الأخيار في هذه الأعصار في يوم الاثنين وقيل يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان من تلك السنة ، وقيل يوم السابع والعشرين من شهر صفر والله العالم بالصواب ، فينبغي لأهل الإيمان المواظبين على الطاعات لبس شعائر الأحران في هذه الأوقات وعلى هذا يكون مدة إقامته (ع) مع أبيه تسع وعشرين سنة وشهرين ، والعقب من بعده في ولده الإمام محمد الجواد (ع) وقيل لم يخلف سواه من الأولاد وأمه أم ولد وكنيتها أم البنين واسمها تكتم كما اعتمده الصدوق (ره) في عيون الأخبار ، وقيل سكن ، وقيل أروى وقيل نجمة وعليه يدل غير واحد من الآثار وهو وأخوه القاسم (ع) وأخته فاطمة المعصومة في قم من أم واحدة وألقابه: الرضا ، والصادق والضامن ، والصابر ، والفاضل ، وقرّة أعين المؤمنين ، وغيط الملحدين ، وأشهرها: الضامن والرضا وإنما لقب به لأنه كان رضا الله في سمائه ورضا الرسول في أرضه ورضا الأئمة

من بعده ورضي به المخالفون من أعدائه وضده ، كما رضي به الموافقون من أوليائه وجنده ولم يكن ذلك لأحد من آبائه (ع) بالنسبة إلى غير أوليائه لأنه (ع) رضيه المأمون لولاية عهده .

زهده (ع)

ومن زهده (ع) أن جلوسه في الصيف على حصير ، وفي الشتاء على مسح ولبسه الغليظ من الثياب ، فإذا برز للناس تزين لهم بأزين اللباس وكان كل كلامه (ع) وجوابه وتمثاله انتزاعات من القرآن واقتباس من آياته ، وكان (ع) يختمه في كل ثلاثة أيام مرة ويقول: لو أردت أن أختمه في أقل من ثلاثة أيام لختمته لكنني ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها وفي أي شيء أنزلت وفي أي وقت ، فلذلك صرت أختمه في كل ثلاثة أيام مرة .

عبادته (ع)

ومن عبادته (ع) ما رواه عبد السلام بن صالح الهروي قال: جئت إلى باب الدار التي حبس فيها أبو الحسن الرضا (ع) بسرخس فاستأذنت عليه السجان فقال: لا سبيل لك عليه فقلت: ولم؟ فقال: لأنه ربما صلى يومه وليلته ألف ركعة وإنما يفتل من صلاته ساعة في صدر النهار وقبل الزوال وعند اصفرار الشمس ، فهو في هذه الأوقات يناجي ربه .

كرم اخلاقه (ع)

ومن كرم اخلاقه (ع) ما حكاه عمه إبراهيم بن العباس قال: ما رأيت أبا الحسن الرضا (ع) جفا أحداً بكلامه قط ، ولا رأيت قطعه على أحد كلامه قط حتى يفرغ منه ، ولا رد أحداً عن حاجة قط ، ولا مد رجله بين يدي جليس له قط ، ولا رأيت يشتم أحداً من مواليه ومماليكه قط ، ولا رأيت يقهقه في ضحكه قط بل كان ضحكه (ع) التبسم ، وكان إذا نصب مائدته أجلس معه عليها مماليكه ومواليه حتى البواب والسائس ، وكان قليل النوم بالليل كثير السهر يحيي ليلته بالعبادة من أولها إلى الصبح ، وكان (ع) كثير الصيام ولا يفوته صيام ثلاثة في الشهر ، ويقول (ع): ذلك صوم الدهر ، وكان (ع) كثير المعروف والصدقة في السر وأكثر ذلك في الليالي المظلمة فمن رأى مثله فلا تصدقوه وناهيك بها من خصال شريفة ، وخلال طريفة ، وصفات منيفة ، فيه (ع) وآبؤه الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام لا بد أن يكونوا أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، وأظهرهم فرعاً وعرقاً . ولا ينافيه ما ورد فيه (ع) أنه أسمر اللون مع أن الأسمر هو الذي بياضه مشوب بالحمرة فيسمى عند العرب أسمر ، وأن الإمام (ع) لا يظهر للناس من كل شيء إلا ما تحتمله عقولهم ولا تنحصر عنه أبصارهم ولا تنفر منه بصائرهم ، فلهذا قالت أم الفضل ابنة المأمون زوجة ابنه محمد الجواد (ع) لأنها حين دخل (ع) عليها فغشي عليها إن هذا الرجل يريني

كل يوم صورة من جماله أتخبر عند رؤيتها ، والآن لما دخل رأيت في وجهه نوراً
أخذ بمجامع قلبي وبصري .

وروي أيضاً : أن النبي (ص) كان يسمع أصحابه من صوته في قراءته
القرآن ما تحتمله عقولهم ولو أسمعهم صوته لمانوا عند سماعه .

ولا شك أن نورهم واحد وطينتهم واحدة من ذلك النور العظيم ، ﴿ ذرية
بعضها من بعض والله سميع عليم ﴾^(١) ، ولهذا كان الأئمة عليهم الصلاة
والسلام يظهرن لخواص شيعتهم الكرام على حسب الحالات التي تحتملها
عقولهم في كل مقام ، فهم مظاهر الحقيقة الأحدية والحجة على جميع البرية ،
فلا بد من ظهورهم لكل واحد بما يناسب القابلية ، وليس هذا بغريب ولا منهم
بعجيب .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٤ .

في فضل زيارته (ع)

وأما فضل زيارته (ع) فمن زاره عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجب له على الله الجنة وكان كمن زار الله في عرشه وزار رسول الله (ص) ، وبني له منبراً حذاء منبر رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) حتى يفرغ الخلائق من الحساب ، وأعطاه الله أجر من أنفق قبل الفتح وقاتل ، ويخلصه الرضا (ع) من أهوال ثلاثة : إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً وعند الصراط وعند الحساب ويشفع فيه يوم القيامة ، وزيارته (ع) تبلغ عند الله ألف حجة .

وكان (ع) يقول : إني سأقتل بالسم مظلوماً وأقبر إلى جنب هارون وجعل الله عز وجل تربتي مختلف شعيتي ، فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة ، والذي أكرم محمداً (ص) بالنبوة واصطفاه بالرسالة على جميع الخليقة لا يصلي أحد منكم عند قبوري ركعتين إلا استحق المغفرة من الله تعالى يوم يلقاه ، والذي أكرمنا بعد محمد (ص) بالإمامة وخصنا بالوصية أن زوار قبوري لأكرم الوفود على الله تعالى يوم القيامة ، وما من مؤمن يزورني إلا حرم الله تعالى جسده على النار ، فقال رجل من خراسان : يا بن رسول الله رأيت رسول الله (ص) في المنام وهو يقول كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي واستحفظتم وديعتي وغيب في ثراكم نجمي ؟ فقال له الرضا (ع) : أنا المدفون في أرضكم وأنا البضعة من نبيكم (ص) وأنا الوديدة والنجم ، فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقي وطاعتي فأنا وآبائي شفعاؤه يوم

القيامة ، ومن كنا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والإنس .

وقال أبوه الكاظم (ع) إذا كان يوم القيامة كان على يمين عرش الرحمن أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين ، فأما الأربعة الذين هم من الأولين فهم نوح وإبراهيم (ع) وموسى (ع) وعيسى (ع) ، وأما الأربعة الذين هم من الآخرين فمحمد (ص) وعلي والحسن والحسين (ع) ، ثم يمد الطعام فيقعد منا زوار قبر ولدي علي (ع) .

وسئل ابنه الجواد (ع) : زيارة أبيك أفضل أم زيارة جدك أبي عبد الله الحسين (ع) ؟ فقال (ع) زيارة أبي أفضل وذلك لأن أبا عبد الله (ع) يزوره كل الناس وأبي لا يزوره إلا الخواص من الشيعة .

ولا إشكال في هذه الرواية من حيث أنه قد يزوره عوام الشيعة ويحرم منها خواص العلماء ، لأن المراد بخصوص الشيعة من اعتقد إمامة الاثني عشر ، فمن أقر بإمامته (ع) أقر بإمامة غيره من الأئمة (ع) دون سائر فرق الشيعة كالواقفية والزيدية والفحطية والناوسية وغيرهم من الفرق المتسميين بالشيعة المخالفين للإمامية ، فهؤلاء كلهم يزورون الحسين (ع) ولا يزورون الرضا (ع) ، ويحمل ذلك على حال الابتداء وحال الخطاب والله العالم بالصواب .

والأخبار في زيارته (ع) بالغة حد الاشتهار اقتصرنا منها على هذا المقدار وناهيك بهذا العنوان اشتهاره بضممن الجنان ، واختلاف الأخبار في الثواب محمول على اختلاف الزائرين في المعرفة ومراتب الإيمان ، جعلني الله وإياكم من العارفين بحقه على التحقيق ، والسالكين إلى الإيمان والتصديق ، ولنختم هذه النبذة القليلة بزيارة له (ع) جليلة منقولة من الأخبار المؤلفة المشتملة على ما في زيارته من الفضيلة يحسن زيارته بها بعد الفراغ من قراءتها تفعلاً بأن الله لا يختم كتاب الأجل إلا بختام بلوغ الأمل من التشرف بزيارته (ع) التي هي من خير العمل .

زيارته (ع)

وهذه الزيارة الشريفة :

السلام عليك يا ولي الله . السلام عليك يا حجة الله السلام عليك يا وارث الأنبياء والمرسلين . السلام عليك يا وارث الأئمة المعصومين ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا مولاي : يا أبا الحسن الرضا والإمام المرتضى والحسام المنتضى ورحمة الله وبركاته . السلام عليك أيها الإمام الغصيب . والبعيد القريب . والمسموم الغريب ورحمة الله وبركاته . السلام عليك أيها الحامل لكتاب الله والعامل بما فيه . السلام عليك أيها النازح عن تربة جده وأبيه ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا غوث اللفهان وغريب الأوطان وضامن الجنان من شرفت به أرض خراسان ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا قليل الزائرين وقرة أعين الأئمة المعصومين وفاطمة سيدة نساء العالمين ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا من كسر قلوب شيعته بغرته إلى يوم الدين ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك أيها الإمام الرؤوف الرحيم الذي هيج أحزان يوم الطفوف ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا غرة إقبال الدنيا وسعودها ومن سئل عن كلمة التوحيد فقال : وأنا من شرطها ومقصودها ورحمة الله وبركاته .

السلام عليك يا من قال في حقه رسول الله سيد الأكوان وسند الأعيان : سيدفن بضعة مني بأرض خراسان ما زاره مكروب إلا ونفس الله كربه ، ولا مذنب إلا وغفر الله ذنبه ، ولا يزوره مؤمن إلا أوجب الله له الجنة يا من قال في

زيارته باقر علوم الأولين والآخرين : يخرج رجل من ولدي يقتل بالسم اسمه اسم أبيه أمير المؤمنين فيدفن بأرض خراسان ، من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل ورحمة الله وبركاته .

السلام عليك يا من قال فيه جده البحر الدافق جعفر بن محمد الصادق : يقتل ولدي بأرض خراسان في مدينة يقال لها (طوس) من زاره عارفاً بحقه أخذته بيدي وأدخلته الجنة وإن كان من أهل الكباثر ، قيل له وما عرفان حقه ، قال : يعلم بأنه مفترض الطاعة غريب شهيد من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله أجر سبعين شهيد ممن استشهد مع رسول الله (ص) ، وقال فيه أيضاً : يقتل لهذا ولدي وأشار بيده إلى ابنه موسى ولد بطوس لا يزوره إلا الأندر فالأندر ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا من قال فيه أمير المؤمنين وسيد الوصيين : سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسم اسمه إسمي وإسم أبيه اسم موسى بن عمران ، ألا فمن زاره غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الأشجار ورحمة الله وبركاته .

السلام عليك يا من في حقه قال أبوه العالم موسى بن جعفر الكاظم : من زار قبر ولدي كان له عند الله سبعون حجة مبرورة ، قيل له : سبعون حجة مبرورة ؟ فقال : نعم وسبعون ألف حجة ، ومن زاره أو بات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه ، وقال أيضاً فيه : إن ابني علياً مقتول بالسم ومدفون إلى جنب هارون الرشيد بطوس من زاره كان كمن زار رسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا من قال : إن لكل منا عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإن من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤه يوم القيامة ورحمة الله وبركاته .

السلام عليك يا من قال : إني مقتول ومسموم ومدفون بأرض غربة أعلم ذلك بعهد عهده إلي أبي عن آبائه (ع) ألا فمن زارني في غربتي كنت أنا وآبائه شفعاؤه يوم القيامة ، ومن كنا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين ورحمة

الله وبركاته السلام عليك يا من قال : إني مقتول بالسم مظلوماً فمن زارني عارفاً بحقي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا من قال : إني مقتول بالسم ومدفون بأرض غربة فمن شد رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغفر ذنبه ومن زارني على بعد داري أتته يوم القيامة في ثلاثة مواضع حتى أخلصه من أهوالها ، إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً ، وعند الصراط ، وعند الميزان ورحمة الله وبركاته السلام عليك يا من قال : ما منا إلا مقتول شهيد فقيل له : يا ابن رسول الله ومن يقتلكم ؟ فقال : شر خلق الله في زمانى يقتلنى بالسم ثم يدفنى فى دار مضيعة وبلاد غربة ألا فمن زارنى فى غربتى كتب الله له أجر مائة ألف شهيد ، ومائة ألف صديق ، ومائة ألف حاج ومعتمر ، ومائة ألف مجاهد وحشر فى زميرتنا وجعل فى الدرجات العلا وفى الجنة رفيقاً ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا من قال : من زارني وهو على غسل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ورحمة الله وبركاته .

السلام عليك يا من قال فى زيارته ابنه الجواد : ضمنت لمن زار أبى فى طوس عارفاً بحقه بالجنة على الله وإنها تعدل عند الله ألف ألف حجة لمن زاره عارفاً بحقه ، ومن زار أبى بطوس غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فإذا كان يوم القيامة نصب له منبر حذاء منبر رسول الله حتى يفرغ الله عز وجل من حساب عباده ، وإن بين جبلي طوس قبضة من الجنة من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار وما زار أبى أحد فأصابه أذى من مطر أو برد إلا حرم الله جسده على النار ورحمة الله وبركاته .

السلام عليك يا من قال فيه ابنه علي بن محمد الهادي : من زاره فأصابه فى طريقه قطرة من السماء إلا حرم الله جسده على النار ، ومن كانت له إلى الله حاجة فليزر قبر جدي الرضا بطوس وهو مغتسل وليصلي عنده ركعتين وليسأل الله حاجته فى قوته ، وإن موضع قبره لبقعة من بقاع الجنة لا يزورها مؤمن إلا أعتق الله رقبته من النار وأحله دار القرار ورحمة الله وبركاته .

يا مولاي يا أبا الحسن الرضا: قصدتك بقلبي زائراً إذا عجزت عن حضور
مشهدك والمشاهدة لقبتك ، ووجهت إليك سلامي لعلمي أنه يبلغك فأسأل الله
بشفاعتك المقبولة ودرجتك الرفيعة أن ينفس بك كربتي ، ويغفر بك ذنبي ،
ويسمعك كلامي ، ويبلغك سلامي ، وأن يوفقني لزيارتك في البقعة التي قلت
فيها: هي والله روضة من رياض الجنة ، من زارني في تلك البقعة كان كمن زار
رسول الله ، وكتب له ثواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة ، وكنت أنا
وآبائي عليهم السلام شفعاؤه يوم القيامة ، فكن شفيعي بأبائك الطاهرين
وأولادك المتجبين فبالله أقسم وبآبائك الأطهار وأبنائك الأبرار لولا بعد الشقة
حيث شطت بكم الدار لقضيت بعض واجبكم بتكرار المرار ، فيا ليتني كنت من
الطائفين بحضرتك مستبشراً ببهجة مؤانستك ، يا مولاي يابن رسول الله زرتك
طالباً بزيارتك من الله تعالى غفران الذنوب وكشف الكرب وستر العيوب
والأمان الذي وعدت به في المواطن الثلاثة : عند تطاير الكتب وعند الصراط
وعند الميزان ، صلى الله على روحك الطيبة وجسدك الطاهر ويدنك الزكي ،
صبرت واحتسبت وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين ورحمة الله وبركاته ،
السلام عليك وعلى آبائك الطاهرين وابنائك المعصومين سادات المتقين وكبراء
الصديقين وأعلام المهتدين وأنوار العارفين والصابرين الممتحنين ورحمة الله
وبركاته .

وليكن هذا آخر ما نمليه في هذا المقام ، سائلين منه سبحانه وتعالى
حسن الختام ، وبلوغ المرام ، من زيارته (ع) وزيارة آبائه الكرام ، التي هي
الذخيرة يوم القيام ، والمأمول من الحاضرين أن لا ينسوا مؤلفها ووالديه في
جميع الأوقات ، من صالح الدعوات ، بأن يجعلها في صحيفة الحسنات ، وأن
يتفضل عليه بمحو السيئات ، وأن يعامله بعفوه العميم .

وكان الفراغ من تسويد جلها بقلم مؤلفها في بندر الحرمين جدة
سنة ١٠٣١ هجرية على مهاجرها وآله آلاف الصلاة والسلام .

وفاة الإمام
محمد الجواد
"عليه السلام"

تأليف
الملاية الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عماد
الدارزي الجبلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كره هذه الدار لأجواد عباده وجعلهم فيها ممتحنين ، وأخرجهم منها على الشهادة بسيفها القاطعة من أهل فساده ، فصبروا على مكارهها وما قدّ فيها من بلائه ونكاده ، والصلاة والسلام على محمد المبتلى في نفسه وأطائب أولاده .

وبعد فيقول فقير الله الكريم الراجي لعفوربّه وإنقاذه من ذنوبه وعظائم إجرامه ، الجاني حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عصفور الدرّازي البحراني رحمه الله تعالى قد عازمت على تأليف كتاب مختصر في وفاة جواد الأجواد ، ومحل الرّشاد ومفتاح السداد ، باب المراد الإمام الهمام محمد بن علي الجواد ، لتجتمع عليه الشيعة الأمجاد ، ونقوم بالعزاء ونشر أخبار مصائبهم وما جرى عليهم من أهل الإلحاد فقد لقوا شداً تنذك لها الجبال الأطواد ، وتنفطر لها السبع الشداد ، ونسأل الله تعالى أن يوفّقنا لذلك لنسلم به من أهوال يوم التناد ، ونصل به إلى جوارهم في مستقر رحمة التي وسعت العباد ، وسميته بضرام الحزن الوقاد وفي وفاة سيدنا ومولانا محمد بن علي الجواد ولنذكر أمام المقصود بعض ما وقع له من المعاجز في حال الميلاد إلى يوم وفاته (ع) وانتقاله إلى جوار الآباء والأجداد ، وكان مولده (ع) في شهر رمضان سنة خمس وتسعون ومائة من الهجرة ، وأمه أم ولد وربما يقال لها سبيكة النوبية ، والأصح أن اسمها

خيزران ، وروي أنها كانت من أهل بيت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله (ص) ، وقد نص عليه أبوه بالإمامة (ع) وله من العمر ثلاث سنين ، ولقد وقعت عليه الشيعة في أمر عظيم عند وفاة والده لأن أباه كان بخراسان وهو طفل صغير في المدينة المنورة على مشرفها السلام .

وفي خبر أبي يحيى الصنعاني كما في الكافي قال : كنت عند أبي الحسن الرضا (ع) ، فجيء بابنه أبي جعفر (ع) وهو صغير ، فقال : هذا هو المولود الذي لم يولد مثله ، ولا أعظم بركة على شيعتنا منه .

وفي رواية الحسن بن الجهم قال : كنت عند أبي الحسن الرضا (ع) وهو جالس ، فدعا بابنه وهو صغير فأقعده في حجره وقال لي : جرده وانزع قميصه ، فنزعته ، وقال لي : أنظر بين كتفيه ، قال : فنظرت فإذا في إحدى كتفيه شبه الخاتم داخل في اللحم .

وفي رواية صفوان بن يحيى قال : قلت للرضا (ع) : قد كنا نريد أن نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر ، فكنت تقول : يهب الله لي غلاماً وقد وهب الله لك ، فأقر الله عيوننا ، فلا أرانا الله عز وجل يومك فإن كان كونه فإلى من ؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر (ع) وهو قائم بين يديه ، فقلت : جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين ، فقال (ع) : ما يضره من ذلك وقد قام عيسى ابن مريم (ع) بالحجة وهو ابن ثلاث سنين .

وفي رواية زكريا بن يحيى الصيرفي قال : سمعت علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين ، فقال في حديثه لقد نصر الله أبا الحسن الرضا (ع) لما بغى إليه إخوته وعمومته فقال له الحسن : أي والله جعلت فداك لقد بغى عليه إخوته ، فقال علي بن جعفر : أي والله ونحن بغينا عليه ، فقال له الحسن (رض) : كيف صنعتم فإني لم أحضركم قال : فقال له إخوته : ونحن أيضاً ما كان فينا إماماً حائل اللون ، فقال لهم الرضا (ع) : هو ابني ، قالوا فإن قد قضى بالقافة فيننا وبينك القافة ، قال : ابعثوا إليهم أنتم وأما أنا فلا

ولا تعلموهم لما دعوتموهم وليكونوا في بيوتكم ، فلما جاؤوا اقعدوننا في البستان ، واصطفت عمومته وإخوته ، وأخذوا الرضا (ع) وألبسوه جبة صوف وقلنسوة منها ووضعوا على كتفه مسحات ، وقالوا: ادخل البستان كأنك تعمل فيه ، ثم جاؤوا بأبي جعفر (ع) وقالوا لهم: ألحقوا لنا هذا بأبيه ، فقالوا : ليس هاهنا أب له ولكن هذا عم أبيه ، وهذا عمه ، وهذه عمته ، وإن كان له أب هاهنا فهو صاحب البستان فإن قدميه واحدة ، فلما رجع أبو الحسن (ع) قالوا : هذا أبوه .

قال علي بن جعفر: فمصصت ريق أبي جعفر (ع) ثم قلت : أشهد أنك إمامي عند الله عز وجل ، فبكى الرضا (ع) ثم قال : يا عم ألم تسمع أبي (ع) وهو يقول : قال رسول الله (ص) : يأتي ابن خيرة الإماء ابن النوية الطاهرة الطيبة الفم المنتجة الرحم ، ويلهم لعن الله الأعبس وذريته صاحب الفتنة يقتلهم سنيئاً وشهوراً وأياماً ، يسومهم خسفاً ويسقيهم كأساً مصبرة ، وهو الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة ، فيقال : مات أو هلك أو أي واد سلك أيكون هذا يا عم إلا مني قال صدقت جعلت فداك .

وروى الحسن بن عمارة قال: كنت عند علي بن الإمام جعفر (ع) بالمدينة ، وكنت أقيمت عنده سنين أكنتم عنده ما أسمع من أخيه أبي الحسن (ع) إذا دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا (ع) مسجد رسول الله (ص) فوثب عليّ (ع) بلا حذاء ولا رداء فقبل يديه وعظمه فقال له أبو جعفر (ع) اجلس يا عم رحمك الله فقال يا سيدي كيف أجلس أنا وأنت قائم ، فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون له : أنت عم أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل ، فقال: لسكنوا إذا كان الله عز وجل - وقبض على لحيته لم يؤهل هذه الشيبة وأهل هذا الفتى ووضعته حيث وضعه ، أنكر فضله ؟ نعوذ بالله مما تقولون ، بل أنا له عبد ، وناهيك بها من نصوص قد أسفرت عن إمامته (ع) وهو مولود وجواد الأجواد ، جعله الله لبحار علمه مداد ، وأتاه الله الحكمة وفصل

الخطاب وهو صبي في المهاد ، الله أعلم حيث يجعل رسالته على رؤوس
الأشهاد ، ولقد تناولت عليهم أهل الزيغ والعدا وحملهم عليهم الغل والحسد
الكامن في الفؤاد ، فأنكروا ماأنهم ولم يقرؤا بإمامة الجواد وأقرؤا بإمامة
الرضا (ع) ، ووقفوا عليه وكذا على أبيه (ع) من قبله ، وولغوا في دمائهم
وقيدوهم بالقيود والأصفاد

ولله در من قال حيث أجاد :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| قد حل مرتبه المهسي والفرقد | الله درك من جواد فاق من |
| باب الرضا كهف الحجا والسؤدد | نجل الرضا من عنده فصل القضا |
| قد ناله عيسى زمان المولد | حسدوه إذ ولاه مولاه الذي |
| أثر النجابة فيه خير مسدد | في المهدي ينطق من سعادة جده |
| وله الملائك والملا طوع اليد | جبريل يخدمه جهاراً في الوري |
| والنص فيه قائم في المشهد | يا ويلهم كيف الجحود لشأنه |
| لبنى الرسالة معتد من معتد | مهلاً بني العباس قبح فعلكم |
| أعدائكم من كل رجس أوغد | قطعتم أرحامكم ونصرتم |
| لا ينقضي أبداً ليوم الموعد | فعليكم لعن المهيمن دائماً |

وفي عيون المعجزات لعلم الهدى قال : لما قبض الرضا (ع) كان سن
أبي جعفر (ع) سبع سنين ، فاختلف الناس ببغداد وفي الأمصار واجتمع
الريان بن الصلت ، وصفوان بن يحيى ، ومحمد بن حكيم ، وعبد الرحمن بن
الحجاج ، ويونس بن عبد الرحمن ، وجماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم في دار
عبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلول ويكون ويتوجعون من هذه المصيبة ،
فقال لهم يونس بن عبد الرحمن : دعوا البكاء : من لهذا الأمر وإلى من نقصد
بالمسائل إلى أن يكبر هذا يعني أبا جعفر (ع) ، فقام إليه الريان بن الصلت
 ووضع يده في حلقه ولم يزل يلطمه ويقول : أنت تظهر الإيمان لنا وتبطن الشك
الشرك ، إن كان أمره من الله ومن رسوله (ص) فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان

بمنزلة الشيخ العالم وفوقه وإن لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنة فهو واحد من الناس هذا مما لا ينبغي أن يفكر فيه ، فأقبلت العصابة عليه تعذله وتويخه ، وكان وقت الموسم فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً فخرجوا إلى الحج وقصدوا المدينة ، ليشاهدوا أبا جعفر (ع) فلما وافوه أتوا دار جعفر الصادق (ع) لأنها كانت فارغة ودخلوها وجلسوا على بساط كبير ، وخرج إليهم عبد الله بن موسى (ع) فجلس في صدر المجلس ، وقام مناد وقال : هذا ابن رسول الله (ص) فمن أراد السؤال فليسال ، فستل عن أشياء أجاب فيها بغير الجواب ، فرد على الشيعة ما أحزنهم وغمهم واضطربت الفقهاء فقاموا وهموا بالانصراف وقالوا في أنفسهم : لو كان أبو جعفر (ع) يكمل لجواب المسائل لما كان عند عبد الله ما كان ومن الجواب بغير الواجب ، ففتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفق وقال : هذا أبو جعفر (ع) فقاموا إليه واستقبلوه وسلموا عليه فرد عليهم السلام فدخل (ع) وعليه قمصان وعمامة بذؤابتين ، وفي رجليه نعلان ، وجلس وأمسك الناس كلهم فقام صاحب المسألة فسأله عن مسألة أجاب عنها بالحق ، ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له : إن عمك عبد الله أفتى بكيت وكيت ، فقال (ع) : لا إله إلا الله يا عمُّ إنه عظيم عند الله أن تقف بين يديه - فيقول لك لِمَ تفتي عبادي بما لا تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك ، ولم يزل صلوات الله عليه في كل يوم تظهر له (ع) معاجز وبراهين لا تحصى ، وكرامات لا تستقصى حتى تحدث الناس بفضله في جميع الأمصار ، واعتقدوا فضله على من سواه الاجتماع .

فمن معجزاته (ع) البارعة ما وقع له عند وفاة أبيه (ع) وقد ذكرناها مفصلة هناك ، وما رواه محمد بن ميمون قال : كنت مع الرضا (ع) بمكة قبل خروجه إلى خراسان فقلت له : إني أريد أن أتقدم إلى المدينة ، فاكتب معي كتاباً إلى أبي جعفر (ع) ، فتبسم وكتب كتاباً وسرت إلى المدينة وكان قد ذهب بصري ، فأخرج الخادم أبا جعفر يحمله من المهد فناولته الكتاب فقال موفق : فضه

وانشره بين يديه ففضضته ونشرته بين يديه فنظر فيه ثم قال لي : يا محمد ما حال بصرك ؟ فقلت : يا ابن رسول الله اعتليت فذهب بصري كما ترى ، فمد يده ومسح على عيني فعاد إلي بصري كأصح مما كان ، ثم قبلت يديه ورجليه وانصرفت من عنده وأنا بصيراً .

وروي عن حكيمة بنت الرضا (ع) قالت : لما توفي أخي الجواد (ع) صرت يوماً إلى امرأته أم الفضل بسبب احتجت إليها فيه ، قالت : فيبينما نحن نتذاكر فضائل الجواد وكرمه وما أعطاه الله تعالى إذ قالت امرأته أم الفضل : ألا اخبرك عن أبي جعفر بعجبية لم يسمع بمثلها قط ؟ قلت : فما ذلك ؟ فقالت : انه أغارني مرة بجارية ومرة بتزويج ، فكنت أشكوه إلى المأمون فيقول لي : يا بنية احتمليه فإنه ابن رسول الله (ص) ، فيبينما أنا ذات ليلة جالسة إذ أتت إلي امرأة كأنها غصن بان أو قضيب خيزران فقلت لها : من أنت ؟ فقالت : أنا زوجة أبي جعفر ، وأنا امرأة من ولد عمار بن ياسر (رض) قالت : فدخلك علي من الغيرة مالا أملك على نفسي ، فنهضت من وقتي وساعتي إلى المأمون وكان ثملاً من الشراب وقد مضى من الليل أربع ساعات ، فأخبرته بحالي فقلت : إنه يشتمني ويشتمك ويشتم العباس وولده ، وقلت فيه ما لم يكن أبداً فغاضبه ذلك وأخذ سيفه وتبعته ومعه خيزران الخادم ، فجاء إلى أبي جعفر (ع) وهو نائم فضربه بالسيف حتى قطعه إرباً إرباً وعاد ، فلما أصبح عرفنا ما كان منه فأنفذ الخادم فوجد أبا جعفر (ع) قائماً يصلي ، فرجع له وأخبره أنه سالم ، ففرح وأعطى الخادم ألف دينار وحمل إلى محمد الجواد (ع) عشرة آلاف دينار ، واجتمع معه واعتذر إليه بالسكر ، فأشار بترك الشراب فقبل منه الحديث .

ولله در من قال :

فواللهفتي لابن الرضا وما جرى عليه من المأمون شر جزاء
لقد أضمر الغل الكمين بقلبه ولم يكفه ما قد جرى باباء
أيسعى إلى قتل الجواد ولم يكن له نحوه ذحل وشر قضاء

لقد سم مولانا الرضا بعدما جرى له بين خلق الله عهد ولاء
 وثني بمولانا الجواد وقد غدى يهد به ركن الهدى وعلاء
 فيهلك من قام الوجود بجوده ويخمد دين الله بعد سناء
 فمهلاً بني العباس إن إمامكم لمن يأخذ الشارات من خلفاء
 تجرت على ظلم النبي محمد وعائت فساداً مع عنى وشقاء
 فلا زال لعن الله يهمي عليهم دواماً ليوم الحشر يوم جزاء

ومعاجزه التي تبهر العقول ما ثبت في المنقول عن مؤدب كان لأبي
 جعفر (ع) قال: إنه كان يوماً يقرأ في اللوح كما جرت به العادة مع الصبيان إذ
 رمى اللوح من يده وقام فزعاً مرعوباً وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون مضى
 والله أبي (ع) ، فقلت: من أين علمت هذا؟ فقال: دخلني من جلال الله
 وعظمته شيء لم أعهده وقد مضى ، فقلت: دع عنك هذا ، فقال: ائذن لي أن
 أدخل البيت وأخرج إليك ، واستعرضني القرآن أفسره لك لتحفظه عني ،
 فقام (ع) ودخل البيت ، فقامت ودخلت البيت في طلبه اشفاقاً عليه فسألت عنه
 فقيل لي: دخل هذا البيت ورد الباب دونه وقال: لا تاذنوا لأحد حتى أخرج
 إليكم ، فخرج (ع) مغبر اللون وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ، إنا لله وإنا
 إليه راجعون قضى والله أبي فقلت: جعلت فداك قد مضى (ع) فقال: نعم ،
 وقد وليت غسله وتكفينه فما كان يلي ذلك منه غيري ، ثم قال لي: دع عنك
 هذا واستعرضني القرآن فأفسره لك وتحفظه ، فقلت: لا أعرف فقال (ع) :
 أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم
 كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم﴾^(١) فقلت: ألمص فقال (ع) هذا أم أول
 السورة ، وهذا ناسخ وهذا منسوخ ، وهذا محكم وهذا متشابه ، وهذا خاص
 وهذا عام ، وهذا ما شبه على الناس .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧١ .

ثم انه (ع) قام بما تحتاج إليه الناس بعد أبيه (ع) لأنه الحجة ولا يحجزه عن ذلك صغر سنه لأنه (ع) مستكمل الشرائط ، وهم أنوار الله في عالم المكنون والملكوت وإنما هم صموت ما داموا لم يؤذن لهم ، ثم انه (ع) تقصدته الظلمة والحسدة فأشخص من المدينة إلى بغداد في زمن المعتصم مراراً .

ونقل عن إسماعيل بن مهران قال : لما خرج أبو جعفر (ع) من المدينة إلى بغداد في المرة الأولى جثته فقلت له : جعلت فداك إني أخاف عليك من هذا الوجه ، فإلى من الأمر بعدك ؟ فكر بوجهه إلي ضاحكاً وقال : ليس الغيبة كما ظننت في هذه السنة ، فلما وصل بغداد أقام هناك ورجع ، ولما أخرج (ع) في الثانية إلى المعتصم صرت إليه فقلت : جعلت فداك أنت خارج في إلى من الأمر من بعدك ؟ فبكى (ع) حتى اخضلت لحيته بالدموع ، ثم اشار إلي فقال : في مثل هذه السنة يخاف علي فالأمر من بعدي إلى ابني علي (ع) .

وفي رواية علي بن خالد كما رواه محمد بن الحسان قال : كان علي بن خالد زيدياً فحكى إلي قال : كنت في العسكر فبلغني أن هناك رجلاً محبوساً أتى به من ناحية الشام مكبولاً ، وقالوا : إنه تنبأ ، فقال علي بن خالد : فأتيت وداريت البوابين والحجبة حتى وصلت إليه ، فإذا هو رجل ذو عقل وفهم ، فقلت له : يا هذا ما قصتك وما أمرك ؟ فقال : إني رجل كنت في الشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي فيه رأس الحسين (ع) ، فبينما أنا في عبادتي إذ أتاني شخص وقال لي : قم بنا ، فقمتم معه إذ أتى بي مسجد الكوفة ، فقال لي : تعرف هذا المسجد ؟ فقلت : نعم هذا مسجد الكوفة ، قال : فصلى وصليت معه ، فبينما أنا معه وإذا نحن بمكة فلم أزل معه حتى قضى مناسكه وقضيت مناسكي معه ، فبينما أنا معه وإذا أنا في الموضع الذي أعبد الله فيه بالشام ومضى الرجل ، فلما كان العام القابل أتاني وفعل بي مثل ما فعل في المرة الأولى ، فلما فرغنا من مناسكنا وردنا الشام وهم بمفارقتي ، قلت له : سألتك بالذي قدرك على هذا الذي رأيت إلا ما أخبرتني من أنت . قال : أنا محمد بن

علي بن موسى بن جعفر (ع) .

فترقى الخبر إلى محمد بن عبد الملك فبعث إلي وأخذني وكبلني في الحديد وحملني إلى العراق فقلت له : ارفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك ففعل وذكر ما كان وقع في قصته ، فقال له : قل للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة ، ومن الكوفة إلى المدينة ، ومن المدينة إلى مكة وردك من مكة إلى الشام أن يخرجك من حبسك هذا ، قال علي بن خالد : فغمني ذلك من أمره ورققت له ، وأمرته بالقرار والصبر ، قال : ثم بكرت عليه من الغد ، فإذا الجند وصاحب الحرس وصاحب السجن وخلق الله خلقاً وهم في كلام ، فقلت ماذا ؟ فقالوا إن المحمول فقد تنبأ البارجة فما ندري أخسفت به الأرض أم اختطفته الطير ، فيا لها من مناقب لا يجحدها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته ، وحملته العداوة وقبح سريرته ، فما أعماهم عن الحق المبين وما أشد نفاقهم في إطفاء نور الله الظاهر المستبين ، وكم له من معاجز أوجب له هذا الداء الدفين ، فواضحة الإسلام والمؤمنين فقد أصبح كتاب الله مهجوراً ، ورسول الله محروباً وموتوراً فلعنة الله على القوم الظالمين .

ولله در من قال :

| | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| سأنعى التقي والجود إذ فقدنا بما | جری من ولاة الجور في خيرة الرضا |
| على الدار من بعد الجواد عفاتها | فواضحة الإسلام من بعدما قضى |
| محمد جواد الأولياء ومن له | فضائل لا تحصى يضيق بها الفضأ |
| ستبكيه عين المجد والشرف الذي | تساوى وعين العلم والحق والرضا |
| فواعجباً للخلق بعد افتقاده | يقربهم وجه الثرى بعدما مضى |
| سأبكيه ما دامت حياتي وبعدهما | أكون رميمًا لست عن ذاك معرضاً |

حكى عن شيخ من أصحابنا عن محمد بن الرضا قال : احتال المأمون على أبي جعفر (ع) بكل حيلة فلم يمكنه فيه شيء ، فلما اعتل وأراد أن يبني عليه أبنية دفع مائتي وصيفة من أجمل ما يكون ، وأعطى كل واحدة جاماً فيه

جوهرة يستقبلن أبا جعفر (ع) إذا قعد في موضع الأجناد ففعلن ، فلم يلتفت (ع) إليهن ، وكان هناك رجل يقال له مخارق صاحب صوت وعود وطرب ، طويل اللحية ، فدعاه المأمون فقال : يا أمير المؤمنين إن كان فيه شيء من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره ، فقعد بين يدي أبي جعفر (ع) فشهو مخارق شهقة أجمع عليه أهل الدار ، وجعل يضرب بعوده ويغني فلما فعل ساعة وإذا أبو جعفر (ع) لا يلتفت إليه يمينا ولا شمالاً ، ثم رفع (ع) رأسه وقال اتق الله يا ذي العتنون ، فسقط المضراب من يده والعود ، فلم ينتفع بيده إلى أن مات ، قال فسأله المأمون عن حاله قال : لما صاح بي أبو جعفر فزعت فرعة لا أفيق منها أبداً .

وروى محمد بن علي الهاشمي قال : دخلت على أبي جعفر صبيحة عرسه بحبيبة بنت المأمون ، وكنت تناولت من الليل دواء ، فأول من دخل عليه في صبيحته أنا وقد أصابني العطش ، فكرهت أن أدعوبالماء ، فنظر أبو جعفر (ع) في وجهي وقال : أظنك عطشاناً ؟ فقلت : أجل فقال : يا غلام اسقنا ماء ، فقلت : الساعة يأتونه بماء يسمونه فيه فاغتممت لذلك ، فأقبل الغلام ومعه الماء فتبسم في وجهي ثم قال : ناولني الماء فناوله الماء فشرب ثم ناولني فشربت ، ثم عطشت أيضاً ففعل مثلما فعل في الأول ، فلما جاء الغلام ومعه القدح قلت في نفسي مثلما قلت في الأول ، فتناول القدح (ع) فشرب فناولني فشربت . قال محمد بن حمزة : فقال لي هذا الهاشمي أظنه كما تقولون فكلم له مثل هذه المناقب التي تملأ الكتب والطوامير ، وتزعزع في قلوب أعدائه ثاقبات السعير حتى جردوا لهم سهام العداوة ولم يدعو لهم قليل ولا كثير ، فما منهم إلا مسجون مظلوم وذبيح مسموم سيما من الرجيم المأمون الملعون ، بعدما فعل بأبيه من القتل وسقي السموم فحسده بعد أن بوأه مقامات الغدر ليسقيه المنون ، وأبى الله أن يكون ذلك على يديه فحال بينه وبين مراده لأن الأقدار قد أجرت قتله (ع) على يد غيره من الفجار .

وقد روي أنه بعدما تزوج بأم الفضل في بغداد أقام وقتاً ، ثم أنه صلوات الله عليه عزم على الرجوع إلى المدينة ، فلما توجه (ع) من بغداد منصرفاً من عند المأمون ومعه أم الفضل قاصداً إلى المدينة ، صار إلى شارع باب الكوفة ومعه الناس يشيعونه ، فانتهى إلى دار المسيب عند مغيب الشمس ، فنزل ودخل المسجد وكان في صحن المسجد نبقة صغيرة لم تحمل قبل ، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل النبقة وقام (ع) بالناس صلاة المغرب ، فقرأ في الأولى الفاتحة وإذا جاء نصر الله والفتح ، وقرأ في الثانية الحمد وقل هو الله أحد ، وقتت قبل ركوعه منها وتشهد ، وقام للثالثة وتشهد وسلم ، ثم جلس هنيئة وذكر الله عز وجل وقام من غير تعقيب ، وصلى النوافل أربع ركعات وعقب بعدها وسجد سجدي الشكر ثم خرج (ع) ، فلما وصل النبقة هزها فرأها الناس قد حملت حملاً حسناً فتعجبوا من ذلك فأكلوا فوجدوه نبقاً حلواً لا عجم له وودعوه ومضى (ع) من ساعته إلى المدينة ، فلم يزل بها حتى أشخصه المعتصم في سنة خمسة وعشرين ومائتين إلى بغداد ، وهي المرة الثانية لأنه خرج قبلها وقد ذكرناها في المقدمة برواية إسماعيل بن مهران وهي التي بكى له عند خروجه وسؤاله عنها من الذي يلي الأمور بعده ، فهناك ودعه ورفاقه وسار الإمام (ع) إلى أن وصل إلى بغداد ومعه أم الفضل ، فأقام هناك والمعتصم يبتغي له الغوائل وينصب له الحبال ، وهو (ع) عالم يؤول الأمر إليه وما يجري من سمه وشهادته على يديه ، والله دره من شهيد قد شهد الله له بالمرتبة العليا ، حيث تبوأ مقام آبائه (ع) ، وقدم على ما قدموا عليه ولم يتولد له من الذكور سوى أبي الحسن علي الهادي (ع) .

وكان السبب في شهادته (ع) ما روي عن ابن أرومة قال : إن المعتصم جمع جماعة من خواصه ووزرائه فقال : اشهدوا علي محمد الجواد شهادة واكتبوا كتاباً أنه يريد أن يخرج علي ، ففعلوا ذلك ثم دعاه فقال له : إنك أردت أن تخرج علي فقال (ع) : والله ما فعلت شيئاً من ذلك ، فقال : إن فلاناً وفلاناً

يشهدون بذلك عليك ثم أحضرهم فقالوا : هذه الكتب أخذناها من يد بعض غلمانك ، قال : وكان في بهو ، فرجع أبو جعفر (ع) يده وقال : اللهم إن كانوا كذبوا علي فخذهم قال : فنظرنا إلى ذلك البهو كيف يرجف وكيف يذهب وكيف يجيء وكلما قام واحد وقع لوجهه ، فقال المعتصم : يا بن رسول الله أنا نائب مما قلت فادع ربك أن يسكنه فقال (ع) اللهم سكنه فإنك تعلم أنهم أعداؤك وأعدائي ، فسكن البهو من وقته .

ولله در من قال :

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| أتمعد في قتل الوصي جوادها | أمعتصم لا زلت مشوى عذابه |
| وباب علوم الله أصل رشادها | عمدت إلى ركن الهداية والندی |
| بني عمكم ركن العلا وعمادها | فأي ذحول أورثت لكم على |
| وجاوزتم في الظلم آل زيادها | لقد زدتم في الجور آل يزيدا |
| يزيد على ظلم لكم بل وعادها | فما ظلم فرعون لموسى وآله |

وفي تفسير العياشي بإسناده عن زرقان صاحب ابن أبي داوود قال : رجع ابن أبي داوود يوماً من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له في ذلك فقال : وددت أني اليوم فقدت منذ عشرين سنة فقلت له : ولم ذلك ؟ قال : لما كان من هذا الأسود - يعني محمد بن علي الجواد (ع) - بين يدي أمير المؤمنين ، فقلت له : كيف كان ذلك ؟ فقال : إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة أن يطهره بإقامة الحد عليه ، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد حضر محمد بن علي الجواد (ع) وسأله عن القطع من أي موضع يجب أن يقطع فقال (ع) من أصول الأصابع فقلت أنا من الكرسوع لأن اليد هي الكف إلى الكرسوع لقوله تعالى في التيمم ﴿ فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾^(١) واتفق على ذلك قوم وقال آخرون : بل يجب القطع من المرفق ، وسار الحديث والقصة إلى أن قال : فاستصوب رأيه المعتصم وأمر بقطع يد السارق من أصول الأصابع دون الكف .

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٣ ، وسورة المائدة ، الآية : ٦ .

قال ابن أبي داوود : قامت قيامتي وتمنيت أن لم أكن شيئاً مذكوراً : قال زرقان : فصرت إلى المعتصم بعد ثلاثة أيام فقلت له : إن نصيحة الأمير علي واجبة ، وأنا اكلمه مما أعلم أنني أدخل به النار فقال ؛ وما هو ؟ فقلت : إذا جمع لأمر المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك ، وقد حضر مجلسه نوابه وقواده ووزراؤه وكتابه ، وقد استمع الناس بذلك من أربابه ثم يترك أقاويلهم كلهم إلى رجل يقول : شطر هذه الأمة بإمامته ويزعمون أنهم مقتدون به وبأمرته ثم يحكم بحكم دون حكم الفقهاء ، قال : فتغير لونه وانتبه لما نهته وقال : جزاك الله بنصيحتك خيراً ، قال : فأمر في اليوم الرابع الأمراء من كتابه ووزرائه أن يدعوهم إلى منزله ، فدعاه معهم فأبى (ع) عليه وقال : إني لا أحضر مجالسكم فقال المعتصم : إنما أدعوك إلى الطعام وأحب أن تطل بيابي وتدخل منزلي فأتبرك بذلك ، قال : فصار (ع) إليه فلما طعم منها أحس بالسم فدعى بدابته (ع) ، فسأله أرباب المنزل أن يقيم فقال (ع) : خروجي من دارك خير لك ، فلم يزل (ع) يومه ذلك يتلوى حتى قبض صلوات الله عليه .

وفي رواية عن الرضا (ع) أنه قال يقتل ابني محمد (ع) غصباً ، فتبكي عليه أهل السماء والأرض ، ويغضب الله عز وجل على عدوه وظالميه ، ولم يلبث إلا سنة حتى يحل الله به عذابه الأليم وعقابه الشديد الجسيم .

وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ره) قال : كان سبب وفاته (ع) أن زوجته أم الفضل بنت المأمون لما رزق الله محمد الجواد ابنه علي الهادي (ع) من غيرها انحسرت عنه وسمته في تسعة عشر حبة عنب ، وكان (ع) يحب العنب فلما أكلها بكت فقال لها : مم بكأوك ، والله لا ليضربنك الله بفقر لا ينجبر وبلاء لا يستقر ، فبلبت بعده بعلقة في أغمض المواضع من بدنها وأنفقت عليها ملكها حتى احتاجت إلى رفق الناس ، وروي أنها سمته في قرص فلما أحس بذلك قال لها : بلاك الله ببلاء لا دواء له ، فوقعت أكلة في فرجها

فكانت تنكشف إلى الطبيب ينظر إليها ويستردن عليها بالدواء فلم ينفعها شيء حتى ماتت من علتها .

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| شعار من قد سمت أفضل الرسل | يا قاتل الله من أحيت بفعلتها |
| أبكيت فاطمة والمصطفى وعلي | بشراك فيما فعلت بالجواد لظلي |
| تهدم الدين والكرسي في ميل | والهفتاه لمسموم بسمته |
| حيث الجواد قضا بالحادث الجلل | وأصبح الجود ملحد بحفرته |
| فعله الكون أضحت ثم في عطل | فلا الوجود وجود بعده أبداً |
| جفت بحار علوم الله في كمل | ولا السرور سرور بعده ولقد |
| فداً له من صروف الدهر والنكل | وددت أن جميع الخلق قد فقدت |
| شمس النهار على الأكام والطلل | صلى عليه إله العرش ما طلعت |

وفي عيون المعجزات لعلم الهدى قال : روي أن المعتصم جعل يعمل الحيل في قتل أبي جعفر (ع) ، فأشار على ابنه المأمون زوجته بأن تسمه لأنها منحرفة ، فاطلع على انحرافها عن أبي جعفر (ع) وشدة غيرتها عليه لتفضيله أم أبي الحسن الهادي (ع) ولأنه لم يرزق منها بولد ، فأجابته إلى ذلك وتعمدت عليه وجعلت له سمّاً في عنب ووضعته بين يديه (ع) ، فلما أكل ندمت وجعلت تبكي فقال لها : مما بكائك ؟ فدعا عليها بما تقدم ذكره .

قال الراوي فلما سقته السم بأمر المعتصم اللعين خافت على نفسها ، فدخلت في قصر المعتصم مع حرمه وأقامت معهن لما صدر منها ، فضاغف الله عذابها وشدد عليها عقابها ، ثم أن الإمام بقي والسم يجري في مفاصله وكان العام الذي أشخص (ع) فيه أبو جعفر محمد بن علي الجواد (ع) من المدينة المنورة إلى بغداد لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين ، وكان ذلك بعد المأمون بثلاثين شهراً .

قال الراوي على ما في الكتاب : فلما حان حينه وقرب وقته ، وعلم

أنه (ع) سائر إلى روح الله ورضوانه ، دعا بابنه أبي الحسن علي الهادي (ع) ونص عليه بمحضر جماعة من خواص شيعته ومواليه وثقاته ، وسلم إليه ما كان عنده من مواريث الأنبياء ثم قال: إن الإمام بعدي علي (ع) ، أمره أمري وقوله قولِي وطاعته طاعتي وطاعة الله ، ثم سكت . فقلت: يا بن رسول الله فمن الإمام بعده ؟ قال: الحسن ابنه قلت: فمن الإمام بعد الحسن (ع) ؟ فبكى (ع) بكاءً شديداً ثم قال: بعد الحسن ابنه المهدي (ع) القائم بالحق المنتظر ، فقلت له: يا بن رسول الله ولم سمي القائم ؟ فقال: ألا إنه يقوم بالأمر بعد فوت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته ، قلت: ولم سمي المنتظر ؟ فقال: (ع) لأنه (ع) له غيبة تكثر أيامها وتطول مدتها ، وينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ، ويستهزئ بذكره الجاحدون ، ويكذب به المنافقون ، ويهلك المستعجلون وتهلك فيه المسلمون .

وروي الخيزراني عن أبيه أنه كان يلزم باب أبي جعفر للخدمة التي كان وكل بها ، وكان أحمد بن محمد بن عيسى يحيى في سحر كل ليلة ليعرف خبر علة أبي جعفر (ع) ، وكان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر (ع) وبين أبيه (ع) إذا حضر قام أحمد وخلا به ، فخرجت ذات ليلة وقام أحمد عن المجلس وخلا أبي بالرسول ، واستدار أحمد فوقف يسمع الكلام ، فقال الرسول لأبي: إن مولاك يقرؤك السلام ويقول لك: إني ماض والأمر سائر إلى ابني علي (ع) ، وله عليكم ما كان لي عليكم بعد أبي ، ثم مضى الرسول ورجع أحمد إلى موضعه وقال لأبي: ما الذي قال لك ؟ قال: خيراً قد سمعت ما قال فلا تكتمه ، وأعاد ما سمع فقال له أبي: قد حرم الله عليك ما فعلت لأن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ ولا تجسسوا ﴾^(١) فاحفظ الشهادة لعلنا نحتاج إليها يوماً وإياك أن تظهرها إلى وقتها ، فلما أصبح أبي كتب نسخة الشهادة والرسالة في

(١) سورة الحجرات ، الآية: ١٢ .

عشر رقاد وختمها ودفعها إلى عشرة من وجوه الصحابة وقال: إن حدث بي حدث الموت قبل أن أطلبكم بها فافتحوها واعملوا بما فيها ، فلما مضى أبو جعفر (ع) ذكر أبي أنه لم يخرج من منزله حتى قطع على يده نحو من أربعمئة إنسان ، واجتمع رؤساء الصحابة عند محمد بن الفرغ يتفاوضون في هذا الأمر ، فكتب محمد بن الفرغ إلى أبي يعلمه باجتماعهم عنده وأنه لولا مخافة الشهرة لصار معهم إليه ويساعدهم عليه ، فركب أبي وصار إليه فوجد القوم مجتمعين عنده فقالوا لأبي: ما تقول في هذا الأمر؟ فقال أبي لمن عنده الرقع: احضروا الرقع ، فحضورها ، قال بعضهم: قد كنا نحب أن يكون معك في هذا الأمر شاهداً آخر فقال لهم: قد أتيتكم به ، هذا أبو جعفر الأشتر يشهد بسماع هذه الرسالة ، وسأله أن يشهد بما عنده ، ففكر أحمد أن يكون سمع من هذا شيء ، فدعاه أبي إلى المباهلة فقال لما حقق عليه قد سمعت ذلك وهذه مكرمة أحب أن تكون لرجل من العرب لا لرجل من العجم فلم يبرح القوم حتى قالوا بالحق جميعاً .

قال الراوي لي في قضية وفاته (ع): وكان السم يجري في بدنه فلم تطل لذلك مدة له حتى قضى به شهيداً وعرج به إلى ساحة الرضوان ، وصار إلى عالم البقاء وجوار آبائه (ع) في رياض الجنان ، وقامت الواعية في داره (ع) وعلا الضجيج والبكاء والعويل من الهاشمين والعلويين من آل عدنان ، فهم بين نادب ونادبة وبك وبكاء وبأصوات عالية ونوح وعويل ، وصارت الشيعة في حزن شديد وهم مبيد ، وكل منهم ينادي وإماماه وسيداه ومحمداه وكفيل اليتامى والمساكين وثمان المنقطعين ومأوى الضائعات والضائعين ، ثم أن ابنه أبو الحسن علي الهادي (ع) قام في جهازه وغسله وتحنيطه وتكفينه كما أمره وأوصاه ، فغسله وحنطه وأدرجه في أكفانه وصلى عليه في جماعة من شيعته ومواليه ، وكان هارون بن اسحاق حاضراً هناك فلما علم بالحال ركب ومضى إليه وصلى عليه عند منزله في رحبة سوار بن ميمون من ناحية قنطرة البردان ، فلما فرغوا من الصلاة عليه حملوه على سريره وساروا به وهم يبكون ويلطمون

عليه الخدود ويندبون في حزن وطيش إلى مقابر قريش متنغصاً عليهم النعيم والعيش ، ثم أنهم وضعوه وألحدوه في مقابر قريش بجانب جده موسى بن جعفر (ع) الكاظم ، فوقف ابنه علي الهادي (ع) على قبره قائلاً: واأبتاه وا محمداه آه وا وحدتاه وا قلة ناصره وا نقطاع ظهره ، ليتني كنت لك الفدا يا أبتاه من بعدك وا وحشتاه فراقك قد أعمى عيني وهيج حزني وقطع نياط قلبي ، يا أبتاه اقرأ آباءك عني السلام وأخبرهم بما نحن فيه من الهوان ، يا أبتاه مضيت عنا ولم يطل لك العمر وتبلغ الكهولة في الحياة يا أبتاه ، ثم انكفأ عنه سخين العين باكي الناظر ، وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إن الله وإنا إليه راجعون .

وكان عمر محمد الجواد (ع) حينئذ على ما جاءت به الروايات خمسة وعشرين سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً أقام منها مع أبيه الرضا خمسة سنين وشهراً ، وأقام بعده عشرين سنة وشهرين وقيل عشرين سنة إلا شهراً ، وكانت إمامته (ع) في بقية أيام المأمون ثم هلك المأمون ، وكان أيام المعتصم أخ المأمون ثمان سنين وشهراً وقد استشهد مولانا الإمام محمد الجواد في أيامه بسم له في أشهر الروايات .

وإنما اختلفت الروايات في يوم وفاته ففي خبر محمد بن سنان قال: قبض محمد بن علي الجواد (ع) في يوم الثلاثاء لست خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين وهو ابن خمس وعشرين سنة وثلاثة أشهر واثنى عشر يوماً وبه أخذ . وفي رواية المفيد كما في مسار الشيعة أنه توفي يوم الثلاثاء وهو يوم الحادي عشر من ذي القعدة وينبغي لبس شعائر الأحزان في هذه الأيام كلها ، وفي كل آن ليحصل الجزاء من الرب المنيل :

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| مضى الجواد فوالهفي على الدين | خذوا حدادكم يا آل ياسين |
| فإن مولى الورى قد قام نادبه | يقول من لستيم أو لمسكين |
| فضجت الرسل والأملاك تندبه | وجررت لمم التقوى على الطين |

والجود أصبح منبوذاً بحفرته
يا عين سحي عليه أدمعاً ودماً
قومي على جدث قد حل فيه تقى
وكيف يبخل من جلت مصيبته
أحيت مصيبته في الناس كلهم
أبكت عيون رسول الله من تليت
والشرع أصبح فيه فاقده العين
بكل لؤلؤ أمسى فيك مكنون
واهرقى كل دمع فيك مخزون
لديه بالدمع أو يهني بتزيين
مصيبة الطف في ابن الميامين
عليه من عالم الایجاد والكون

قال الراوي كما في عيون المعجزات: أنه لما قبض أبو جعفر دخلت
حكيمة بنت الحسن الورشي وكانت من النساء الصالحات على امرأته أم الفضل
قالت: لما دخلت عليه عزيتها فرأيتها شديدة الحزن والجزع والبكاء والحنين ،
حتى كادت أن تقتل نفسها بالبكاء والعيول ، فخفت عليها أن تنصدع مرارتها
فجريت معها في الحديث في كرمه وفضله وما أعطاه الله عز وجل من الفضل ،
فأخبرتني عنه بشيء لا يلبسه الله إلا من تردا برداء العصمة وأنزله المقام الكريم
وجعل له الشأن العظيم ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ (١) .

للمؤلف:

الله درك من ضريح قد حوى
قبر سنا أنواره تجلو العمى
قبر تمثل للعيون محمد
قبر إذا حل الوجود بربعه
وتزودوا أمن العقاب وآمنوا
الله عن ذنب لهم متصفحاً
أن يغن عن سقي الغمام فإنه
جسد النبي من السلام سلام
وقبر به دفعت به الأسقام
ووصيه والمؤمنون قيام
رحلوا وحطت منهم الآثام
من أن يحل عليهم الإعدام
وبذاك عنهم جفت الأقلام
لسواه ما يسقى البلاد غمام

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٤ .

ثملا ويزهو الحل والإحرام
من دونه حقاً له الإعظام
فالمس منه على الجحيم حرام
وله بجنات السخلود مقام
قسماً إليه تنتهي الأقسام
وعلى علي رحمة وسلام
رب بواجب حقها علام
السيط الشهيد ومن له الإكرام
وعلي والحسن الزكي سلام
ثم النظام فكان فيه ختام
وعلى يديه تعذب الأصنام
بين الأنام ولا علا الإسلام
علما الهدى فهم له أعلام
الله فيهم حرمة وذمام
والجاحدون بفضلكم أنعام
ما دامت الأوقات والأعوام
كيما يكون لنا بكم اعظام
منكم وزلت منهم الأقدام
وإمامهم تيمم كذاك دلام
بغياً وتاهوا في الضلال وهاموا

قبر به نجل الرضا وبه الرضا
فرضوا إليه السعي كاليث الذي
من زاره في الله عارف حقه
ومقامه لاشك يحمد في غد
وله بذاك الله أوفى ضامن
صلى الإله على النبي محمد
وكذا على الزهراء صلى سرمداً
وعلى ابنها الحسن الزكي ونجلها
وعلى علي ذو التقى ومحمد
وعلى خليفته الذي لكم به
فهو المؤمل أن يعود به الهدى
لولاكم ما قام دين محمد
أنتم إلى الله الوسيلة والاولى
أنتم ولاة الدين والدنيا ومن
ما الناس إلا من أقر بفضلكم
اني لأرثيكم وأبكي رزؤكم
وأعده ذخراً وحصناً في غد
ولقد برئت من الذين تبرؤا
وهم عدي وحبتر شر الورى
ومن العبابسة الذين تمردوا

وفاة الإمام
عليّ الهاديّ
"عليه السلام"

تأليف
العلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عصفور
الدارزي البجرافي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادي عباده إلى ولاية أهل البيت (ع) ، المحبب لهم القيام بوظائف الولاية التي بها كمال العناية والاعتصام النادب لهم الاشتغال بتلك الخصال ، التي توجب لهم الفرح لفرحهم ، والجزع لجزعهم ، في كل حالة ومقام ، والصلاة والسلام على محمد وآله الذين ابتلاهم بالمصائب العظام ، وامتنحنهم بفظائع أوجبت لهم القتل والأسر وعدم الإحترام ، صلاة دائمة بدوام الليالي والأيام .

وبعد فيقول المذنب المنغمس في بحار الذنوب كالأنام حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني : إن هذه نبذة جمعت فيها ما وصل إليه نظري من أخبارهم الواردة في وفاة الإمام علي الهادي (ع) ، ذي المكارم والأبيادي ، وما جرى له في عمره الشريف من المصائب من الاوغاد والأعادي ، مضيقات لها طرفاً من المعجزات الشاهدة لفضائله وكراماته بين الخاص والعام ، والحاضر والبادي ، لتجتمع أخبار الشيعة في تلك المجالس والنوادي ، فيثابرون على ذلك الاجتماع ونشر تلك الفضائل والمراثي ، كما هي السيرة الجارية في الأواخر والمبادي ، وأذكر خلاف تلك الأخبار ما يناسبها من الأشعار كما هي طريق السيرة المتقدمة في مواليدهم ومراثيهم ، وأجعل ذلك كمال زادي ، وذخيرة ليوم معادي ، وسميتها : (ضياء النادي ورواء الصادي ،

في وفاة علي بن محمد النقي الهادي) ، جعلته مشتملاً على مجالس ثلاثة :
المجلس الأول : منها في النص عليه من آبائه الطاهرين ، مع ذكر نسبه
الشريف أمّاً وأباً ، وتاريخ ولادته (ع) وبروزه من أولئك النجباء ، وما خصه الله
تعالى به اسماً وكنية ولقباً .

المجلس الثاني : في معاجزه التي طبقت الآفاق شرقاً وغرباً .

المجلس الثالث : فيما وقع عليه من خلفاء زمانه البذين اجتروا عليه
وسقوه كاسات المنون قلاء ونصباً ، وبالله أستعين إنه خير موفق ومعين .

المجلس الأول في النص عليه من أبائه

روى في المناقب أن اسمه الشريف الذي سماه الله به كما في حديث اللوح المنزل بأسمائهم وألقابهم وآبائهم وأمهاتهم فهو علي بن محمد التقي ، العالم ، الفقيه ، الأمين ، المؤمن ، الطيب ، المتوكل ونسبه (العسكري) نسبة إلى المحل الذي سكنه بسر من رأى حتى قبضه الله إليه وكذلك ابنه (ع) ، وكان أطيّب الناس بهجة ، وأصدقهم لهجة ، وأمنحهم من قريب ، وأكملهم من بعيد ، إذا صمت كان له هبة الوقار ، وإذا تكلم بزغ منه سيماء البهاء والفخار ، وأمه يقال لها سمانة والمرية .

وكان مولده الشريف يوم الجمعة ثاني رجب الأصعب أو خامسه أو منتصف شهر ذي الحجة الحرام .

وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناده عن محمد بن الفرّج بن عبد الله قال: دعاني أبو جعفر محمد بن علي الجواد وأعلمني أن قافلة قدمت وفيها نخاس معهم جوار ، ودفع لي سبعين ديناراً وأمرني بابتياح جارية وصفها لي ، فمضيت فعملت بما أمرني وكانت الجارية أم أبي الحسن الهادي .

وفي رواية أخرى عن محمد بن الفرّج وعلي بن مهزيار عن السيد أنه قال: أمة عارفة بحقي ، لا يقربها شيطان مارد ، ولا ينالها كيد جبار عنيد ، وهي

كانت بعين الله تعالى التي لا تنام ، ولا تخلف عن أمهات الصديقين
والصالحين ؟

وأما النص عليه من أبيه فقد بلغت أخباره التواتر ، وعن إسماعيل بن
مهزيار أنه قال : لما خرج أبو جعفر (ع) من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى
من خروجه ، قلت له : جعلت فداك إني خائف عليك من هذا الوجه فإلى من
الأمر من بعدك ؟ فكرّ بوجهه (ع) إلي ضاحكاً وقال : ليس الأمر حيث ظننت في
هذه السنة فلما استدعى به المعتصم صرت إليه فقلت له : جعلت فداك ها أنت
خارج فإلى من الأمر من بعدك ، فبكى (ع) حتى اخضلت لحيته بالدموع ، ثم
التفت إلي فقال : عند هذه يخاف علي ، فالأمر من بعدي إلى ابني علي ، فإن
أمره أمري ، وقوله قولي ، وطاعته طاعتي ، والإمامة بعده في ابنه الحسن .

وفي الكافي عن أحمد بن أبي خالد مولى أبي محمد بن علي بن
موسى بن جعفر أشهده أنه أوصى إلى ابنه علي لنفسه وإخوانه ، وجعل أمر
موسى إذا بلغ إليه ، وجعل عبد الله بن المساور قائماً على تركته من الضياع
والأموال والنفقات والدقيق وغير ذلك ، إلى أن يبلغ علي بن محمد صير
عبد الله بن المساور ذلك اليوم إليه يقوم بأمر نفسه وإخوانه ، ويصير أمر موسى
إليه يقوم به على شرط أبيهما في صدقاته التي تصدق بها ، وذلك يوم الأحد
لثلاث خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين ، وكتب أحمد بن أبي خالد
شهادته بخطه ، وشهد الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن
الحسين (ع) وهو الجواني على مثل شهادة أحمد بن أبي خالد في صدر هذا
الكتاب ، وكتب شهادته بيده وشهد نصر الخادم وكتب شهادته بيده .

وفي كتاب العيون للسيد المرتضى عن محمد بن عيسى الأشعري أن أبا
جعفر لما أراد الخروج من المدينة إلى العراق ومعاودتها ، أجلس أبا الحسن في
حجره بعد النص عليه ، وقال له : ما الذي تحب أن أهدي إليك من طرائف
فقال (ع) : سيفاً كأنه شعلة نار ، ثم التفت إلى موسى ابنه وقال له : ما الذي

تحب أنت ؟ فقال : فرساً ، فقال (ع) : أشبهني أبو الحسن وأشبه هذا أمه .

ولله در من قال :

فلله مولود علا في سمائه فأظهر سيما السن من صغر السن
ولا غرو منه فهو نور مؤلق من العالم العلوي أولاه ذو المن
وصيره في عالم القدس حجة لأملأكه مع عالم الانس والجن
لقد حسدته ولد أعمامه الأولى أبادوهم بالقتل والأسر والسجن
وقد أقفرت تلك الربوع عقيهم من العلم والمعروف والجود والمن
ومن عجب كيف الورى يحسدونهم وهم حجج الباري على الحر والقن

وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ره) عن هارون ابن الفضل ،
عن رجل كان رضيع أبي جعفر الثاني (ع) قال : بينما أبو الحسن (ع) مع مؤدبه
إذ بكى بكاءً شديداً ، فقال له المؤدب : مما بكائك ؟ فلم يجبه ، ثم قال له :
إئذن لي بالدخول في هذه الدار فأذن له ، فارتفع الصباح من داره بالبكاء
فخرج (ع) إلينا فسألناه عن السبب في بكائه فقال (ع) : إن أبا جعفر توفي
الساعة ، فقلت له : من أعلمك ؟ فقال (ع) : دخلني من جلال الله شيء لم أكن
أعرفه فعلمت أن أبي قد مضى ، قال : فكتبنا ذلك اليوم والشهر إلى أن ورد خبره
فإذا هو في ذلك الوقت بعينه قال : وكان سيدنا أبو الحسن (ع) يومئذ ابن ثمان
سنين .

وفي رواية اخرى عن هارون بن الفضل قال : رأيت أبا الحسن - يعني
صاحب العسكر - في اليوم الذي توفي فيه أبوه يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون
مضى أبو جعفر ، فقلت له : كيف تعلم وهو ببغداد وأنت بالمدينة ؟ فقال (ع) :
لأنه لحقني من ذلك ذلة واستكانة الله عز وجل ولم أكن أعرفها ، فعلمت أنه
مضى ، وليس ذلك ببعيد منهم فإنهم مفطرون على العلم بالمغيبات الذي لا
يدركها سائر النبيين والمرسلين ، ولذا تحمل الخلافة وهو ابن ثمان سنين كما
تحملها عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا ، وكانت لوالده يوم مات جده ،

وكانت مدة إمامة الهادي (ع) بعد أبيه (ع) ثلاثة وثلاثون سنة ، وكانت إمامته في بقية ملك المعتصم ، وملك الواثق خمس سنين وتسعة أشهر ثم هلك ، وملك المتوكل أربعة عشر سنة ، ثم بقي (ع) بقية تلك المدة في خلافة المنتصر والمستعين والمعتز ، وفي ملك المعتصم استشهد (ع) كما سيجيء ، وكان المتوكل أشدهم عداوة إليه فلا زال يضممر له الغوائل ، وينصب لبغضه الحبائل ، وكان دار ملكه لعنه الله سر من رأى ، ومولانا الهادي (ع) مقيم بها بعد إشخاصه من المدينة بأمر المتوكل ، وإنما فعل ذلك به ليصرف وجه الناس عنه لما رأى من زهده (ع) ومجده وفضله ، وما أعطاه الله من المهابة والجلالة والكرامة والنبالة والإحاطة بجميع احكام الدين ، وبما في الكتاب المستبين المكنون وما كان وما يكون ، فخرج هذا الأمر عنه إلى بني العباس .

وروي عن يحيى بن زكريا كما في كشف الغمة وغيره قال : دعاني المتوكل وقال : اختار ثلاثمائة رجل ممن تريد واخرجوا إلى الكوفة وخلفوا أنفالكم فيها ، واخرجوا على طريق البادية إلى المدينة واحضروا علي بن محمد الهادي إلى عندي مكرماً معظماً .

قال الراوي : وسبب ذلك الإشخاص من المدينة إلى سر من رأى ما روي في كتاب (الفصول المهمة) أن عبد الله بن محمد كان مستتيب الخليفة المتوكل عليه لعائن الله في الحرب والصلاة بالمدينة المنورة على مشرفها وآله الصلاة والسلام ، فسعى ذلك النائب في أبي الحسن (ع) إلى المتوكل بغضاً وحسداً ، وكان يقصده بالأذى غيظاً وكمداً ، فبلغ أبا الحسن (ع) سعابته به فكتب إلى المتوكل بتحميل عبد الله بن محمد عليه ، وقصده الأذى منه له ، فتقدم المتوكل بالكتاب إليه على جهل من القول والفعل ، وكانت صورة الكتاب الذي كتبه له (ع) :

بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد : فإن أمير المؤمنين عارف لقدرك ، مراعاة لقرابتك موجب لحقك ، مؤثر من الأمر فيك وفي أهل بيتك ، لما فيه صلاح حالك وحالهم ، وتثبيت عزك وعزهم ، وإدخال الأمر عليك وعليهم ، يبتغي بذلك رضا الله وأداء ما افترضه فيك وفيهم ، وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولاه بمدينة الرسول من الحرب والصلاة إذا كان الأمر على ما ذكرته لي من جهالته بحقك ، واستخفافه بأمرك وما رماك به وأغراك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه ، ولما تبين له من صدق نيتك ، وحسن طوبيتك وسلامة صدرك ، وأنت لم تؤهل نفسك لشيء مما ذكر عنك ، وقد ولى أمير المؤمنين ما كان يليه عبد الله بن محمد من الحرب والصلاة بمدينة الرسول لمحمد بن الفضل ، وأمر بإكرامك وخدمتك وتوقيعك وتبجيلك والانتهاة إلى أمرك ورأيك وعدم مخالفتك ، والتقرب إلى الله تعالى ورسوله وأمير المؤمنين بذلك ، وأمير المؤمنين مشتاق إليك ، يحب احداثك العهد بقربك ، والتميز بالنظر إلى ميمون طلعتك المباركة ، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله وأحبيت ذلك حضرت أنت ومن اخترته من أهل بيتك ومواليك وحشمك وخدمك على مهل وطمأنينة ، ترحل وتنزل إذا شئت وتسير كيف شئت ، وإن احبيت أن يكون يحيى بن هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين في خدمتك هو ومن معه من الجند ، يرحلون برحيلك ، وينزلون بنزولك ، والأمر إليك في ذلك ، وقد كتبت إليه في طاعتك بجميع ما تحب ، فاستخر الله تعالى فما عند أمير المؤمنين من أهل بيته وولده وخاصته ألطف منزلة ، ولا أثر ولا انظر اليهم وأبر بهم وأشفق عليهم وأسكن إليهم منك إليه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب إبراهيم بن العباس في سنة ثلاث وأربعين ومائتين من الهجرة ، فلما وصل الكتاب إلى أبي الحسن (ع) تجهز للرحيل ، وأزمع على الانتقال

والتحويل ، وخرج معه يحيى بن هرثمة مولى المتوكل ومن معه من الجند حافين به .

لقد خذعوه بالمكاتيب إذ رأوا مناقبه تستوجب الشرف العالي
وليس ببدع منهم لو تبوأوا مقامات نصب من عدولهم قالي
يودون أن يفنوه عن جديدها وقد بذلوا فيه خزائن أموال
فقبحاً لهم ، ما جنى سيد الورى بآل بني العباس من سوء أفعال
أتسجن أبناء الكرام عداوة وتشهر هاتيك النساء فوق اجمال
كأن لم يكونوا للنبي قرابة ولم يعرفوا بين الخلائق بالآل
فيا ضيعة الإسلام من بعد فقدهم ويا ذلة الإيمان إذ فقد الوالي
فيا عبرتي صبي ويا فرحتي اذهبي ويا قلب فالبث في عناء وأهوال

قال الراوي: وكان أبو العباس في الوفد الذين أرسلهم المتوكل في إشخاص أبي الحسن (ع) ، وكان يعيب على من يقول بإمامة الهادي (ع) قبل ذلك ، ولم يكن في شيء من أمره (ع) وصار معه وقت خروجه من المدينة راداً من ولايته وما زال عنه الشك وأقر بإمامته ودان بطاعته وزادت عقيدته .

وقد روي عن أبي البصري عن ابن العباس قال: كنا قد تذاكرنا أبا الحسن فقال: يا أبا محمد اني كنت ليس في شيء من هذا الأمر ، وكنت أعيب على أخي وعلى أهل هذا القول عيباً شديداً بالذم والشتم ، إلى أن كنت في الوفد الذين بعثهم المتوكل إلى المدينة في إحضار أبي الحسن (ع) ، فخرجنا من المدينة وصرنا في بعض الطريق فطوينا المنزل وكان يوماً صائفاً شديداً الحر ، فسألناه أن ينزل بنا فقال: لا ، فخرجنا ولم نطعم شيئاً ولم نشرب ، فلما اشتد الحر والجوع والعطش بنا ونحن في تلك الحال في أرض ملساء لا نرى فيها شيئاً من الظل والماء ، فجعلنا نشخص إليه بأبصارنا فقال (ع) : ما لكم أظنكم جوعاً وقد عطشتم ؟ قلنا له: أي والله يا سيدنا قد جعنا وعطشنا ، فقال (ع) : عرسوا ، فابتدرت إلى الفضاء لأنيخ ناقتي ، ثم التفت وإذا أنا

بشجرتين يستظل تحتهما عالم كثير من الناس ، وكنت أعرف موضعهما وهي أرض قراح فقراء ، وإذا أنا بعين تسيح على وجه الأرض أعذب ماء وأبرد ذوق ، فنزلنا وأكلنا وشربنا واسترحنا ، وإن فينا من سلك تلك الطريق مراراً فما رأى فيه شيئاً فوق في قلبي ذلك الوقت أعاجيب وجعلت أحد النظر فيه وأتأمله (ع) فتبسم وطوى وجهه عني فقلت في نفسي والله لأعرفن هذا كيف هو؟ فأتيت من وراء شجرة ودفنت سيفي وجعلت عليه حجرتين وتغوطت عليها في ذلك الموضع وتهيأت للصلاة ، فقال أبو الحسن (ع) : استرحتم؟ قلنا: نعم ، قال: فارتحلوا على اسم الله تعالى ، فارتحلنا فلما سرنا ساعة رجعت على الأثر ، فأتيت الموضع ووجدت الأثر والسيف كما وضعته والعلامة وكان الله لم يخلق هناك شجرة ولا ماء ولا ظلاً ، فتعجبت ورفعت يدي إلى السماء ، وسألت الله تعالى الثبات على المحبة والايمان ، وأخذت الأثر فلحقت القوم فالتفت إلي أبو الحسن (ع) وقال: يا أبا العباس فعلتها؟ قلت: نعم يا سيدي لقد كنت شاكاً فأصبحت وأنا عند نفسي من أغنى الناس بك في الدنيا والآخرة ، فقال (ع) : هو ذلك أنتم معدودون معلومون لا يزيد رجل ولا ينقص رجل .

قال الراوي : فلما وصل (ع) سر من رأى ، أنفذ المتوكل أن يحجب عنه ، فعزلوه بخان يعرف بخان الصعاليك ، فأقام فيه يوماً فلما نزل فيه دخل عليه صالح بن سعيد كما في الكافي والبصائر ، فقال له : جعلت فداك في كل الأمور ، أرادوا إطفاء نورك والنقص بك حتى أنزلوك في هذا الخان الأشنع خان الصعاليك ، فقال (ع) أهاهنا أنت يا بن سعيد ثم أومى (ع) بيده وقال: انظر ، فنظرت فإذا أنا بروضات أنيقات وروضات باسقات فيهن حوريات خيرات عطرات وولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون ، وأطيار وظباء وأنهار تفور وتموج ، فحار بصري وحسرت عيني فقال (ع) حيث كنا فهذا لنا يابن سعيد ، لسنا في خان الصعاليك .

ولله در من قال من الرجال :

فيا لك نور قد تبلج بالعلا
فضائل لا تحصى وإن قام عدها
لحا الله أقواماً غدوا في عقائد
فشنوا لغارات على آل أحمد
ولا سيما تلك الطغاة التي عدوا
لقد بالغوا في أن يبيدوهم على
فمن بين مقتول بسم وبين من
ومن بين مذبح بسيف من القفا

وأبهر خلق الله طهراً وأظهرا
من العالم العلوي فيا لك مفخرا
بها أظلمت كل المدائن والقري
وكم قتلوا منهم إماماً غضنفرأ
لعمهم العباس نسلأ بلا مترا
أتم بلاء قاصم منهم العرى
أبادوه مدفوناً ومن بين مؤسرا
أقام ثلاثاً في التراب معفرا

المجلس الثاني

فيما خصه الله به من المعجزات الروحانية والجسمانية ، وما آثره الله به من مكارم الأخلاق الربانية ، وهي التي أوجبت المحاولة لإطفاء نوره (ع) ، وإخماد أثر حياته ، وكشف بدوره والأشخاص في منازلهم ودوره ، وما لقي بها من مصائب لا تحصى ونوائب لا تستقصى . ففي الخرائج والجرائح عن يحيى بن هرثمة قال: دعاني المتوكل وقال لي : اختر ثلاثمائة رجل ممن تريد واخرجوا إلى الكوفة ، ثم ذكر مثلما تقدم إلى أن قال: فاحضروا علي بن محمد الهادي (ع) إلى عندي مكرماً مبجلاً ففعلت وخرجنا ، وكان في أصحابي قائد من الشراة ، وكان لي كاتب يتشيع وأنا على مذهب الحشوية ، وكان ذلك الشاري يناظر ذلك الكاتب وكنت أستريح إلى مناظرتهمما لقطع الطريق ، فلما وصلنا إلى وسط الطريق قال الشاري للكاتب: أليس من قول صاحبك علي بن أبي طالب (ع) أنه ما في الأرض بقعة إلا وهي قبراً وستكون قبراً فانظر إلى هذه البرية أين من يموت فيها حتى يملأها قبوراً كما تزعمون ؟ قال: فقلت للكاتب هذا من قولكم ؟ قال: نعم ، قال قلت: أين من يموت في هذه البرية العظيمة حتى تملأ قبوراً ؟ وتضاحكنا عليه ساعة حتى انخذل الكاتب في أيدينا .

قال: فسرنا حتى دخلنا المدينة ، فقصدت باب الهادي (ع) فدخلت عليه ، فقرأ كتاب المتوكل فقال: انزلوا وليس في وجهتي خلاف ، قال: فلما

سرت إليه من غد وكنا في تموز أشد ما يكون من الحر ، فإذا بين يديه خياط وهو يقطع ثياباً غلاظاً خفاتين له ولغلمانه ، ثم قال للخياط: إجمع عليها جماعة من الخياطين واسرع من فراغها يومك ، وبكر بها إلي في هذا الوقت ثم نظر إلي وقال يا يحيى إقضوا وطركم من المدينة في هذا اليوم ، واعمدوا إلى الرحيل غداً في هذا الوقت ، فخرجت من عنده وأنا متعجب من الخفاتين وأقول في نفسي: نحن في تموز وحر الحجاز وإنما بيننا وبين العراق عشرة أيام ، فما يصنع بهذه الثياب ؟ والعجب من الرافضة حيث يقولون بإمامته مع فهمه هذا ، فعدت إليه في الغد في ذلك الوقت فإذا الثياب قد أحضرت ، فقال لغلمانه: ادخلوا السوق وخذوا لنا معكم لباييد وبرانس ، فقلت في نفسي: هذا أعجب من الأول أن يلحقنا الشتاء في الطريق حتى يأخذ معه اللباييد والبرانس ، فخرجت معه وأنا أستضعف فهمه فسافرنا حتى وصلنا ذلك الموضع الذي وقعت فيه المناظرة في القبور ، فارتفعت سحابة سوداء واسودت وأرعدت وأبرقت حتى إذا صارت على رؤوسنا أرسلت علينا برداً مثل الصخور ، وقد شد (ع) على نفسه وغلمانه الخفاتين ولبسوا اللباييد والبرانس وقال لغلمانه: ادفعوا إلى يحيى لباداة وإلى الكاتب لباداة وبرنساً ، وتجمعنا والبرد يأخذنا حتى قتل من أصحابي ثمانون رجلاً ، وزالت ورجع الحر كما كان ، فقال لي: يا يحيى أنزل من بقي من أصحابك ليدفنوا من مات منهم ، ثم قال (ع): هكذا يملي الله البرية قبوراً ، قال: فرميت نفسي من على دابتي وعدوت إليه ، فقبلت ركابه ورجليه وقلت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنكم خلفاء الله في أرضه ، وقد كنت كافراً ، والآن قد أسلمت على يدك يا مولاي ، قال يحيى: فلزمت خدمته حتى مضى صلوات الله عليه .

وفيه عن زرافة صاحب المتوكل أنه قال: وقع مشعبث ناحية الهند إلى المتوكل يلعب بالحق ولم ير مثله ، وكان المتوكل لعباً فأراد أن يخجل علي بن محمد (ع) فقال لذلك الرجل إن أنت اخجلته أعطيتك ألف دينار زاكية ، قال:

تقدم واثت لنا بخبز رقاق خفاف واجعلها على المائدة وأقعدني إلى جانبه ،
 ففعل وحضر عليّ بن محمد (ع) وكان له مسورة عن يساره وكان عليها صورتنا
 أسد وجلس اللاعب إلى جنب المسورة ، فمد علي بن محمد (ع) يده إلى
 قرص فطيره ذلك المشعث في الهواء ، فمد يده إلى آخر فطيره وتضاحك
 الجميع ، فضرب علي بن محمد (ع) على تلك الصورة التي في المسورة
 وقال : نخذي عدو الله ، فوثبت تلك الصورة فابتلعت الرجل اللعاب وعادت إلى
 مكانها كما كانت ، فتحير الجميع ونهض علي بن محمد (ع) ليمضي ، فقال له
 المتوكل : سألتك بالله إلا جلست ورددته فقال : والله لا ترى بعدها ، أتسلط
 أعداء الله على أولياء الله ؟ وخرج من عنده .

فلما غلب الشيطان تلك القلوب ولم يراقبوا علام الغيوب حملهم ذلك
 الغل الكامن في الفؤاد ، وأوجب لهم الجحود والإلحاد ، ولم يبالوا بإظهار هذه
 المعاجز التي طبقت الأفاق والسبع الشداد ، فما ازدادوا إلا عداوة وانكاراً وقسوةً
 وأحقاداً ، فما أحراه بهذا الإنشاد حيث يقول :-

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| حسدوهم مع علمهم أنهم | خير البرايا سيداً ومسود |
| لم يراعوا قرب النبي فزادوا | في شقاهم على فعال ثمود |
| كلما أظهروا لما قد تعلموا | من مقام تعنتوا بالجحود |
| ويلك من قرابة حسدتهم | ورمتهم بالحرب كالمطرود |
| بلغت فيهم بقتل وأسر | وعناء فيا لها من حسود |
| قطعت زحمها وولت عداها | فلها الويل قائد ومقود |
| فمصابي لما أصيبوا عظيم | وفؤادي قد صار حر وقيود |
| كيف أنساهم وما قد أصيبوا | من رزايا مفطرات الكبود |
| قد حرمت الهنا ما دمت حياً | ولبست الضنا زمان وجودي |
| ويك يا عين اسكبي الدمع حزنا | ويك لا تبخلي عليهم وجودي |

ومن المعاجز الخارقة للعادة المنسوبة إليه ما روي في الجرائح

والمناقب ، عن علي بن مهزيار قال : ظهرت امرأة في زمان المتوكل تدعي أنها زينب بنت علي وبنت فاطمة بنت رسول الله (ص) ، فقال لها المتوكل أنت امرأة شابة وقد مضى من وقت رسول الله (ص) ما مضى من السنين ، فقالت إن رسول الله مسح على رأسي وسأل الله عز وجل أن يرد علي شبابي في كل أربعين سنة مرة ، ولم أظهر إلى الناس لهذه الغاية فلحقتني الحاجة فصرت إليكم .

فدعا المتوكل المشائخ آل أبي طالب (ع) وولد العباس فعرّفهم حالها فروى منهم جماعة وفاة زينب (ع) بنت فاطمة (ع) في سنة كذا ، فقال لها : ما تقولين في هذه الرواية ؟ فقالت هي كذب وزور ، فإن أمري مستور عن الناس فلا لي موت ولا حياة ، فقال لهم المتوكل : هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرواية ؟ فقالوا : لا فقال : هو بريء من العباس إن تركها عما ادعت إلا بحجة ، فقالوا احضر علي بن محمد الهادي (ع) فلعل عنده شيء من الحجة غير ما عندنا ، فبعث إليه فحضر (ع) فأخبره بخبر المرأة فقال (ع) : كذبت فإن زينب (ع) : توفيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا ، فقال المتوكل : فإن هؤلاء قد رووا مثل ذلك ، وقد حلفت أن لا أتركها عما ادعت إلا بحجة تلزمها ، فقال (ع) : ها هنا حجة تلزمها وتلزم غيرها ، قال : وما هي ؟ قال : (ع) إن لحوم بني فاطمة (ع) محرمة على السباع ، فأنزلها إلى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرها فقال لها : ما تقولين ؟ قالت : إنما يريد هذا قتلي ، فقال (ع) : ها هنا جماعة من ولد الحسن (ع) والحسين (ع) ، فأنزل من شئت منهم قال : فوالله لقد تغيرت وجوه الجميع ، فقال بعض المبغضين له : هو يحيل على غيره فلم لا يكون هو ؟ فقال المتوكل إلى ذلك ، ورجا أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع فقال : يا أبا الحسن لِمَ لا تكون أنت ؟ فقال (ع) : ذلك إليك ، فقال له : إفعل ، فقال (ع) : أفعل إن شاء الله تعالى .

فأوتى بسلم وفتح عن باب السباع وكانت ستة من الأسود ، فنزل الإمام (ع) إليها ، فلما وصل (ع) وجلس صارت إليه ورمت بنفسها بين يديه ،

فجعل يمسح بيده على كل واحد منهم ثم يشير له بالاعتزال فيعتزل ناحية حتى اعتزلت كلها ووقفت بأزائه فقال له الوزير ما هذا صواباً ، فبادر بإخراجه من هناك قبل أن ينتشر خبره فقال له يا أبا الحسن ما أردنا بك سوءاً ، وإنما أردنا أن نكون على يقين مما قلت ، فأحب أن تصعد فقام (ع) وصار إلى السلم وهم حوله يتمسحون بثيابه ، فلما وضع رجله على أول مرقاة انتقل إليها بوجهه وأشار لها بيده أن ترجع فرجعت ، وصعد (ع) ثم قال كل من يزعم أنه من ولد فاطمة (ع) فليجلس في ذلك المجلس فقال المتوكل للمرأة : انزلي فقالت الله الله فيّ ، فقد ادعيت الباطل ، وأنا بنت فلان حملني الضر على ما قلت فقال المتوكل : ألقوها إلى السباع فاستوهبتها منه أمه .

وزاد في كتاب المناقب فيها قال علي بن الجهم : لوجرت قوله على نفسه يا أمير المؤمنين فصرفت حقيقة قوله ، فقال : افعل فتقدم إلى قوام السباع فأمرهم أن يجوعوهم ثلاثة أيام ويحضروهم القصر ، فترسل في صحنه ، وقعد في المنظر وأغلق أبواب الدرجة ، وبعث إلى أبي الحسن (ع) وأمره أن يدخل من باب القصر ، فدخل (ع) فلما صار في الصحن أمر أن يغلق الباب ، وخلا بينه وبين السباع في الصحن .

قال علي بن يحيى : وأنا كنت في الجماعة وابن حمدون ، فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشيت إليه السباع ، وقد سكنت من زئيرها ولم يسمع لها حس ، حتى تمسحت به ودارت حوله ، وهو (ع) يمسح رؤوسها بكفه ثم ضربت بصدرها الأرض فما مشت ولا دارت حتى صعد الدرجة ، وقام المتوكل ودخل فارتفع أبو الحسن (ع) وقعد طويلاً ، ثم قام (ع) فانحدر ففعلت السباع كفعلها به الأول ، وفعل (ع) بها كفعله الأول فلم تنزل رابضة حتى خرج من الباب الذي دخل منه ، وركب فانصرف واتبعه المتوكل بمال جزيل وصله به .

قال إبراهيم بن الجهم ، فقلت يا أمير المؤمنين : أنت إمام فافعل كما فعل ابن عمك ، فقال والله لئن بلغني عنك احد من الناس بذلك لأضربن عنقك

وعنق هذه العصابة كلهم ، فوالله ما تحدثنا بذلك حتى مات لا رحمه الله تعالى وبلغ إلى ما يستحق من العذاب ، فانظروا إلى هذا البغض الكامن في الجوانح والأفئدة ، وإلى هذه المكيدة حيث أطلعوهم على ما خصهم به الملك الديان من الأنعام العديدة ، فسعوا في إطفاء نورهم وناثرتهم القديمة والجديدة ، وقد يأبى أن يطفىء تلك الأنوار ، وأن يطمس تلك الآثار الشديدة والله در من قال :

| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| سعوا ويلهم جهراً لإطفاء نورهم | وكيف ينال العبد إطفاء نوره |
| تعالى قديماً أن ينالوا مرادهم | من الحجة القصوى ومن هدهم سور |
| فإنهم نور الإله الذي بدا | من العلم العلوي حال ظهوره |
| فما زادهم تلك العداوة مطلباً | وما بلغوا إلا ضلالة زوره |
| وكيف ينالوا ما أهموا به وما | عليه انطوا من سره وستوره |
| ألا لعن الله العبابسة التي | بغت وطفغت في غيها في نشوره |
| ستصلى جحيماً لا يزال مخلداً | عليهم وما زالوا إذا في شروره |
| لقد هدموا بيت الرسالة عنوة | وهدوا من الأطواد رافع طهوره |
| فلا غرو ان ناحت عليهم محاجري | وفارق قلبي مستقر سروره |
| وأصبح أمواه البسيطة ناضباً | عليهم وحل الخف وسط بدوره |

ثم لم يزل المتوكل يضممر في نفسه الشر والعداوة لما في قلبه من الجفوة والقسوة ، فروي أنه اتفق له مرض من جراح خرج له في جسده وطال به واهتم من أجله ، فما زال يصف حاله للأطباء وعلموا أنه ليس له علاج إلا بالنار ، فلم يجسر أحد أن يمسه بالنار خوفاً من بأسه وفرقاً من سطوته إذا أحس بحرارة النار فيعاقب من أشار عليه بالعلاج بها ، وكانت أمه في وجل وخوف عليه من ذلك ، حتى أنها لما آيست من برئه ورأت ما نزل به من تلك الجراح لم تجد شيئاً ترجوا به معافاته مما نزل به ، إلا أنها نذرت لأبي الحسن علي الهادي (ع) بمال إن عوفي من مرضه على ما رواه الكليني عن إبراهيم الظاهري قال: مرض المتوكل من جراح وأشرف منه على الهلاك ، ولم يجسر أحد أن يمسه بحديدة ، فنذرت

أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن (ع) مالاً جزيلاً من مالها ، فقال له الفتح بن خاقان : لو بعثت إلى هذا الرجل فإنه لا يخلوا أن يكون عنده صفة يفرج بها عنك ، فبعث إليه ووصف إليه علته . فرد إليه الرسول بأن يؤخذ له كسب الشاة فيداف بماء ورد فيوضع عليه ، فلما رجع الرسول وأخبرهم أقبلوا إليه يهرعون فقال له الفتح بن خاقان : هو والله أعلم بما كان قال : فأحضروا الكسب وعمل كما قال (ع) ووضع على علته يوماً فسكن وخرج منه ما كان فيه ، وبشرت أمه بعافيته فحملت إليه عشرة آلاف درهم أو دينار تحت خاتمها ، ثم برىء من علته فسمى عليه البطحاوي العلوي أن أموالاً تحمل إليه وسلاحاً فقال لسعيد الحاجب سرا واهجم عليه بالليل وخذ ما تجده عنده من الأموال والسلاح واحمله إلي .

قال إبراهيم بن محمد : قال لي سعيد الحاجب : فصرت إليه بالليل ومعني سلم ، فصعدت السطح ، فلما نزلت على بعض الدرج في الظلمة لم أدر كيف أصنع في الدار ، فناداني : يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة ، فلم ألبث أن أتوني بشمعة ، فنزلت فوجدته وعليه جبة صوف وقلنسوة منها وسجادة على حصير بين يديه ، فلم أشك أنه يصلي (ع) ، فقال لي : دونك البيوت فادخلها ، فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً ، ووجدت بكرة في بيته مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً ، فقال (ع) لي : دونك المصلّى فرفعته فوجدت تحته سيفاً في جفن غير ملبس ، فأخذت ذلك كله وصرت إلى المتوكل ، فلما نظر إلى خاتم أمه على البكرة ، بعث إليها فخرجت إليه قال : فأخبرني بعض الخدم الخاصة أنها قالت له : إني قد نذرت في علتك لما آيست منك إن عوفيت حملت إليه من مالي عشرة آلاف دينار ، فعوفيت وحملتني إليه ، وهذا خاتمي على الكيس ، وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار فضمه إلى البكرة ویدرة أخرى من عنده وأمرني بحمل ذلك له ، فحملته إليه ورددت البدرتين والكيس وقلت له : سيدي عز ذلك عليّ فقال لي : ﴿سيعلم الذين

ظلموا أي منقلب يتقلبون ﴿١﴾ وفي ذلك قال بعض الشعراء هذه الأبيات :

صالت أمية في السادات من مضر
لكنهم فعلوا أضعاف ما فعلت
جاروا وما عدلوا واستأصلوا حسداً
سقوهم السم سرّاً في شرابهم
فكم بنوا فوقهم عالي البناء وكم
نفسى الفداء لهم في كل فادحة
كانهم لم يكونوا نسل فاطمة
والله لانسيت نفسي مصابهم
لولاهم لم يكن خلق ولا بشر
لكنهم ندموا إن لم يكن لهم
فيا فؤادي لا تنسى لمصرعهم
فليس حظك من بعد المصاب بهم

وساعدتها بنو العباس في الأثر
أمية فأبادوا صفوة البشر
آل النبي جزاهم في لظى سقر
وأوردوهم حياض الموت في الضرر
قد وسدوهم وهم أحياء في الحفر
وقل ذي بدلاً في وقع ذي الضرر
ولم يجيء مدحهم في محكم السور
وكيف أنسى وهم لي علة القدر
ولا نعيم ولا كون إلى الزمر
في قتل سبط رسول الله من أثر
وبا عيوني صبي صب منهمر
إلا دموعاً غزاراً ولظى السهر

ومن كراماته (ع) ما في كتاب الخرائج : أن أبا هاشم الجعفري كان منقطعاً إلى أبي الحسن الهادي (ع) بعد أبيه محمد الجواد (ع) وبعد جده الرضا (ع) ، فشكى إلى أبي الحسن (ع) ما يلقاه من السوق إليه إذا انحدر من عنده إلى بغداد ، ثم قال : يا سيدي ادع الله تعالى فربما لا أستطيع ركوب الماء فأسير إليك في الفلا وما لي مركوب سوى برذوني على ضعفه ، فاسأل الله تعالى أن يقويني على زيارتك ، فقال (ع) : قواك الله يا أبا هاشم وقوى الله برذونك ، فكان أبو هاشم (رض) يصلي الفجر ببغداد ، ويسير على البرذون فيدرك الزوال من يومه ذلك بعسكر من سر من رأى ، ويعود من يومه إلى بغداد إذا شاء على ذلك البرذون .

(١) سورة الشعراء ، الآية : ٢٢٧ .

وعن أبي هاشم أيضاً قال : خرجت مع أبي الحسن (ع) إلى ظاهر
سر من رأى لنتقي بعض القادمين ، فابطوا فطرح لأبي الحسن (ع) غابة السرج
فجلس عليها ، فنزلت عن دابتي وجلست بين يديه وهو (ع) يحدثني ، فشكوت
إليه قصر يدي وضيق حالي ، فأهوى بيده إلى رمل كان جالساً عليه فناولني منه
كفناً وقال : اتسع بهذا يا أبا هاشم واكتم ما رأيت ، فخبثته عندي ورجعنا ،
فأبصرته فإذا هو يتقد كالنيران ذهباً أحمر ، فدعوت صائغاً إلى منزلي وقلت لي :
اسبك لي هذه السبيكة فسبكها وقال لي : ما رأيت ذهباً أجود من هذا ، وهو
كهية الرمل من أين لك هذا فما رأيت أعجب منه ؟ قلت : كان عندي قديماً .

وعن محمد بن الفرغ أنه قال : إن أبا الحسن (ع) كتب إليّ : اجمع
أمرك وخذ حذرک ، فإنني في جمع أمري ولست أدري ما الذي أراد (ع) فيما
كتبه إليّ وحتى ورد عليّ رسول حملني من مصر مقيداً مصفداً بالحديد وضرب
على كسل ما أملك فمكثت في السجن ثمان سنين ثم ورد عليّ كتاب من أبي
الحسن (ع) : لا تنزل في ناحية الجانب الغربي من السجن ، فقرأت الكتاب
فقلت في نفسي : يكتب إليّ أبو الحسن (ع) بهذا وأنا في الحبس إن هذا
لعجيب ، فما مكثت إلا أياماً يسيرة حتى فرج الله عني وحلت قيودي وخلي
سبيلي ، ولما رجع إلى العراق لم يقف ببغداد لما أمره أبو الحسن (ع) وخرج
إلى سر من رأى ، قال فكتبت إليه بعد خروجي أن يسأل الله تعالى أن يرد عليّ
ضياعي فكتب إليّ : سوف ترد عليك وما يضرک أن لا يرد عليك .

قال محمد بن علي النوفلي : شخص محمد بن الفرغ إلى العسكر وكتب
إليه برد ضياعه ، فلم يصل الكتاب حتى مات .

ولله در من قال :

هم الغوث إن لمت ملمات دهرنا وقد علموا حقاً بما كان في الغيب
وذلك من علم الإله مفوض عليهم بلا شك لدي ولا ريب
وذلك برهان من الله ثابت إمامتهم في مبتدا السن والشيب

فهم عصم قد أثبتت عصمة لهم
فوا عجباً كيف استطالت عليهم
وقد أركبوا تلك الفواطم جهرة
فقلبي لهم لا يألف البشر والهنا
فعيشي من بعد المصائب منغص
ولم يألف القلب المعذب بعدهم
فذلك داء لا يزال مخلد
مسددة قد طهرتهم من الغيب
طغاة بني حرب بقتل وتسليب
بسببهم ظهر العجاف من النيب
ودمع عيوني مستديم بتصويب
علي ولو وليت ملك مآرب
سروراً وقد أمسوا بكرب وتعذيب
بجسمي ولم يجدي لذلك تطيبي

ومن المعجزات الخارقة ما رواه علي بن محمد النوفلي قال : كتب
علي بن الخصيب إلى محمد بن الفرج بالخروج إلى العسكر ، فكتب إلى أبي
الحسن (ع) يشاوره ، فكتب إليه أبو الحسن (ع) : أخرج فإن فيه فرج ، فلم
يلبث إلا يسيراً حتى مات .

وروي في كتاب المعتمد عن علي بن مهزيار قال : وردت العسكر وأنا
شاك في الإمامة ، فرأيت السلطان قد خرج إلى الصعيد في يوم من الربيع إلا أنه
يوم صائف والناس عليهم ثياب الصيف ، وعلى أبي الحسن (ع) لباد وعلى
فرسه تجفاف لبود وقد عقد ذنب الفرسه والناس يتعجبون ويقولون : ألا ترون
أبا الحسن (ع) وما فعل بنفسه ؟ فقلت في نفسي : لو كان هذا إماماً ما فعل
هذا ، فلما خرج الناس إلى الصحراء لم يلبثوا أن ارتفعت سحابة عظيمة
وهطلت ، فلم يبق أحد إلا غرق وابتل بالمطر ، وعاد (ع) وهو سالم من
جميعه ، فقلت في نفسي : يوشك أن يكون هذا إماماً ثم قلت : أريد أن أسأله
عن الجنب إذا غرق في الثوب وقلت في نفسي : إن كسف وجهه فهو الإمام ،
فلما قرب مني كسف (ع) وجهه وقال : إن كان عرق الجنب في الثوب وجنابته
من حرام فلا تجوز الصلاة فيه ، وإن كانت جنابته من حلال فلا بأس ، فلم يبق
في نفسي بعد ذلك شبهة .

وكم له من معجزات تبهر العقول قد بلغت حد التواتر واستقر عليها

المنقول والمنقول ، فمن هنا حسدتهم أهل البغي والذحول ولم ترع فيهم حرمة الرسول (ص) ، وعلى علي فحل الفحول ، ولا بنته فاطمة البتول .

وفي كتاب الدلائل قال : قال الفتح بن يزيد الجرجاني قال : ضمنني أنا وأبا الحسن الطريق عند منصرفي من مكة إلى خراسان وهو صائر إلى العراق ، فسمعتة (ع) وهو يقول : من اتقى الله يتقى ومن أطاع الله يطاع ، قال : فتلطفت في الوصول إليه وسلمت عليه ، فرد عليّ السلام وأمرني بالجلوس ، فأول ما ابتدأني به أن قال : يا فتح من أطاع الخالق لم ييال بسخط المخلوق ، ومن أسخط الخالق فأيقن أن يحل به الخالق سخط المخلوق ، وإن الخالق لا يوصف إلا ما وصف به نفسه ، وأنى يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه ، والأوهام أن تناله ، والخطرات أن تحده ، والأبصار عن الإحاطة به جل عما يصفه به الواصفون ، وتعالى عما ينعت به الناعتون علواً كبيراً ، تأنى في قربه وقرب في نأيه فهو في نأيه قريب وفي قربه بعيد ، كيف الكيف فلا يقال فيه كيف ، وأين الأين فلا يقال فيه أين ، إذ هو منقطع الكيفية والأينية ، هو الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فجعل جلاله بلا كيف يوصف بكنهه ، ورسوله محمد (ص) وقد قرنه الجليل باسمه ، وشركه في إعطائه ، وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته ، إذ يقول تعالى : ﴿وما نعلموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾^(١) وقال تعالى يحكي عن ترك طاعته وهو يعذبه بين أطباق نيرانها وسراويل قطرانها يا ليتنا أطعنا الرسول ، أم كيف يوصف بكنهه من قرن الجليل طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله (ص) حيث قال تعالى : ﴿وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا

(١) سورة التوبة ، الآية : ٧٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٥٩ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٥٨ .

تعلمون ﴿٢﴾ يا فتح كما لا يوصف الجليل جل جلاله ، والرسول (ص) ،
والخليل (ع) يعني علي (ع) ، وولد البتول ، فكذلك لا يوصف المؤمن المسلم
لأمرنا ، فنبينا أفضل الأنبياء ، وخليلنا أفضل الأخلاء ، وأكرم الأوصياء ،
وأسمهما أفضل الأسماء ، وكنيتهما أفضل الكنى ، لو لم يجالسا إلا كقولم
يجالسا أحد ، ولو لم يزوجنا الا كفو أحد ، أشد الناس تواضعاً أعظمهم حلماً
وأنداهم كفاً وأمنعهم كفاً ، ورث عنهما أوصيائهما علمهما فاردد إليهما الأمر
وسلم إليهم ، أمانك الله مماتهم وأحياءك حياتهم إذا شئت رحمك الله .

قال الفتح : فخرجت فلما كان من الغد تلطفت في الوصول إليه وسلمت
عليه السلام فقلت : يا بن رسول الله أتأذن لي في مسألة اختلجت في صدري
ليلتي هذه ؟ قال : اسأل وإن شرحتها فلي ، وإن أمسكتها فلي فصحح نظرك ،
واثبت في مسألتك ، واصغ في جوابها سمعك ، ولا تسأل مسألة تعنت واعتن
بما تعنتي به ، فإن العالم والمتعلم شريكان في الرشد مأموران بالنصيحة منهيان
عن الغش ، فالذي اختلج في صدرك إن شاء العالم أنباك به ، إن الله لم يظهر
على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ، فكل ما كان عند الرسول كان عند
العالم ، وكل ما اطلع عليه الرسول أطلع عليه العالم ، كي لا تخلو أرضه من
حجة يكون له علم على صدق مقالته وجواز عدالته ، يا فتح عسى الشيطان أراد
أللبس عليك فأوهمك في بعض ما أودعتك ، وشككت في بعض ما أنبأتك حتى
أراد إزالتك عن طريق الله الذي فرضه الله والصراط المستقيم ، فقلت : متى
أيقنت أنهم كذا فهم أرباب ، معاذ الله فهم مخلوقون مربوبون مطيعون لله
داخرون راغبون ، فإذا جاءك الشيطان من قبل ما جاءك ، فاقمعه بما أنبأتك به ،
فقلت له : جعلت فداك فرجت عني وكشفت ما لبس الملعون علي بشرحك ،
فقد كان أوقع في خلدي أنكم أرباب ، قال : فسجد أبو الحسن (ع) وهو يقول

(٢) سورة النحل ، الآية : ٤٣ وسورة الأنبياء ، الآية : ٧ .

في سجوده : راغماً لك يا خلقي داخراً خاضعاً ، قال : فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل .

ثم قال : يا فتح كدت أن تهلك وتهلك وما ضر عيسى ابن مريم (ع) إذ هلك من هلك ، انصرف إذا شئت يرحمك الله تعالى قال : فخرجت وأنا فرح بما كشف الله عني من التلبس بأنهم هم ، وحمدت الله على ما قدرت عليه ، فلما كان في المنزل الآخر دخلت عليه وهو متكئ وبين يديه حنطة مقلية وهو يعبث بها ، وقد كان أوقع الشيطان في خلدي أنه لا ينبغي أن يأكلون ويشربون إذا كان ذا آفة والإمام غير ذي آفة ، فقال : اجلس يا فتح فإن لنا بالرسول أسوة ، يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق وكل جسم مغذو بهذا إلا الخالق الرزاق تعالى لأنه جسم الأجسام ولم يجسم ولم يتزايد ولم يتناقص ، الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، منشاء الأشياء مجسم الأجسام ، وهو السميع ، العليم ، اللطيف ، الخبير ، الرؤوف ، الرحيم ، تبارك وتعالى عما يصفه الظالمون علواً كبيراً ، لو كان كما يوصف لم يعرف الرب من المربوب ، ولا الخالق من المخلوق ، ولا المنشأ من المنشأ ، ولكنه فرق بينه وبين من جسّمه وشاء الأشياء إذا كان لا يشبه شيء ولا يشبه شيئاً ، وفي هذا المعنى قيل :

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| علي هو الهادي إلى منهج الهدى | فاكرم به هاد كما قاله الله |
| به طلعت شمس الرشاد ولم يكن | له شبه في خلقه يوم صفاه |
| فويل لمن عاداه بغياً وقد عتي | عتواً عظيماً في جهنم مشواه |
| لقد هدموا الإسلام إذ قتلوه | ولم يرقبوا فيه هنالك مولاه |
| أبقتل مسموماً ولم يك جرمه | إليه سوى أن المهيمن زكاه |
| وأودعه تلك المعاجز في الورى | وأعطاه أعلى المكرمات وولاه |
| فيا معشر الأرجاس أنتم قرابة | إليه ولا ترعوا هنالك تقواه |

في رثائه (ع)

قال بعضهم :

يا راكب الشذنية الوجناء
قبر تضمن بضعة من أحمد
قبر تضمن من سلالة حيدر
قبر سما شرفاً على هام السها
يا ابن النبي المصطفى ووصيه
اناؤك بغيا عن مرابع طيبة
كم معجز لك قد رواه ولم يكن
إن يجحدوه فطالما شمس الضحى
براً وتعظيماً أروك وفي الخفا
كم حاولوا انقاص قدرك فاعتلى
فقضيت بينهم غريباً نائياً
قاسيت ما قاسيت فيهم صابراً
فلأبكينك ما تطاول بي المدى

عرج على قبر بسامراء
وحشاشة للبضعة الزهراء
بدرأ يشق حنادس الظلماء
وعلا بساكنه على الجوزاء
وابن الهداة السادة الأمناء
وقلوبهم ملأى من الشحناء
يخفى على الأبصار نور ذكاء
حفيت على ذي مقلة عمياء
يسعون في التحقير والإيذاء
رغماً لأعلى قنة العلياء
بأبي فديتك من غريب نائي
لعظيم داهية وطول بلاء
ولأمزجن مدامعي بدمائي

وقال السيد صالح النجفي المعروف بالقزويني من قصيدة :

لقد مني الهادي على ظلم جعفر بمعتمد في ظلمه والجرائم

ومعتمد في الجور غاش وغاشم
الى الرجس أشخاص المعادي المخاصم
جفاءً وغدراً وانتهاك محارم
يجرع من أعداء سم الأرقام
ضريحاً له شقته أيدي الغواشم
يسالم أعداء له لم تسالم
عن الأهل والأوطان جم المهاضم
مواليه من ذكر اسمه في المواسم
بما لقي الهادي ابنه من مظالم
علي بسم بعد هتك المحارم
رمتها الأعادي في ابنها بالقواصم
وحيا مغانيها هبوب النسائم
بنور هداها يهتدي كل عالم
تضيء هنا منكم بأكرم تائم
وفي الله لم تأخذه لومة لائم
قد امتلأت أقطارها بالمظالم
من الجور داجي غيه المتراكم
وينصف المظلوم من كل ظالم

أتاحت له غدراً يدا متوككل
وأشخص رغماً عن مدينة جده
ولاقي كما لاقى من القوم أهله
وعاش بسامراء عشرين حجة
بنفسي مسجوناً غريباً مشاهداً
بنفسي موتوراً عن الوتر مغضياً
بنفسي مسموماً قضى وهو نازح
بنفسي من تخفى على القرب والنوى
فهل علم الهادي إلى الدين والهدى
وهل علم المولى علي قضى ابنه
وهل علمت بنت النبي محمد
سقى أرض سامراء منهمر الحيا
معالم قد ضيبن أعلام حكمة
لئن أظلمت حزناً لكم فلقربما
ومنتدب لله لم يثنه الردى
ويملاً رجب الأرض بالعدل بعدما
إمام هدى تجلو كواكب عدله
به تدرك الأوتار من كل واتر

وقال علي بن عيسى الأربلي في مدح الإمام علي الهادي (ع) :

عرج على سيدنا الهادي
فعل كريم الله في الوادي
فيها العلى والشرف العادي
مستخرج من صلب أجواد
في المحل يروي غلة الصادي

يا أيها الرائح الغادي
واخلع إذا شارفت ذاك الثرى
وقبّل الأرض وسف تربة
وقل سلام الله وقف على
مؤيد الأفعال ذو نائل

يعفو عن الجاني ويعطى المنى مبارك الطلعة ميمونها
وماجد من نسل أمجاد ولأهم من خير ما نلته
وفي حالتي وعد وإيعاد وخير ما قدمت من زاد

وقال أبو الغوث المنجي أسلم بن مهوز شاعر آل محمد ، وكان معاصراً
للبحثري فالبحتري يمدح الملوك ، وهو يمدح آل محمد (ص) وكان البحتري
ينشد هذه القصيدة لأبي الغوث :

ولهمت إلى رؤياكم وله الصادي يذاد عن الورد الروى بذواد
محلي عن الورد اللذيذ مساغه إذا طاف ورّاد به بعد وراذ
فأعليت فيكم كل هوجاء جسرة ذمول السرى تقتاد في كل مقتاد
أجوب بها بيد الفلا وتجوب إليك ومالي غير ذكرك من زاد
فلما تراءت من رأى تجشمت إليك تعوم الماء في مفعم الوادي
إذا ما بلغت الصادقين بني الرضا فحسبك من هاد يشير إلى هادي
مقاويل إن قالوا بها ليل إن دعوا وفاة بميعاد كفنائة لمرتاد
إذا أوعدوا أعضوا وإن وعدوا وفوا فهم أهل فضل عند وعد وإيعاد
كرام إذا ما أنفقوا المال أنفدوا وليس لعلم أنفقوه من إنفاد
ينابيع علم الله أطواد دينه فهل من نفاذ إن علمت لأطواد
نجوم متى نجم خبا مثله بدا فصلي على الخابي المهيمن والبادي
عباد لمولاهم موالى عباده شهود عليهم يوم حشر واشهاد
هم حجج الله اثنتا عشرة متى عدد فثاني عشرهم خلف الهادي
بميلاده الأنبياء جاءت شهيرة فأعظم بمولود وأكرم بميلاد

قال شاعر آل البيت المقبول الشيخ علي البازي :

إن جئت سامرا فحي الوادي بعد التحية للإمام الهادي
اخلع نعالك قبل لثم ترابه عند الدخول لمرقد الأمجاد
وقل السلام على الرسول وآله فخر الورى من حاضر أو باد

مذ خصهم بشفاعة الميعاد
جلت عن التصوير والتعداد
لله في التبليغ والإرشاد
ضلوا ليقفوا علة الإيجاد
ويتيمهم وأسيرهم بالزاد
قاموا وزاحوا غيب الإلحاد
قرم وأفصح ناطق بالضاد
بعد الرسول بحكمة وسداد
عنهم أخذناه بلا إجحاد
إلا وكان مآلها لبداد
وعلومهم تتلى على الأعواد
فهم الأئمة زينة العباد
وتجرعوا غصصاً من الأوغاد
أودى بها صرف الزمان العادي
في كل حي أهل وبلاد
أن لا يشيدوا للهدى بعماد
أرحامهم لا وفقوا لرشاد
والظلم والتنكيل والاجهاد
عن جدهم في بدر كالمعتاد
طمعاً بأخذ الثار بالأحقاد
والسم بعد السجن والإبعاد
بالسم إذ لما يجد من فاد
واحر قلبي للسيد الهادي
تدعوه ياري الفؤاد الصادي
والجود والإرشاد والوفاد

من أوجب الله العظيم ولائهم
وجبا هم من فضله بفضائل
الواهبين لدى الجهاد جهودهم
والباذلين حياتهم لحياة من
والمؤثرين على النفوس فقيرهم
آل العبا في عبء أوزار الملا
ورثوا الشجاعة والندی عن تالد
بدعائهم للعالمين تطوعوا
فرقانه السامي ونص حديثه
ما قادمتهم في الأنام عصابة
هذي مآثرهم وتلك قبورهم
حكّموا بحكم الله بين عباده
كم حملوا العدوان من أعدائه
فتفرقوا شيعاً وجل ديارهم
وتتبعت آثارهم خصماًؤهم
فكأنما المختار قد أوصاهم
قطعوا الصلات لرحمهم مذ قطعوا
ما واصلوا بسوى القطيعة والأذى
لم يصفحوا عنهم كصفح محمد
قتلاً وصلباً قد أبادوا جمعهم
ملأوا السجون بهم بدون جنائية
كابن الجواد علي الهادي قضى
غدروا به يا لهف نفسي غيلة
قد شيعوه وخلفه أيتامه
من للعلوم وللعبادة والتقى

والطهر فاطم كعبة المرتاد
عصفت به للنائبات عوادي
ورجاله الأعلام والأسباد
وعداوة الأبناء والأجداد
جزر الأضاحي يا أهيل ودادي
أسرى لشر مذمم بفساد
مضنى يعاني الغل بالأصفا
للشام والأعداء بالمرصاد
فيهم يزيد كما اشفى ابن زياد
توهي القوى وتفت بالأعضاء
تجزى جزاء المجرم المتمادي

من مبلغ عني النبي وحيدرا
أن الإمام سليلها هادي الورى
واسأل بيوم الطف عن سبط الهدى
منعوه مء الفرات ببغيهم
جزروا الرجال على ظما ورضيعهم
ونسأوهم سقيت على عجب المطى
أخذوا البقية منهم لطيقهم
وعلى الرماح رؤوسهم قد أهديت
أبدى الشماتة والجفا وقد اشفى
هذي المصائب لا مصائب مثلها
ما ذنب أبناء النبي وآله

قال محمد بن إسماعيل بن صالح الضميري رحمه الله :
الأرض خوفاً زلزلت زلزالها وأخرجت من جزع أثقالها
إلى أن قال :

ويطلع الله لنا أمثالها
تدرك أشياع الهدى إمامها
يظل جَوَاب الفلا جزالها
التي لا يقبل الله من استطالها
آلت بشاني عشرها مآلها
عشر نجوم أفلت في فللكها
بالحسن الهادي أبي محمد
وبعده من يرتجي طلوعه
ذو الغيبتين طول الحق
يا حجج الرحمان إحدى عشرة

وقال أيضاً عند مرض الإمام (ع) :

مادت الأرض بي وآذت
حين قيل الإمام نضو عليل
فؤادي واعترتني موارد العرواء
قلت نفسي فدته كل الفداء

مرض الدين لاعتلاك
عجباً إن منيت بالداء والسقم
وأنت أسي الأءاء في الدين
واعتل وءارت له نجوم السماء
وأنت الإمام ءسم الءاء
والءنبا ومءي الأموات والأءباء

المجلس الثالث فيما جرس عليه من أهل زمانه

إلى أن نقله الله إلى بحبوحات جنانه وتردأ برداء رضوانه وتأريخ وفاته (ع) وما لقي من هوانه .

روي في الخرائج عن ابن أرومة قال : خرجت أيام المتوكل إلى سر من رأى ، فدخلت على سعيد الحاجب وقد دفع المتوكل إليه علي الهادي (ع) ليقتله ، فلما دخلت عليه قال : أتحب أن تنظر إلى إلهك ؟ فقلت : سبحان الله ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾^(١) قال : هذا الذي تزعمون أنه إمامكم قلت : ما أكره ذلك ، قال : إني أمرت بقتله وأنا فاعل ذلك غداً ، وعنده صاحب البريد فإذا خرج فادخل إليه ، فلم ألبث أن خرج ، فقال لي : أدخل فدخلت الدار التي هو فيها محبوساً فإذا بحياله قبر قد حفر ، فدخلت وسلمت عليه وبكيت بكاءً شديداً فقال لي (ع) : ما يبكيك ؟ فقلت : لما أرى فقال : لا تبك فلا يتم لهم ذلك ، فسكن ما كان بي فقال (ع) : إنه لا يلبث أكثر من يومين حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته ، قال : فوالله ما مضى غير يومين حتى قتلا .

فقلت لأبي الحسن (ع) : أخبرني عن حديث رسول الله (ص) لا تعادوا الأيام فتعاديكم ؟ فقال (ع) : نعم إنه لحديث رسول الله (ص) تأويله : فأما

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٣ .

السبت فرسول الله (ص) ، وأما الأحد فأمير المؤمنين (ع) وفاطمة ، والأثنين الحسن والحسين (ع) ، والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد (ع) ، والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا علي بن محمد (ع) ، والخميس ابني الحسن (ع) ، والجمعة القائم عجل الله فرجه منا أهل البيت (ع) .

وفيه أيضاً عن أبي العباس بن محمد بن أسرائيل الكاتب أنه جرى ذكر أبي الحسن (ع) فقال : يا أبا سعيد إني أحدثك بشيء حدثني به أبي قال : كنا مع المعتز وكان أبي كاتباً له فدخلنا الدار وإذا المتوكل على سريره قاعداً ، فسلم المعتز عليه ووقفت خلفه ، وكان عهدي به إذا دخل رحب به وأمره بالعود ، فأطال القيام وجعل يرفع رجلاً ويضع أخرى وهو لا يأذن له بالجلوس ، ونظرت إلى وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ويقبل على الفتح بن خاقان هذا الذي تقول فيه ما تقول ويردد القول ، والفتح مقبل عليه يسكنه ويقول مكذوب عليه يا أمير المؤمنين ، وهو يقول : والله لأقتلن هذا المرائي الزنديق وهو يدعي الكذب ويظعن في دولتي ، ثم قال : جئني بأربعة من الخزرج فجيء بهم ودفع إليهم أربعة أسياف ، وأمرهم أن يوطنوا بالسنتهم إذا دخل أبو الحسن (ع) ، ويقبلوا عليه بأسيافهم ويخبطوه وهو يقول : والله لأحرقنه بعد القتل ، وأنا منتصب قائم خلف المعتز وراء الستر ، فما شعرت إلا أبي الحسن (ع) قد دخل ، فبادر الناس قدامه وقالوا : قد جيء به ، فالتفت له (ع) وإذا أنا به وشفته يتحركان وهو غير مكروب ولا جازع ، فلما بصر به المتوكل رمى بنفسه عن السرير إليه وهو سبقه وانكب عليه وقبل ما بين عينيه ويديه وسيفه بيده ، وهو يقول : يا سيدي يا ابن رسول الله يا خير خلق الله يا ابن عمي يا مولاي يا أبا الحسن ، وأبو الحسن (ع) يقول : أعيدك بالله يا أمير المؤمنين من هذا ، فقال : ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت ؟ قال : جئني رسولك فقال المتوكل : قد كذب ابن الفاعلة ، ارجع يا سيدي من حيث جئت ، يا فتح ، يا عبدالله ، يا معتز

شيعوا سيدكم وسيدي ، فلما بصر به الخزرج خروا سجداً ، فلما خرج (ع) دعاهم المتوكل ثم أمر الترجمان أن يخبره بما يقولون ، فقال لهم : لم لا فعلتم ما أمرتكم به فقالوا : هيبة منه وقد رأينا حوله أكثر من مائة ألف سيف لم نقدر أن نتأملها فمنعنا ذلك عما أمرتنا ، وامتلئت قلوبنا رعباً من ذلك ، فقال المتوكل : يا فتاح هذا صاحبك وضحك في وجه الفتاح وضحك الفتاح في وجهه ، وقال : الحمد لله الذي بيض وجهه وأنا حجته ، فيالله من هذه النفوس الملعونة التي قدمت على مخالفة ربها ولم تبالي بمقارفة ذنبها ، فسحقاً لها وتباً فلقد باءت بالخسران وأطاعت الشيطان وقطعت الأرحام ، ونصرت العدوان .

ولله در من قال :

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| ثلث عروشك يا بني العباس | مذ صرت أعداء لخير الناس |
| عمدت يداك لهدم كل مشيد | في الدين قد زادت على الأرجاس |
| من آل سفيان وآل أمية | أهل الشقاق نتيجة الخناس |
| وهم وإن قتلوا الحسين عداوة | لكنهم عفوا عن الأرماس |
| صيرتم حفراً لهم ومبانياً | سكنوا بها فالحزن أصبح راسي |
| فلأثرن مدامعي بمجامعي | وأدير كأس الحزن في جلاسي |
| تالله لا أنسى الحزين مصابه | فلحزنكم والله لست بناسي |
| هيهات أسلوا حزنكم ومصابكم | فمصابكم أدهى لطود رواسي |

وفي مهج الدعوات بإسناده عن زرافة صاحب المتوكل وكان شيعياً أنه قال : كان المتوكل يحضر الفتاح بن خاقان عنده ويقربه منه دون ولده وأهله ، فأراد أن يبين فضله وموضعه عنده ، فأمر جميع مملكته من الأشراف ومن سائر الجند وغيرهم والوزراء والأمراء والقواد وسائر العسكر ووجوه الناس أن يزينوا بأحسن زينة ، ويظهروا في أفخر عددهم وذخائرهم ، ويخرجوا مشاة بين يديه ، وأن لا يركب أحد إلا هو والفتاح بن خاقان خاصة بسر من رأى . ومشى الناس بين أيديهما على مراتبهم رجالة ، وكان يوماً قائضاً شديد الحر ، فأخرجوا

في جملة الأشراف أبا الحسن (ع) ، فشق عليه ما لقيه من الحر قال زرافة : فأقبلت إليه وقلت : يا سيدي يعز عليّ ما تلقى من هذه الطغاة ، وما قد تكلفته من المشقة ، فقال (ع) : يا زرافة ، ما ناقة صالح عند الله بأكرم مني ولم أزل أسأله وأستفيد منه وأحادثه إلى أن نزل المتوكل من الركوب وأمر الناس بالإنصراف ، فقدمت إليهم دوابهم فركبوا إلى منازلهم وقدمت بغلة له (ع) فركبها وركبت معه إلى داره (ع) ، فنزل فودعته وانصرفت إلى داري .

وكان لولدي مؤدب يتشيع من أهل العلم والفضل ، وكانت لي عادة بإحضاره عند الطعام ، فحضر ذلك اليوم وتجارت معه الحديث وما جرى من ركوب المتوكل والفتح ومشى الأشراف وذوي الأقدار بين أيديهما ، وذكرت له ما شاهدته من أبي الحسن الهادي (ع) وما سمعته من قوله (ع) : ما ناقة صالح بأعظم عند الله قدراً مني ، وكان المؤدب يأكل معي فرفع يده وقال : بالله إنك سمعته يقول بهذا اللفظ ؟ فقلت له : والله إنني سمعته يقول ذلك ، فقال : اعلم أن المتوكل لا يبقى في مملكته أكثر من ثلاثة أيام ويهلك ، فانظر في أمرك واحرز ما تريد احرازه ، وتأهب كيلاً يفجأكم أمره ثم جعل يجري في كلامه ، فقلت له : من أين لك هذا العلم ؟ فقال : أما قرأت القرآن في قصة الناقة في قوله تعالى : ﴿فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾^(١) الآية ؟ ولا يجوز أن يبطل قول الإمام (ع) ، قال زرافة : فما جاء اليوم الثالث حتى جاء المنتصر ومعه بغايا ووصيف والأتراك على المتوكل ، فقتلوه هو والفتح بن خاقان وقطعوههم قطعاً قطعاً حتى لا يعرف أحدهما من الآخر ، وأزال الله نعمته ومملكته ، فلقيت الإمام أبا الحسن (ع) وعرفته ما جرى من المؤدب وما قاله فقال صدق إنه لما بلغ بي الجهد من المسير رجعت إلى كنوز عندنا كنا نتوارثها من آبائنا ، وهي أعز من الحصون وأمنع من السلاح والجنن ، وهو دعاء المظلوم على الظالم فقلت : يا سيدي تعلمنيه فعلمنيه :

(١) سورة هود ، الآية : ٦٥ .

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| أيا متوكل الأرجاس فابشر | بخزي في الحياة وفي القيامة |
| أتهدم من رسول الله صرحاً | علا في المكرمات وفي الدعامة |
| عمدت إلى الذي ساد البرايا | ومن جمع الشجاعه والحزامة |
| زعمت بأن تبيد الدين جوراً | فأولاك الخسارة والندامة |
| أتلو فوق من خضعت إليه | ملائك قدسها وأولو الكرامة |
| كأنك قد عمدت لخير نور | لتطفيه فيا لك من ذمامة |
| فكيف تظن أنك بالغ ما | أردت له وتظفر بالسلامة |
| وكان إمامنا الهادي علي | دعا الباري فبلغه مرامه |
| عليه الله صلى ما تغنت | بأعلى الدوح من طرب حمامة |

وروى المسعودي في مروج الذهب أنه سعي إلى المتوكل بعلي بن محمد الهادي أن في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم ، وكان عازم على الوثوب بالدولة عليه ، فبعث إليه جماعة من الأتراك فهجموا عليه في داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً ، ووجدوه في بيت مغلق عليه وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجه إلى الله تعالى يتلو آيات الله من القرآن ، فحمل على حالته تلك إلى المتوكل وقالوا له : لم نجد في بيته شيئاً ، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة ، وكان المتوكل جالساً في مجلس الشراب فدخل عليه والكأس في يد المتوكل ، فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه ، وناوله الكأس التي كانت في يده (ع) عليه بترك ، فقال : والله لا يخامر لحمي ودمي قط فاعفني فأعفاه ، فقال له : أنشدني شعراً فقال (ع) : إني قليل الرواية في الشعر فقال له : لا بد من ذلك فأنشده هذه الأبيات لأمير المؤمنين (ع) :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| باتوا على قلل الأجيال تحرسهم | غلب الرجال فلم تنفعهم القلل |
| وأنزلوا بعد عز عن معاقلهم | وأسكنوا حفراً يا بشس ما فعلوا |
| ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا | أين الأسرة والتيجان والحلل |
| أين الوجوه التي كانت منعمة | من دونها تضرب الأستار والكلل |

فأفصح القبر عنهم حين سألهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
من بعدما أكلوا دهنراً وما شربوا فأصبحوا بعد طيب الأكل قد أكلوا

قال : فبكى المتوكل حتى بلت دموعه لحيته وبكى الحاضرون ثم دفع
إلى علي (ع) أربعة آلاف دينار ورده إلى منزله مكرماً ، فيا قاتله الله من ملعون
قد تولد من سفاح ، فلم يزل ذلك اللعين يظهر الداء الدفين ليقتل ذلك السيد
الأمين والله غالب على أمره فقطع الله منه الوتين .

وقد روي في كتاب كشف الغمة أن المتوكل كان ديدنه ودأبه يحرص على
مجالسة علي الهادي (ع) ، ويعرض عليه أموراً يريد أن يسقط بها وقاره ومحلّه
من القلوب ، فإذا لم يجبه إلى ما يريد يعظم ذلك عليه ، حتى أنه وجه إلى أخيه
موسى وأحضره لعله أن يرى فيه ما يسقط منه محلّه فيكون له في ذلك الكلام
ليحتج به على الهادي (ع) حتى أعيته الحيلة فيه .

قال الراوي : وكان يعقوب بن ياسر يقول : إن المتوكل كان يقول قد
أعياني أمر ابن الرضا (ع) ، ولاني أريد أن يشرب معي أو يناد مني لأجل أن نجد
فيه فرصة في هلاكه ، فقيل له : إن لم تجد فيه ذلك فهذا أخوه موسى قصاف
عراف يأكل ويشرب ويتعشق ، فقال : جيئوني به حتى نمّوه به على الناس
ونقول له يا بن الرضا فكتب إليه وأشخصه مكرماً ، فتلقاه جميع بني هاشم
والقواد والناس حتى أنه إذا وافى أقطعه له قطيعة وبني له فيها داراً ، وحوّل
الخمارين والقينات إليه وفضله ودبره وجعل له منزلاً سرياً حتى يزوره هوفيه ،
فلما وافى موسى تلقاه علي الهادي (ع) في قنطرة وصيف وهو موضع يتلقى فيه
القادمين ، فسلم عليه ووفاه حقه ، ثم قال له : إن الرجل قد بعث إليك ليهتك
عرضك ودينك ويضع من قدرك ، فلا تقر له أنك شربت نبيذاً قط ، فقال له :
إذا دعاني إليه فما حيلتي ؟ قال : لا تضع من قدرك ولا تفعل فانما أراد بهذا
هتكك فأبى عليه فكرر عليه القول ، فلما رأى أنه لا يجيب قال له : ان هذا
مجلس لا تجتمع أنت وهو فيه أبداً قال : فأقام فيه ثلاث سنين يتردد عليه كل

يوم فيقال له : قد تشاغل فيخرج ثم يرجع في الثاني فيقال له : قد سكر فيسكر
غداً فيسكر فيقال له : قد شرب دواء ، فما زال على هذا ثلاث سنين حتى قتل
المتوكل ولم يجتمع معه أبداً .

وروي أن المتوكل وقيل الواثق أمر العسكر في تسعين ألف فارس من
الأترك الساكنين بسر من رأى أن يملأ كل واحد منهم مخلاة فرسه من الطين
الأحمر ، ويجعلون بعضه على بعض في وسط برية واسعة هناك ، فلما فعلوا
ذلك صار كالجبل العظيم فصعد فوقه واستدعى علي الهادي (ع) وقال له : ما
استحضرتك إلا لترى نضارة خيولي وعسكري ، وقد أمرهم أن يلبسوا التخافيف
ويكملوا الأسلحة ويعرضوا عليه بأتم عدة وأعظم هيبة ، وكان غرضه كسر قلب
كل من يخرج عليه من أهل البيت (ع) وغيرهم ، فقال له علي الهادي : أتريد
أن أعرض عليك عسكري كما عرضت علي عسكريك ؟ قال : نعم ، فدعا الله
تعالى فإذا من السماء إلى الأرض ما بين المشرق والمغرب ملائكة على نجب
من الجنة ، بأيديهم الحراب تلتهب فغشي على المتوكل فقال له الهادي لما
أفاق : نحن لا ننافسكم على هذه الدنيا ونحن مشغولون عنكم بأمر الآخرة ،
فلا يدخلك مني مما تظن بأس .

وروي عن أحمد بن داوود بن محمد بن عبدالله الطلحي قال : حملنا مالا
من خمس ونذر من عين وورق ودنانير وحلي وجواهر وثياب من قم وما يليها
فخرجنا نريد أبا الحسن (ع) ، فلما صرنا إلى دسكرة الملك تلقانا رجل راكب
على جمل ونحن في قافلة عظيمة فقصدنا ونحن سائرون في جملة الناس وهو
يعارضنا بحمله ، فقال : يا أحمد بن داوود ومحمد بن إسحاق معي رسالة
إليكما فقلنا : ممن ؟ فقال : من سيدكما أبي الحسن الهادي (ع) يقول لكما :
إني راحل إلى الله تعالى في هذه الليلة فأقيما مكانكما حتى يأتيكما أمر من أبي
محمد الحسن (ع) ، فخشعت قلوبنا وبكت عيوننا وأخفينا ذلك ولم نظهره ،
وتزلنا دسكرة الملك واستأجرنا منزلاً وأحرزنا ما كان معنا فيه ، وأصبحنا والخبر

شائع في الدسكرة بوفاة إمامنا (ع) لا إله إلا الله أترى أن الرسول الذي جاء برسالته أشاع الخبر في الناس ؟ فلما تعالى النهار رأينا قوماً من شيعة علي أشد قلقاً مما نحن فيه ، وأخفينا أمر الرسالة ولم نظهره ، فلما جن الليل جلسنا بلا ضوء ولا سراج حزناً على الهادي (ع) نبكي ونشكو إلى الله تعالى فقدمه ، وإذا نحن بيد داخله علينا من الباب فأضاءت بنا كما يضيء المصباح وقائلاً يقول : يا أحمد يا محمد هذا التوقيع ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من الحسن المستكين لرب العالمين إلى شيعة المساكين أما بعد ، فالحمد لله على ما نزل بنا منه ونشكره إليكم على جميل الصبر إليه ، وهو حسبنا في أنفسنا وفيكم ونعم الوكيل .

قال الراوي ولما انتقل الإمام علي الهادي (ع) إلى روح الله ورضوانه وقد سمه المعتمد في رمان وقيل في ماء ، فلما فاقت روحه المقدسة علا الصباح في داره ، وقامت الواعية في الهاشميين والعلويين والسطالبيين يلطمون الخدود ويخدشون الوجوه ، وينادون واضيعته ، واوحدته ، من لليتامى والمساكين ، ومن للفقراء والمنقطعين ، ثم غسله ابنه الحسن العسكري (ع) وحنطه وأدرجه في أكفانه وصلى عليه ، وخرج في جنازته حافي الأقدام ، وقد شق قميصه حزناً على مصاب أبيه ، فكتب إليه الأبرش في ذلك وأعاب عليه في شقه قميصه فقال (ع) : يا أحق ما أنت وذاك وقد شق موسى (ع) قميصه على أخيه هارون (ع) . وكانت وفاته على ما رواه إبراهيم بن هاشم القمي قال : توفي أبو الحسن (ع) يوم الإثنين لثلاث خلون من رجب سنة ٢٥٤ أربع وخمسين ومائتين ، وتوفي (ع) وله يومئذ إحدى وأربعين سنة ومثله ما رواه ابن عياش ، وكانت مدة إقامته بسر من رأى ودفن في داره بها في آخر ملك المعتمد ، وقد استشهد (ع) على يده مسموماً .

وفي رواية ابن بابويه في أدعية شهر رمضان أنه سمه المعتمد ، وفي بعضها أنه المتوكل ، وكانت مدة إمامته (ع) بقية ملك المعتمد ثم ملك

الوائق ، ثم ملك المتوكل ، ثم ملك المتتصر ، ثم ملك المستعين ، ثم ملك المعتر ، ثم ملك المعتمد أخ المتوكل ثمان سنين وستة أشهر ، وفي آخر ملكه استشهد ولي الله الهادي (ع) ، وهكذا في رواية المناقب ودفن في داره بسر من رأى وكان مقامه (ع) بها إلى أن توفي عشرين سنة ، وأشهر الأخبار بيوم وفاته (ع) مختلفة جداً وما ذكرناه أشهرها رواية ، فيالله لهدم مباني هذا الدين ، ويا ضيعة الفقراء والمساكين ، فيجب على النفوس أن تموت أسفاً إلى يوم الدين وأن تثر درر المدامع في الخدود ، وتدير كاسات الأحزان على الحاضرين من المؤمنين ، كيف لا وهم ركن الحق المبين والقطب الذي دارت عليه رحاء الإسلام بحسن الإدارة والتمكين .

شعر للمؤلف رحمه الله تعالى :

| | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| إلى أن تقوم الناس في الحشر والنشر | فيا قلبي المضمنا أدم في صباية |
| وصي رسول الله في العلم والسر | فإن علياً خير من وطأ الثرى |
| ويا طول حزني ما بقيت من الدهر | قضى وهو مسموماً فوالهفتي له |
| على الأرض ملحوداً وقد ضم في القبر | لقد أصبح الدين الحنيفي ثاويماً |
| سلام مدى الأيام في منتهى العمر | على الدار من بعد الوصي عليها |
| وتهتك أستار الشرائع والأمر | أقتل مسموماً على غير جريمة |

وهذا آخر ما انتهى إلينا من وفاة سيدنا ومولانا علي بن محمد الهادي (ع) على التمام والكمال ، ونستغفر الله العظيم المنان عن الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان إنه غفور منان ، وصلى الله على محمد وآله سادات الزمان والحمد لله رب العالمين .

وفاةُ الأمام
الحسن العسكري
"عليه السلام"

تأليف
العلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عصفور
الدارزي الجوافي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اختار لأوليائه الشهادة ، وبوأهم بها الحسنى وزيادة ،
والصلاة والسلام على محمد وآله أرباب الخير والسعادة الممتحنين في أنفسهم
وأولادهم وأموالهم ، حسب مقتضى الحكمة والإرادة ، الصابرين في السراء
والضراء ، والشاكرين في الشدة والرخاء ، والمتبوثين منزل السعادة .

وبعد : فيقول الراجي لعفوربه العميم حسين بن محمد بن أحمد بن
إبراهيم الدرازي : أنه قد التمس مني من لم يسعني ترك إجابته في أن أولف
كتاباً وجيزاً على حسب الاطلاع والإحادة ، مشتملاً على وفاة إمامنا ومولانا
وسيدنا أبي محمد الحسن بن علي العسكري (ع) ، لتجتمع على استماعه أهل
الإيمان والولاية للأئمة القادة ، ليربحوا في متاجرتهم كمال الأرباح والإفادة ،
فإن ذلك من أعظم الفوائد المستفادة ، وليكن لي ذخراً يوم المعاد ومنفعة
وزيادة ، وقد رتبته على ثلاثة فصول وقد سميته (الشجون الوقادة في وفاة إمامنا
العسكري من أئمتنا السادة) وبالله أستعين إنه خير موفق ومعين لكل طلب
وإرادة .

الفصل الأول

كان مولده في غرة شهر رمضان ، أو في غرة شهر ربيع الآخر ، سنة إثنين وثلاثين ومائتين بسر من رأى ، وأمّه أمّ ولد . ويقال لها حديث ، وقد جرت له في ولادته آيات ومعجزات ، وكان غير مترقب الولادة إخفاء لأمره بين الخاصة والعامّة ، حتى أنه لم يوصر إليه والده (ع) قبل مضيه إلا بأربعة أشهر ، وأشهد على ذلك خواص شيعته ، وكان المترقب للإمام في تلك الاعصار أخاه محمد كما صرحت به الأخبار .

ففي خبر النوفلي كما في الكافي قال : كنت مع أبي الحسن (ع) في صحن داره ، إذ مر بنا محمد ابنه فقلت له : جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك ؟ فقال : لا صاحبكم بعدي الذي يصلي عليّ .

قال الراوي عبدالله بن محمد الأصبهاني : ولم فعرف أبا محمد (ع) قبل ذلك ، قال : فخرج أبو محمد فصلّى عليه ، وفي رواية جماعة من الثقات والخواص له (ع) منهم الحسن بن الحسن الأفطس أنهم حضروا يوم توفي (ع) محمد بن علي بن محمد دار أبي الحسن ، وقد بسط له في صحن داره والناس جلوس حوله ، فقالوا : حتى قدرنا ان نكون حوله من آل أبي طالب وبني العباس وقريش مائة وخمسين رجلاً سوى مواليه وسائر الناس ، إذ نظر إلى الحسن بن علي (ع) قد جاء مشقوق الجيب حتى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه ،

فنظر إليه أبو الحسن بعد ساعة فقال : يا بني أحدث الله شكراً فقد أحدث فيك أمراً ، فبكى الفتى وحمد الله تعالى واسترجع وقال : يا أباه أسأل الله تمام النعمة علينا ، وأنا لله وأنا إليه راجعون ، فسألنا عنه فقالوا : هذا ابنه وقد رنا له في ذلك الوقت عشرين سنة أو أرجح ، فيومئذ عرفناه وعلمنا أنه أشار إليه بالإمامة وأقامه مقامه .

كما في حديث آخر عن أبي هاشم الجعفري قال : كنت عند أبي الحسن (ع) بعد ما مضى ابنه أبو جعفر (رض) ولاني لأفكر في نفسي ، وأقول هذه قصة أبي إبراهيم وقصة إسماعيل فأقبل علي أبو الحسن (ع) قبل أن أنطق ، فقال : نعم يا أبا هاشم بدا لله أبي جعفر فصير مكانه أبا محمد (ع) كما بدا له في إسماعيل ، بعد ما دلّ عليه أبو عبد الله (ع) ونصبه ، وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون . أبو محمد ابني الخلف من بعدي ، عنده ما تحتاجون إليه ومعه آلة الإمامة والحمد لله . وليس البلد المذكور في هذا الخبر ونحوه على جهة الحقيقة ، لأن الإمامة منصوص عليها من الله ورسوله (ص) أزلاً وأبداً ، فالمراد بها ظهور الشيء على ما هو عليه في نفس الإمامة بعد أن يكون الظاهر عكسه ، وكيف وقد قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾^(٢) ولقد كان أبو محمد أكبر من جعفر الكذاب .

ولله در من قال :

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| هو الشمس نوراً لا خفاء بها | إذا فكيف ونور الله فيها مخلد |
| ولكنما جار العدو عليهم | وقد قصدهم بالبلا وتمردوا |
| وقد شتتوا في كل شرق ومغرب | وفي كل قفر من فنا الأرض مشهد |
| أبادوهم قتلاً وسماً ومثلة | فيا لك خطب في الورى ليس يوجد |

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٠٦ .

فيا عين سحي دمع غربك أحمرأ فما طاب من بعد الأطايب مرقد

وفي كتاب الكافي عن جماعة من الثقات ومشايخه ، قالوا : كان أحمد بن خاقان على الضياع والخراج بقم ، فجرى بمجلسه يوماً ذكر العلوية . ومذاهبيهم ، وكان شديد النصب والعداوة ، فقال : ما رأيت ولا عرفت رجلاً بسر من رأى من العلويين مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا (ع) في هديه وسكونه وعفافه ونبالته وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم ، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر ، وكذلك القواد والوزراء وعمامة الناس ، فيأني كنت يوماً واقفاً على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس ، إذ دخل عليه حاجبه فقال : إن أبا محمد بن الرضا (ع) بالباب ، فقال بصوت عال : ائذنوا له ، فتمعجت مما سمعت منهم أنهم جسروا يكتون رجلاً على أبي بحضرته ، ولم يكن عنده إلا خليفته أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يكتني ، فدخل رجل أسمر ، حسن القامة ، جميل الوجه ، جيد البدن ، حدث السن ، له جلال وهيبة ، فلما نظر إليه أبي قام يمشي إليه يتخطى مطأطأ ، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد ، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره ، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه ، وجعل يكلمه ويفديه بنفسه ، وأنا متعجب مما أرى منه إذ دخل الحاجب فقال : الموفق قد جاء ، وكان الموفق إذا دخل على أبي يقدم حجابيه وخاصة وقواده ، ثم قاموا بين مجلس أبي وبين الدار وبسطوا سماطين إلى أن يدخل ويخرج ، ولم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد (ع) يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة فقال حيثئذ : إذا شئت جعلني الله فداك ، ثم قال لحجابيه : خذوا به خلف السماطين حتى لا يراه هذا - يعني الموفق - فقام قام أبي وعانقه ومضى .

فقلت لحجاب أبي وغلماناه : من هذا الذي كنيتموه على أبي ، وفعل أبي معه هذا الفعل ؟ فقالوا : هذا علوي يقال له الحسن بن علي بن محمد (ع) يعرف بابن الرضا (ع) ، فازددت تعجباً ولم أزل يومي ذلك كله قلقاً مفكراً في

أمره (ع) وأمر أبي ، وما رأيت منه ، حتى كان الليل وكانت عادة أبي يصلي العتمة ثم يجلس فينظر ما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان ، فلما صلى وجلس جثت وجلست بين يديه وليس معنا أحد ، فقال لي : يا أحمد ألك حاجة ؟ قلت : نعم يا أبت ، فإن أذنت لي سألتك عنها فقال لي : مأذون لك يا بني فقلت : يا أبت من الرجل الذي رأيتك الغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتبجيل وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال : يا بني ذاك إمام الرفضة ، ذاك الحسن بن علي (ع) المسمى بابن الرضا (ع) فسكت ساعة ثم قال : يا بني لو زالت الإمامة من خلفاء بني العباس ما استحقتها أحد من بني هاشم غير هذا ، وإن هذا يستخلفها في فضله وعفافه وزهده (ع) وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه ، ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزيلاً نبيلاً فاضلاً ، فازددت قلقاً وتفكيراً وغيظاً على أبي وما سمعت منه واستزهدته في فعله وقوله فيه بما قال ، ولم يكن لي همة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره ، فما سألت أحداً من بني هاشم ، والقواد ، والكتاب ، والقضاة ، والفقهاء ، وسائر الناس ، إلا وجدته عنده في غابة الإجلال والإعظام ، والمحل الرفيع ، والقول الجميل ، والتقدم على جميع أهل بيته ومشايخه ، فعظم قدره عندي إذ لم أر له ولياً ولا عدواً إلا يحسن القول والثناء عليه ، فقال له بعض من حضر مجلسه من الأشعريين يا أبا بكر فما خبر أخيه جعفر؟ فقال : ومن جعفر؟ حتى يسأل عنه أو يقرن جعفر بالحسن (ع) وجعفر معلن بالفسق ، فاسق ، فاجر ، شريب للخمور ، أقل من رأيت من الرجال وأهتكهم لنفسه ، خفيف ، قليل في نفسه ، الحديث .

وستأتي بقية فضائله في الحديث عن وفاته (ع) .

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| فيا لك شخصاً قد أقر بفضلته | جميع الورى من شامت وحسود |
| وكيف يغطى نور شمس ضياؤها | يعم جهات الست بعد خمود |
| وذلك فضل الله يؤتيه من يشا | على رغم أنف للبغي وحسود |

وهذا الذي أبدا لهم من حقوقهم فبعداً لهم من ظالم وحقود
أيقتل من هذا صفات كماله بسم زنييم مبعود وكبود
فوا لهف نفسي بعد إخماد نورهم وطول عنائي لا نعمت بعيدي

ومن معجزاته الخارقة للعادة ، ما رواه الكليني رحمه الله أيضاً عن جماعة
من أصحابنا ، عن بعض فصادي العسكر من النصارى : أن أبا محمد (ع) بعث
إليه يوماً في وقت صلاة الظهر ، فقال : أفصد هذا العرق قال : فناولني عرقاً لم
أفهمه من العروق التي تفصد ، فقلت في نفسي ما رأيت أمراً أعجب من هذا ،
يأمرني أن أفصده في وقت الظهر وليس بوقت الفصد ، والثانية عرق لا أفهمه .
قال : ثم قال انظر وكن بالدار ، فلما أمسى دعاني وقال لي : سرح الدم
فسرحته ، ثم قال لي : إمسك فأمسكت ، ثم قال لي : كن في الدار ، فلما
كان نصف الليل أرسل إلي فقال لي : سرح الدم ، فتعجبت أكثر من عجيبي
الأول ، فكرهت أن أسأله ، قال : فسرحت الدم فخرج دم أبيض كأنه الملح ،
قال : ثم قال لي اجلس ، فجلست وقال لي : كن في الدار . فلما أصبحت أمر
قهرمانه أن يعطيني ثلاثة دنانير فأخذتها .

فخرجت حتى أتيت إلى بختيشوع النصراني فقصصت عليه القصة ،
قال : فقال لي : ما أفهم ما تقول ، ولا أعرفه في شيء من الطب ، ولا قرأته
في كتاب ، ولا أعلم في دهرنا أعلم بكتب النصرانية من فلان الفارسي فأخرج
إليه قال : فاكتريت زورقاً إلى البصرة وأتيت الأهواز ، ثم صرت إلى فارس إلى
صاحبي فأخبرته الخبر ، قال : فقال لي : أنظرني أياماً ، فأنظرته ثم أتيت
متقايضاً ، قال : فقال لي : إن هذا الذي تحكيه من أمر هذا الرجل فعله عيسى
ابن مريم (ع) في دهره مرة واحدة ، ولقد حسده الناس على هذا الفضل الباذخ
والمقام الشامخ ، ولقد أنجز ذلك إلى أخيه جعفر الكذاب لمقابلة لجعفر
الصادق (ع) .

وقد أفصح عن ذلك خبر الكابلي عن علي بن الحسين (ع) على ما في

كتاب الإكمال قال : دخلت عليه فقلت له : يا بن رسول الله أخبرني عن اللذين فرض الله تعالى طاعتهم ومودتهم . وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله (ص) ، فقال : بلى يا كابلي إن أولي الأمر الذين جعلهم الله أئمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم أولهم : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ثم الحسن ، ثم الحسين (ع) حتى انتهى الأمر إلينا ، فسكت (ع) ، فقلت : يا سيدي روي لنا عن أمير المؤمنين (ع) انه قال : إن الله عزّ وجلّ لا يخلي الأرض من حجة له على عباده فمن الحجة والإمام بعدك ؟ فقال : ابني محمد واسمه في التوراة باقر يقر العلم بقرّاً ، وهو الحجة والإمام بعدي ، ومن بعد محمد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق ، فقلت : يا سيدي كيف اسمه الصادق وكلكم صادقون ؟ قال : حدثني أبي عن أبيه عن رسول الله (ص) قال : إذا ولد ابني جعفر بن علي بن الحسين فسموه الصادق ، فإن الخامس من ولده اسمه جعفر الكذاب المفتري على الله عزّ وجلّ المدعي بما ليس له بأهل ، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه ، ذلك الذي يروم كشف ستر الله عند غيبة ولي الله .

ثم بكى علي بن الحسين (ع) بكاءً شديداً ، ثم قال : كأنني بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته ، وحرصاً منه على قتله ، إن ظفر به طمعاً في ميراث أخيه حتى يأخذه بغير حقه .

قال أبو خالد : فقلت له : يا بن رسول الله إن ذلك لكائن ؟ قال : هو مكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها المحن التي تجري علينا بعد رسول الله (ص) ، قال أبو خالد : فقلت : يا بن رسول الله ثم يكون ماذا ؟ قال : تمت الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله (ص) والأئمة بعده ، يا أبا خالد إن أهل زمان غيبته (ع) القائلين بإمامته والمتظنّين لظهوره أفضل من أهل كل زمان ، لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول ما صارت

الغبية عندهم بمنزلة المشاهدة ، وجعلهم بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (ص) بالسيف ، أولئك هم المخلصون حقاً حقاً ، وشيعتنا صدقاً ، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهرّاً ، ثم قال علي بن الحسين (ع) انتظار الفرج أفضل من العمل .

وفي رواية ، عن فاطمة بنت محمد بن الهيثم المعروف بابن النسابة قال : كنت في دار أبي محمد الحسن بن علي العسكري (ع) في الوقت الذي ولد فيه جعفر فرأيت أهل الدار في سرور به ، فسرت إلى أبي الحسن (ع) فلم أراه مسرور بذلك فقلت له : يا سيدي مالي أراك غير مسرور بهذا المولود ؟ قال : يهون عليك أمره فإنه سيضل خلقاً كثيراً .

ولله در من قال :

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| قل للذي يرضى مقالة جعفر | ما أنت إلا هوج مرتاب |
| شتان بين الجعفرين فصادق | يهدي الأنام وآخر كذاب |
| فتعم ذاك من الإله صلواته | وتعم هذا نقمة وعذاب |
| لا يدخلن الريب قلبك في الذي | ولد الكذاب وإنه لصواب |
| إذ نوح أولد ابنه كنعان في | الذكر الحكيم وطابت الأنساب |

الفصل الثاني

وتلك شاهدة على أنه السري ابن السري ، فلا تشك في إمامته ولا تمترى ، واعلم أنه إذا بيعت مكرمة فسواه بائعها ، وهو المشتري ، الفائق نوره على زحل والمشتري ، سيد أهل عصره وإمام أهل دهره ، فالسعيد من وقف عند نهيه وأمره ، ذو العلا الذي فاز وعلا على النجوم الزواهر ، والمحتدى الذي فزعت إليه العظماء عند الفادح والتفاخر ، والمنصب الذي ظهرت في عقوده أسنى فرائد وجواهر :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| شرف تقادم كابرأ عن كابر | كالرمح أنبوباً على أنبوب |
| لكنما هذا الزمان بريبه | أضحى يعاندهم بكل كروب |
| أضحت به أهل الفضائل والعلا | في محنة شعوا ونيل شحوب |
| ما بين مقتول بسيف عداته | أو بين مسموم لذى المشروب |
| أو بين مأسور بثقل قيوده | أو بين مشجون بها متعوب |

وروى أبو هاشم الجعفري (رض) قال : كنت عند الحسن (ع) فاستؤذن لرجل من أهل اليمن ، فدخل رجل جسيم طويل جميل ، فسلم عليه بالولاية ، فرد عليه بالقبول ، وأمره بالجلوس ، فجلس إلى جنبي فقلت في نفسي : ليت شعري من هذا ؟ فقال (ع) : هذا ولد الأعرابية صاحبة الحصاة التي طبع فيها آبائي (ع) ثم قال : هاتها ، فأخرج حصاة وناوله إياه فأخرج (ع) خاتمه

وطبعتها ، وكأني أقرأ الخاتم الساعة الحسن بن علي (ع) فقلت لليمانى : رأيتك قبل هذه الساعة ؟ قال : لا والله وإنى منذ دهري حريص على رؤيته حتى أذن لي في الدخول ، ثم نهض وهو يقول : رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ذرية بعضها من بعض ، أشهد أن حقلك واجب كوجوب حق رسول الله (ص) وحق أمير المؤمنين (ع) والأئمة من بعده (ع) وإليك انتهت الحكمة والإمامة ، وإنك والله الإمام ولا عذر لأحد في الجهل بك ، فسألت عن اسمه فقيل لي : مهجع بن الصلت بن عقبة بن سمعان بن غانم بن أمّ غانم الأعرابية صاحبة الحصاة التي طبع فيها أمير المؤمنين (ع) ، وفي ذلك يقول أبو هاشم الجعفري (رض) :

| | |
|-----------------------------|---------------------------------|
| له الله صفاً بالدليل فاخلصا | بدرّب الحصا مولى لنا يختم الحصا |
| وأعطاه آيات الإمامة كلها | كموسى وقلق البحر واليد والعصا |
| فما قمص الله النبيين حجة | ومعجزة إلاّ الوصيين قمصا |
| فمن كان مرتاباً بذاك فقصره | من الأمر ما يتلوا الدليل ويفحصا |

ومن معجزاته (ع) ما رواه الجعفري (رض) قال : كنت في الحبس المعروف بحبس حسيس في الجوشق الأحمر ، أنا ومحمد بن الحسن العسفي ، ومحمد بن إبراهيم العامري وفلان وفلان ، إذ دخل علينا الحسن العسكري وأخوه جعفر ، فحفظنا به وكان المتولي بحبسه صالح بن وصيف ، وكان معنا في الحبس رجل جمحي يقول إنه علوي ، فقال العسكري : لولا أن فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم ، وأومى بيده إلى الجمحي أن يخرج ، فخرج ، فقال (ع) هذا رجل ليس منكم فاحذروه ، فإن في ثيابه رقعة قد كتبها إلى السلطان يخبره بما تقولون فيه ، فقام بعضهم وفتش ثيابه فوجد الرقعة ، يذكرنا فيها بكل عظيمة .

وروي عن الجعفري (رض) قال : كان الحسن العسكري (ع) يصوم في الحبس ، فإذا أفطر أكلنا معه من طعام كان يحمله إليه غلامه في جوزة

مختومة ، وكنت أصوم معه ، فلما كان ذات يوم أكلت كعكة كبيرة ، ولم يشعر بي أحد ، ثم جئت فجلست معه فقال لغلامه : أطعم أبا هاشم فإنه مفطر ، فتبسمت فقال : ما يضحكك يا أبا هاشم ؟ إذا أردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لا قوة فيه ، صدق الله ورسوله (ص) وأنتم أهل بيت رسوله (ص) ثم قال لي : افطر ثلاثاً فإن الصحة لا ترجع إذا نهكها الصوم في أقل من ثلاث ، فلما كان في اليوم الذي أراد الله تعالى أن يفرج عنه فيه ، جاءه الغلام فقال : يا سيدي أحمل فطورك إليك ؟ قال : احمله وما أحسبنا نأكله ، فحمل الغلام الطعام عند الظهر وأطلق العصر وهو صائم ، فقال (ع) : كلوا هناكم الله تعالى .

فيا لها من مناقب كشفت عن تلك الأنوار المضيئة ، وأبرزت محجبات أبتكار الأسرار من الأفكار ، فلا غرو حسدوهم الليل والنهار ، وارتكب ما ارتكب في شأنهم الحسدة الأشرار ، فحرصوا أن يفنوهم من جديد الأرض ، ويضيقوا عليهم في الطول والعرض ، فسجنوهم في السجون والقيود ، ودفنوهم أحياء في الأحدود .

وعن أبي القاسم كاتب راشد في كشف الغمة ، قال : خرج رجل من العلويين بسر من رأى في أيام الحسن (ع) إلى الجبل يطلب الفضل ، فلقبه رجل بهلول فقال له : من أين أتيت ؟ فقال : من سر من رأى ، فقال له : تعرف درب كذا ودرب كذا ؟ فقال : نعم فقال : هل عندك من أخبار الحسن بن علي (ع) ؟ فقال : لا قال : فما أقدمك الجبل ؟ قال : أطلب الفضل قال : لك عندي خمسون ديناراً فاقبضها وانصرف معي إلى سر من رأى حتى توصلني إلى الحسن بن علي (ع) ، واستأذنا على الحسن بن علي (ع) فأذن لهما فدخلا ، والحسن (ع) قاعد في صحن الدار ، فلما نظر الحسن (ع) إلى الجبلي قال له : أنت فلان بن فلان ؟ قال : نعم قال : أوصي إليك أبوك وأوصي إلينا بوصية جئت لتؤديها وهي معك ، أربعة آلاف دينار هاتها فقال الرجل : نعم ،

فدفع إليه المال ، ثم نظر إلى العلوي فقال : خرجت إلى الجبل تطلب الفضل فأعطاك هذا الرجل خمسين ديناراً ، فخرجت معه ونحن نعطيك خمسين ديناراً فأعطاه .

وروى جعفر بن شريف الجرجاني قال : حججت سنة فدخلت على الحسن بن علي (ع) بسر من رأى ، وقد كان أصحابنا حملوا معي شيئاً من المال ، فأردت أن أسأله إلى من أدفعه فقال لي قبل أن أسأله : ادفع ما معك إلى مبارك خادمي ، ففعلت ، فقلت : شيعتك بجرجان يقرؤنك السلام ، فقال (ع) : أولست منصرفاً بعد فراغك من الحج ؟ قلت : بلى قال : إنك تصير إلى جرجان من يومك هذا إلى مئة وتسعين يوماً ، وتدخلها يوم الجمعة لثلاث مضي من شهر ربيع الآخر في أول النهار ، فأعلمهم اني أوفيهم في ذلك اليوم آخر النهار فامض راشداً ، فإن الله تعالى سيسلمك ويسلم من معك ، فتقدم على أهلك وولدك ، ويولد لك ولد شريف ، فسمه الصلت ، وسيبلغ وسيكون من أوليائنا ، فقلت : يا بن رسول الله إن إبراهيم بن إسماعيل الحلختي من شيعتك وهو كثير المعروف إلى أوليائك ، يخرج إليك في السنة من ماله أكثر من مئة درهم ، وهو أحد المبطلين في نعم الله تعالى بجرجان ، فقال (ع) : شكراً لله لأبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل صنيعه إلى شيعتنا ، وغفر الله ذنوبه ورزقه ذكراً سورياً قائماً بالحق ، فقل له : يقول لك الحسن بن علي : سم ابنك أحمد .

فانصرفت من عنده وحججت ، فسلمني الله تعالى حتى وافيت جرجان يوم الجمعة أول النهار لثلاث مضي من شهر ربيع الآخر على ما ذكره (ع) فجاء أصحابي يهنوني ، فأعلمتهم أن الإمام الحسن العسكري (ع) وعدني أنه يوافيكم في هذا اليوم ، فتأهبوا إلى ما تحتاجون إليه ، وأعدوا مسائلكم وحوائجكم كلها ، فلما صلوا الظهر والعصر واجتمعوا في داري فوالله ما شعرنا إلا وقد وافانا الإمام (ع) ، فدخل ونحن مجتمعون فسلم علينا فاستقبلنا وقبلنا

يديه ورجليه ، ثم قال (ع) اني وعدت جعفر الشريف (رض) أن أوافيكم هذا اليوم ، فصليت الظهر والعصر بسر من رأى وصرت إليكم وها أنا قد جئتكم الآن ، فاجمعوا مسائلكم وحوائجكم كلها ، فأول من ابتدر بالمسألة النصر بن جابر فقال : يا بن رسول الله (ص) إن ابني جابراً بلي في بصره فاذع الله تعالى أن يرد عينيه ، فقال (ع) : هاته ، فجاء به فمسح بيده على عينيه فعاد بصره ، ثم تقدم رجل فرجل يسألونه حوائجهم فأجابهم ودعا لهم بالخير ، ثم انصرف (ع) من يومه ذلك إلى سر من رأى .

وعن علي بن شابور قال : قحط الناس بسر من رأى في زمن الحسن بن علي العسكري (ع) فأمر المتوكل بالاستسقاء ، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فما سقوا ، وخرج الجاثليق في اليوم الرابع مع النصاري والرهبان ، وكان فيهم راهب فلما مد يده هطلت السماء بالمطر ، وخرجوا في اليوم الثاني فمطرت السماء ، فشك أكثر الناس وتعجبوا وصبوا إلى دين النصرانية ، فأنفذ المتوكل إلى الحسن العسكري (ع) وكان محبوباً فأخرجه من الحبس ، وقال : إالحق أمة جدك (ص) فقد هلكت فقال (ع) : إني خارج ومزبل الشك إن شاء الله تعالى ، قال : فخرج الجاثليق في اليوم الثالث والرهبان معه ، وخرج الحسن (ع) في نفر من أصحابه ، فلما بصر بالراهب قد مد يده أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين أصبعه ففعل ، وأخذ منه عظماً أسوداً ، فأخذه الحسن (ع) وقال له استسق الآن فاستسقى ، وكان في السماء غيماً فتشع الغيم وطلعت الشمس بيضاء ، فقال المتوكل : ما هذا العظم يا أبا محمد ؟ فقال (ع) : إن هذا الرجل مر بقبر من قبور الأنبياء فوق في يده هذا العظم ، وما كشف عن عظم نبي إلا هطلت السماء بالمطر :

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| لحا الله قوماً وازنوك بمن عتي | على الله عدواناً فهدم دينه |
| يظنون أن القطر ينزل سرعة | إذا مد من غطى العقول يمينه |
| ولم يعلموا عظم النبي بكفه | ومن أين هذا السر يستخرجونه |

فلولاك ردت لالتنصر أمة لجدك قدماً دينه يرتضونه
أيا شر خلق الله كيف عمدتم إلى نور خلاق السورى تطفثونه
صلاة إلهي لا تزال تحفه متى البان أهفى الريح منه غصونه

وكم له (ع) من معاجز لا تأتي عليها الأقلام وكتاب الأرقام ، وهي التي حسدوهم عليها الطغاة الظلام ، سيما الأرجاس من بني العباس ، فقد تقصدوهم في كل محنة ومقام ، فسقوهم كؤوس الحمام بكل لدن وحسام ، على أنهم لا يشاركونهم فيما بأيديهم من الحلال والحرام .

ومنها ما كتبه الحسن بن طريف يسأله ما معنى قول النبي (ص)
لعلي (ع) : من كنت مولاه فعليّ مولاه ؟

قال (ع) : أراد بذلك أن يجعله علماً يعرف به حزب الله عند الفرقة ، قال : وكتبت إليه أسأله وقد تركت التمتع ثلاثين سنة وقد نشأت لذلك ، وكان في الحي امرأة وصفت لي بالجمال ، فمال قلبي إليها ، وكانت لا تمنع يد لاس فكرهتها ثم قلت : قد قال رسول الله (ص) تمتع بالفاجرة فكأنها تخرجها من حرام إلى حلال ، فكتب إلي : إنما تحيي سنة وتميت بدعة ، فلا بأس ، وإياك وجارتك المعروفة بالعهر ، فإن حدثتك نفسك أن آبائي (ع) قالوا : تمتع بالفاجرة فإنك تخرجها من حرام إلى حلال ، فهذه امرأة معروفة بالهتك وهي جارة ، وأخاف عليك استفاضة الخبر فيها ، فتركها ولم أتمتع بها وتمتع بها شاذان بن مسعود رجل من إخواننا ، فاشتهر بها حتى انتهى أمره إلى السلطان ، وغرم بسببها مالا جزيلاً ، وأعاذني الله تعالى من ذلك كله ببركة سيدي .

وروي أنه كان عند المستعين بغل لم ير مثله حسناً وكبراً ، وكان يمنع ظهره اللجام ، وكان قد جمع عليه الرواض فلم يكن لهم حيلة في ركوبه . فقال لهم بعض ندمائه : يا أمير المؤمنين ألا تبعث إلى الحسن العسكري (ع) ابن الرضا حتى يجيء ، فاما أن يركبه واما أن يقتله ، فبعث إلى

الحسن العسكري (ع) ، فلما دخل الدار نظره واقفاً في صحن الدار ، فوضع يده على كفله ، قال : فنظر إلى البغل وقد عرق حتى سال العرق منه .

ثم صار(ع) إلى المستعين فسلم عليه ورحب به وقربه وقال : يا أبا محمد ألجم هذا البغل ، فقال (ع) لغلامه وكان اسمه أبي إجمه يا غلام فقال المستعين : وأسرجه ، فأسرجه (ع) ، فقال المستعين : أرى أن تركبه فركبه من غير أن يمتنع عليه ، ثم أركضه في الدار ثم حمله إلى الهملجة ، فمشى أحسن مشي ، ثم رجع فنزل (ع) فقال له المستعين : كيف رأيتَه ؟ فقال (ع) : ما رأيت مثله حسناً ورفاهة ، فقال له المستعين : فإن أمير المؤمنين قد حملك عليه فقال (ع) لغلامه : خذه يا أبي فأخذه أبي فقاده .

وعن أبي هاشم قال : شكوت إلى أبي محمد (ع) ضيق الحبس وضيق القيود ، فكتب إلي أن تصلي اليوم الظهر في منزلك فكان كما قال (ع) ، وكنت مضيقاً فأردت أن أطلب منه معونة في الكتاب الذي كتبه فاستحيت ، فلما صرت إلى منزلي وجه إلي بمائة دينار وكتب لي : إذا كانت لك حاجة فلا تستحي ولا تحشتم ، واطلبها تأتلك على ما تحب إن شاء الله تعالى .

وعن محمد بن علي بن إبراهيم بن جعفر ، قال : ضاق بنا الأمر فقال أبي : امض بنا حتى نصير إلى هذا الرجل يعني أبا محمد (ع) فقد وصف عنه سماحة ، فقلت : أتعرفه ؟ قال : لا والله ولا رأيتَه قط ، ثم قصدناه فقال أبي ونحن في الطريق : ليته يأمر لي بخمسمائة درهم مائتي درهم للكسوة ، ومائتي درهم للدقيق ومائة درهم للنفقة ، وقلت أنا في نفسي : ليته يأمر لي بثلاثمائة درهم مائة أشترى بها حماراً ، ومائة للنفقة ، ومائة للكسوة ، وأخرج إلى الجبل ، فلما وافينا الباب خرج علينا غلامه فقال : يدخل علي بن إبراهيم وابنه ، فلما دخلنا وسلمنا قال لأبي : يا علي ما خلفك عنا إلى هذا الوقت ؟ فقلت يا سيدي استحييت أن ألقاك على هذه الحال ، فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبي صرة فيها دراهم فقال : هذه خمسمائة درهم مائتان للكسوة

ومائتان للدقيق ومائة للنفقة ، وأعطاني صرة وقال : هذه ثلاثمائة درهم اجعلها مائة في ثمن حمارك ، ومائة للكسوة ، ومائة للنفقة ، ولا تخرج للجبل ، وصر إلى سورا قال : فصار إلى سورا وتزوج امرأة منها ، فدخله اليوم أربعة آلاف دينار ومع هذا يقول بالوقف .

قال محمد بن إبراهيم الكردي : أتريد أمراً أبين من هذا . قال : صدقت ولكننا على أمر جرينا عليه قلت : هذا هو التقليد الذي ذمه الله تعالى في كتابه فقال حكاية عن الكفار : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾^(١) .

ولله درّ من قال :

| | |
|-------------------------------------|-----------------------------------|
| هم النور نور الله جل جلاله | يجلي بهم تلك الحنادس والظلم |
| زها نورهم في الأفق في الصبح والمساء | ولم يك نورهم في الليل بيدوعلى علم |
| فوا عجباً من أمة شهدت لهم | مناقب لا يأتي على عدها قلم |
| وقد جحدوهم بعد ما شاع فضلهم | وقد فضلوا في الخلق من أزل القدم |
| ولم يكفهم هذا وقد عمدوا لهم | بسيف رسم حيث واروهم الرجم |
| ولا مثل أبناء العمومة ويلهم | فلا راقبوا فيهم عهداً ولا ذمم |
| أ يقتل مثل العسكري الذي به | وجود الورى بعد التخلد في العدم |
| عليه سلام الله ما ذر لعنة | على مستعين بالتوكل معتصم |

وروي أنه لما مات أبوه علي بن محمد الهادي (ع) ، خرج إلى جنازة أبيه (ع) مشقوق الجيب ، فكتب إليه ابن عوف وقرابة بن نجاح بن سلمة : رأيت أو بلغك أن أحداً من الأئمة (ع) شق ثوبه مثل هذا ؟ فكتب إليه : يا أحقق ما يدريك ما هذا قد شق موسى (ع) على هارون (ع) .

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٢٢ .

وكتب إليه داؤد بن هاشم الجعفري يسأله عن قول الله عز وجل : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾^(١) فقال : كلهم من آل محمد (ص) الظالم لنفسه منا الذي لا يعرف حق الإمام ، والمقتصد منا العارف بحق الإمام ، والسابق بالخيرات هو الإمام (ع) قال : قدمعت عيني وجعلت أفكر في نفسي في عظم ما أعطى الله آل محمد (ص) فنظر إليّ وقال : الأمر أعظم بما حدثتكَ به نفسك من عظم شأن آل محمد (ص) فاحمد الله ان جعلك متمسكاً بحبلهم تدعى يوم القيامة بهم إذا دعي كل أناس بإمامهم ، إنك على خير .

وقعد إليه إسماعيل بن محمد بن علي بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس قال : فلما مر بي شكوت إليه الحاجة وحلفت له ليس عندي درهم واحد فما فوقه ، ولا غداء ولا عشاء . قال : فقال (ع) : أتحلف بالله كاذباً وقد دفنت مائتي دينار ، وليس قولي هذا دفعاً لك عن العطية ، أعطه يا غلام ما معك فأعطاني مائة دينار ، ثم قال لي : إنك تحرم الدنانير التي دفنتها ، وإنك أخرج ما يكون إليها ، وصدق (ع) فيما قال ، وذلك أني أنفقت ما وصلني واضطرت اضطراراً شديداً إلى شيء أنفقه ، فأتيت إلى الدنانير التي دفنتها فلم أجدها ، فإذا ابن لي قد عرف موضعها فأخذها وهرب ، فما قدرت منها على شيء .

وقال علي بن زيد بن علي بن الحسين (ع) : كان لي فرس وكنت به متعجباً أكثر من ذكره في المجالس ، فدخلت يوماً على الحسن العسكري (ع) فقال : ما فعل فرسك ؟ فقلت : ها هو عند بابك الآن قد نزلت عن ظهره ، فقال (ع) : استبدل به قبل المساء إن قدرت على مشتر له لا تؤخر ذلك ، ودخل داخل فانقطع الكلام ، ففقت مفكراً وقلت : ما معنى ذلك ، وسرت إلى منزلي فأخبرت أخي فقال : ما أدري ما أقول في هذا ، وشححت به ، وأمسينا فلما

(١) سورة فاطر ، الآية : ٣٢ .

صلبنا العتمة جاني السائس فقال : نفق فرسك الساعة ، فاغتمت وعلمت أنه عنى هذا بذلك القول ، ثم دخلت على أبي الحسن (ع) بعد أيام وأنا أقول في نفسي ليته يخلف عليّ دابة ، فلما جلست قال : قبل أن أحدثه بشيء : نعم يخلف الله عليك ، يا غلام أعطه برذوني الكميت . ثم قال : هذا خير من فرسك وأوطأ وأطول عمراً .

وقال أحمد بن محمد : كنت كتبت إلى أبي محمد الحسن (ع) حين أخذ المهدي في قتل الموالي يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنا ، فقد بلغني أنه يتهددك ويقول : والله لأخلينهم عن جدد الأرض ، فوقع بخطه ذلك أقصر لعمره ، فعد من يومك هذا إلى خمسة أيام ، فيقتل يمر به في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف بموته . فكان كما قال (ع) .

ودخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حبس (ع) عنده وقالوا له : ضيق عليه ولا توسع فقال صالح : ما أفعل به فقد وكلت به رجلين من أشرم ما قدرت عليه ، وقد صار إلى العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم ، ثم أمر بإحضار الموكلين فقال لهما : ويحكما وما شأنكما في أمر هذا الرجل ؟ فقالا له : ما تقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله ، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة ، فإذا نظر نظر إلينا ارتعدت فرائصنا ، ودخلنا مما لا نملكه على أنفسنا ، فلما سمع العباسيون انقلبوا .

وذكر جماعة من أصحابنا قالوا : سلم الحسن (ع) إلى حباس يقال له نحير ويقال نحير فكان يضيق عليه ويؤذيه ، فقالت له امرأته : اتق الله فإنك لا تدري من في منزلك ، وذكرت له صلاحه وعبادته ، وقالت : إني أخاف عليك منه فقال : والله لأرمينه إلى السباع ، ثم استأذن الخليفة في ذلك فأذن له ، فرمى به إليها ولم يشكوا في هلاكه ، فنظروا إلى الموضوع ليعرفوا الحال فوجدوه قائماً يصلي والسباع حوله ، فأمر بإخراجه إلى داره .

ولله در من قال :

لحي الله هذا الخارجي بما جنا
أيرمي بهذا النور بغياً ببركة
فنفسي فداء الذي جارد هره
فاني عليه بعد ذلك في عني
وكيف وقد مضت مصيبته التي
وخرت له السبع الطباق وزلزلت
فيا مدعي حب الإمام فنح له
وشق له جيب التصبر والعزا

على من له أمر الخلافة والأمر
السباع ولم ينهيه ردع ولا زجر
عليه فأرداه الخداعة والعذر
ونيران أحزاني يزيد لها سعر
تكور منها الشمس والنجم والبدر
لها طبقات الأرض بل نضب البحر
بشجو عظيم في الزمان له نشر
ومت أسفاً حياً وإن ضمك القبر

والروايات في مناقبه (ع) كثيرة ، أجل من أن تستقصى ، وكيف تأتي
أقلامي وجنود كلامي على من مدحه الله وأثني في الكتاب ، وجعله قدوة لعباده
الأنجاب ، وقص مصيبته في ملائكته وأنبيائه إلى يوم الحساب ، وفيما ذكرناه
كفاية لثبوت إمامته (ع) التي أوجبها الخالق كلها وفتح بها تلك الأبواب .

الفصل الثالث

وقد سقي ذلك السم في أول شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين ، ومات في يوم الجمعة لثمان مضمين منه من ذلك العام ، وله يوم وفاته (ع) ثمانية وعشرون سنة ، وكان أعظم سبب في هلاكه ما وشا به أخوه جعفر الكذاب حيث قد نازع الإمامة كما أخبره النبي (ص) الأواب .

وقد تقدم في خبر الكابلي الذي رواه عن مشائخه الثقة المنيبىء عن قصته مع عبدالله بن خاقان وزيره وولي الضياع والخراج ، أن ابن الرضا (ع) قد اعتل فركب من ساعته ، فبادر إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلاً ومعه من خدم أمير المؤمنين ، كلهم من ثقاته وخواصه فيهم نحرير ، فأمرهم بلزوم دار الحسين (ع) وتعرف خيره وحاله ، وبعث إلى نفر من المطيبين فأمرهم بالإختلاف إليه وتعاهده صباحاً ومساءً ، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر أنه قد ضعف ، فأمر المطيبين بلزوم داره ، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يثق بهم في دينه وأمانته وورعه ، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن (ع) وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً ، فلم يزالوا هناك حتى توفي صلوات الله عليه ، فصارت سر من رأى في صبيحة واحدة وبعث السلطان إلى داره ففتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها ، وطلبوا أثر ولده ، وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل فدخلن جواربه ينظر إليهن ، فذكر

بعضهن أن جارية هناك بها حمل ، فجعلت في حجرة ووكل بها تحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم ، ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئة وعطلت الأسواق ، وركب بنو هاشم والقواد وعبدالله بن خاقان الوزير الأعظم وسار الناس إلى جنازته (ع) ، وكانت سر من رأى شبيهة بالقيامة ، فلما فرغوا من تهيئته (ع) بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه ، فلما وضعت الجنازة للصلاة دنا أبو عيسى منه ، فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم ، والعباسة ، والقواد ، والكتّاب ، والقضاة ، والمعدّلين ، وقال : هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا (ع) ، مات حتف أنفه على فراشه حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ، ومن المطيبين فلان وفلان ، ثم غطي وجهه وأمر بحمله من وسط داره (ع) ، ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه (ع) .

فلما دفن أخذ السلطان في طلب ولده ، وأكثر التفتيش في المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه (ع) ، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهموا عليها بالحمل ملازمين لها حتى تبين بطلان الحمل عندهم ، فقسّموا ميراثه بين أمه وأخيه جعفر الكذاب ، وادعت أمه وصيته ، وثبت ذلك عند القاضي والسلطان وبطل أثر ولده ، فجاء بعد ذلك جعفر الكذاب إلى عبدالله بن خاقان فقال : اجعل لي مرتبة أخي (ع) وأوصل لك في كل سنة عشرين ألف دينار فزبره ، وقال : يا أحمق إن السلطان قد جرد سيفه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ، ليردهم عن ذلك ، فلم يتهياً له ذلك ، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة لك بالسلطان ولا غير السلطان في ترتيبك مراتبهم ، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا ، فاستقله عبيدالله بن خاقان عند ذلك واستضعفه ، وأمر أن يحجب عنه فلم يؤذن له بالدخول حتى مات ، وخرج وهو على تلك الحال يطلب أثر ولده الحسن بن علي (ع) .

وفي كتاب الإكمال عن محمد بن الحسن بن عباد قال : مات أبو

محمد (ع) يوم الجمعة مع صلاة الغداة ، وكان في تلك الليلة قد كتب كتباً كثيرة إلى المدينة ، وذلك في شهر ربيع الأول لثمان خلون منه سنة ستين ومائتين من الهجرة ، ولم يحضره إلا صقيل الجارية وعقيد الخادم ومن علم الله غيرهما - وهو القائم عجل الله فرجه - فدعا بماء قد غلى بالمصطكي ، فجثنا به إليه ، فقال : ابدؤوا بالصلاة فوضئوني ، فجثنا بالمنديل فبسطناه في حجره وأخذ ابنه الماء من صقيل فغسل به وجهه وذراعيه مرة مرة ، ومسح على مقدمة رأسه وظاهر قدميه مسحاً وصلى صلاة الصبح على فراشه ، وأخذ القدح ليشرب وجعل القدح يضطرب ويضرب ثناياه ويده ترتعش ، فأخذت القدح من يده ومضى (ع) من ساعته ودفن في داره بسر من رأى إلى جانب أبيه (ع) ، وصار إلى كرامة الله تعالى وقد كمل عمره تسع وعشرون سنة .

قال وقال لي ابن عباد في هذا الحديث ، قدمت أم أبي محمد من المدينة واسمها حديث حين اتصل بها الخبر إلى سر من رأى ، فكانت لها أقاصيص يطول شرحها مع جعفر في مطالبته إياها بميراثه وسعايته بها إلى السلطان ، وكشف ما أمر الله تعالى بستره ، وادعت عند ذلك صقيل أنها حامل فحملت إلى دار المعتمد ، فجعلن نساء المعتمد وخدمه ونساء القاضي ابن أبي الشوارب يتعاهدن أمرها في كل يوم ووقت ، إلى أن دهمهم أمر الصفار وموت عبدالله بن يحيى بن خاقان بغتة ، وخروجهم من سر من رأى وأمر صاحب الزنج بالبصرة وغير ذلك وفي هذا قيل :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| مضى خير خلق الله بعد محمد | وأبائه تلك الكرام الأماجد |
| قضى وهو مسموم فوا لهفي لهم | فيا لك من نور إلهي حامد |
| فلا وفق الله الموفق إذ أتى | بخطب شنيع ياله من منابد |
| أذك رواسي الكائنات بأصلها | وطبق أرباب النهي والفوائد |
| وأحمد نور الله بعد سنائه | وعطل أركان الهدى في الهوامد |
| فيا قلبي المضنى أدم في صبابة | ويا دمع عيني سل دماً غير نافد |

فقد مات سلطان الورى وابن خيرة
فكيف ألد العيش أو أعرف الكرى
ستبيك أعواد المنابر والدعا
ويبكك دين الله لما تعطلت
فيا خير من قد ضمه باطن الحشا
عليك سلام الله ما ذر شارق
الأنام وكهف للملا في الشدائد
وأنت رهين في الثرى والجلامد
وتبيك أنواع الثنا والمحامد
مداركه من ثابته الأسانيد
ويا خير من قد حط بطن الملاحد
وقام أذان الذكر من كل عابد

وفي كتاب الإكمال عن أبي الأديان قال : كنت أخدم الحسن بن علي
العسكري (ع) ، وأحمل كتبه إلى الأمصار ، فدخلت عليه في علقته التي توفي
فيها (ع) ، فكتب معي كتاباً وقال : امض إلى المدائن والأمصار فإنك مستغيب
خمس عشرة يوماً وتسمع الواعية في داري وتجذني على المغتسل ، وتدخل إلى
سر من رأى يوم الخامس عشر فترى ما أخبرتك به .

قال أبو الأديان : فقلت : يا سيدي إذا كان ذلك كذلك فمن آتية ؟ قال :
من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم قلت : زدني ، قال : من أخبر بما في
الهميان فهو القائم بعدي ، ثم منعتني هيئته أن أسأله عما في الهميان ،
فخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها ، ودخلت سر من رأى يوم
الخامس عشر كما قال لي (ع) وإذا الواعية في داره وإذا هو على المغتسل ،
وإذا بجعفر أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنونه ، فقلت في
نفسى : إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة لأنى كنت أعرفه يشرب الخمر
ويقامر في الجوسق ويلعب بالطنبور ، فتقدمت إليه فهنئته وعزيتة فلم يسألني عن
شيء .

ثم خرج عقيد الخادم فقال : يا سيدي قد كفن أخوك فقم للصلاة عليه ،
فدخل جعفر والشيعة من حوله يقدمهم السمان والحسن بن علي قتييل المعتصم
المعروف بسلمة ، فتقدم جعفر ليصلي على أخيه فلما همم بالتكبير خرج صبي
بوجهه سمرة بشعره قطط بأسنانه فلج فجذب رداء جعفر بن علي وقال : تأخر

فأنا أحق بالصلاة على أبي (ع) ، فتأخر جعفر وقد اربد واصفر وجهه ، فتقدم وصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه (ع) . فقال لي : يا بصري هات جوابات الكتب التي معك ، فدفعتها إليه وقلت في نفسي هذه إثنتان ، بقي الهميان ثم خرجت إلى جعفر الكذاب وهو يزفر وقال له حاجز الوشاء : يا سيدي من الصبي لنقيم الحجة عليه ؟ فقال : والله ما رأيته قط ولا أعرفه فبينما نحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن علي (ع) فعرفوا بموته ، فقالوا : فمن نعزي ، فأشار الناس إلى جعفر بن علي فسلموا عليه وعزّوه وهنوه ، فقالوا : معنا كتب ومال ، فأخبرنا ممن الكتب وكم المال ، فقام وهو ينفض أثوابه وقال : تريدون منا علم الغيب قال : فخرج الخادم فقال : معكم كتب من فلان وفلان ، وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية ، فدفعوا الكتب والمال وقالوا : الذي وجه بك لأجل ذلك فهو الإمام ، فدخل جعفر بن علي على الموفق وكشف ذلك له ، فوجه الموفق خدمه فضيقوا على صقيل الجارية وطلبوها بالصبي فأنكرت وادعت حملاً بها لتغطي خبر الصبي ، فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي فبلغهم موت عبيدالله بن يحيى بن خاقان وخروج صاحب الزنج بالبصرة ، فتشغلوا بذلك عن الجارية ، فخرجت من أيديهم والحمد لله ربّ العالمين .

ولله درم من قال :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| تلك القوادح من بني العباس | نفسى الفداء لسيد قدحت به |
| من بعد عدل صرن في انكاس | طمست به أعلام دين محمد |
| وغدت شמוש الحق في اطماس | وعلا به طود الضلالة والعمى |
| يجلو ظلام الحق والوسواس | وبه تغيب نور أحمد والذي |
| كشفاً لها مذ غاب في الأرماس | وبقى الأنام بحيرة لا ترتجى |
| وتصدعي يا زفرة الأنفاس | يا قلبي الولهان مت أسفاً له |
| حكمت عليه طوائف الأرجاس | إن الخليفة من له حكم الورى |

ففتته من عقر الديار ببيغها حتى تغيب خفيفة الأرجاس
فإلهي عجل للأنام ظهور من يحيى الورى عن وصمة الخناس
صلى الإله عليه ما هبت صباً وهناً ففاح أريج طيب الآسي

وفي الإكمال عن سيار الموصلية قال : لما قبض سيدنا أبو محمد الحسن
العسكري (ع) ، قدم قوم من قم ومعهم الجمال وفود بالمال التي كانت على
الرسم ، ولم يكن عندهم خبر وفاته ، فقبل لهم إنه (ع) قد فقد فقالوا : فمن
وارثه ؟ قالوا : أخوه جعفر الكذاب بن علي الهادي ، فسألوا عنه قيل لهم : إنه
قد خرج متنزهاً وركب زورقاً ولحقه بالدجلة يشرب الخمر ومعه المغنين قال :
فتشاور القوم وقالوا : ليس هذه صفة الإمام فقال بعضهم لبعض : امضوا بنا
حتى نرد هذه الأموال إلى أهلها ، فقال أبو العباس جعفر بن محمد الحميري :
قفوا بنا حتى يرجع هذا الرجل ونختبر أمره على الصحة .

قال : فلما انصرف دخلوا عليه فسلموا عليه وقالوا : يا سيدنا نحن قوم
من قم ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها ، وكنا نحمل إلى سيدنا الحسن بن
علي (ع) الأموال فقال : وأين هي ؟ فقالوا : معنا فقال : احملوها إلي فقالوا :
إن لهذه الأموال خبراً طريفاً قال : فما هو ؟ فقالوا : إن هذه الأموال تجمع
ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران ثم يجعلونها في كيس ويجتمعون
عليه ، وكنا إذا أوردنا المال إلى سيدنا أبي محمد (ع) يقول : جملة المال كذا
وكذا دينار من عند فلان كذا وكذا ، ومن عند فلان كذا وكذا ، حتى يأتي علي
أسماء أصحابه كلها ويقول بما على الخواتيم من النقش فقال جعفر : كذبتم
تقولون علي أخي بما لا يفعل ، هذا علم الغيب . فلما سمع القوم كلامه جعل
ينظر بعضهم إلى بعض فقال : ألا تحملون هذا المال إلي ؟ فقالوا : إنا قوم
مستأجرون وكلاء لأرباب المال ، ولا نسلم المال إلا بالعلامات التي كنا نعرفها
من سيدنا الحسن بن علي (ع) ، فإن كنت الإمام فبرهن لنا وإلا رددنا المال إلى
أصحابه يرون فيه رأيهم .

قال : فدخل جعفر على الخليفة وكان بسر من رأى ، فاستدعى عليهم ، فلما حضروا قال الخليفة : احملوا هذا المال إلى جعفر فقالوا : أصلح الله أمير المؤمنين ، إنا قوم مستأجرون ووكلاء لأرباب هذه الأموال ، وهي وديعة لجماعة عندنا وأمرونا ألا نسلمها إلا بعلامة ودلالة ، وقد جرت هذه العادة مع أبي محمد (ع) فقال الخليفة : ما الدلالة لأبي محمد (ع) ؟ قال القوم كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي ، فإذا فعل ذلك سلمنا إليه المال ، وقد وفدنا عليه مراراً فكانت هذه علامتنا معه (ع) ودلالتنا ، وقد مات فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الأمر ، فليقم لنا ما كان يقيم لنا أخوه وإلا رددناها على أصحابها . فقال جعفر : يا أمير إن هؤلاء القوم يكذبون على أخي ، وهذا علم الغيب . فقال الخليفة : القوم رسل وما على الرسول إلا البلاغ المبين ، قال : فهبت جعفر ولم يحرج جواباً فقال القوم : يقول أمير المؤمنين بإخراج أمره إلى من يديرنا حتى نخرج من هذه البلدة ، قال : فأمر لهم بنقيب فأخرجهم منها .

فلما أن خرجوا من البلد خرج لهم غلام أحسن الناس وجهاً كأنه خادم ، فنادى يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان أجيئوا داعي الله أجيئوا مولاكم ، فقالوا : أنت مولانا ؟ فقال : معاذ الله ، أنا عبد مولاكم فسيروا إليه قالوا : فسرنا معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن علي (ع) وإذا ولده القائم (ع) سيدنا قاعد على سرير كأنه فلقة قمر عليه ثياب خضر ، فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقال : جملة المال كذا وكذا ديناراً ، حمل فلان كذا ، ولم يزل يصف حتى وصف الجميع ، ثم وصف ثيابنا ورحالنا وما كان معنا من الدواب ، فخررنا سجداً لله عز وجل شكرياً ، وقبلنا الأرض بين يديه ، ثم سألنا عما أردنا فأجابنا ، وحملنا إليه الأموال وأمرنا القائم (ع) أن لا نحمل إلى سر من رأى بعد هذا شيئاً من المال ، وانه ينصب إلينا في بغداد رجلاً نحمل إليه الأموال ، ويخرج من عنده التوقيعات ، قال : فانصرفنا من عنده ، ودفعت إلى أبي العباس جعفر بن محمد الحميري شيئاً من الحنوط والكفن ، وقال : عظم الله أجرك في نفسك .

قال : فما بلغ أبو العباس عقبة همدان حتى توفي رحمه الله ، وكان بعد ذلك تحمل الأموال إلى بغداد إلى النواب المنصوبين وتخرج منهم التوقيعات .

ولما قدم الحسن (ع) على ربّه ، واستتر عن أهله وأصحابه ، ووقعت الغيبة الصغرى ، ولم يعلم به ولا يدري من نصب لقبض الأموال والأخماس وإزالة الوسواس الخناس من الناس وكشف الشكوك والأقياس ، فذهبت الخواص من شيعته إلى الاطلاع على أمره واستجلاء ديجور ليل استتار نور بدره ، وكان ممن طلب إبراهيم بن مهزيار وهو من الثقة الأختيار قال : قدمت المدينة مدينة الرسول (ص) فبحثت عن أخبار آل أبي محمد الحسن بن علي (ع) الأخير ، فلم أقع على شيء منها ، فرحلت إلى مكة مستبحشاً عن ذلك ، فبينما أنا في الطواف الأخير إذ تراءى لي فتى أسمر اللون ، ريع ، حسن الوجه ، جميل المخيلة ، يطيل التوسم إلي ، فعدلت إليه مؤملاً منه عرفان الوجه لما قصدت إليه ، فلما قربت منه سلمت عليه فأحسن الرد والإجابة ، ثم قال : من أي البلاد أنت ؟ قلت : أنا رجل من العراق ، قال : من أي العراق أنت ؟ فقلت : من الأهواز ، قال : مرحباً بلقائك ، هل تعرف بها جعفر بن محمد الحضيني ؟ قلت : دعي فأجاب قال : رحمة الله عليه ما كان أطول ليلاه وأجزل نيلاه ، فهل تعرف إبراهيم بن مهزيار ؟ فقلت : أنا إبراهيم بن مهزيار ، فعانقني ملياً ثم قال : مرحباً بك يا أبا إسحاق ما فعلت العامة التي وشجت بينك وبين أبي محمد ، قلت : لعلك تريد الخاتم الذي آثرني الله به من طيب أبي محمد بن علي (ع) ؟ فقال : ما أردت سواه ، فأخرجته إليه ، فلما نظر إليه استعبر وقبله ، ثم قرأ كتابته وكانت : يا الله يا محمد يا علي ثم قال : يا أبا إسحاق أخبرني من عظيم ما توخيت به بعد الحجج قلت : وأبيك ما توخيت إلا ما سأستعلمك مكنونه قال : سل عما تريد فإني شارح لك إن شاء الله تعالى ، قلت : هل تعرف من آل أبي محمد الحسن بن علي (ع) شيئاً ؟ قال : وأيم الله إني لأعرف الضوء من جبين محمد (ع) وموسى أبناء الحسن بن علي (ع) ، ثم

إني لرسولهما إليك قاصداً لأنبشك أمرهما ، فإذا أحبيت لقاءهما والإكتحال بالتبرك بهما فارتحل معي إلى الطائف ، وليكن ذلك في خفية واكتتام .

قال إبراهيم : فشخصت معه إلى الطائف نتخلل رملة رملة حتى أخذ في بعض مخارج الفلوات ، فبدت لنا خيمة شعر قد أشرفت على أكمة رمل تتلألاً تلك البقاع منها تتلألاً ، فبدرني إلى الإذن ودخل مسلماً عليهما وأعلمهما بمكاني فخرج عليّ أحدهما وهو الأكبر سنأ ، المهدي بن الحسن (ع) وإذا هو غلام أمرد ، ناصع اللون ، واضح الجبين ، أزج الحاجبين ، مسنون الخد ، ألقى الأنف ، أشم أروع ، كأنه غصن بان ، صفحة غرته كوكب دري بخده الأيمن خال كأنه قناة مسك على بياض الفضة ، له سمة ما رأت العيون أقصد منه ولا أعرف حسناً وسكينةً وحياءً .

فلما مثل لي أسرعرت إلى تلقيه ، فأكبيت عليه أثم كل جارحة منه ، فقال : مرحباً بك يا أبا إسحاق ، لقد كنت اليوم تعدني وشك لقائك ، والمقالب بيني وبينك على تشاحط وخيال المشاهدة ، وأنا أحمد الله ربي على ما قبض من التلاقي ورفه من كربة التناهي والاستشراف ، ثم سألني عن أحوالي متقدمها ومتأخرها فقلت : بأبي وأمي ما زلت [أسأله] عن أمرك بلداً بلداً منذ استأثر الله سيدي أبا محمد فاستغلق ذلك علي ، حتى من الله علي بمن أرشدني إليك ودلني عليك ، والشكر لله على ما أوزعني فيك من كريم اليد والطول ، ثم نسب نفسه (ع) وأخاه موسى واعتزل بي ناحية ، ثم قال لي : إن أبي صلوات الله عليه عهد لي أن لا أوطن من أرض الله إلا أخفاها وأقصاها إسراراً لأمري ، وتحصيناً لمحلي ومن كيد أهل الضلال والمردة من أحداث الأمم الضمؤال ، فأنبذني إلى عثيالة التلال والرمال وجنبي صرائم الأرض ، ينتظر لي الغاية التي عندها يحل الأمر وينجلي الهلع ، وكان بسط لي من خزائن الحكم وكوامن العلم ما ان نعشت إليك منه جزءاً أغناك عن الجملة .

اعلم يا أبا إسحاق أنه قال صلوات الله عليه : يا بني إن الله جل ثناؤه لم

يكن يخلي أطباق أرضه وأهل الجد في طاعته وعبادته بلا حجة يستعمل بها ، وإماماً يؤتم به ويقتدى بسبيل سنته ومنهاج قصده ، وأرجو يا بني أن تكون أحد من عده الله تعالى لنشر الحق وطي الباطل وإعلاء الدين وإطفاء الضلال ، فعليك يا بني بلزوم خوافي الأرض واتباع قواصيها ، فإن لكل ولي من أولياء الله عدواً مقارعاً وصدماً منازعاً افتراضاً لثواب مجاهدة أهل نفاقه وخلافه أولي الإلحاد والعناد ، فلا يوحشك ذلك واعلم أن قلوب أهل الطاعة والإخلاص تفرغ إليك كالأطيار إلى أوكارها ، وهم معشر يطلعون بمخايل الذلة والإستكانة وهم عند الله بررة يبتزون بأنفس مختلفة محتاجة ، وهم أهل القناعة والإعتصام استبطنوا الدين فوزروه على مجاهدة الأضداد ، وخصهم الله باحتمال الضيم في الدنيا ليشملهم اتساع العز في دار القرار ، وجبلهم على خلائق الصبر على موارد أمورك تفر بذكر الصنيع في مصادرها ، واستشعر العز في ما ينويك تحض بما عليه إن شاء الله تعالى ، وكأنك بتأييد نصر الله وقد آن ، وبتيسير الفرج وعلو الكعب وقد حان ، وكأنك بالرايات الصفر والأعلام البيض تخفق على أثناء إعطافك ما بين الحطيم وزمزم ، وكأنك بترادف البيعة وتصادف الولي يتناظم عليك الدار في مثاني العقود وتصافق الأكف جنات الحجر الأسود تلوذ بفنائك من ملأ برأهم الله في طهارة الولادة ونفاسة التربة ، مقدسة قلوبهم من دنس النفاق مهذبة أفئدتهم من رجس الشقاق لينة عرائكهم للدين ، خصبة ضرائبهم على المعتدين ، واضحة بالقبول وجوههم نضرة بالفضل عيدانهم ، يدينون بدين الحق وأهله ، فإذا اشتدت أركانهم وتقومت أعمدتهم قدمت بمكافئهم طبقات الأمم إلى بيعتك في ظلال دوحة بسقت أفنان غصونها على حافات بحيرة الطبرية ، فعندما يتلألأ صبح الحق وينجلي ظلام الباطل ويقصم الله بك الطغيان ويعيد معالم الإيمان فيطهر بك أقسام الأفاق ويظهر بك السلام الرقاق ، يود الطفل في المهد لو استطاع إليك نهوضاً لنهض ونواشط الوحش لو وجد نحوك مجازاً تهتز بك أطراف الدنيا بهجة وتهتز بك أعطاف العز نظرة وتستقر بواقى الحق في قرارها وتثوب شوارد الدين إلى أوكارها تتهاطل عليك سحائب

الظفر ويخنت كل عدو وينصر كل ولي ، فلا يبقى على وجه الأرض جبار قاصد ولا جاحد فاجر غادر غامض ولا شأن مبغض ولا معاند كاشح ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾^(١) .

ثم قال (ع) : يا أبا إسحاق ليكن مجلسي هذا عندك مكتوماً إلا عن أهل التصديق والأخوة الصادقة في الدين ، وإذا بدت لك تلك الإمارات والتمكن فلا تبطلن يا إخوانك عنا ، وبأهل المنازعة إلى منار اليقين وضياء مصابيح الدين .

قال إبراهيم بن مهزيار (رض) : فمكثت عنده حيناً أقتبس ما يروي من موضحات الأعلام ونيرات الأحكام ، وأروي نبات الصدور من نضارة ما ذخره الله في طبعائه من لطائف الحكمة وطرائف فواضل القسمة ، حتى خفت إضاعة مخلقي بالأهواز لتراخي اللقاء عنهم ، فاستأذنته في القفول وأعلمته عظيم ما أصدر به عنه من التوحش لفرقة والتجرع للظعن عن مجالسته ، فأذن لي ، وأردفني بصالح دعائه ما يكون عند الله ذخراً لي ولعقبتي ولقرايتي ان شاء الله تعالى .

فلما أزف ارتحالي وتهياً اعتزام سفري ، غدوت عليه مودعاً مجدداً للعهد ، وعرضت عليه مالاً كان معي يزيد على خمسين ألف درهم ، وسألته أن يتفضل بقبوله مني ، فتبسم (ع) وقال : يا أبا إسحاق استعن بها على مصرفك فإن الشيعة مدنفة وفلوات الأرض أمامك جمّة ، ولا تحزن لإعراضنا عنه فإننا قد أحدثنا لك شكره ونشره وربطناه عندنا بالذكرة وقبول المنّة ، وبارك الله لك فيما حولك وأدام لك ما هو لك وكتب لك ثواب المحسنين وأكرم آثار الطائعين ، فإن الفضل له ومنه ، واسأل الله تعالى لأصحابك بأوفر الحظ وسلامة الأربة وأكناف الغبطة بلين المنصرف ، ولا أوعث الله لك سبيلاً ولا حير لك دليلاً ، واستودعه نفسك وديعة لا تضيع ولا تزول بمنه ولفقه ان شاء الله تعالى ، يا أبا إسحاق

(١) سورة الطلاق ، الآية : ٣ .

متعنا الله بفوائده وإحسانه وفوائده امتنانه ، وصان أنفسنا في معاونة الأوصياء لنا على الإخلاص في النية ومحافظ النصيحة ومحافظه على ما هو أبقي وأرفع ذكراً .

قال : فقمتم من عنده وأقفلت حامداً لله عزّ وجلّ على ما هداني وأرشدني ، عالماً بأن الله لم يكن ليعطل أرضه ولا ليخليها من حجة واضحة وإمام قائم ، وألقيت هذا الخبر المأثور والنسب المشهور توخياً للزيادة في سائر أهل اليقين ، وتعريفاً لهم بما من الله عزّ وجلّ به من إنشاء الذروة الطيبة والترتبة الزكية ، وقصدت أداء الأمانة ، والتسليم لما استبان ليضعاف الله تعالى للملة الهادية والطريق المرضية قوة عزم وتأييد نية وشدة واعتقاد عصمة ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾^(١) .

وهذا الحديث قد جلا عن الصدور وعرى الشكوك والريبة ، ويكشف أستار الغيبة عن أسرار الرجوع والأوبة ، ويمكن في قلوب المؤمنين أعمدة الثبات على الإيمان والتصديق والبعد عن الزلة والحوية ، ولقد أمرضت مصيبة فقد والده (ع) قلوب أوليائه المؤمنين ، وطبقتهها غيوم عموم الغيبة عن الأعين لاختلال الدين ، وتسليط الفاسقين والمضلين على أرباب الحق واليقين ولولا ما ندبنا إليه من التأسّي بهم والصبر على مضاضة هذه اللواذع الصادرة في هذه الأيام ، لبكىنا بدل الدموع دماً ، وجعلنا العمر كله ماتماً ، فأبي مصيبة أعظم من هذه المصيبة ، وأي نائبة أعظم من هذه النائبة المنبئية ، فلقد أحدثت فينا فتناً ليس منتهى لحدها وبلايا لا يأتي الحساب على عدها ، ونسأل الله سبحانه الثبات على الإيمان بأربابها ، والكون في خدمة ناصريها وأصحابها ، وأن يدير تلك الأفلاك من سماوات العدل بإيثار نوابها ولنختم هذا الكتاب ببعض الأبيات التي حملنا الحزن والتأوه عليها والشرب من أوصابها ونعزي بها صاحب العزاء

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣ .

وآله الطاهرين ، ابتغاء لثوابها ورجاءً لنيل الدخول في جناته وفتح أبوابها وهذه الأبيات هي :

جل المصاب بسيد السادات
أعني نتيجة من علا فوق السهى
ختم الإمام بابنه حقاً كما
بشئ الزمان فقد أراهم جوره
فسقى النبي كؤوس سم ناقع
وغدا الوصي سيف ابن قذارها
وسقت جعيدة للزكي سموها
والفرقد الثاني مضى في كربلا
من بعدما خدعت له في كتبها
منعوه شرب الماء حتى إن قضا
ونسأؤه أسرت وقد شهدت له
وعليه زين العابدين مقيداً
كم نال من بعد التعزز ذلة
والباقر المولى كذلك ابنه
والكاظم المسموم من أردى الورى
ولذي الرضا جارت عليه بغيها
وعدت على المولى الجواد وقوضت
والسيد الهادي لقد أردته في
والعسكري أبو الإمام بغيها
وتقصدت ابن الخليفة سيدي
أغبر آفاق البلاد وكورت
والدرس مندرس وباب الشرع في
ومنابر الرعاظ لا وعظ بها

نجل الأئمة أفضل القادات
وانحط عنه عاليات سمات
ختم النبوة جده بثبات
ورماهم بسهامه وشتات
وأعل فاطم بعد ضغط جنات
لرضا قظام مجدلاً بصلاة
في نسك صوم يالها نكبات
بسيوف أشقاها وشر عداة
فأتى لها بالأهل خير حماة
مقطوع رأس شيل فوق قناة
فوق الرغام مرضض الجنيات
لا راحم منهم له بجهات
فقضاً بسم ناقع وترات
قتلتها أشرارها لهنات
من بعد تعنيف وذل حياة
ابنا العمومة أقذر القذرات
تلك القباب فيا لها نكبات
عجل وشر عصابة وبغاة
جلبت له من سمها الكاسات
بشورها فغدا بدار شتات
شمس العلوم وعطل الآيات
غلق ورايات الهدى نكسات
ومحارب أمست بغير صلاة

والمحكّمات البيّنات تعطلت
يا صاحب العصر الذي فرض له
عجل وجرّد سيف جدك أحمد
لا سيما تيم لها وعديها
فلقد أبادوا نسلكم وتمردوا
حملوا لرأس حسين فوق سنانهم
قم فانشرا لنا علوم محمد
فالرأس شاب من البلايا والعنا
أهديتكم قدري وما قد قلته
منعوا علينا بالقبول وكفّروا
صلى إله الخلق خير صلّاته
فاللعن في أعدائكم متواتر

لا قيّم فيها بغير حماة
أخذ الدخول من العدا وبغاة
واغمده في أعناق شرّ عداة
وبنو أمية والعمومة عات
وسبوا حريمك يا بن حمات
من بعد ذبح مفضّع وشّات
في العالمين ويبيّن الآيات
والعين من دمّ لها عبرات
فيكم أقلّ قليل في المدحات
عنا الذنوب ومعظم السيئات
رغدت تأمكم مدى الساعات
ما قام داعي الله للصلوات

وهذا آخر ما أوردناه في وفاة إمامنا وابن إمامنا الحسن العسكري ، عليه
وعلى آبائه وابنه السلام على التمام والكمال ، ونستغفر الله العظيم عن السهو ،
والغلط ، والعمد ، والنسيان ، إنه غفور منّان ، والحمد لله حقّ حمده ، وصلى
الله على من لا نبي بعده محمد وآله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً مباركاً آمين .

وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة ظهر يوم السادس من شهر
ربيع الأول سنة ١٣٦٤ الرابعة والستين وثلاثمائة والألف هجرية على مهاجرها
وآله أفضل الصلاة والسلام والتحية .

وَفَاةُ
السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ الْكُبْرَى
"عَمَّا سَلَّمَ"

تأليف
العلامة الجليلية الشيخ فرج آل عمران القطيفي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الميامين ،
ولعنة الله على أعدائهم الظالمين .

وبعد : فيقول الراجي لعفوربه المنان ، فرج بن حسن بن أحمد
العمران ، هذه وفاة الصديقة الصغرى قد اقتطفتها من كتاب (زينب الكبرى)
تأليف العلامة الجليل الشيخ جعفر بن محمد النقدي ، المتوفى في اليوم التاسع
من شهر محرم الحرام من السنة التاسعة والستين والثلاثمائة والألف من الهجرة
النبوية ، إجابة لالتماس بعض المؤمنين راجياً من الله سبحانه أن ينفعني بها
وإياهم ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾^(١) وقد رتبها
على أربعة فصول :

(١) سورة الشعراء ، الآية : ٨٨ - ٨٩ .

الفصل الأول

في ميلادها وكنائها وألقابها ونشأتها وتزويجها

كانت ولادة الميمونة الطاهرة ، والدرة الفاخرة ، في اليوم الخامس من شهر جمادى الأولى ، في السنة الخامسة - أو السادسة للهجرة - على ما حققه بعض الأفاضل . وقيل في غرة شعبان في السنة السادسة .

وعن الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته الزينية : ولدت في حياة جدها رسول الله (ص) وكانت لبية جزلة عاقلة لها قوة جنان ، فإن الحسن (ع) ولد قبل وفاة جده بثمان سنين ، والحسين (ع) بسبع سنين وزينب الكبرى بخمس سنين انتهى كلامه .

ولما ولدت (ع) : جاءت بها أمها الزهراء إلى أبيها أمير المؤمنين (ع) وقالت له : سم هذه المولودة ؟ فقال (ع) ما كنت لأسبق رسول الله (ص) وكان في سفر له ، ولما جاء النبي (ص) وسأله عن اسمها فقال : ما كنت لأسبق ربّي تعالى ، فهبط جبرائيل يقرأ على النبي (ص) السلام من الله الجليل وقال له : سم هذه المولودة (زينب) فقد اختار الله لها هذا الاسم ، ثم أخبره بما يجري عليها من المصائب ، فبكى النبي (ص) وقال : من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين (ع) وتكنى بأم كلثوم ، وأم الحسن ، وتلقب : بالصديقة الصغرى ، والعقيلة ، وعقيلة بني هاشم ، وعقيلة

الطالبين ، والموثقة ، والعارفة ، والعالمة غير المعلمة ، والكاملة ، وعابدة آل علي ، وغير ذلك من الصفات الحميدة والنعوت الحسنة ، وهي أول بنت ولدت لفاطمة صلوات الله عليها .

ولقد كانت نشأة هذه الطاهرة الكريمة وتربية تلك الدرّة اليتيمة في حضن النبوة ، ودرجت في بيت الرسالة ، رُضعت لبان الوحي من ثدي الزهراء البتول ، وغذيت بغذاء الكرامة من كف ابن عم الرسول (ص) فنشأت نشأة قدسية وربيت تربية روحانية متجلية جلايب الجلال والعظمة ، متردنة رداء العفاف والحشمة ، فالخمس أصحاب العباء (ع) هم الذين قاموا بتربيتها وتثقيفها وتهذيبها ، وكفى بهم مؤدبين ومعلمين .

ولما غربت شمس الرسالة ، وغابت الأنوار الفاطمية ، وتزوج أمير المؤمنين (ع) بامامة بنت أبي العاص وأمها زينب بنت رسول الله (ص) بوصية من الزهراء (ع) إذ قالت : وأوصيك أن تتزوج بامامة بنت أختي زينب ، تكون لولديّ مثلي فقامت أمامة بشؤون زينب خير قيام كما كانت تقوم بشؤون بقية ولد فاطمة (ع) ، وكانت أمامة هذه من النساء الصالحات القانتات العابدات ، وكانت زينب (ع) تأخذ التربية الصالحة والتأديب القويم من والدها الكرار وأخويها الكريمين الحسن والحسين (ع) إلى أن بلغت من العلم والفضل والكمال مبلغاً عظيماً .

ولما بلغت صلوات الله عليها مبلغ النساء ، ودخلت من دور الطفولة إلى دور الشباب ، خطبها الأشراف من العرب ورؤساء القبائل ، فكان أمير المؤمنين (ع) يردهم ولم يجب أحداً منهم في أمر زواجها ، وممن خطبها الأشعث بن قيس وكان من ملوك كندة على ما في الإصابة ، فزيره أمير المؤمنين (ع) وقال : يا ابن الحائك أغرك ابن قحافة زوجك أخته - والحائك هنا المحتال والكذاب - وكان أبو بكر زوج أخته أم فروة بنت أبي قحافة من الأشعث ، وذلك أن الأشعث ارتد فيمن ارتد من الكنديين وأسر ، فأحضر

إلى أبي بكر فأسلم وأطلقه وزوجه أخته المذكورة ، فأولدها محمد بن الأشعث وهو أحد قتلة الحسين (ع) ، ثم أن الذي كان يدور في خلد أمير المؤمنين (ع) أن يزوج بناته من أبناء إخوته ليس إلا امثالاً لقول النبي (ص) حين نظر إلى أولاد علي (ع) وجعفر وقال : بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا ، ولذلك دعا بابن أخيه عبدالله بن جعفر وشرفه بتزويج تلك الحوراء الإنسية إياه على صداق أمها فاطمة أربعمائة وثمانين درهماً ، ووهبها إياه من خالص ماله (ع) .

وذكر بعض حملة الآثار أن أمير المؤمنين (ع) لما زوج ابنته من ابن أخيه عبدالله بن جعفر اشترط عليه في ضمن العقد أن لا يمنعها متى أرادت السفر مع أخيها الحسين ، وكان عبدالله بن جعفر أول مولود في الإسلام بأرض الحبشة ، وكان ممن صحب رسول الله (ص) وحفظ حديثه ثم لازم أمير المؤمنين (ع) والحسين (ع) وأخذ منهم العلم الكثير .

قال في الإستيعاب : وكان كريماً ، جواداً ، ظريفاً ، خليقاً ، عفيفاً ، سخياً ، وأخبار عبدالله بن جعفر في الكرم كثيرة ، وكان يدعو النبي (ص) من أيسر بني هاشم وأغناهم ، وله في المدينة وغيرها قرى وضياع ومتاجرة عدا ما كانت تصله من الخلفاء من الأموال ، وكان بيته محط آمال المحتاجين ، وكان لا يرد سائلاً قصده ، وكان يبدأ الفقير بالعطاء قبل أن يسأله فستل عن ذلك فقال : لا أحب أن يريق ماء وجهه بالسؤال ، حتى قال فقراء المدينة بعد موته : ما كنا نعرف السؤال حتى مات عبدالله بن جعفر ، فيحق له أن يتمثل بقول الشاعر :

نحن أناس نوالهم خضل يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا خوفاً على ماء وجه من يسأل

ولا زالت الصديقة زينب الكبرى سلام الله عليها في بيت زوجها عبدالله بن جعفر الجواد ، وهو من علمت ثروته ، ويساره ، وكثرة أمواله ،

وخدمه ، وحشمه يوم ذاك كانت تخدمها العبيد والاماء والأحرار ، ويطوف حول بيتها الهلاك من ذوي الحوائج وطالبي الاستجداء ، وكان بيتها الرفيع وحرمها المنيع لا يضاهيه في العز والشرف وبعد الصيت إلا بيوت الخلفاء والملوك .

وقد ولدت لعبدالله بن جعفر كما في الجزء الثاني من تاريخ الخميس علياً وعبوناً الأكبر وعباساً وأم كلثوم ، وذكر النوري في تهذيب الأسماء واللغات جعفرأ الأكبر ، وذكر السبط بن الجوزي في تذكرة الخواص محمداً ، فأما العباس وجعفر ومحمد فلم ننف لهم على أثر ولا ذكرهم النسابة من المعقبين ، وأما علي وهو المعروف بالزيني فيه الكثرة والعدد ، وفي ذريته الذيل الطويل والسلالة الباقية .

وأما عون الأكبر فهو من شهداء الطف ، قتل في جملة آل أبي طالب ، وهو مدفون مع آل أبي طالب في الحفيرة مما يلي رجلي الحسين (ع) ، وتوفي عبدالله بن جعفر رضي الله عنه في المدينة المنورة سنة ثمانين من الهجرة النبوية عام الحجاب - وهو سيل كان يبطن مكة حجف بالناس فذهب بالحاج والجمال بأحمالها وذلك في خلافة عبدالله بن عبد الملك بن مروان - وصلى عليه السجاد أو الباقر (ع) كان أمير المدينة يومئذ أبان بن عثمان ، وخرجت الولاثة خلف سريه قد شققن الجيوب والناس يزدحمون على سريه ، وممن حمل السرير أبان بن عثمان وما فارقه حتى وضعه بالبقيع ودموعه تسيل وهو يقول : كنت والله شريفاً واصلاً براً ، قال هشام المخزومي : أجمع أهل الحجاز وأهل البصرة وأهل الكوفة على أنهم لم يسمعوا بيتين أحسن من بيتين رأوهما على قبر عبدالله بن جعفر وهما :

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه لقاءك لا يرجى وأنت قريب
تزيد بلى في كل يوم وليلة وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

الفصل الثاني

في شرفها ، وعلما ، وعبادتها ، وزهدا

أما شرفها (ع) : فهو الشرف الباذخ الذي لا يفوقه شرف ، فإنها من ذرية سيد الكائنات وأشرف المخلوقات محمد بن عبدالله (ص) ، قال رسول الله (ص) : كل بني أم يتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم ، وعنه (ص) : أن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وأن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب (ع) . فهذا الشرف الحاصل لزینب (ع) شرف لا مزيد عليه ، فإذا ضممننا إلى ذلك أن أباه علي المرتضى وأمه فاطمة الزهراء ، وجدتها خديجة الكبرى ، وعمها جعفر الطيار في الجنة وعمتها أم هانئ بنت أبي طالب ، وأخواها سيدي شباب أهل الجنة ، وأحوالها وخالاتها أبناء رسول الله (ص) وبناته ، فماذا يكون هذا الشرف وإلى أين ينتهي شأوه ويبلغ مداه ، وإذا ضممننا إلى ذلك أيضاً علمها وفضلها وتقواها وكمالها وزهدا وورعها وكثرة عبادتها ومعرفتها بالله تعالى ، كان شرفها شرفاً خاصاً بها وبأمثالها من أهل بيتها ومما زاد في شرفها ومجدها أن الخمسة الأطهار أهل العباء (ع) كانوا يحبونها حباً شديداً .

وحدّث يحيى المازني قال : كنت في جوار أمير المؤمنين في المدينة مدة مديدة ، وبالقرب من البيت الذي تسكنه زينب ابنته ، فلا والله ما رأيت لها

شخصاً ولا سمعت لها صوتاً ، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله تخرج ليلاً والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين (ع) أمامها ، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين (ع) فأحمد ضوء القناديل ، فسأله الحسن (ع) مرة عن ذلك فقال (ع) : أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب .

وورد عن بعض المطلعين أن الحسن (ع) لما وضع الطشت بين يديه وصار يقذف كبده وسمع بأن أخته زينب تريد الدخول عليه أمر وهو في تلك الحال برفع الطشت إشفاقاً عليها ، وجاء في بعض الأخبار أن الحسين (ع) كان إذا زارته زينب يقوم إجلالاً لها وكان يجلسها في مكانه ، ولعمري إن هذه منزلة عظيمة لزينب (ع) وأخيها الحسين (ع) .

كما أنها كانت أمينة أبيها على الهدايا الإلهية .

ففي حديث مقتل أمير المؤمنين (ع) الذي نقله المجلسي في تاسع البحار نادى الحسن (ع) أخته زينب أم كلثوم : هلمي بحنوط جدي رسول الله (ص) فبادرت زينب مسرعة حتى أتت به ، فلما فتحته فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها لشدة رائحة ذلك الطيب ، وقال الفاضل الأديب حسن قاسم في كتابه (السيدة زينب السيدة الماهرة الزكية) ، زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب (ع) ابن عم الرسول (ص) وشقيقة ريحانتيه لها أشرف نسب وأجل حسب وأكمل نفس وأطهر قلب ، فكانها صيغت في قالب ضمخ بعطر الفضائل ، فالمستجلي آثارها يتمثل أمام عينيه رمز الحق رمز الفضيلة رمز الشجاعة رمز المروءة ، فصاحة اللسان قوة الجنان مثال الزهد والورع ، مثال العفاف والشهامة ان في ذلك لعبرة . وقال أيضاً فإن عد في النساء الشهيرات فالسيدة أولاهن وإذا عدت الفضائل فضيلة فضيلة من وفاء وسخاء وصدق وصفاء وشجاعة وإباء وعلم وعبادة وعفة وزهادة فزينب أقوى مثال للفضيلة بكل مظاهرها .

وقال العلامة السيد جعفر آل بحر العلوم الطباطبائي في كتابه (تحفة

العالم) المطبوع بالنجف زينب الكبرى زوجة عبدالله بن جعفر تكنى أم الحسن ، ويكفي في جلاله قدرها ونباله شأنها ما ورد في بعض الأخبار من أنها دخلت على الحسين (ع) وكان يقرأ القرآن ، فوضع القرآن على الأرض وقام إجلالاً لها .

وقال محمد علي المصري في رسالته التي طبعها بمصر السيدة زينب رضي الله عنها : هي بنت سيدي الإمام عليّ كرم الله وجهه ، وبنت السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) ، وهي من أجل أهل البيت حسباً وأعلامهم نسباً ، خيرة السيدات الطاهرات ، ومن فضيلات النساء وجليات العقائل التي فاقت الفوارس في الشجاعة ، واتخذت طول حياتها تقوى الله بضاعة ، وكان لسانها الرطب بذكر الله على الظالمين غصباً ولأهل الحق عيناً معيناً ، كريمة الدارين وشقيقة الحسين ، بنت البتول الزهراء التي فضّلها الله على النساء ، وجعلها عند أهل العزم أم العزائم وعند أهل الجود والكرم أم هاشم ، إلى أن قال ولدت رضي الله عنها سنة خمس من الهجرة النبوية قبل وفاة جدها (ص) بخمس سنين فسر بمولدها أهل بيت النبوة أجمعون ، ونشأت نشأة حسنة كاملة فاضلة عالمة ، من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وكانت على جانب عظيم من الحلم والعلم ومكارم الأخلاق ، ذات فصاحة وبلاغة تفيض من يدها عيون الجود والكرم .

وقد جمعت بين جمال الطلعة وجمال الطوية حتى أنها اشتهرت في بيت النبوة ولقبت بصاحبة الشورى ، وكفاها فخراً أنها فرع من شجرة أهل بيت النبوة الذين مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز .

وأما علمها (ع) ، فهو البحر الذي لا يتزف فإنها سلام الله عليها هي المتربة في مدينة العلم النبوي ، المعتكفة بعده ببابها العلوي ، المتغداة بلبانه من أمها الصديقة الطاهرة سلام الله عليها ، وقد طوت عمراً من الدهر مع الإمامين السبطين يزقانها العلم زقاً فهي [اغترفت] من عباب علم

آل محمد (ع) وعباب فضائلهم الذي اعترف [به] عدوهم الألد يزيد الطاغية بقوله في الإمام السجاد (ع) : أنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً ، وقد نص لها بهذه الكلمة ابن أخيها عليّ بن الحسين (ع) : أنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة ، يريد (ع) أن مادة علمها من سنخ ما منح به رجال بيتها الرفيع أفيض عليها إلهاماً لا يتخرج على أستاذ أو أخذ عن مشيخة ، وإن كان الحصول على تلك القوة الربانية بسبب تهذبات جدّها وأبيها وأمها وأخويها أو لمحض انتمائها (ع) إليهم واتحادها معهم في الطينة المكهربين لذاتها القدسية ، فازيحت عنها بذلك الموانع المادية وبقي مقتضى اللطف الفياض وحده وإذ كان لا يتطرقه البخل بتمام معانيه عادت العلة لإفاضة العلم كله عليها بقدر استعدادها تامة فافيض عليها بأجمعه إلا ما اختص به إئمة الدين (ع) من العلم المخصوص بمقامهم الأسمى ، على أن هناك مرتبة سامية لا ينالها إلا ذو حظ عظيم وهي الرتبة الحاصلة من الرياضات الشرعية والعبادات الجامعة لشرائط الحقيقة لا محض الظاهر الموفي لمقام الصحة والأجزاء ، فإن لها من الآثار الكشفية ما لا نهاية لأمدّها ، وفي الحديث : من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، ولا شك أن زينب الطاهرة قد أخلصت لله كل عمرها فماذا تحسب أن يكون المنفجر من قلبها على لسانها من ينابيع الحكمة .

ويظهر من الفاضل الدربندي وغيره أنها (ع) كانت تعلم علم المنايا والبلايا ، كجملة من أصحاب أمير المؤمنين (ع) ، منهم ميثم التمار ورشيد الهجري وغيرهما ، بل جزم في أسراره أنها صلوات الله عليها أفضل من مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وغيرهما من فضليات النساء ، وذكر (قدس سره) عند كلام السجاد (ع) لها : يا عمّة أنت بحمد الله عالمة غير معلمة ، وفهمة غير مفهمة . إن هذا الكلام حجة على أن زينب بنت أمير المؤمنين (ع) كانت محدثة أي ملهمة ، وأن علمها كان من العلوم اللدنية والآثار الباطنية .

ومن نظر في كتاب أسرار الشهادة رأى فيه من الأدلة والتحقيقات في حق زينب (صلوات الله عليها) ما هو أكثر مما ذكرناه .

وفي (الطراز المذهب) أن شؤونات زينب الباطنية ومقاماتها المعنوية كما قيل فيها أن فضائلها وفواضلها ، وخصالها ، وجلالها ، وعلمها ، وعملها ، وعصمتها ، وعفتها ، ونورها ، وضيائها ، وشرفها ، وبهاءها ، تالية أمها وثانيتها ، وقال ابن عنبه في (أنساب الطالبيين) زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (ع) كنيته أم الحسن ، تروي عن أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) وقد أمتازت بمحاسنها الكثيرة وأوصافها الجليلة وخصالها الحميدة وشيها السعيدة ومفاخرها البارزة وفضائلها الطاهرة .

وقال العلامة الفاضل السيد نور الدين الجزائري في كتابه الفارسي المسمى بـ (الخصائص الزينية) ما ترجمته عن بعض الكتب : أن زينب كان لها مجلس في بيتها أيام إقامة أبيها (ع) في الكوفة ، وكانت تفسر القرآن للنساء ، ففي بعض الأيام كانت تفسر ﴿كهيعص﴾ للنساء إذ دخل أمير المؤمنين (ع) ، فقال لها : يا نور عيني سمعتك تفسرين ﴿كهيعص﴾ للنساء ، فقالت : نعم فقال (ع) : هذا رمز لمصيبة تصيبكم عترة رسول الله (ص) ثم شرح لها المصائب فبكت بكاءً عالياً صلوات الله عليها .

وفي كتاب (بلاغات النساء) لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور قال : حدثني أحمد بن جعفر سليمان الهاشمي ، قال : كانت زينب بنت عليّ (ع) تقول : من أراد أن لا يكون الخلق شفعاؤه إلى الله فليحمده ، ألم تسمع إلى قولهم سمع الله لمن حمده فخف الله لقدرته عليك واستح منه لقربه منك .

وقال الطبرسي أن زينب روت أخباراً كثيرةً عن أمها الزهراء (ع) .

وعن عماد المحدثين أن زينب الكبرى كانت تروي عن أمها وأبيها

وأخويها وعن أم مسلمة وأم هانئ وغيرهما من النساء ، وممن روى عنها ابن عباس وعليّ بن الحسين (ع) وعبدالله بن جعفر وفاطمة بنت الحسين (ع) الصغرى وغيرهم .

وفي (مقاتل الطالبين) لأبي الفرج الأصبهاني : زينب العقيلة بنت عليّ بن أبي طالب (ع) وأمها فاطمة بنت رسول الله (ص) ، والعقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة (ع) في فدك فقال : حدثتني عقيلتنا زينب بنت علي (ع) .

وقال الفاضل العلامة الأجل المولى محمد حسن القزويني في كتابه المسمى بـ (رياض الأحران وحدثق الأشجان) : يستفاد من آثار أهل البيت جلالة شأن زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (ع) ووقارها وقرارها بما لا مزيد عليه ، حتى أوصى إليها أخوها ما أوصى قبل شهادته ، وأنها من كمال معرفتها ووفور علمها وحسن أعراقها وطيب أخلاقها كانت تشبه أمها سيدة النساء فاطمة الزهراء في جميع ذلك والخفارة والحياء ، وأباها (ع) في قوة القلب في الشدة والثبت عند النائبات والصبر على الملمات والشجاعة الموروثة من صفاتها والمهابة الماثورة من سماتها ، وقد يستند في جميع ما ذكرناه إلى ما رواه في (كامل الزيارات) من موعظتها لابن أخيها الإمام السجاد زين العابدين (ع) حين المرور بمصارع الشهداء ، ثم ساق حديث أمّ أيمن الآتي ذكره ، وعن الصدوق محمد بن بابويه طاب ثراه : كانت زينب (ع) لها نيابة خاصة عن الحسين (ع) وكان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام حتى برىء زين العابدين (ع) من مرضه .

وأما عبادتها : فهي تالية أمها الزهراء (ع) وكانت تقضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن ، ففي (مثير الأحران) للعلامة الشيخ شريف الجواهري (قدس سره) : قالت فاطمة بنت الحسين (ع) وأمّ عمتي زينب فإنها لم تزل قائمة في تلك الليلة أي العاشرة من المحرم في محرابها ، تستغيث إلى ربّها ،

فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنة .

وعن الفاضل النائيني البرجردي : أن الحسين لما ودع أخته زينب وداعه الأخير قال لها : يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل ، وهذا الخبر رواه هذا الفاضل عن بعض المقاتل المعتبرة .

وقال بعض ذوي الفضل : أنها (صلوات الله عليها) ما تركت تهجدها الله تعالى طول دهرها حتى ليلة الحادي عشر من المحرم .

وروي عن زين العابدين (ع) أنه قال : رأيتها تلك الليلة تصلي من جلوس ، وروي بعض المتبقيين عن الإمام زين العابدين (ع) أنه قال : إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام من قيام ، وفي بعض المنازل كانت تصلي من جلوس فسألتها عن سبب ذلك فقالت : أصلي من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال ، لأنها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الأطفال لأن القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم واللييلة .

وعن الفاضل النائيني البرجردي المتقدم ذكره عن بعض المقاتل المعتبرة عن مولانا السجاد (ع) أنه قال : إن عمتي زينب مع تلك المصائب والمحن النازلة بها في طريقنا إلى الشام ما تركت [تهجدها] للييلة انتهى كلامه .

فإذا تأمل المتأمل إلى ما كانت عليه هذه الطاهرة من العبادة لله تعالى والإنقطاع إليه ، يكاد يتيقن بعصمتها (صلوات الله عليها) وأنها كانت من القانتات اللواتي وقفن حركاتهن وسكناتهن وأنفاسهن للباري تعالى ، وبذلك حصلن على المنازل الرفيعة والدرجات العالية التي حكى رفعتهن منازل المرسلين ودرجات الأوصياء (عليهم الصلاة والسلام) .

وأما زهدها (ع) : فيكفي في إثباته ما روي عن الإمام السجاد من أنها (ع) ما أدرخت شيئاً من يومها لغدها أبداً .

وفي كتاب (جنات الخلود) ما معناه : وكانت زينب الكبرى في
البلاغة ، والزهد ، والتدبير ، والشجاعة ، قرينة أبيها وأمها ، فإن انتظام أمور
أهل البيت بل الهاشميين بعد شهادة الحسين (ع) كان برأيها وتدبيرها .

وعن النيسابوري في رسالته الغلوية : كانت زينب بنت علي في فصاحتها
وبلاغتها وزهدا وعبادتها كأبيها المرتضى (ع) ، وأمها الزهراء (ع) .

ولله در المؤلف النقدي حيث يقول :

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| عقيلة أهل بيت الوحي بنت | الوصي المرتضى مولى الموالي |
| شقيقة سبطي المختار من قد | سمت شرفاً على هام الهلال |
| حكمت خير الأنام علماً وفخراً | وحيدر في الفصيح من المقال |
| وفاطم عفة وتقى ومجداً | وأخلاقاً وفي كرم الخلال |
| ربيبة عصمة طهرت وطابت | وفاقت في الصفات وفي الفعال |
| فكانت كالأئمة في هداها | وإنقاذ الأنام من الضلال |
| وكان جهادها بالليل أمضى | من البيض الصوارم والنصال |
| وكانت في المصلى إذ تناجي | وتدعو الله بالدمع المذال |
| ملائكة السماء على دعاها | تؤمن في خضوع وابتهاال |
| روت عن أمها الزهرا علوماً | بها وصلت إلى حد الكمال |
| مقاماً لم يكن تحتاج فيه | إلى تعليم علم أو سؤال |
| ونالت رتبة في الفخر عنها | تأخرت الأواخر والأوالي |
| فلولا أمها الزهراء سادت | نساء العالمين بلا جدال |

الفصل الثالث في أسفارها وهي ستة أسفار

السُّفْرَ الأول

(من المدينة إلى الكوفة مع أبيها أمير المؤمنين (ع))

لما هاجر إليها سافرت (ع) هذا السفر وهي في غاية العز ونهاية الجلالة والإحتشام ، يسير بها موكب فخم رهيب من مواكب المعالي والمجد ، ومحضوف بأبهة الخلافة ، محاط بهيبة النبوة ، مشتمل على السكينة والوقار ، فيه أبوها الكرار أمير المؤمنين (ع) وإخوتها الحسنان سيذا شباب أهل الجنة ، وحامل الراية العظمى محمد بن الحنفية ، وقمر بني هاشم العباس بن علي (ع) ، وزوجها الجواد عبدالله بن جعفر ، وأبناء عمومتها عبدالله بن عباس وعبيدالله وإخوتهمما وبقية أبناء جعفر الطيار وعقيل بن أبي طالب وغيرهم من فتيان بني هاشم ، وأتباعهم من رؤساء القبائل وسادات العرب مدججين بالسلاح غاصين في الحديد ، والرايات ترفرف على رؤوسهم وتخفق على هاماتهم وهي في غبطة وفرح وسرور .

السُّفْرُ الثَّانِي

(من الكوفة إلى المدينة مع أخيها الحسن (ع) بعد صلحه مع معاوية)

سافرت (ع) هذا السفر وهي أيضاً في موكب فخم في غاية العز والدلال والعظمة والإجلال ، تحوطها الأبطال من إخوتها وبني هاشم الكرام ، حتى وصلت إلى حرم جدها الرسول الأكرم (ص) ، ومسقط رأسها المدينة المنورة محترمة موقرة .

السُّفْرُ الثَّالِث

(من المدينة إلى كربلاء مع أخيها الحسين ويشتمل هذا السفر على نبذة من مصائبها وصبرها وإخلاصها وثابتها)

لما عزم الحسين (ع) على السفر من الحجاز إلى العراق ، استأذنت زينب زوجها عبدالله بن جعفر أن تصاحب أخاها الحسين (ع) ، مضافاً إلى ما عرفت سابقاً من اشتراط أمير المؤمنين (ع) عليه في ضمن عقد النكاح أن لا يمنعها متى أرادت السفر مع أخيها الحسين (ع) ، فأذن لها وأمر ابنه عوناً ومحمداً بالمسير مع الحسين (ع) ، والملازمة في خدمته والجهاد دونه ، فسافرت (ع) في ذلك الموكب الحسيني المهيب ، في عز وجلال وحشمة ووقار ، تحملها المحامل المزركشة المزينة بالحريز والديباج ، قد فرشت بالفرش الممهدة ووسدت بالوسائد المنضدة ، تحت رعاية أخيها الحسين (ع) ، تحف بها الأبطال من عشيرتها وتكتنفها الأسود الضارية من إخوتها وأبناء إخوتها وعمومتها كأبي الفضل العباس ، وعلي الأكبر ، والقاسم بن الحسن ، وأبناء جعفر وعقيل ، وغيرهم من الهاشميين والعييد والإماء طوع أمرها ورهن إشارتها ، ولكنها (ع) سافرت هذه السفرة منقطعة من علائق الدنيا بأسرها في سبيل الله ، قد أعرضت عن زهرة الحياة من المال والبيت والزوج والولد والخدم والحشم ، وصحبت أخاها الحسين (ع) ناصرة لدين الله وباذلة النفس والنفيس

لإمامها ابن بنت رسول الله مع علمها بجميع ما يجري عليها من المصائب والنوائب والمحن ، كما يدل عليه الحديث المروي في كتاب (كامل الزيارات) للشيخ الفقيه أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه طاب ثراه ، قال :

حدثني أبو عيسى عبيدالله بن الفضل بن محمد بن هلال الطائي البصري قال : حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد قال : حدثنا محمد بن سلام بن يسار الكوفي قال : حدثني نوح بن دراج قال : حدثني قدامة بن زائدة عن أبيه قال : قال علي بن الحسين بلغني يا زائدة أنك تزور قبر أبي عبدالله الحسين (ع) أحياناً ، فقلت : إن ذلك لكما بلغك فقال لي : ولماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا ؟ فقلت : والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله ، ولا أحفل بسخط من سخط ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه ، فقال : والله إن ذلك لكذلك ، فقلت : والله إن ذلك لكذلك يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً . فقال : أبشر ثم أبشر ثم أبشر ، فلأخبرنك بخبر كان عندي في النخب المخزون ، فإنه لما أصابنا في الطف ما أصابنا وقتل أبي وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله وحملت حرمة ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة ، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا فعظم ذلك في صدري ، واشتد لما أرى منهم قلقي ، فكادت نفسي تخرج ، وتبينت ذلك مني عمتي زينب الكبرى بنت علي (ع) فقالت : ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي ؟ فقلت : وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي مضرجين بدمائهم مرملين بالعراء مسلمين ، لا يكفنون ولا يوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر ، فقالت : لا يجزعنك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله (ص) إلى جدك وأبيك وعمك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة وهم معروفون من أهل السماوات ، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة ، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد

الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفورسمه على كرور الليالي والأيام ، وليجهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً .

فقلت : وما هذا العهد وما هذا الخبر ؟ فقلت : نعم حدثني أم أيمن أن رسول الله (ص) زار منزل فاطمة (ع) في يوم من الأيام ، فعملت له حريرة وأتاه عليّ بطبق فيه تمر ، ثم قالت أم أيمن : فأتيتهم بعس فيه لبن وزبد فأكل رسول الله (ص) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين من تلك الحريرة ، وشرب رسول الله (ص) وشربوا من ذلك اللبن ، ثم أكلوا وأكل من ذلك التمر والزبد ، ثم غسل رسول الله (ص) يده وعلي (ع) يصب عليه الماء ، فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثم نظر إلى عليّ (ع) وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا به السرور في وجهه ، وتوجه نحو القبلة وبسط يديه ودعا ثم خر ساجداً وهو ينشج وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر ، فحزنت فاطمة (ع) وعليّ والحسن والحسين (ع) وحزنت معهم لما رأينا رسول الله (ص) ، وهبنا أن نسأله حتى إذا طال ذلك قال له عليّ (ع) وقالت له فاطمة (ع) : ما يبكيك يا رسول الله ؟ لا أبكي الله عينيك ، فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك . فقال (ص) : يا أخي سررت بكم . وقال مزاحم بن عبد الوارث في حديثه هنا فقال : يا حبيبي سررت بكم سروراً ما سررت مثله قط ، وإني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته عليّ فيكم ، إذ هبط عليّ جبرائيل فقال : يا محمد إن الله تبارك وتعالى أطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك فأكمل لك النعمة وهناك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرق بينك وبينهم ، يحبون كما تحب ويعطون كما تعطي حتى ترضى وفوق الرضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا ومكاره تصيبهم بأيدي أناس يتتحلون ملتك ، ويزعمون أنهم من أمتك براء من الله ومنك خبطاً خبطاً وقتلاً قتلاً شتى مصارعهم نائية . قبورهم خيرة من الله لهم ولك فيهم ، فاحمد الله عز وجل على خيرته وارض بقضائه ، فحمدت الله

ورضيت بقضائه بما اختاره لكم .

ثم قال لي جبرائيل : يا محمد إن أخاك مضطهد بعدك مغلوب على أمتك متعوب من أعدائك ثم مقتول بعدك ، يقتله أشر الخليقة وأشقى البرية ، يكون نظير عاقر الناقة ببلد تكون إليه هجرته وهو معرس شيعته وشيعة ولده وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم ، وإن سبطك هذا وأومى بيده إلى الحسين (ع) مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك بصفة الفرات بأرض يقال لها كربلاء ، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربيه ولا تنفى حسرته ، وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة يقتل فيها سبطك وأهله وإنها من بطحاء الجنة ، فإذا كان اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله ، وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللعنة ، تزعزعت الأرض من أقطارها ، ومادت الجبال وكثر اضطرابها ، واصطفقت البحار بأمواجها ، وماجت السماوات بأهلها غضباً لك يا محمد ولذريتك ، واستهضاماً لما ينتهك من حرمتك ولشر ما تكافى به في ذريتك وعترتك ، ولا يبقى شيء من ذلك إلا استأذن الله عز وجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك ، فيوحى الله إلى السماوات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن : إني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ، ولا يعجزه ممتنع ، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام ، وعزتي وجلالي لأعذب من وتر رسولي وصفيني وانتهك حرمة وقتل عترته ونبذ عهده وظلم أهل بيته عذاباً لا أعذب به أحداً من العالمين ، فعند ذلك يضح كل شيء في السماوات والأرضيين بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك ، فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تنولى الله عز وجل قبض أرواحها بيده ، وهبط إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من الياقوت والزمرد مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلال الجنة وطيب من طيب الجنة ، فغسلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل وحنطوها بذلك الطيب ، وصَلَّتْ الملائكة صفاً صفاً عليهم ،

ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية ، فيوارون أجسادهم ويقيمون رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق وسبباً للمؤمنين إلى الفوز ، وتحفه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة ، ويصلّون عليه ، ويطوفون حوله ، ويسبحون عنده ، ويستغفرون الله لمن زاره ، ويكتبون أسماء زائرية من أمتك متقربين إلى الله تعالى وإليك بذلك وأسماء آبائهم وعشائرتهم وبلدانهم ، ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء ، فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار يدل عليهم فيعرفونهم ، وكأني بك يا محمد بيني وبين ميكائيل وعلي أماننا ، ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصى عددهم ونحن نلتقط ذلك الموسوم في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده ، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك لا يريد به غير الله عزّ وجلّ ، ويجتهد أناس ممن حقت عليهم اللعنة من الله والسخط أن يعفور رسم ذلك القبر ويمحو أثره فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً .

ثم قال رسول الله (ص) : فهذا أبكاني وأحزنتني . قالت زينب (ع) فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي (ع) ورأيت عليه أثر الموت ، دنوت منه وقلت له : يا أبت حدثني أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت أن أسمعه منك ، فقال : يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن وكأني بك وبنساء أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين ، تخافون أن يتخطفكم الناس ، فصبراً صبراً فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولي غير محبيكم وشيعتكم ، ولقد قال لنا رسول الله (ص) حين أخبرنا بهذا الخبر : إن إبليس لعنه الله في ذلك اليوم يطير فرحاً ، فيجول الأرض كلها بشياطينه وعفاريته ، فيقول : يا معاشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة ، وبلغنا في هلاكهم الغاية ، وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصاة ، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم

وحملهم على عداوتهم واغرائهم وأوليائهم ، حتى تستحكموا ضلالة الخلق وكفرهم ، ولا ينجو منهم ناج ، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وهو كذوب انه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح ، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنباً غير الكبائر .

قال زائدة : ثم قال عليّ بن الحسين بعد أن حدثني بهذا الحديث : خذه إليك ما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولاً لكان قليلاً ولكون زينب (ع) عالمة بجميع ما يجري عليها من المصائب والنوائب والمحن وأنها على بصيرة من أمرها قابلت تلك الرزايا والفواحج بجميل الصبر وعظيم الاتزان وقوة الإيمان وكامل الإخلاص .

وإليك نبذة يسيرة من مصائبها العظيمة وفواحجها الكبرى ، فإنها (ع) رأت من المصائب والنوائب ما لو نزلت على الجبال الراسيات لانفسحت واندكت جوانبها ، لكنها في ذلك تصبر الصبر الجميل كما هو معلوم لكل من درس حياتها ، وأول مصيبة دهمتها هو فقدها جدها النبيّ (ص) وما لاقى أهلها بعده من المكاره ، ثم فقدها أمها الكريمة بنت رسول الله بعد مرض شديد وكدر من العيش والاعتكاف في بيت الأحزان ، ثم فقدها أباهاً علياً وهو مخرج بدمه من سيف ابن ملجم المرادي (لع) ، ثم فقدها أخاهما المجتبي المسموم تنظر إليه وهو يتقياً كبده في الطشت قطعة قطعة ، وبعد موته (ع) ترشق جنازته بالسهام ، ثم رؤيتها أخاهما الحسين (ع) تتقاذف به البلاد حتى نزل كربلاء ، وهناك دهمتها الكوارث العظام من قتله (ع) وقتل بقية إخوتها وأولادهم وأولاد عمومتها وخواص الأمة من شيعة أبيها (ع) عطاشى ، ثم المحن التي لاقتها من هجوم أعداء الله على رحلها ، وما فعلوه من سلب وسبي ونهب وإهانة وضرب لكرائم النبوة وودائع الرسالة ، وتكفلها حال النساء والأطفال في ذلة الأسر ، ثم سيرها معهم من بلد إلى بلد ومن منزل إلى منزل ومن مجلس إلى مجلس ، وغير ذلك من الرزايا التي يعجز عنها البيان ويكل اللسان ، وهي مع ذلك كله صابرة

محتسبة ومفوضة أمرها إلى الله ، قائمة بوظائف شاقة من مداراة العيال ومراقبة الصغار واليتامى من أولاد إختوتها وأهل بيتها ، رابطة الجأش بإيمانها الثابت وعقيدتها الراسخة ، حتى أنها كانت تسلي إمام زمانها زين العابدين (ع) ، وأما ما كان يظهر منها بعض الأحيان من البكاء وغيره فذلك أيضاً كان لطلب الثواب أو للرحمة التي أودعها الله عزّ وجلّ في المؤمنين ، أما طلب الثواب فلعلّمها بما أعده الله عزّ وجلّ للبكائين على الحسين .

قال الصادق (ع) من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح البعوضة ، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر . وأما الرحمة التي أودعها الله في المؤمنين فمثل ما كان من النبي (ص) على ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك عندما دخل رسول الله (ص) وولده إبراهيم يجود بنفسه قال : فجعلت عينا رسول الله (ص) تذرّفان فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ، فقال : يا ابن عوف إنها رحمة . ثم اتبعها بأخرى فقال رسول الله (ص) : إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وأنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون ، وبالجملة فزينب (ع) صبرت صبر الكرام على تلك المصائب العظام والنوائب الجسام .

فمن عجيب صبرها وإخلاصها وثباتها ما نقله في الطراز المذهب أنها سلام الله عليها وعلى أبيها وأمها وأخويها لما وقفت على جسد أخيها الحسين (ع) قالت : اللهم تقبل منا هذا القليل من القربان قال : فقارنت أمها في الكرامات والصبر في النوائب بحيث حرقت العادات ولحقت بالمعجزات .

قال المؤلف النقدي أعلا الله مقامه : فهذه الكلمات من هذه الحرة الطاهرة ، في تلك الوقفة التي رأت بها أخاها العزيز بتلك الحالة المفجعة ، التي كانت فيها تكشف لنا قوة إيمانها ورسوخ عقيدتها وفنائها في جنب الله تعالى ، وغير ذلك مما لا يخفى على المتأمل .

وقال عمر أبو النصر اللبناني في كتابه الحسين بن علي المطبوع حديثاً

ومما يجب أن يصار إلى ذكره في هذا الباب ما ظهر من زينب بنت فاطمة وأخت الحسين (ع) من جرأة وثبات جأش في موقفها هذا يوم المعركة وعند ابن زياد وفي قصر يزيد إلى آخر ما قال .

ولله در الشاعر الخطيب السيد حسن بن السيد عباس البغدادي حيث يقول :

يا قلب زينب ما لاقيت من محن فيك الرزايا وكل الصبر قد جمعا
فلو كان ما فيك من صبر ومن محن في قلب أقوى جبال الأرض لا نصدعا
يكفيك صبراً قلوب الناس كلهم تفسطرت للذي لاقيته جزعاً

السفر الرابع

(من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام بعد قتل أخيها الحسين (ع) وأصحابه الأبرار تحت رعاية الظالمين ويشتمل هذا السفر على خطبتيها البلغتين في الكوفة وفي مجلس يزيد في الشام)

الإشارة إلى بلاغتها وشجاعته :

لما عزم ابن سعد على الرحيل من كربلاء ، أمر بحمل النساء والأطفال على أكتاب الجمال ، ومروا بهن على مصارع الشهداء فلما نظرن النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههن وفيهن زينب بنت علي (ع) تنادي بصوت حزين وقلب كئيب : يا محمداه صلي عليك مليك السماء ، هذا حسين مرملة بالدماء ، مقطوع الأعضاء ، وبناتك سبايا ، إلى الله المشتكى ، وإلى محمد المصطفى ، وإلى علي المرتضى وإلى فاطمة الزهراء وإلى حمزة سيد الشهداء ، يا محمداه هذا حسين بالعراء ، قتيل أولاد البغايا ، واحزنناه واكربناه عليك يا أبا عبد الله ، اليوم مات جدي رسول الله يا أصحاب محمداه ، هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا ، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا

مسلوب العمامة والرداء ، بأبي من أضحي معسكره يوم الاثنين نهياً ، بأبي من فسطاطه مقطع العرى ، بأبي من لا غائب فيرجى ولا جريح فيداوى ، بأبي من نفسي له الفداء ، بأبي المهموم حتى قضى ، بأبي العطشان حتى مضى ، بأبي من شبيهه يقطر بالدماء ، بأبي من جده محمد المصطفى ، بأبي من جده رسول إله السماء ، بأبي من هو سبط نبي الهدى ، بأبي محمد المصطفى ، بأبي خديجة الكبرى ، بأبي علي المرتضى ، بأبي فاطمة الزهراء (ع) ، بأبي من ردت له الشمس حتى صلى ، فأبكت والله كل عدو وصديق .

ولله در الشاعر حيث يقول :

والطهر زينب تستغيث بنديها غرقت بفيض دموعها وجناتها
رقت لعظم مصابها أعداؤها ومن الرزية أن ترق عاداتها

ثم أنها (ع) سافرت هذا السفر المحزن وهي حزينة القلب كسيرة الخاطر باكية العين ناحلة الجسم مرتعدة الأعضاء ، قد فارقت أعز الناس عليها وأحبهم إليها ، تحف بها النساء الأرامل والأيامى الثواكل ، وأطفال يستغيثون من الجوع والعطش ، ويحيط بها القوم اللثام من قتلة أهل بيتها وظالمي أهلها وناهبي رحلها ، كشمربن ذي الجوشن وزجر بن قيس وسان بن أنس وخولي بن زيد الأصبحي وحرملة بن كاهل وحجار بن أبي أبحر وأمثالهم لعنهم الله ، ممن لم يخلق الله في قلوبهم الرحمة إذا دمعت عينها أهوت عليها الشياطين ، وإن بكت أخاها لطمتها الأيدي القاسية ، وهكذا كان سفرها هذا .

ولقد تواترت الروايات عن العلماء وأرباب الحديث بأسانيدهم عن حدلم ابن كثير قال : قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف علي بن الحسين (ع) [ومعه النساء والأطفال] من كربلاء ومعهم الأجناد يحيطون بهم ، وقد خرج الناس للنظر إليهم ، فلما أقبلوا بهم على الجمال بغير وطء وجعلن نساء الكوفة يبكين وينشدن ، فسمعت علي بن الحسين (ع) يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلة وفي عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه : إن

هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا ، قال : ورأيت زينب بنت علي (ع) ولم أر خفرة أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين (ع) قال : وقد أومت إلى الناس أن اسكتوا فقالت (ع) : الحمد لله والصلاة على محمد وآله الطيبين الأخيار ، أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر ، أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة ، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم ، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف ، والصدر الشنف ، وملق الاماء ، وغمز الأعداء ، أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة ، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون ، أتبكون وتنتحبون ؟ أي والله فابكوا كثيراً وضحكوا قليلاً ، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً ، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وملاذ حيرتكم ومفرغ نازلتكم ومنار حجتكم ومدره سنتكم ألا ساء ما تزررون ، وبعداً لكم وسحقاً ، فلقد خاب السعي ، وتبت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وبثتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة ، ويلكم يا أهل الكوفة : أتدرون أي كبد لرسول الله (ص) فريتم ، أي دم له سفكتم ، وأي حرمة له انتهكتم ، ولقد جئتم بها صلعاء عنقاء ، سوداء ، فقماء ، خرقاء ، شوهاء ، كطلاع الأرض ، أو مليء السماء ، أفعجبتكم أن مطرت السماء دماً ، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون ، فلا يستخفنكم المهمل ، فإنه لا يحفزه البدار ، ولا يخاف فوت الثار ، وإن ربكم بالمرصاد .

قال الراوي : فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون ، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم ، ورأيت شيخاً واقفاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته بالدموع ، وهو يقول : بأبي أنتم وأمي : كهولكم خير الكهول ، وشبابكم خير الشباب ، ونساؤكم خير النساء ، ونسلكم خير نسل ، لا يخزى ولا ييزى .

قال المؤلف النقدي أعلا الله مقامه ، أقول : وهذا حدلم بن كثير من فصحاء العرب أخذه العجب من فصاحة زينب وبلاغتها ، وأخذته الدهشة من

براعتها وشجاعتها الأدبية ، حتى أنه لم يتمكن أن يشبهها إلا بأبيها سيد البلغاء ، فقال : كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين (ع) ، وهذه الخطبة رواها كل من كتب في وقعة الطف ، أو في أحوال الحسين (ع) ، ورواها الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) عن خزيمة الأسدي قال : ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياماً يندبن مهتكات الجيوب ، ورواها أيضاً أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور في (بلاغات النساء) وأبو المؤيد الموفق بن أحمد الخوارزمي في الجزء الثاني من كتابه (مقتل الحسين) وشيخ الطائفة في أماليه وغيرهم من أكابر العلماء ، ومن بلاغتها وشجاعتها الأدبية ما ظهر منها (ع) في مجلس ابن زياد .

قال السيد ابن طاووس وغيرهم وممن كتب في مقتل الحسين (ع) أن ابن زياد (لع) جلس في القصر وأذن للناس إذناً عاماً ، وجيء برأس الحسين (ع) فوضع بين يديه ، وأدخلت عليه نساء الحسين (ع) وصبيانهم ، وجاءت زينب بنت علي (ع) وجلست متنكرة ، فسأل ابن زياد (لع) : من هذه المتنكرة فقيل له هذه زينب ابنة علي (ع) فأقبل عليها فقال : الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أحدوثكم ، فقالت (ع) : إنما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا ، فقال : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيته ؟ فقالت : ما رأيت إلا خيراً ، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج ونخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ ، نكلتك أمك يا ابن مرجانة ، فغضب اللعين وهم أن يضربها فقال له عمرو بن حريث : إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقتها ، فقال لها ابن زياد (لع) : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك ، فقالت : لعمرى لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثت أصلي ، فإن كان هذا شفاؤك فلقد أشتفيت ، فقال (لع) : هذه سجاعة ولعمرى لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً ، فقالت : يا ابن زياد ما للمرأة والسجاعة وإن لي عن السجاعة لشغلا .

وفي (لواعج الأشجان) للسيد محسن الأمين (أعلا الله مقامه) : وكتب

ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين (ع) وخبر أهل بيته ، وساق الحديث إلى أن قال : وأما يزيد فإنه لما وصله كتاب ابن زياد أجابه عليه يأمره بحمل رأس الحسين (ع) ورؤوس من قتل معه ، وحمل أثقاله ونسائه وعياله ، فأرسل ابن زياد الرؤوس مع زجر بن قيس ، وأنفذ معه أبا بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان في جماعة من أهل الكوفة إلى يزيد ، ثم أمر ابن زياد بنساء الحسن (ع) وصبياناه فجهزوا ، وأمر بعلي بن الحسين فغل بغل إلى عنقه ، وفي رواية في يديه ورقبته ، ثم سرح بهم في أثر الرؤوس مع محفر بن ثعلبة العائدي وشمير بن ذي الجوشن ، وحملوهم على الأقتاب وساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار ، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس ، فلم يكلم علي بن الحسن (ع) أحداً منهم في الطريق بكلمة حتى بلغوا الشام ، فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع محفر بن ثعلبة صوته فقال : هذا محفر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللثام الفجرة ، فأجابه علي بن الحسين (ع) ما ولدت أم محفر أشر وأأم ، وعن الزهري أنه لما جاءت الرؤوس كان يزيد (لع) على منظره جيرون فأنشد لنفسه :

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشموس على ربي جيرون
نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح فلقد قضيت من النبي ديوني

قال السيد ابن طاوس ، قال الراوي : ثم أدخل ثقل الحسين (ع) ونساؤه ومن تخلف من أهل بيته على يزيد بن معاوية وهم مقرنون في الجبال ، فلما وقفوا بين يديه وهم على تلك الحال قال له علي بن الحسين : أناشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله (ص) لو رأنا على هذه الصفة ؟ فأمر يزيد بالجبال فقطعت ثم وضع رأس الحسين (ع) بين يديه . وأجلس النساء خلفه لثلا ينظرن إليه ، فرآه علي بن الحسين (ع) فلم يأكل بعد ذلك أبداً ، وأما زينب فإنها لما رأته أهوت إلى جيبها فشقته ثم نادت بصوت حزين يقرح القلوب : يا حسين يا

حبيب رسول الله يا بن مكة ومنى ، يا بن فاطمة الزهراء سيدة النساء ، يا بن بنت المصطفى .

قال الراوي : فأبكت والله كل من كان في المجلس ويزيد ساكت ، قال السيد ابن طاوس : ثم دعا يزيد بقضيبي خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين (ع) ، فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال : ويحك يا يزيد أتنتك بقضيبك ثغر الحسين (ع) ابن فاطمة (ع) ، أشهد لقد رأيت النبي (ص) يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن (ع) ويقول : أنتما سيدا شباب أهل الجنة فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيراً .

قال الراوي : فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأخرج سحياً ، قال : وجعل يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبيرى :

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| ليت أشياخي ببدر شهدوا | جزع الخزرج من وقع الأسل |
| لأهلوا واستهلوا فرحاً | ثم قالوا يا يزيد لا تشل |
| قد قتلنا القرم من ساداتهم | وعدلناه ببدر فاعتدل |
| لعبت هاشم بالملك فلا | خبر جاء ولا وحي نزل |
| لست من خندف إن لم أنتقم | من بني أحمد ما كان فعل |

خطبة زينب (ع) في مجلس يزيد في الشام :

قال الراوي : فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب (ع) فقالت : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله سبحانه كذلك يقول : ﴿ثم كان عاقبة الذين أسأؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن﴾^(١) أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء ، فأصبحنا نساك كما تساق الأسراء أن بنا هواناً على الله ، وبك عليه

(١) سورة الروم ، الآية : ١٠ .

كرامة ، وأن ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ،
 جذلان مسروراً حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة . والأمور متسقة ، وحين صفا
 لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : ﴿ولا يحسبن الذين
 كفروا إنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب
 مهين﴾^(١) أمن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائك وإمائك ، وسوقك بنات
 رسول الله (ص) سبايا قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحدوبهن
 الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ، ويتصفح وجوههن
 القريب والبعيد والدني والشريف ، ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن
 حمى ؟ وكيف ترتجي مراقبة من لفظ فوه أكباد الأوكياء ، ونبت لحمه من دماء
 الشهداء ؟ وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشف والشنآن ،
 والإحن والأضغان ؟ ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منحنيأ على ثنايا أبي عبدالله (ع) سيد شباب أهل الجنة تنكثها
 بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك ! وقد نكأت القرحة واستأصلت الشافة
 بإراقتك دماء ذرية محمد (ص) ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ، وتهتف
 بأشياحك زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ، ولتودن انك شللت
 وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت ، أللهم خذ بحقنا وانتقم من
 ظالمنا ، واحلل غضبك ممن سفك دماءنا وقتل حماتنا ، فوالله ما فريت إلا
 جلدك ، ولا حززت إلا لحمك ، ولتردن على رسول الله (ص) مما تحملت من
 سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله
 شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم ، ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
 أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾^(٢) وحسبك الله حاكماً وبمحمد (ص)

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٧٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٩ .

خصيماً وبجبرائيل ظهيراً ، وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين ، وبش للظالمين بدلاً ، وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً ، ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك ، إني لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، وأستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى والصدور حرى ، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنطف من دمائها ، والأفواه تتجلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتنابها العواسل وتعفرها أمهات الفراعل ، ولئن اتخذتنا مغنماً لتسدنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾^(١) فإلى الله المشتكى وعليه المعول ، فكذلك واسع سعيك وناصب جهدك ، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحيناً ولا تدرك أمدنا ولا تدحض عنك عارها ، وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد ، يوم ينادي المنادي : ألا لعنة الله على الظالمين ، فالحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ، ولاخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل الله أن يكمل لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فقال يزيد :

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح

قال المؤلف النقدي (أعلا الله مقامه) : إن بلاغة زينب وشجاعته الأدبية ليست من الأمور الخفية ، وقد اعترف بها كل من كتب في وقعة كربلاء ، ونوه بجلالتها أكثر أرباب التاريخ ، ولعمري إن من كان أبوها علي بن أبي طالب (ع) الذي ملأت خطبه العالم وتصدى لجمعها وتدوينها أكابر العلماء ، وأمها فاطمة الزهراء صاحبة خطبة (فدك الكبرى) وصاحبة (الخطبة الصغرى) التي ألقته على مسامع نساء قريش ، ونقلتها النساء لرجالهن ، نعم إن من كانت كذلك

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤٦ .

فحرية بأن تكون بهذه الفصاحة والبلاغة ، وأن تكون لها هذه الشجاعة الأدبية والجسارة العلوية ، ويزيد الطاغية يوم ذاك هو السلطان الأعظم والخليفة الظاهري على عامة بلاد الإسلام تؤدي له الجزية الأمم المختلفة والأمم المتبانية في مجلسه ، الذي أظهر فيه أبهة الملك وملاه بهيبة السلطان ، وقد جردت على رأسه السيوف ، واصطفت حوله الجلاوزة ، وهو وأتباعه على كراسي الذهب والفضة وتحت أرجلهم الفرش من الديباج والحرير ، وهي صلوات الله عليها في ذلة الأسر ، دامية القلب باكية الطرف ، حرى الفؤاد من تلك الذكريات المؤلمة والكوارث القاتلة ، قد أحاط بها أعداؤها من كل جهة ، ودار عليها حسادها من كل صوب ، ومع ذلك كله ترمز للحق بالحق ، وللفضيلة بالفضيلة ، فتقول ليزيد غير مكترثة بهيبة ملكه ولا معتنية بأبهة سلطانه : أمن العدل يا ابن الطلقاء ، وتقول له أيضاً : ولئن جرّت على الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك واستكثر توبيخك ، فهذا الموقف الرهيب الذي وقفت به هذه السيدة الطاهرة مثل الحق تمثيلاً ، وأضاء إلى الحقيقة لطلابها سبيلاً ، أفحمت يزيد ومن حواه مجلسه المشؤوم بذلك الأسلوب العالي من البلاغة ، وأبهتت العارفين منهم بما أخذت به مجامع قلوبهم من الفصاحة ، فخرست الألسن وكمت الأفواه وصمت الأذان ، وكهربت تلك النفس النورانية تلك النفوس الخبيثة الرذيلة من يزيد وأتباعه بكهرباء الحق والفضيلة ، حتى بلغ به الحال أنه صبر على تكفيره وتكفير أتباعه ، ولم يتمكن من أن ينسب بنت شفة ليقطع كلامها أو يمنعها من الإستمرار في خطابتها ، وهذا هو التصرف الذي يتصرف به أرباب الولاية متى شأؤوا وأرادوا بمعونة الباري تعالى لهم ، وإعطائهم القدرة على ذلك .

وما أبدع ما قاله الشاعر الجليل السيد مهدي بن السيد داؤد الحلي عم الشاعر الشهير السيد حيدر رحمهما الله في وصف فصاحتها وبلاغتها من قصيدة :

قد أسروا من خصها بآية التطهير ربّ العرش في كتابه
 إن ألبيت في الأسر ثوب ذلة تجملت للعز في أثوابه
 ما خطبت إلا رأوا لسانها أمضى من الصمصام في خطابه
 وجلبيت في أسرها آسرها عاراً رأى الصغار في جلبابه
 والفصحاء شاهدوا كلامها مقال خير الرسل في صوابه

ومن شجاعتها الأدبية في مجلس يزيد ما نقله أرباب المقاتل وغيرهم من رواة الأخبار : أن يزيد دعا بنساء أهل البيت والصبيان فأجلسوا بين يديه في مجلسه المشؤوم ، فنظر شامي إلى فاطمة بنت الحسين (ع) فقام إلى يزيد وقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية تكون خادمة عندي ؟ قالت فاطمة بنت الحسين (ع) : فارتعدت فرائصي ، وظننت أن ذلك جائز لهم ، فأخذت بثياب عمتي زينب فقلت : عمته أوتمت وأستخدم ؟ فقالت عمتي للشامي : كذبت والله ولؤمت ، ما جعل الله ذلك لك ولا لأميرك . فغضب يزيد وقال : كذبت والله إن ذلك لي ولو شئت لفعلت قالت : كلا والله ما جعل ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا ، فاستطار يزيد غضباً وقال : إياي تستقبلين بهذا الكلام إنما خرج من الدين أبوك وأخوك فقالت زينب : بدين أبي وأخي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً قال : كذبت يا عدوة الله قالت : يا يزيد أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسطانك ، فكأنه استحى وسكت فأعاد الشامي كلامه هب لي هذه الجارية فقال له يزيد : أسكت وهب الله لك حتفاً قاضياً .

وروى السيد ابن طاووس في اللهوف هذه الرواية كما يأتي : قال نظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين (ع) فقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية ، فقالت فاطمة لعمتها زينب (ع) : أوتمت وأستخدم ؟ فقالت زينب (ع) : لا ولا كرامة لهذا الفاسق فقال الشامي : من هذه الجارية ؟ فقال يزيد : هذه فاطمة بنت الحسين ، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب ، فقال الشامي : الحسين بن فاطمة وعلي بن أبي طالب ؟ قال : نعم ، فقال الشامي :

لعنك الله يا يزيد ، أتقتل عترة نبيك وتسيي ذريته والله ما توهمت إلا أنهم سبي الروم ، فقال يزيد : لألحقنك بهم ، ثم أمر به فضربت عنقه ، والذي يظهر ان هاتين القضيتين كليهما وقعتا في ذلك المجلس المشؤوم .

قال السيد محسن الأمين في لواعجه : ثم دخلت نساء الحسين (ع) وبناته على يزيد فقمنا إليهن وصحن وبكين وأقمن المآتم على الحسين (ع) ، ثم أمر لهم يزيد بدار تتصل بداره ، وقيل أمر بهم إلى منزل لا يكنهم من حر ولا برد ، فأقاموا فيه حتى تقشرت وجوههم ، وكانوا مدة مقامهم في الشام ينوحون على الحسين (ع) .

السفر الخامس

(من الشام إلى كربلاء ومن كربلاء إلى المدينة في رعاية النعمان بن بشير وأصحابه ، وقد أمرهم يزيد بالرفق بنساء الحسين (ع))

قال المفيد في (الإرشاد) : نذب يزيد النعمان بن بشير وقال له : تجهز لتخرج بهؤلاء النسوة إلى المدينة ، وأنقذ معهم في جملة النعمان بن بشير رسولاً تقدم إليه أن يسير بهم في الليل ، ويكونوا أمامه حيث لا يفوتون طرفه ، فإذا نزلوا انتحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم ، وينزل منهم بحيث ان أراد إنسان من جماعتهم وضوءاً أو قضاء حاجة لم يحتشم ، فسار معهم في حملة النعمان ولم يزل ينازلهم في الطريق ويرفق بهم كما وصاه يزيد حتى دخلوا المدينة .

وقال السيد ابن طائوس لما بلغوا العراق قالوا للدليل : مر بنا على طريق كربلاء ، فوصلوا إلى موضع المصراع ، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري (رحمه الله) وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول (ص) قد وردوا لزيارة قبر الحسين (ع) فتوافوا في وقت واحد ، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم ، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد ، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على

ذلك أياماً ، قال : ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة ، قال بشر بن حدلم :
 فلما قربنا منها نزل علي بن الحسين (ع) فحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل
 نساءه وقال : يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً ، فهل تقدر على شيء منه ؟
 فقلت بلى يا ابن رسول الله إني لشاعر فقال (ع) : ادخل المدينة وانع أبا
 عبد الله (ع) قال بشر : فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة ، فلما بلغت
 مسجد النبي (ص) رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فادمعي مدرار
 الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار

قال : ثم قلت هذا علي بن الحسين (ع) مع عماته وإخواته قد حلوا
 بساحتكم ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه ، قال : فما بقيت في
 المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن ، مخمشة
 وجوههن ، مضروبة خدودهن ، يدعون بالويل والثبور ، فلم أر باكياً وباكية أكثر
 من ذلك اليوم ولا يوماً مر على المسلمين مثله ، وقال أبو مخنف في مقتله نظير ما
 نقله السيد ابن طاووس ثم قام السجاد (ع) يمشي إلى أن دخل المدينة ، فلما
 دخلها زار جده رسول الله (ص) ثم دخل منزله ، وفي (المنتخب) : وأمام أم
 كلثوم فحين توجهت إلى المدينة جعلت تبكي وتقول :

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا
 خرجنا منك بالأهلين جمعا رجعنا لا رجال ولا بنينا
 وكنا في الخروج بجمع شمل رجعنا حاسرين مسلبينا
 وكنا في أمان الله جهراً رجعنا بالقطيعة خائفينا
 ومولانا الحسين لنا أنيس رجعنا والحسين به رهينا
 فنحن الضائعات بلا كفيل ونحن النائحات على أخينا
 ونحن السائرات على المطايا نشال على جمال المبغضينا

ونحن البنات يسّ وطه
ونحن الطاهرات بلا خفاء
ونحن الصابرات على البلايا
ألا يا جدنا قتلوا حسينا
ألا يا جدنا بلغت عدانا
لقد هتكوا النساء وحملوها
وزينب أخرجوها من خباها
سكينة تشتكي من حر وجد

ونحن الباقيات على أبينا
ونحن المصطفون المخلصونا
ونحن الصادقون الناصحونا
ولم يرعوا جناب الله فينا
مناها واشتفى الأعداء فينا
على الأقتاب قهراً أجمعينا
وفاطم واله تبدي الأنينا
تنادي الغوث رب العالمينا

والقصيدة تركناها خوف الإطالة .

قال الراوي : وأما زينب (ع) فأخذت بعضادتي باب المسجد ونادت : يا جداه إنني ناعية إليك أخي الحسين (ع) ، وهي مع ذلك لا تجف لها عبرة ولا تفتن من البكاء والنحيب ، وكلما نظرت إلى علي بن الحسين (ع) تجدد حزنها وزاد وجدها ، أقول : وكأني بها (ع) بعد أخيها الحسين (ع) لا زالت باكية العين حزينة القلب منهدة الركن من المصيبة وكأني بلسان حالها يقول :-

يا غائباً عن أهله أتعود أم تبقى إلى يوم المعاد مغيباً
يا ليت غائبنا يعود لأهله فنقول أهلاً بالحبيب ومرحباً
لو كان مجروحاً لعولج جرحه كيف العلاج ونور بهجته خبياً

السفر السادس

(من المدينة إلى الشام تحت رعاية زوجها عبد الله بن جعفر)

أو إلى مصر ، مع بعض النساء من بني هاشم على اختلاف الروايات ، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الآتي إن شاء الله

الفصل الرابع

في وفاتها ومدفنها وراثتها وكراماتها وزيارتها ومدفنها

فنقول: إن من المأسوف عليه أن حملة التاريخ على توسعهم في سرد القصص والأحوال في أشياء كثيرة بما يكون القارىء في غنى عنها ، أهملوا حقائق من التاريخ تمس إليها حاجة المنقب ويشاق إليها طلبه الباحث ، ولسنا الآن في صدد الأسباب الباعثة على ذلك ، ولعلها لا تخفى على الناقد غير أن المهم في هذا الكتاب هي ناحية واحدة أصبحت من مواضعه ، وهو البحث عن وفاة عقيلة بني هاشم زينب الكبرى ، وتحري الوقوف على مدفنها ، وإن كانت المصادر التي نستمد منها لا تخلو جملة منها من تشويش واضطراب ، وعلى العلات فنحن نقدم إلى القارىء الكريم ما قيل في ذلك ونحيل الحكم إليه ، فقيل أنها توفيت في المدينة المنورة ، وكان ذلك بعد رجوعهم من الشام ، ذكره صاحب (الطراز) عن (بحر المصائب) ، ولو صح هذا لبقى لعظيمة بيت الوحي أثر خالد ومشهد يزار كما بقي لمن دونها في المرتبة من بني هاشم بل لمن يمت إليهم بالولاء من رجالات الأمة ، وقيل أنها توفيت حوالي الشام ، نقله صاحب (الطراز) أيضاً عن (أنوار الشهادة) و (بحر المصائب) في تفصيل لا مقليل له من ظل الحقيقة ، وهو بالروايات الخرافية أشبه بالإعراض عنه أجدر ،

وقيل أنها توفيت في الشام نقله في (الطراز) أيضاً عن (كنز الأنساب) لكن قائله تفرد برواية قصة في ذلك لم تتأكد ، وقيل أنها توفيت في إحدى قرى الشام نسبه في (الطراز) أيضاً إلى بعض المتأخرين ، وتلهج الألسن في سبب ذلك بحديث المجاعة التي أصابت أهل المدينة المنورة ، فهاجرت مع زوجها عبد الله إلى الشام وتوفيت هنالك ، وهو حديث لا أثر له في كتب التاريخ والسير والأنساب والتراجم ، ولم يذكره المنقبون في الآثار ممن في كتب أهل البيت ، كالكليني ، والصدوق ، والشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، والشيخ الطوسي ، وابن شهر آشوب والطبرسي ، وابن الفثال ، والعلامة الحلبي ، وابن طائوس والوزير الأربلي ، والمجلسي الذي جمع فأوعى وقد احتوت مكتبته على ما لا يوجد في غيرها من آلاف الكتب ، وتبرز هو في الإحاطة بالسير والآثار وأخبار أهل البيت (ع) ، إلى غيرهم كسبط ابن الجوزي ، وابن الصباغ المالكي ، وابن طلحة الشافعي ، والحافظ الكنجي ، وابن الصبان ، والشبلنجي ، والمحجب الطبري ، والبدخشي ، والسيد علي الهمداني ، إلى نظرائهم ، وما أدري ولا المنجم يدري من أين جاء القائل بحديث المجاعة ، وقد خلت عند زبر الأولين الذين هم اقرب عهد بأمثال هذه الوقائع من هذا القائل وذويه ، وأغرب من يدعي وصلاً بلبيل عزاه إلى كتاب لم نجده فيه بعد الفحص والتتبع .

أما هذا القبر الذي هو في الشام فقد ذكر جماعة من المؤلفين أنه للسيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين ، والمشهور أن اسمها زينب أيضاً ، ويفرق بينها وبين اختها زينب الكبرى بالوسطى ، ولعل الأصح وأن اسمها رقية للحديث المروي في (ينابيع المودة) ، وبه قال جماعة من أهل العلم منهم صاحب كتاب (ذخائر العقبى) قال في ضمن كلامه : وولدت فاطمة (ع) حسناً وحسيناً (ع) وزينب ورقية وأم كلثوم ، وولدت هذه السيدة بعد اختها زينب الكبرى وكانت من أجل النساء فضلاً وزهداً وتقوى وعبادة وشرفاً وعفة إلى غير

ذلك من الصفات الكريمة والأخلاق الفاضلة ، أخذت العلم عن أبيها وأخويها وأختها ونشأت نشأتها المباركة في البيت العلوي الطاهر ، ومحل قبرها الشريف بقرية راوية من غوطة دمشق المعروفة بقرية الست .

وقيل أن زينب الكبرى توفيت بمصر ولعل الأصح كما نص عليه العبيدلي كما سيأتي ، ونقل الموافقة له ناشر كتاب (الزينبيات) عن ابن عساكر الدمشقي في تاريخه الكبير ، والمؤرخ ابن طولون الدمشقي في (الرسالة الزينية) ، ووجدنا الموافقة له أيضاً في كتاب (لوائح الأنوار) للشعراني ، وفي كتاب (إسعاف الراغبين) للشيخ محمد صبان بهامش (نور الأبصار) وفي كتاب (نور الأبصار) للشبلنجي ، وفي (الاتحاف) للشبراوي ، وفي (مشارق الأنوار) لحسن العدوي نقلاً عن الشعراني في (الأنوار القدسية) و (المنن) ، وعن العلامة المناوي في طبقاته ، وعن جلال الدين السيوطي في رسالته الزينية ، وعن العلامة الأجهوري في رسالته على مسائل عاشوراء ، وقال البحاث فريد وجدي على ما نقله عنه بعض الأجلء السيدة زينب بنت علي كانت من فاضلات النساء وشريفات العقائل ، ذات تقى وطهر وعبادة ، هاجرت إلى مصر وتوفيت بها ، وقال العلامة المحقق المطلع الشيخ محمد علي الأردوبادي في قصيدة قالها في رثاء الصديقة زينب وهي طويلة :

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| قد عاد مصر للحفيظة مغرباً | فسنا ذكاهها واضح لن يغربا |
| بمليكة حسباً زكت فيه ولم | يعقد عليه غير صنويها الحبا |
| ومن النبوة في أسرة وجهها | بلج كمثل الشمس يجلو الغيها |
| وتضوع منها للخلافة عبقة | تطوى بنفحتها الصحاح والربى |
| بجلال أحمد في مهابة حيدر | قد أنجبت أم الأئمة زينبا |
| فيجمع الشريفين بضعة فاطم | حصلت على أكرومة عظمت نبا |

فأشار في البيت الأول وهو مطلع القصيدة إلى محل قبرها الشريف في مصر ، وإليك ما ذكره النسابة شيخ الشرف ابن الحسن يحيى بن الحسن

العقيقي العبيدلي في (أخبار الزينبيات) على ما حكاه عنه مؤلف كتاب (السيدة زينب) ، ذكر أن زينب الكبرى بعد رجوعها من أسر بني أمية إلى المدينة ، أخذت تؤلب الناس على يزيد بن معاوية ، فخاف عمرو بن سعيد الأشدق انتقاض الأمر ، فكتب إلى يزيد بالحال فأتاه كتاب يزيد يأمره بأن يفرق بينها وبين الناس ، فأمر الوالي بإخراجها من المدينة إلى حيث شاءت ، فأبت الخروج من المدينة وقالت : قد علم الله ما صار إلينا قتل خيرنا وسقنا كما تساق الأنعام ، وحملنا على الأقتاب ، فوالله لا أخرج وإن أهرقت دماؤنا . فقالت لها زينب بنت عقيل : يا ابنة عماء قد صدقنا الله وعده وأورثنا الأرض تنبوء منها ما نشاء فطبيي نفساً وقري عيناً وسيجزى الله الظالمين ، أتريدين بعد هذا هواناً ، إرحلي إلى بلد آمن ، ثم اجتمعت عليها نساء بني هاشم وتلطفن معها في الكلام ، فاختارت مصر وخرج معها من نساء بني هاشم فاطمة بن الحسين (ع) وسكينة ، فدخلت مصر لأيام بقيت من ذي الحجة ، فاستقبلها الوالي مسلمة بن مخلد الأنصاري في جماعة معه ، فأنزلها داره بالحمراء فأقامت بها أحد عشر عشراً وخمسة عشر يوماً ، وتوفيت عشية الأحد لخمسة عشر يوماً مضت من رجب سنة اثنتين وستين هجرية ، ودفنت بمخدعها في دار مسلمة المستجدة بالحمراء القصوى ، حيث بساتين عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، انتهى نص العبيدلي .

يقول مؤلف هذه السوفاة وجامع هذه المقتطفات: لا يخفى على الناقد البصير . أن حديث العبيدلي المذكور ، الذي استدلل به المؤلف النقدي (أعلا الله مقامه) على مهاجرة زينب الكبرى إلى مصر لا يخلو من الملاحظات والانتقادات والأشياء التي لعلها لا تتناسب مع مقام الصديقة الصغرى (سلام الله عليها) ، مثل أنها كانت تؤلب الناس على يزيد ، ومثل أنها حلفت أن لا تخرج من المدينة ثم خرجت ، ومثل أنها خرجت مع النساء ولم يتعرض لذكر أحد من رجالها كزوجها عبد الله بن جعفر أو أحد بني هاشم ، ولم يتعرض إلى

أنها استأذنت من زوجها أو من حجة الله الإمام زين العابدين (ع) ، غير ذلك مضافاً إلى ما في الخبر من التهافت والتدافع ، مثل أنها دخلت مصر لأيام بقيت من ذي الحجة وأقامت بها أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً ، وتوفيت لخمسة عشر يوماً مضت من رجب ، وإن كان الصحيح أن دخولها مصر على تقدير صحة الخبر في غرة شعبان كما في كتاب (بطلة كربلاء) لبنت الشاطيء كما لا يخفى وكيف كان فالأرجح عندي أنها (ع) توفيت في الشام في النصف من شهر رجب من العام الخامس والستين من الهجرة وهو عام المجاعة ، وذلك بمحضر زوجها الجواد عبد الله بن جعفر ، ودفنت في إحدى قرى المعروفة براوية من غوطة دمشق المشتهرة الآن بقرية الست ، والدليل على ما اخترناه ثلاثة أمور :

الأمر الأول

ما ذكره الفاضل الشيخ محمد مهدي المازندراني في الجزء الثاني من كتابه (معالي السبطين) ، والفاضل الخطيب السيد جاسم السيد حسن شبر في كتابه (البلاغة العلوية) نقلاً عن البحاث المحقق آية الله السيد حسن صدر الدين (طاب ثراه) ، قال في كتابه (نزهة أهل الحرمين) : زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (ع) وكنيتها أم كلثوم قبرها في قرب زوجها عبد الله بن جعفر الطيار خارج دمشق الشام معروف ، جاءت مع زوجها عبد الله بن جعفر أيام عبد الملك بن مروان إلى الشام سنة المجاعة ليقوم عبد الله بن جعفر في مكان له من القرى والمزارع خارج الشام حتى تنقضي المجاعة ، فماتت زينب (ع) هناك ودفنت في بعض تلك القرى ، هذا هو التحقيق في وجه دفنها هناك ، وغيره غلط لا أصل له ، فاغتنم فقد وهم في ذلك جماعة فخطوا بخط العشواء انتهى كلام السيد الصدر (أعلى الله مقامه) ، وقوله : قبرها في قرب زوجها تصحيف وغلط مطبعي ، والصحيح قبرها في قرى زوجها كما تدل عليه العبارة الآتية وهي قوله : ودفنت في بعض تلك القرى ، فنتبه .

الأمر الثاني

ما نقله المازندراني في الجزء الثاني من (المعالي) عن العلامة الجليل ثقة الإسلام السيد هبة الدين الشهرستاني أنه قال : لأمير المؤمنين (ع) بتان بهذا الإسم الصغرى تلقب أم كلثوم والكبرى هي سيدة الطّف ، وكان ابن عباس ينوه عنها بعقيلة بني هاشم ولدتها الزهراء (ع) بعد شقيقها الحسين بستين ، وتزوجها عبد الله ابن عمها جعفر الطيار ، وكانت قطب دائرة العيال في المخيم الحسيني وقد أفرغ لسان الملك ترجمتها في مجلد خاص من موسوعة (ناسخ التواريخ) ، وجاء في (الخيرات الحسان) وغيره : أن مجاعة أصابت المدينة فرحل عنها بأهله عبد الله بن جعفر إلى الشام في ضيعة له هناك ، وقد حمت زوجته زينب (ع) من وعثاء السفر أو ذكريات أحزان وأشجان من عهد سبي يزيد لآل الرسول (ص) ، ثم توفيت على أثرها في نصف رجب سنة خمس وستين من الهجرة ودفنت هناك حيث المزار المشهور .

الأمر الثالث

قول الذاكر الخطيب الشيخ حسن بن الشيخ كاظم سبتي في أواخر قصيدته التي قالها في شرح أحوال الصديقة الصغرى قال تحت عنوان سبب وفاتها :-

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| وزوجها ابن عمها الطيار عبد | الله بارى في السخاء السحبا |
| لما أصابت يثرباً مجاعة | وشدة وعامهم قد قطبا |
| فسار عبد الله ينحو الشام في | عياله يحملهم وزينبا |
| لكن وعثاء الطريق أثرت | بها فكابدت عناءً نصبا |
| فعندما تذكرت دخولها | للشام حسرى وهي في أسر السبا |
| حمت وما زالت تعاني سقما | وسقمها في جسمها قد نشبا |
| وعام خمسة وستين قضت | صابرة بالصبر حازت رتبا |

وقد مضت عنا بنصف رجب ياليت انالتم نشاهد رجباً

فكأنني بها (صلوات الله عليها) لما قرب منها الموت وحانت منها
المنية ، اضطجعت على فراشها واستقبلت القبلة ، وقالت : أشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن جدي محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأن أبي أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب ، وأخوي الحسن والحسين وعلي بن الحسين وبقية الأئمة
الطاهرين (ع) أئمتي وأوليائي وإن جميع ما جاء به جدي رسول الله (ص) حق
ومن عند الحق ، وأن الجنة والنار حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله
يبعث من في القبور ، وكأني بها سلام الله عليها عند احتضار الموت قد غمضت
عينها ومدت يديها ورجليها وقرأت سورة يسّ والصافات ، وفاضت نفسها الطيبة
وفارقت روحها الدنيا ، وكأني بمن حضر هذه الكارثة العظمى والفادحة الكبرى
من نساء ورجال قد علا منهم الصياح ، وارتفع النياح ، وكثر منهم الضجيج
والمعجيج ، ولطموا الخدود ، وشققوا الجيوب ، ونادوا بالويل والثبور وعظائم
الأمر ، فلم ير في ذلك اليوم إلا باك وبكاء وناع وناعية ، ونائح ونائحة ،
وصارخ وصارخة ، ينادون وا زينبا ، وا سيدتاه ، وا غريبتاه ، وا مصيبتاه ،
وا فجعتاه ، وا وحشتاه ، وا طول حزنه ، وا ثكلاه ، وكأني بزوجه الحزين مع
من حضر من الجمع قد قاموا في جهازها ، فغسلوها وكفنوها ، وصلوا عليها ،
ودفنوها في قبرها ، وأهلوا عليها التراب فإننا لله وإنا إليه راجعون ، والله در
الفاضل الخطيب الميرزا محمد الخليل النجفي حيث يقول في قصيدة له في
رثائها عليها السلام :-

إذا نابك الدهر لا تعجب فليس على الدهر من متعب
ولا تغتربرر بابتساماته فبالناب يغدر والمخلب
وكن جلدأ عند دهم الخطوب فمن يرتدي الصبر لم يغلب
وإن دهمتكم صروف الزمان تذكر عقيلة آل النبي

وحمر الدموع عليها اسكب
نوائب خير النساء زينب
فمهما تحدثت لم تكذب
احتمالاً ومنها يشيب الصبي
وصبر البتول وحلم الوصي
بصبر لدى الدهر لم ينضب
ويا عين فيضي لها واسكبي

تذكر مصائبها سلوة
فكل النوائب تسلى لدى
وناهيك أرزاؤها في الطفوف
رزايا يحار لديها الصبور
وقد قابلتها بكظم الوصي
إلى أن قضت وهي حلف الأسي
فيا قلب ذب بعدها حسرة

أما بناؤها(ع)

فهو كثير لا يحصى نظماً ونشراً ، ولكن لا يسقط الميسور بالمعسور ، فنقول من جليله الحقائق أن نظم القريض في أي أحد فيه إشادة بذكره ، وإقامة لأمره ، فإن المأثرة مهما عظمت فقد تنسى ويخمل ذكرها بمرور الحقب والأعوام ، لكن الشعر الخالد الذي تسير به الركبان يؤيد ذلك الفضل البائد ، ويلفت الأنظار إلى جهته ، وبما أن ذكرى أهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم) هي أساس الدين وجذم الإصلاح لما يتبعها من اعتناق تعاليمهم واقتفاء آثارهم ، تواتر الحث على سرد الشعر فيهم مدحاً وثناء ورتبت عليه المثوبات العظيمة في أحاديث أئمة الهدى (ع) وعد ذلك أفضل الطاعات .

ففي (عيون الأخبار) لشيخنا الصدوق رحمه الله بالإسناد عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال : قال أبو عبد الله الصادق (ع) من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة ، وفيه عن علي بن سالم عن أبيه عن الصادق (ع) أنه قال ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس ، إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة .

وبما أن زينب العقبيلة (سلام الله عليها) من أولئك الأفراد الذين هم عمد الدين وأعضاء الشريعة وقد شاركت الحسين (ع) في نهضته المقدسة والذب عن

شريعة جدها الرسول ، تبادر أفضاذا ممن يمتهم الولاء إلى تحري ذلك الأجر
الجزيل بنظم مدائحها ومراثيها .

فمن أولئك الأفضاذا حجة الإسلام آية الله المغفور له الشيخ محمد حسين
الأصفهاني المتوفي ٥- ١٢ عام ١٣٦١ هـ .

قال أعلى الله مقامه :-

وليت وجهي شطر قبلة الورى
قطب محيط عالم الوجود
ففي النزول كعبة الرزايا
بل هي باب حطة الخطايا
ام الكتاب في جوامع العلا
رضيعة الوحي شقيقة الهدى
ربة خدر القدس والطهارة
فإنها تمثل الكنز الخفي
تمثل الغيب المصون ذاتها
مليكة الدنيا عقيلة النسا
شريكة الشهيد في مصائبه
بل هي ناموس رواق العظمة
ما ورثته من الرحمة
سرابها في علو الهمة
ثباتها ينبىء عن ثباته
لها من الصبر على المصائب
بل كاد أن يلحق بالمعاجز
فإنها سلالة الولاية
بيانها يفصح عن بيانه

ومن بها تشرفت أم القرى
في قوسي النزول والصعود
وفي الصعود قبلة البرايا
وموئل الهبات والعطايا
أم المصاب في مجامع البلا
ربيبة الفضل خليفة الندى
في الصون والعفاف والخفارة
بالسر والحياء والتعفف
تعرب عن صفاته صفاتها
عديلة الخامس من أهل الكسا
كفيلة السجاد في نوائبه
سيدة العقائل المعظمة
جوامع العلم أصول الحكمة
والصبر في الشدائد الملمة
كان فيها كل مكرماته
ما جل أن يعد في العجائب
لأنه حرفة كل عاجز
ولاية ليس لها نهاية
كأنها تفرغ عن لسانه

ناهيك فيه الخطب المأثورة
بل هي لولا الحظ من مقامها
فإنها وليدة الفصاحة
وما أصاب أمها من البلا
لكنها عظيمة بلواها
رأت هجوز الخيل بالنار على
وأسلبوا يا ويلهم قرارها
وسبيهم ودائع المختار
يكاد أن يذهب بالعقول
وما رأت بالطف من أهوالها
ومن يطيق وصف سوء حالها
معفر الخد مضرجاً بدم
وحولها فتيانه على الثرى
وأهاً على كواكب السعود
كيف هوت وانتشرت أشلاؤها
وشاهدت ريحانة الرسول
فأصبحت خزانة اللاهوت
صدر تربي فوق صدر المصطفى
ترى العوالي مركز المعالي
وهي عرش وعليه التاج
نال من العروج ما تمنى
حتى تجلى قائلاً إني أنا
لسان حاله لسلطان القدم
وسوقها إلى يزيد الطاغية
وما رأته في دمشق الشام

فإنها كالدرر المنثورة
كاللؤلؤ المنضود في نظامها
والدها فارس تلك الساحة
فهو تراثها بطف كربلا
من الحرب شاهدت دهاها
خبائها أو محور السبع العلى
مذ سلبوا إزارها خمارها
عار على الإسلام أي عار
سبي بنات الوحي والتنزيل
جل عن الوصف بيان حالها
مذ رأت السبط على رمالها
لهفي على جمال سلطان القدم
كالشهب الزهر تحف القمر
عقد نظام الغيب والشهود
بأي ذنب سفكت دماؤها
تدوسها حوافر الخيول
حلبة خيل الجبت والطاغوت
ترضه الخيل على الدنيا العفا
مدرجة لذرورة الكمال
أو أنها البراق والمعراج
كقبا قوسين دنا أو أدنى
من شجر القناة في طور القنا
سعيماً على الرأس إليك لا القدم
أشجى فجيعة وأدهى داهية
يذهب بالعقول والأحلام

وخلفها النوائح البواكي
حف به الحنين والأنين
حاسرة على ابن هند العاهرة
وهي ابنة السنة والكتاب
بين يدي طليقها واعجبا
وهي سلالة النبي الهادي
سب أبيها وهو أصل الدين
للكذب وهي أصدق الخليفة
فما رأته لا أطيق ذكره
إلى ثنايا العدل والتوحيد
وملثم الطاهرة البتول
وكفره المكنون منه يعلم
بأحسن البيان والبلاغ
على أخيها فأجابها الشقي
مأهون النوح على النوائح

أمامها رأس الإمام الزاكي
أو الكتاب المناطق المبين
وأفزع الكل دخول الطاهرة
ومالها ومجلس الشراب
أتوقف الحرة من آل العبا
يشتمها طاغية الإلحاد
بل سمعت من ذلك اللعين
أتنسب الطاهرة الصديقة
واحرق قلبه لقلب الحرة
شئت يد مدت بقرع العود
تلك الثنايا مرشف الرسول
وما حناه باللسان أعظم
وقد أبانت كفر ذاك الطاغي
حنت بقلب موجع محترق
يا صبيحة تحمد من صوائح

ومن أولئك الأفاذا الخطيب الشيخ حسن بن الشيخ كاظم سبتي ، وإليك
ما قاله شارحاً أحوال الصديقة (ع) وفضلها:

عما عليهم جرى سل زينبا
الحبر ابن عباس وعنها كتبا
ولدت أهلاً بها ومرحباً
أضياء نورها فأخفى الكوكبا
وهو على المنبر يلقي الخطبا
وأفاه جبريل بذاك مطنبا

سل زينباً عما عليهم جرى
هي العقيلة التي عنها روى
عامين من بعد شقيقها الحسين
أول شعبان أتى ميلادها
وبشّر النبيّ لما ولدت
بشره سلمان فيها بعدما

وقال سماها الإله في السما بزینب لما تقاسي نوبا
فأم دار ابنته فاطمة مهنيأ لها بها مرحبا

جلالة قدرها

إن قصدت تزور قبر جدها شوقاً إليه إذ هم بيثربا
أخرجها ليلاً أمير المؤمنين والحسين والزكي المجتبي
يسبقهم أبوهم فيطفئ الضوء الذي في القبر قد تربا
قيل له لم ذا فقال إنني أخشى بأن تنظر عين زينبا

مكارم أخلاقها

روحي لها الفداء من مصونة زكية كريمة ذات إبا
ذات عفاف ووقار وحجى من شرفت أمأً وجدأً وأبا
أحمد جدي وعلي والدي وفاطم أم فأكرم نسبا
تكفلت أثقل ما في الدار بعد أمها من أيام الصبا
وجرعت ما جرعته أمها من الأذى ما منه تنسف الربى

علمها

عيبة علم غير أن علمها غريزة ولم يكن مكتسبا
عالمة عاملة لربها طول المدى سوى التقى لن تصبعا
تقية من أهل بيت عصمة شقيقة السبط الحسين المجتبي
صديقة كبرى لجم علمها طاشت بها الأبواب والفكر كبا
فيا لها داعية إلى الهدى في حل كل مشكل قد صعبا
ذات فصاحة إذا ما نطقت حيناً تخال المرتضى قد خطبا
سل مجلس الشام وما حل به مذ خطبت ماج بهم واضطربا

صبرها

الله من صابرة على الأذى
ألفته فرداً أو عداه أقبلت
واحتوشته بالرماح فارتوت
وأبصرته مذهباً هوى إلى الثرى
رأته في مصرعه مخدماً
ملقى على وجه الصعيد عارياً
وخيلهم تعدو على جثمان من
ورأسه شيل على مثقف
مرتلاً آيات أهل الكهف
وشاهدت ما في الحما مقسماً
فكابدت بالطف ما لو بعضه

تجرعت مع الحسين الكريماً
وخيلهم ملؤ الفيافي والربى
من دمه سمر الرماح والضبا
مصافحاً ذاك المحيا الترياً
الجسم لقي معفراً قد سلبا
والشمر فوق صدره قد ركبا
نشأ على صدر النبي قرياً
مرتفع أمامها قد نصبا
لكن بالدماء شبيه قد خضبا
إلى العدى مغتنماً حتى الخبا
صبت على الهضاب هدّ الهضبا

في أنها كانت سلوة وعزاء للسجاد طيلة مرضه

ومذعرا زين العباد السقم
كان له بها السلو والعزا
فلم تنزل تنبى بما يزيده
ما دام زين العابدين مجهداً

بالطف لما عانى بلاء مكرياً
بعد أبيه دون كل الأقربا
الله بأحسن الحديث والنبا
يشكو السقام والعنا والوصبا

سبب وفاتها

وزوجها ابن عمها الطيار عبد
لما أصابت يثرباً مجاعة
فسار عبد الله بنحو الشام في
لكن وعشاء الطريق أثرت

الله باري في السخاء السجبا
وشدة وعامهم قد قطبا
عياله يحملهم وزينبا
بها فكابدت عناء نصبا

فعندما تذكرت دخولها
 حمت وما زالت تعاني سقماً
 وعام خمسة وستين قضت
 وقد مضت عنا بنصف رجب
 للشام حسرى وهي في أسر السبا
 وسقمها في جسمها قد نشبا
 صابرة بالصبر حازت رتبا
 يا ليت أنالم نشاهد رجباً

للعالم الفاضل شاعر أهل البيت (ع) الشيخ محمد نزار:

هاج وجدي لزنب إذ عراها
 يوم أضحت رجالها غرضاً للنبل
 ونعت بين نسوة ثاكلات
 آه والهفتاه ماذا تقاسي
 ولمن تسكب المدامع من عين
 ألنهب الخيام أم لعليل
 أم لأجسامهم على كذب الغبر
 أم لرفع الرؤوس فوق عوالي السمر
 أم لأطفالها تقاسي سباق الموت
 أم لسير النساء بين الأعادي
 وهي ما بينهن تندب من قد
 فادح في الطفوف هدّ قواها
 والسمرفيه هاج وغاها
 تصدع الهضب في حنين بكاهها
 من خطوب تربو على ما سواها
 جفنا جفنها لذيد كراهها
 ناحل الجسم أم على قتلاها
 أم مخضوبة بفيض دماها
 أم رض صدر حامي حماها
 أم عظم سيرها وسراها
 ثاكلات يندبن يا آل طاها
 ندبته الأملاك فوق سماها

وأما الكرامات المروية عن زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (ع) والمنقولة
 في الكتب العربية والفارسية كثيرة ، ولا بأس بذكر واحدة من تلك الكرامات
 تيمناً وتبركاً فنقول :

من كراماتها الباهرة ما نقله العلامة النوري في كتابه (دار السلام) قال :
 حدثني السيد السند ، والجبر المعتمد ، العالم العامل ، وقدة أرياب
 الفضائل ، البحر الزاخر ، عمدة العلماء الراسخين السيد محمد باقر السلطان
 آبادي نفع الله به الحاضر والبادي قال : عرض لي في أيام اشتغالي ببروجرد

مرض شديد ، فرجعت من بروجرد إلى سلطان آباد ، فاشتد بي المرض بسبب هذه الحركة ، وانصبت المواد في عيني اليسرى فرمدت رمداً شديداً ، واعتراها بياض وكان الوجع يمنعني من النوم ، فأحضر والدي أطباء البلد للعلاج ، ولما رأوا حالتي قال أحدهم : يلزم أن يشرب الدواء مدة ستة أشهر ، وقال الآخر : مدة أربعين يوماً ، فضاقت صدري وكثر همي من سماع كلماتهم لكثرة ما كنت شربت من الدواء في تلك المدة وكان لي أخ صالح تقي أراد السفر إلى المشاهد العظيمة وزيارة سادات البرية ، فقلت له : أنا أيضاً أصاحبك للتشرف بتلك الأعتاب الطاهرة ، لعلي أمسح عيني بترابها الذي هو دواء لكل داء ، ويأيني بركاتها الشفاء فقال لي : كيف تطيق الحركة مع هذا المرض العضال وهذا الوجع القتال ؟ ولما بلغ الأطباء عزمي على السفر قالوا بلسان واحد : إن بصره يذهب في أول منزل أو ثاني منزل ، فتحرك أخي وأنا جئت إلى بيته بعنوان مشايخته في الظاهر ، وكان هناك رجل من الأخيار سمع قصتي فحرضني على الزيارة وقال لي : لا يوجد لك شفاء إلا لدى خلفاء الله وحججه ، فلإني كنت مبتلى بوجع في القلب مدة تسع سنين وكلت الأطباء عن تداويه ، فزرت أبا عبد الله الحسين (ع) فشفاني بحمد الله من غير تعب ومشقة ، فلا تلتفت إلى خرافات الأطباء ، وامض إلى الزيارة متوكلاً على الله تعالى ، فعزمت من وقتي على السفر ، فلما كنا في المنزل الثاني من سفرنا اشتد بي المرض ليلاً . ولم استقر من وجع العين ، فأخذ من كان يمنعني من السفر يلومني ، واتفق أصحابي كلهم على أن أعود إلى بلدي الذي جئت منه ، فلما كان وقت السحر وسكن الوجع قليلاً رقدت فرأيت الصديقة الصغرى زينب بنت إمام الأتقياء عليه آلاف التحية والثناء ، فدخلت علي وأخذت بطرف مقنعة كانت في رأسها وأدخلته في عيني ومسحت عيني به ، فانتبهت من منامي وأنا لم أجد للوجع أثراً في عيني ، فلما أصبح الصباح قلت لأصحابي لم أجد اليوم ألماً في عيني فلا تمنعوني من السفر ، فما تيقنوا مني فحلفت لهم وسرنا ، فلما أخذنا في السير رفعت المنديل الذي كان على عيني المريضة ونظرت إلى البيداء وإلى الجبال

فلم أرفقاً بين عيني اليمنى الصحيحة واليسرى المريضة ، فناديت الرفقاء
وقلت لهم : تقربوا مني وانظروا في عيني ، فنظروا وقالوا : سبحان الله لا نرى
في عينك رمداً ولا بياضاً ولا أثراً من المرض ، ولا لفرق بين عينك اليمنى
واليسرى ، فوقفت وناديت الزائرين جميعاً وقصصت لهم رؤياي وكرامة الصديقة
الصغرى زينب (سلام الله عليها) ، ففرح الجميع وأرسلت البشائر إلى والدي
فاطمأن خاطره بذلك .

قال العلامة النوري : وحدثني بتلك الكرامة شيخنا الجليل النبيل والعالم
الذي عدم له النظرير والبديل المولى فتح علي السلطان ، آبادي قال : إنه شاهد
هذه الحكاية بنفسه .

يقول مؤلف هذه الوفاة وجامع هذه المقتطفات : وجدت في كتاب
(السيدة زينب) تأليف الشيخ أحمد فهمي زيارة الصديقة زينب (ع) قال : وقد
ذكر في كتاب ذخيرة العباد في زيارة قبر السيدة زينب بنت علي (ع) قف عند
قبرها وقل :

زيارة زينب (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا بنت سلطان الأنبياء ، السلام عليك يا بنت صاحب
الحوض واللواء ، السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء ، السلام عليك يا بنت
خديجة الكبرى ، السلام عليك يا بنت سيد الأوصياء وركن الأولياء
أمير المؤمنين ، السلام عليك يا بنت ولي الله ، السلام عليك يا ام المصائب يا
زينب بنت علي ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك أيتها الفاضلة الرشيدة ،
السلام عليك أيتها العاملة الكاملة ، السلام عليك أيتها الجليلة الجميلة ،
السلام عليك أيتها التقية النقية ، السلام عليك أيتها المظلومة المقهورة ،
السلام عليك أيتها الرضية المرضية ، السلام عليك يا تالية المعصوم ، السلام
عليك يا ممتحنة في تحمل المصائب بالحسين المظلوم ، السلام عليك أيتها
البعيدة عن الآفاق ، السلام عليك أيتها الأسيرة في البلدان ، السلام على من
شهد بفضلها الثقلان ، السلام عليك أيتها المتحيرة في وقوفك في القتلى
وناديت جدك رسول الله (ص) بهذا النداء: صلى عليك مليك السماء هذا
حسين بالعراء مسلوب العمامة والرداء مقطوع الاعضاء وبناتك سبايا ، السلام
على روحك الطيبة وجسدك الطاهر ، السلام عليك يا مولاتي وابنة مولاي
وسيدتي وابنة سيدتي ورحمة الله وبركاته ، أشهد أنك قد أقيمت الصلاة وآتيت

الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله وصبرت على الأذى في جنب الله حتى أتاك اليقين ، فلعن الله من جحدك ولعن الله من ظلمك ولعن الله من لم يعرف حقدك ولعن الله أعداء آل محمد من الجن والإنس من الأولين والآخرين وضاعف عليهم العذاب الأليم .

أتيتك يا مولاتي وابنة مولاي قاصداً وافداً عارفاً بحقدك فكوني شفيحاً إلى الله في غفران ذنوبي ، وقضاء حوائجي ، واعطاء سؤلي وكشف ضري ، وأن لك ولأبيك وأجدادك الطاهرين جاهاً عظيماً وشفاعة مقبولة ، السلام عليك وعلى آبائك الطاهرين المطهرين وعلى الملائكة المقيمين في هذا الحرم الشريف المبارك ورحمة الله وبركاته .

ثم صل ركعتين لله تعالى قاصداً إهداء ثوابهما إليها ، ثم ادع الله عز وجل بما أحببت فإن قبرها أحد الاماكن المجاب فيها الدعاء .

وقبل انصرفك اتجه إلى قبرها وودعه بهذا: السلام عليك يا سلاله سيد المرسلين ، السلام عليك يا بنت أمير المؤمنين ، السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، أستودعك الله واسترعيك وأقرأ عليك السلام ، اللهم لا تجعله آخر العهد مني لزيارة أم المصائب زينب بنت علي ، فإنني أسألك العود ثم العود أبداً ما أبقيتني وإذا توفيتني فاحشرنني في زمرتها وادخلني في شفاعتها وشفاعة جدها وأبيها وأمها وأخيها برحمتك يا أرحم الراحمين . اللهم بحقها عندك ومنزلتها لديك اغفر لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الفهرس

| | |
|---|--------|
| الموضوع | الصفحة |
| وفاة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) | ٥ |
| وفاة الإمام الحسن بن علي (ع) | ٨١ |
| وفاة الإمام السجّاد عليّ بن الحسين (ع) | ١٤٧ |
| وفاة الإمام محمد الباقر (ع) | ١٧٩ |
| وفاة الإمام جعفر الصادق (ع) | ٢١٩ |
| وفاة الإمام موسى الكاظم (ع) | ٢٤٥ |
| وفاة الإمام علي الرضا (ع) | ٢٧٧ |
| وفاة الإمام محمد الجواد (ع) | ٣٢٥ |
| وفاة الإمام علي الهادي (ع) | ٣٤٧ |
| وفاة الإمام الحسن العسكري (ع) | ٣٨٩ |
| وفاة السيدة زينب الكبرى (ع) | ٤٢٧ |

